

دكتور البدراوى زهران

فى علم اللغة التاريخى

دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى





دار المعارف

في علم اللغة التاريخي

دراسة تطبيقية
على عربية العصور الوسطى

تأليف

دكتور البدراوي زهران

أستاذ اللغويات بجامعة أسيوط

ورئيس قسم اللغة العربية - كلية الآداب - سوهاج

الطبعة الثالثة

١٩٨٨



دار المعارف

الناشر : دار المعارف — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة — ج٠م٠ع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

ـكلمة طيبة صدرت من أهلها ، تردد صداها عميقاً فى نفسى ، فقيمتها فيمن صدرت عنه — قبل أن يعرف شخصى— لذا آثرت أن أجعلها مقدمة الطبعة الثانية لكتابى هذا — دون أن أزيد أو أنقص(1)فمجمع اللغة العربية الهيئة العلمية الجليلة ذات المكانة العالمية التى لا تدانيها مكانة،صومعة الخالدين ، وحصن العربية المكين الذى يضم أعلام العلماء رهبان الفكر وسدنة العلم حرّاس اللغة وحفّاظها وعلى رأسهم فيلسوف اللغة وعالمها الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور إذا صدر عنه قول لا ينبغى أن أزيد عليه أو أعقب — فهاك هو على صورته التى تلقيتها عليه .

وإنى لأشكر المجمع ورئيسه عظيم الشكر ، وآمل أن يوفقنى الله تعالى فى خدمة العربية وعاء القرآن الكريم . والله من وراء القصد نعم الهادى للرشاد يقول الحق ويهدى إلى الطيب من القول وإلى صراط الحميد .

دكتور

البدراوى عبد الوهاب زهران

---

(1) فى ص 5 : صورة رسالة مجمع اللغة العربية .

مجمع اللغة العربية

٣٦ ش الدكتور طه حسين بالجيزة

مكتب الرئيس

تليفون : ٨٩٧٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة في ١/١١ سنة ١٩٧٦م

السيد الدكتور البدراوي زهران

تحية طيبة ... وبعد

فأنا شاكر لك أصدق الشكر على اهدائك الكريم ، وقد عشت زمنا مع انتاجك الخصب المتواصل . وراقني منه أنك تكاد تركزه على جانب خاص ، عنيت به وجمعت أطرافه المختلفة . وأسعدني أنك على صلة بصومعة الخالدين ، فتابعت دراساتها ، ونوهت بأعمال رجالها ، وهذا كثيرا ما أغفله بعض الباحثين .

وأعتقد أن في قصة ما بعثت به الى كتابك عن " عربية العصور الوسطى " ، وقد سبق لي أن أشرت الى أنا غفلنا عن هذه العصور ، ولم نحاول أن نكشف عنها كشفا تاما ، لا في الادب واللغة ، ولا في العلم والفلسفه . حقا أنها عدت عصور ظلمه ، ولكنها لم تخل من أشعة وضاءه ، ومن ذخائر ثمينة . وهي دون نزاع حلقة من حلقات تاريخنا الفكري والثقافي ، وما أجدرنا أن نصل هذه الحلقات ونربط بعضها ببعض .

لقد قرأتك ، وسأتابع قراءتك ، وحرصا على أن يفيد كثيرون من بحثك ودرسك ، رأيت أن أضم مؤلفاتك الى فهرس مكتبة المجمع ، وأنا على يقين من أن خبراءنا ومحررينا سيرجعون اليها .

وتقبل شكري مرة أخرى وأصدق تحياتي ،،

رئيس المجمع

ا . مدكور

ابراهيم مدكور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بلسان عربى غير ذى عوج نزل القرآن الكريم ، وتكفل رب العزة بحفظه ، وخيل إلى بعضنا أن العربية التى بها نزل القرآن ستبقى فى ألسنتنا لايصيبها تغير ، وأنها عصيّة على كل تطور ، فقد تكفل بحفظها رب العزة ، ونسينا أن واجبنا إزاء حفظها يكون بمدارستها وملاحقة حركات التطور التى تصيبها ، وأن ما وضعه اللغويون الأوائل من قواعد لاتنطبق على العربية فى كل الأعصر ، فكل حقبة من حقب عمرها المديد تتمثل فيها خواص لغوية مخالفة فى قليل أو كثير لما نعرفه من قواعد ، وأيا ما كانت فهى توجب على اللغوى دراستها فى موضوعية ، وكثير من المصنفات عبر عصور العربية تلمح إلى ذلك ، وتشير إلى تغيرات أصابتها فى مختلف مستوياتها، على نحو ما تُنَبِّه إليه كتب اللحن (١) مثلا .. أو كتب الدخيل (٢) . أو الكتب التى تتحدث عن

---

(١) أنظر من هذه الكتب على سبيل التمثيل : لحن العوام المنسوب لعلى بن حمزة الكسائى ، المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، ولحن العامة للزبيدى المولود حوالى سنة ٣١٦ هـ ، وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى المتوفى سنة ٥٠١ هـ ، وتقويم اللسان لابن الجوزى المولود حوالى سنة ٥١٠ هـ ، والدكتور عبد العزيز مطر دراسات على هذه الكتب تحت عنوان : «لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة» نشر دار الكتاب العربى القاهرة ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٧م وطبعة جديدة لدار المعارف ١٩٨١.

وقد أورد الدكتور رمضان عبد التواب قوائم بكتب لحن العامة فى كتابه : « لحن العامة والتطور اللغوى » نشر دار المعارف بمصر ، طبعة أولى ، ١٩٦٧ – أنظر من صفحات ٦٦ ومابعدها

(٢) أنظر على سبيل المثال : كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجى

أخطاء الخواص وأوهامهم(١) .. أو الكتب التى تبحث فى أصول العاميات(٢) .
وغير ذلك كثير .. كل تلك علامات على الطريق تنبه إلى حقيقتين : —

أولاهما : أن العربية شأنها شأن بقية اللغات تصيبها تغيرات ؛ وتطرأ عليها تطورات .

وثانيتهما : وجوب دراسة اللغة من الناحية التاريخية « Historical » دراستها دراسة تطـورية « Dynamic » أى حركية « Diackronisitic » « Diacronic » مع عدم إغفال دور الدراسة الوصفية « Descriptive » أى دراسة اللغة فى حال ثباتها « Static » حال استقرارها « Synckronic » « Synckromistic » — فمن أهم ما تعنى به الدراسة اللغوية الحديثة التمييز بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية — فالدراسة التاريخية دراسة حركية تطورية تظهرنا على ما تمر به لغة ما عبر تاريخها ، على حين أن الدراسة الوصفية محددة بفترة معينة من تاريخ لغة معينة فى بيئة معينة « تحديداً زمانياً ومكانياً للغة المدروسة » - ومن المعلوم لدى اللغويين أن الدراسة اللغوية التاريخية تبدأ بعد مرحلة الدراسة الوصفية . فمن النظر فى الدراسات الوصفية للمراحل المتعاقبة للغة يستطيع الباحث أن يدون تاريخ لغة ما ومن هنا قيل « إن المنهج الوصفى والمنهج التاريخى لا يختلفان أحدهما عن الآخر بصورة أساسية فكل وصف هو فى الحقيقة تاريخ بصورة ما » (٣) . يقول بلو مفيلد « إن ظهور التيار التاريخى المقارن — والتيار الفلسفى الوصفى فى الدراسة اللغوية فى أواخر القرن التاسع عشر يدل على أن الدراسة التاريخية للغة تتوقف درجتها دقة وإتقاناً

---

(١) أنظر مثلا : درة الغواص فى أوهام الخواص للإمام الحريرى « وهناك شرح للشهاب الخفاجى عليها بمكتبة رفاعة بسوهاج » . أنظر أيضا كتاب الوشاح وتثقيف الرماح فى رد توهيم المجد الصحاح للشيخ العلامة أبى زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز نزيل مكة ومدرسها .

(٢) من أمثلة ذلك : كتاب أصول العامية تأليف حسن توفيق ، ط ١٣١٧ هـ — ١٨٩٩ م .
وكتاب : المحكم فى أصول الكلمات العامية — تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ، ط الحلبى ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م ، ومعجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية ، د. عبد المنعم سيد عبد العال ط ١٩٧١ م .

(٣) دكتور عبد الصبور شاهين : فى التطور اللغوى ، ص ١٦ .

على درجة الدراسة الوصفية للغة موضوع الدرس ، وعلى إتقانها ، وإن كل تقدم منهجى يؤيد هذه الحقيقة (١)» .

واللغة العربية ذات تاريخ طويل متشعب ولا بد من دراسة أعصرها دراسة حقب فهى فى كل عصر متميزة عن غيره . وبالدراسة التاريخية نتمكن من التغلب على حواجز الزمن من وجوه عدة . ولا نذهب بعيداً فنحن نصنع شيئاً قريباً من هذا مع الأدب العربى ، فندرس الأدب دراسة حقب ، ونفرد المباحث لكل عصر على حده ، ونبحث أطوار كل مرحلة وخصائصها الفنية ، وبذلك نخدم الأدب من وجوه ونثرى البحث . ويتساءل اللغوى فى دهشة : ألم يكن من الواجب أن يصنع هذا الصنيع فى حقل الدرس اللغوى ؟ . . ألم يكن اللغويون مطالبين بأن يضعوا للعربية أنحاء تمثل أعصرها المختلفة ؟ .. وماذا يضر إن خالف كل نحو من هذه الأنحاء النحو المألوف الذى نتدارسه أو اتفق معه ؟ . . من المرجح أن هذه الأنحاء إن كانت قد وجدت كانت ستعطى النحو التقليدى كما كانت ستأخذ منه ، كانت ستفيده وتستفيد به ،

ولا شك أن النحو التقليدى بمفهومه الواسع (٢) كان سيعدل كثيراً من مناهجه ، وهذا غاية ما كان يُرْتَجَى .

واللغة فى كل عصر تخضع لمتغيرات زمانية ومكانية ومهمة اللغوى أن يسجل ويصنف ويحلل ، ومن صميم عمله أن يكشف عن حقائقها ويوضح قواعدها ويسجل مساراتها ، ويدرك الطرق التى اتبعتها ، ويقرر ظواهرها

---

(١) بلومفيلد : اللغة ، اقرأ الفصل الثامن عشر من ص ٢٩٧ :

Bloomfield : Language : Chapter 18 : The Comparative Method p.p. 297/320 .

واقرأ فى ذلك جليسون : مقدمة فى علم اللغة الوصفى :

H. A. Gleason : An Introduction to Descriptive Linguistcs

(٢) يدخل ضمن دراسة النحو بمفهومه الواسع بعض المباحث الصوتية بالإضافة للدراسات الصرفية ومن تمام الدراسة النحوية علما المعانى والبيان على نحو ما ذهب إلى ذلك عبد القاهر الجرجانى فى أعماله وعلى نحو ما صرح به السكاكى فى كتابه « مفتاح العلوم » . (أنظر عالم اللغة). طبعه ثانية دار المعارف . للدكتور البدراوى زهران .

المختلفة بعد أن يتتبعها فى كل أوضاعها ، وله أن يصطنع من المناهج ما يشاء ويبتدع من الوسائل ما يريد .

وهل يستطيع أحد أن ينكر الفروق الصوتية الواضحة فى نطق الكلام الفصيح ذاته بين الناطقين بالعربية فى أقطارها المختلفة ، إن المتأمل العادى يرى أوجه خلاف فى النطق من حيث المخارج ، ومواضع النبر « Stress » وطرق التنغيم « Intonation » كما يلاحظ اختلافات جوهرية من حيث المفردات وتطور دلالتها ونواحى نموها ، ويمكنه كذلك أن يدرك فروقاً فى العبارات من حيث رصف الجمل ، وبناء التراكيب ... إلخ .

ما دلالة ذلك ؟ وكيف حدث .. ؟ . ومتى كان ؟ .. وما واجبنا نحوه؟.. وكيف لا يلفت ذلك نظر الباحث اللغوى ؟ . . حتى يغفل أمر دراسته ؟ . إن معرفة مثل هذه الأوجه الخلافية خطوة فى مجال البحث اللغوى لها أثرها ، بالإضافة لأنها تخدم العربية لغة القرآن الكريم .

ومن المعلوم أنه ليس المطلوب من الباحث فى مثل هذه الحالات أن يستهدف ببحثه تعديل مسار اللغة ، أو تصحيحاً فيها ، أو ترقية لها ، وإنما هدفه الكشف عن حقائق اللغة من أجل ذاتها ، ولغرض الدراسة نفسها بروح موضوعية علمية يقتصر دوره فيها على الوصف الأمين للظواهر اللغوية بالتتبع الدقيق لها فى مختلف أوضاعها مع التحليل والتوضيح . فجهده منصب على فهم اللغة . كيف تستعمل ؟ . . فيم تستعمل ؟ . . متى تستعمل ؟ ... إلخ . ويستقى عناصر إجابته من طبيعة الدور الذى تقوم به اللغة فى الجماعة البشرية فى فترة ما من الزمن . على أنه يتحتم عليه أن يبحث جوانب اللغة المختلفة : الصوتية ، والصرفية (المورفولوجية) ، والنحوية ، والدلالية ، والقاموسية ، وله أن يصطنع الوسائل ويستخدم المناهج الخاصة بكل علم فى سبيل تحقيق غايته ، وليس له أن يقصر بحثه على بعض الجوانب أو ينحى ما لا يرضى عنه ، أو ما لا يقدر عليه .

فالحاجة للكتابة فى علم اللغة التاريخى عندنا ماسة وضرورية من ناحيتين : من الناحية النظرية — ومن الناحية التطبيقية .

فمن الضروري الاتصال بمناهج الدراسة اللغوية الحديثة ، والتعريف بها وخوض غمارها ، وإن كان اقتحام هذا الميدان يعرض صاحبه لطريق غير مزلة ، وشعاب غير مأمونة ، ولكن اللغة بالعربية بتاريخها الطويل المتشعب الذي امتد زمانه فشمل ما يقرب من خمسة عشر قرناً واتسع مكانه فغطى فى بعض الأحايين رقعة العالم الإسلامي بأسره لا يصح أن نقف منها هكذا وندعها تخوض صراعات وتقتحم أهوالا تؤثر وتتأثر ولا نسجل هذا ولا نبحث عنه ولا ننظر فيه . ونستفيد به حتى غدا أمر العربية عجباً ، واكتفينا بأن نغمض عيوننا أو أن نقول : « هذا خطأ لا يتمشى مع القواعد ، وذاك صواب » .. والأمر جد خطير .

وقد أقدمت على هذا الموضوع فى علم اللغة التاريخي محاولا من خلاله أن أسد جانباً من تلك الثغرة ، فتلك خطوة على طريق شاق طويل وأود أن أوفيها شيئاً من حقها وسوف أبين حالة اللغة العربية فى العصور الوسطى وأعرض حركة الصراع اللغوى الذى خاضته وعوامل انتصارها ، مع محاولة التقعيد لها وتتبع مسار الدخيل وحركته فيها ، وعلى الرغم مما يكتنف جمع المادة اللغوية لتلك الفترة من مشقة إزاء مصادرها العسيرة الكثيرة إلا أنى آثرت دراستها وذلك لأمور — منها :

— الفترة الزمنية التى اختيرت نصوصها للدراسة مغفلة تماماً على الرغم من أهميتها فهى فترة الصراع اللغوى والحربى والسياسى والاجتماعى فقد غزت جحافل الصليبيين وغيرهم ديار الإسلام ، وبالقدر الذى كانت فيه تلك الحروب حافزاً قويا لدى الغربيين حيث جعلت باحثيهم يتوافرون على دراسة جوانب هذه الحروب عندهم بكل أبعادها المختلفة كان إغفالنا لها (١) فقد أعقبت الحروب الصليبية عندنا عصور التخلف التى ما زال الشرق يعيشها إلى اليوم على حين أعقبها عندهم عصور النهضة الحديثة التى ما زال الغربيون يعيشونها حتى اليوم وصبغت تلك الفترة عندهم بالحيوية المتدفقة التى تنبض بالعبرة المستفادة والعظة المتجددة فى أجيالهم ، وإن الصهيونية العالمية فى جولتها

---

(١) حتى الوقت الذى قمت فيه بمحاولتى فى رسالة الدكتوراه موضوعها : اللغة العربية فى عصر الحروب الصليبية ، موجودة بمكتبة دار العلوم وبالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة .

الراهنة مع الإسلام لتضع أمامها تلك الدروس والعبر المستفادة فى حيوية نابضة تذكيها الحركة العلمية المتجددة .

بالإضافة إلى قضية لافتة وهى أن ما استفاده باحثوا الغرب من تراثنا الإسلامى فى هذا الصدد أضعاف أضعاف ما استفدناه نحن منه إلى اليوم (١)

– يضاف إلى ذلك أن باحثينا إلى الآن لم يحفلوا بالصلات الاجتماعية فى عصر الحروب الصليبية وأهملوا تماماً النظر فى جوانب الحياة اللغوية وهذا فى حد ذاته يكفى أن يكون حافزاً وهدفاً .

– بالإضافة إلى أن دراسة تأثير اللغات بعضها فى بعض فى ذلك الحين يجب أن تتم لذاتها ، ومن حيث هى سجل لأحداث تاريخية واجتماعية ولغوية . ومن حيث كونها مؤشراً إلى مرحلة حضاوية معينة فى نضالنا نحرص عليها ونعتز بها (٢) .

ويجب ألا يغيب عن بالنا أن هذه الفترة من أهم وأخصب فترات الدراسة بالنسبة للغوى وبالنسبة للغة العربية فقد مرت فيها العربية بمراحل صراع هامة فى حياتها حيث تحتم عليها أن تخوض معركتين لغويتين فى آن واحد ، إحداهما من خارج معسكرها ، والأخرى من داخله بالإضافة إلى أنها جابهت حشداً من اللهجات التى تنتمى إليها فى ذلك الحين وكان الصراع بينها عنيفاً . ونشطت حركة التبادل اللغوى بين العربية وغيرها من لغات المعسكرين فى تلك الفترة نشاطاً ملفتاً لنظر الدارس كما نشطت حركة النقل والتعريب والترجمة والاقتباس من لغات المعسكرين معاً ، وقد فرضت حركة النقل هذه الضرورة الملحة فى أكثر الحالات ، ولكن فى بعض الحالات لم تكن هناك ضرورة ملحة للاقتباس أو التعريب حيث كان يوجد فى اللغة العربية ما يغنى عن الألفاظ المنقولة من المعسكرين الإسلامى والصليبى ، ولكنه كان إما إيثاراً للأفضل أو الألطف أو الأسهل أو حباً فى الاستغراب ، أو إظهار للبراعة ، أو رغبة

---

(١) تشهد بذلك أعمال علمائهم – واقرأ مقدمة وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر على سبيل المثال – وانظر عدد المخطوطات العربية ونوعها التى عاد إليها د. ويل والمكتبات التى حصل عليها منها .

(٢) أنظر : دراسات لغوية ، د. عبد الصبور شاهين .

فى التظرف والتأنق . . فالمادة اللغوية فى تلك الفترة تضمنت كثيراً من الكلمات الدخيلة – والدخيل فى اللسان العربى يتحتم درسه درساً علمياً وذلك عمل ضرورى وهام يقول باحث لغوى قدير : « إن العرب ومن ورثوا لغتهم فى العصور الأخيرة لم يدرسوا أصل الكلمات الدخيلة فى لسانهم درساً علمياً كما فعل معظم شعوب أوربا ولم يعينوا مثلهم فى القواميس مصدر تلك الكلمات إلا ندرة مكتفين فى الغالب بقولهم إنها دخيلة » (١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هزيمة العربية فى تلك الفترة كانت قد باتت أمراً محققاً ويكفى فى هذا المقام دليل واحد وهو ما أورده صاحب اللسان وهو يقدم لتأليف مصنفه حيث يقول : « لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها ، وذلك لما رأيته قد غلب فى هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان حتى لقد أصبح اللحن يعد (٢) لحناً مردوداً ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً ، وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية ، وتفاصحوا فى غير العربية (٣) .

وأخطر ما يشير إليه هذا القول هو أن هزيمة العربية نطقت بها ألسنة أبنائها ، وأن الخطر تحقق فى أفواه ناطقيها :

وتنافس الناطقون بها فى تصانيف اللغات المتصارعة معها .

وصار النطق بالعربية يعد من المعايب فى مجتمع الناطقين بالعربية .

وأصبح اللحن فيها على مختلف المستويات من الأمور المحببة المترددة فى مجتمع أبناء العربية (٤) .

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ١٦٩ .

(٢) يرى الدكتور رمضان عبد التواب أن هناك نقصاً فى الأصل – وكان ينبغى أن يكون النص فى اللسان « .. أصبح اللحن لا يعد لحناً مردوداً .. » وهو قول سديد ينبىء عن حس لغوى قوى فى التحقيق . لكن جاء فى اللسان (ج ٤ ، ص ١٥٢) الرد صرف الشيء ورجعه والترداد بين مصادره . وذكر سيبويه من المصادر التى جاءت على التفعال كالترداد – فكأن اللحن أصبح مردوداً أى له ترداداً بمعنى متردداً أى كثيرا وإن كان ذلك كذلك فلا نقص والله أعلم .

(٣) لسان العرب : ج ١ ، ص ٤ .

(٤) تفشت ظاهرة اللحن على مختلف المستويات على نحو ما يوضحه الباب الخاص بذلك فى هذا الكتاب وعلى نحو يلمسه كل الدارسين بل والمطلعين على مؤلفات ذلك العصر .

وعلى الرغم من هذا وغيره خرجت اللغة العربية منتصرة وذلك لعوامل متعددة (١) فتلك مرحلة من مراحل الصراع اللغوى تتحتم دراستها والاستفادة من دروسها فى خدمة القرآن الكريم ولسانه العربى المبين ، وإلقاء الضوء على مراحل الصراع اللغوى المتشابهة فى الحاضر وفى كل ما هو آت — « فإن غاية ما يطمح إليه علم اللغة الحديث هو فهم ديناميكية اللغة كيف تحركت فى مجالها التاريخى ليمكن تصور قوانين حركتها فى الغد القريب والبعيد مع اعتبار الحاضر جزءين من ماض ومستقبل » (٢) .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن المادة المدروسة اتخذت من كتب التاريخ المؤلفة آنذاك — غير أننا اخترنا نوعاً خاصاً من تلك الكتب وهو ذلك الذى جعل الأسلوب الفصيح السهل الجارى على الألسنة لغته ، وهو مذهب الكثرة من لدن الطبرى إلى عصر المماليك ، فهذا النوع من الكتابة تبدو فيه حركة اللغة أكثر وضوحاً غير تلك التى كتبت باللغة الفنية أو تلك التى اتخذت العامية وسيلة لكتابتها. فالدراسة اللغوية الحديثة توجب أن يدرس كل نوع على حدة .

ولسنا فى حاجة إلى أن نعيد القول بأن منهج الدراسة سار باعتبارين مختلفـــين :

— الاعتبار الوصفى الثابت كما تمثله كتب التاريخ فى العصور الوسطى.

— الاعتبار التاريخى المتحرك المتطور الذى أصاب الظواهر اللغوية المختلفة من عصر إلى عصر على ضوء ما تمثله كتب التاريخ أيضاً . مع اعتبار كل وصف هو فى الحقيقة تاريخ بصورة ما — فكل وصف محدد وكامل لموقف لغوى فى لحظة معينة لابد أن يشتمل على النظر إلى جانب من التطور وهو أمر لا يمكن تحاشيه ما دامت كل لغة منطوقة فى حالة حركة دائمة (٣)

---

(١) سجلت فى موضعها من هذا الكتاب .

(٢) فى التطور اللغوى ، د. عبد الصبور شاهين ، ص ٣ .

(٣) د. عبد الصبور شاهين : فى التطور اللغوى ، ص ١٦ .

وكان تأصيل الظواهر اللغوية بالعودة لمظانها - كما كان تتبع مساراتها داخل اللهجات المحلية من تمام المنهج اللغوى التاريخي — فالدراسة اللغوية كما يقول أنطوان مييه « تدرس اللغة من الناحية الحركية التطورية » (١) .

وتوزعت مجالات الدراسة فى أبواب غطت جوانب اللغة المختلفة فخصص باب للدراسات الصوتية اندرجت تحته مباحث فقد كان من تمام العمل معالجة التغيرات الصوتية التى أصابت الدخيل (مفردات وصيغ) من لغات المعسكرين الإسلامى والصليبي كلا على حدة .

كما خصص باب للدراسات الدلالية يَحَثَ تطور دلالة الدخيل من لغات المعسكرين كل تطور على حدة وأُفْرِدَ باب للدراسات النحوية والصرفية بُحثت فيهما الخواص التركيبة المميزة لعربية العصور الوسطى كما تعرض للمخالفات النحوية فى الحالات المختلفة .

وكان من تمام العمل التمهيد ببعض الدراسات التى تبحث جوانب الحياة اللغوية فى المجتمعين الصليبي والإسلامى وأثر ما بين طبقات المجتمعين من صلات وعلاقات فى الصراع اللغوى وتشير إلى حركة الصراع اللغوى وتبحث عوامل انتصار اللغة العربية فى معترك هذا الصراع االغوى الكبير . وتتبع العوامل التى سجلت للهجة المصرية ما حققته من مظاهر النصر فى هذا المعترك فما يلاحظه الدارس أن ظروف ذلك العصر وأحداثه فرضت على المؤرخين أن تكون كتاباتهم وكأنها عن التاريخ المصرى سواء كتب فى ذلك مصريون أو غير مصريين كما يلاحظ أيضاً فى سهولة سيادة اللهجة المصرية وقوة سلطانها آنذاك وامتداد جذورها .

فإلى الباب الأول . . باب الدراسات التمهيدية .

---

(1) Antoine Méillet : La Méthode Comparative En Linguistique Historique : p. p. 10/11 .

الباب الأول

باب
للدراسات التمهيدية

الفصل الأول

الحياة اللغوية فى العصور الوسطى
وأثر ما بين طبقات المجتمعين الصليبي والإسلامى من صلات وعلاقات
فى الصراع اللغوى

تمكن الصليبيون من أن يقيموا فى الشرق أربع إمارات مستقلة هى الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس(١) . ولم يدرك المسلمون خطورة الصليبيين إلا بعد أن رسخت أقدامهم وبعد أن اتخذوا من أساليب القهر والاستبداد ما جعل المسلمين يحسون خطرهم الداهم على سائر بلادهم (٢) .

وجدّت عوامل وجهت الأحداث وجهات بالغة الخطر فقد حدث فى القرن الثالث عشر الميلادى أن توسعت الإمبراطوية المغولية التى أسسها جينكيزخان فى الربع الأول من القرن الثالث عشر ، وامتدت من بكين شرقاً إلى نهر الفرات ونهر الدنيبر غرباً ، وانفصل الجزء الجنوبي الغربي سنة ١٢٥٠م الذى يشمل فارس وأرمينية والذى يحكمه الخاقان هولاكو وأصبح فى حالة عداء مع الدول الإسلامية خاصة فى مصر والشام — وقد كانت الديانة الرسمية عند المغول الشامانية ، وكان العنصر المغولى يضم عدداً كبيراً من المسيحيين الذين يعتبرون من ثمار البعثات التبشيرية مما جعل أمراء غرب أوربا يحلمون بإقامة محالفة مع الخاقان الكبير « برستجون » وعلق على ذلك مؤرخ صليبى غربي بقوله « وبذلك اتسعت دائرة الحروب الصليبية أواخر أيامها حتى غدت خطة شاملة لتغيير العالم وقتذاك » (٣) .

ويعنينا فى هذا الصدد أن حركة صراع لغوى نمت . فمن المقرر لدى

---

(١) إقرأ الشرح التفصيلى عن تلك الإمارات وبيان حدودها فى كتاب الشرق الأدنى فى العصور الوسطى(١) الأيوبيون . د. العرينى ، صفحات ١٤ — ١٦ وانظر :

Lane poole Saladin ; p 26.

(٢) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٣) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٢٥ . واقرأ من ص ١٢٠ .

اللغويين أن أى احتكاك يحدث بين لغتين أو أكثر أو حتى بين لهجتين يؤدى لا محالة إلى تأثر كل واحدة بالأخرى. وأن حركة التبادل اللغوى تنشط بمقدار ما يتاح من فرص الاحتكاك، وكلما كثرت فرص الاحتكاك نشطت حركة التبادل اللغوى.. وتبلغ هذه الحركة أقصى شدتها عندما يسكن شعبان منطقة واحدة أو منطقتين متجاورتين، أو عندما تنزح عناصر أجنبية إلى بلد ما ويوجد عنصر أجنبي ينطق بلغته الأجنبية. أو عندما يشترك شعبان أو شعوب مختلفة فى حروب طويلة الأمد تتيح فرص الاحتكاك اللغوى(١). وذلك على نحو الحالة التى نحن بصددها «حالة الغزوة الصليبية التى امتدت زهاء قرنين (٤٨٧ هـ - ٦٩٠ هـ) (١٠٩٤ م - ١٢٩١ م) فقد كانت فترة مواجهة الغرب للشرق وتأثر كل منهما بالآخر وتأثيره فيه، واستفادة الغرب من الشرق تلك الاستفادة التى أسهمت فى النهضة الأوربية الحديثة، حيث اجتمعت تحت راية الصليب جحافل أوروبا الحرارة على اختلاف ألسنتها وأجناسها. وفى مفرج الكروب على سبيل المثال ما يشير إلى كثرة الأجناس الأوروبية التى اشتركت فى حملة واحدة من بين تلك الحملات المتعددة، وهى الحملة الثالثة، وإلى تعدد الألسنة والجنود واختلاف لغاتهم وإلى الصعوبات التى كان يجدها رجال صلاح الدين عند استجواب الأسرى أو المستأمنين من هؤلاء الجنود (٢).

فقد زحفت جموع غفيرة من بينها أسر برمتها شيوخ وأطفال ونساء من بينهن الحامل والمرضع بل إن منهم من اصطحب معه حيوانه وأثاث بيته.

---

(١) اقرأ: اللغة والمجتمع، د. على عبد الواحد وافى، ص ٩٦ وص ٩٥ - ١٢٢، «الفصل الثانى، صراع اللغات». واقرأ:

Edward Sapir : Language : Chapter ix : How Langauge Influence each other p. 122/206.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ٣٥٣ - طبعة الشيال.

اختلفت ألسنتهم وأوطانهم ، وتباينت نزعاتهم ودوافعهم ووحدتهم صيحة « هذه إرادة الرب » أو « هكذا أراد الله » (١) .

وفى المعسكر الإسلامى اتسعت كذلك دائرة لغات المدافعين عن الإسلام ما بين لغات ولهجات السكان الأصليين والمستوطنين والوافدين والمتطوعين للجهاد الدينى والجنود النظاميين ما بين تركمان ، وأتراك ، وأكراد ، وفرس وبدو ، وعرب .. وفى حوليات المحارب الصليبى الإيطالى ما يشير إلى أن جيش المسلمين كانت به أجناس مختلفة فى كل شىء إلا فى وحدة الدين والهدف وصيحة « الله أكبر » ، يقول : « استولت الدهشة على رجالنا فراحوا يفكرون من أين تمكن من الخروج هذا العدد العظيم من الترك والعرب والشرقيين وغيرهم ممن يستحيل إحصاؤهم ، فقد ملأ هذا الجنس الملعون كافة المرتفعات والجبال والأودية والسهول ما كان منها داخل المدينة وخارجها »(٢) ويقول : « وعندما اقترب فرساننا بادر الترك والعرب والشرقيون والغلمان(٣) وجميع الشعوب البربرية إلى الهرب السريع من مضايق الجبال ومنافذ السهول ، وكان عدد الترك والفرس والشرقيين والغلمان وغيرهم من الوثنيين يبلغ ثلاثمائة وستين ألف مقاتل هذا عدا العرب الذين لا يعرف عددهم غير الله (٤)

وإذا صرفنا النظر عما بين طيات القول من وجهة نظر العدو — على الرغم مما فيه من دلالات ذات أهمية حيث ينظر إلى شعوب الشرق على أنهم برابر ، وإلى دياناتهم على أنهم وثنيون — يبقى فيه الدليل على أن معسكر المسلمين زمن الحروب الصليبية جمع أقواماً اختلفت لغاتهم وتعددت جنسياتهم ووحدهم الهدف وصيحة « الله أكبر » — حيث يقول فى حولياته أيضاً : . وفى اليوم التالى كر الترك كرة عنيفة على بوهيمند ورفاقه ، وشرع الأعداء يصرون

---

(١) أرنست باركر : الحروب الصليبية (الفصل الأول والفصل الثانى) .

(٢) حوليات المحارب الصليبى الإيطالى ترجمة د. حسن حبشى ، ص ١٧ .

(٣) كلمة غلمان لا تعنى الدلالة المعروفة وهى جمع غلام وإنما هى تعريب كلمة Angulani اللاتينية وتعنى اسم فرقة من فرق الجيش آنذاك وقد أوردنا لها تحليلا فيما بعد . واتبع د. حسن حبشى فى هذا ابن القلانسى وغيره . أنظر : ص ١١٨ (السابق) .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

على أسنانهم ويصرخون صرخات عالية مدوية وهم يرددون بلسانهم كلمة شيطانية لا أعرفها »(١) ويعلق د. حسن حبشى بقوله : « تشير الحوليات هنا إلى عبارة الله أكبر يدل على ذلك ما أورده Rould de Cain P. 636 حيث ذكر أن المسلمين كانوا يهتفون بقولهم « Allah Chibar » (٢) .

وصفوة القول أن كلا المعسكرين اشترك فيه أقوام عديدون اختلفت لغاتهم وكان لذلك أثره اللغوى على العربية حيث وقفت فى مهب تيارين قويين تؤثر وتتأثر : تيار المعسكر الصليبى بأجناسه ولغاته . وتيار المعسكر الإسلامى بأجناسه ولغاته .

« والحق أن أحداً لا يستطيع أن يصادر تأثير اللغات بعضها فى بعض لأن ذلك يخضع لعاملين يتحكمان فى مسيرة الصراع اللغوى وفى نتائجه هذان العاملان هما :

١ ـ الوضع الحضارى للغة .

٢ ـ حجم الشعوب التى تتكلمها (٣) » .

وقد تنوع التأثر والتأثير اللغوى تبعاً للمساحات التى شغلتها كل لهجة ولغة ووفقاً لعدد الناطقين بها وتبعاً لعلاقاتهم الاجتماعية وصلاتهم التجارية ومعاملاتهم الاقتصادية ومعاهداتهم السياسية وغير ذلك . واتسع الأطلس اللغوى وشمل كل أرض احتلها الصليبيون وأراض أخرى دخل أهلها الصراع اللغوى (٤) ودخلت مصر المعترك منذ البداية وحتى ما بعد النهاية ـ فقد كان تطلع الصليبيين إلى مصر منذ الحملات الأولى ففى سنة ١١٩٢ م تلقى ريتشارد الأول من مستشاريه النصيحة بأن القاهرة لا بيت المقدس هى الجهة التى ينبغى مهاجمتها (٥) وكذلك كان تطلع الزعماء الكبار الثلاثة فى الحملة الرابعة إلى مصر (٦) كما قرر

---

(١) حوليات المحارب الصليبى الإيطالى ، ترجمة د. حسن حبشى ، ص ١١٦ .

(٢) د. حسن حبشى ، المرجع السابق .

(٣) الدكتور عبد الصبور شاهين : دراسات لغوية ، ص ٢٧٨ .

(٤) حدود ومعالم الإمارات الصليبية مفصلة ، ص ١٤ - ١٦ فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى (الأيوبيون) د. السيد العرينى .

(٥) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٢١

(٦) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

لويس بعد شتاء طويل قضاه فى قبرص أن مصر هى الهدف لما فيها من ثروة، ولما تتمتع به من قوة ومناعة(١) . وفى سنة ١٢٠٠ م جد من الأسباب ما أثبت أهمية دور مصر حيث تركزت فيها القوة الإسلامية – وساقت المدن الإيطالية إليها الأغراض التجارية ، كما حدث أن أشار أنو سنت سنة ١٢١٥ م إلى ضرورة مهاجمة مصر ، وفى سنة ١٢٦٣ م تطلع الصليبيون إلى مصر على أنها الهدف والقوة (٢) . وجاءت النتيجة على نحو ما توقع الأعداء – فقد هزمت مصر الصليبيين ومعهم حلفاؤهم الجدد من التتار و المغول على نحو لا يضارعه إلا الانتصار اللغوى للعربية ومن ورائها اللهجة المصرية .

وباتساع أرض المملوك اتسع الأطلس اللغوى الذى شمل جانباً من أرض فارس والموصل وبغداد وشبه جزيرة العرب ، كما شمل برقة، وتونس وبقية بلاد المغرب (٣) . وعلى طول ساحل الأطلس اللغوى للبلاد وعرضها تعددت اللغات وتنوعت اللهجات فى المعسكر الصليبى تنوعاً لا يقل عنه خطورة تنوعها فى المعسكر الإسلامى. وعلى سبيل المثال فى المعسكر الإسلامى استعرض صلاح الدين عساكره فى عشترة قبل المسير إلى حطين ، فكان منهم عساكر مصرية ، وعساكر دمشقية ؛ وعساكر شمال الشام والجزيرة والموصل ، وديار بكر (٤) ونلاحظ أن الاحتكاك اللغوى بين العربية وفروع لهجاتها هنا لايقل فى نظر اللغوى عن الصراع بين العربية وغيرها من اللغات المختلفة .

كما وجد فى المعسكر الإسلامى العنصر التركمانى حيث أرسل صلاح الدين فى سنة ١١٧٩ م الدنانير المصرية لتوزع على جموع التركمان وعشائرهم لتجمع منهم الجيوش قبل قيامه بالهجوم على قلعة مخاضة يعقوب ، كما قام التركمان

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(٣) مات لويس التاسع ملك فرنسا فى تونس سنة ١٢٧٠ م أثناء الحملة الصليبية الثامنة . وسيطر صلاح الدين على الشمال الأفريقى ووسع رقعة السلام فى البحر الأبيض .

(٤) د. السيد الباز العرينى : الشرق الأدنى (الأيوبيون) ، ص ١٦٤ . الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ ؛ الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٥٠ .

الياروقية بدور كبير ضد الحملة الصليبية الثالثة (١) . قال ابن واصل فى حديثه عن عماد الدين أتابك زنكى، « ومن جميل سيرته أنه أسكن الأمير بهاء الدين ياروق التركمانى وأصحابه بولاية حلب وأمرهم بجهاد الفرنج » (٢) كما جاء فى الروضتين توضيحاً لأصحاب بهاء الدين هذا قوله «ومن صائب رأيه وجيده أنه سير طائفة من التركمان الإيوانية مع الأمير الياروق إلى الشام وأسكنهم بولاية حلب » (٣) .

ووجد كذلك بالمعسكر الإسلامى العنصر الكردى أيضاً ، وقد حصل الأكراد على إقطاعات كبيرة أو جامكية مثلما حصل المماليك من الترك وذلك لأنهم دخلوا فى سلك العساكر النظامية، ووجد من الأتراك الجند المغامرون (٤) .

وكان من جنود المعسكر الإسلامى العنصر الفارسى . « وقد كان كربوغا عيم جند فارس لا يزال فى خراسان حين تلقى من باغى سيان حاكم أنطاكية كثيراً من الرسائل يلح عليه فيها أن يبادر لإنقاذه لأن محاصرة الفرنجة الأقوياء إياه بأنطاكية أنزلت به شر البوائق » (٥) .

وكذلك وجد فى المعسكر الإسلامى بعض قبائل البدو بلهجاتها المختلفة المتناثرة هنا وهناك ، فقد ذكر ابن شداد واقعة أكمن السلطان فيها جماعة من العرب لجمع من العدو وقصد العرب لخفتهم على خيلهم (٦) .

وتبع تنوع اللهجات على هذا النحو احتدام الصراع اللغوى بينها وبين العربية . وفى الآن نفسه كانت العربية تخوض معركة عنيفة مع لغات المعسكر

---

(١) د. السيد العرينى ، الشرق الأدنى ، ص ١٦٥ ؛ الروضتين : ج ٢ ، ص ٦٢ . ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٢ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٤) د. العرينى : الشرق الأدنى ، ص ١٦٥ .

(٥) حوليات الحاوب الصليبى ، ص ١٤١ .

(٦) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩١ .

الصليبي المتعددة الأنواع واختلف تأثير وتأثر اللغات تبع ما للناطقين بها من مكانة وعلاقات .

وعلى سبيل التمثيل من لغات معسكر الفرنجة كانت الفرنسية والإيطالية من أكثر اللغات تأثيراً وتأثراً وذلك لأسباب منها :

– سيل الوافدين من فرنسا وإيطاليا لم يتوقف بسبب الحماس الديني المتقد، وبسبب اقترابهما من الشرق .

– بذور الحروب الصليبية جرى إلقاؤها في تربة فرنسية ، والذى بشربها بابا من أصل فرنسى (١) .

« والمملكة التي أقامها الصليبيون بالشرق كانت أيضاً في جوهرها مملكة فرنسية في لغتها وعاداتها وفي فضائلها ورذائلها » (٢) . كما كان لفرنسا دورها المستمر في الحملات المتتابعة منذ الحملة الأولى والثانية والثالثة وحتى حملة القديس لويس بالإضافة إلى حملة الأطفال التي قادها الصبي الفرنسي الراعي ستيفن الذى تخطف تجار الرقيق جيشه وباعوا أطفاله في أسواق القاهرة (٣).

وكذلك كان دور الإيطاليين مبكراً ومتصلا ، وعضد تأثيرهم مراكزهم الإقطاعية وامتيازاتهم الاقتصادية ومعاهداتهم التجارية فمنذ سنة ١٠٩٦م دعا البابا إوربان الثاني الجنويين إلى أن يتوجهوا بسفنهم إلى الشرق لاستخلاص الطريق المؤدى إلى قبر السيد المسيح (٤) . وهكذا ظل البنادقة محافظين على مراكزهم ، وبقيت أحياؤهم وأحياء الجنويين تتمتع بامتيازات تجارية في دولة إقطاعية (٥) .

---

(١) باركر : الحروب الصليبية ، ص ٣٣ – ٣٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) السابق ، ص ١٠٩ .

(٤) السابق ، ص ٣٩ .

(٥) السابق ، ص ٤٥ .

كما أن طائفة الاسبتارية « Hospitallers » تنتمي إلى مؤسسة أقامها تجار من إيطاليا قبل الحرب الصليبية الأولى وأعاد تنظيمها فرسان جيرا « Gerald Le Puy » (١)، ولأهمية مركز الإيطاليين فى مملكة بيت المقدس انطوى النظام القضائى على أمور منها وضع التجار الإيطاليين أحيائهم (٢).

ويأتى دور النورمانديين بعد الإيطاليين : يرى بعض مؤرخى الغرب أن الحروب الصليبية « يجوز أن نقول إنها فرنسية نرمانية(٣). كما يقررون أنها كانت تتفق مع نزعة الأمراء النرمانديين فى إمتلاك الأرض (٤).وقد كان بوهيمند يطمع فى تأسيس إمارة شرقية نرمانية . ورأى الحكمة فى اصطناع اللين والمودة مع الإمبراطورية البيزنطية فخلع على إلكسيس الخلع الثمينة ووصله بالهدايا الغالية » (٥) .

وللإنجليز،والألمان دورهم فقد استطاع القديس برنار بفضل الموعظة التى ألقاها فى كاتدرائية شبيرز « Spires » فى أسبوع عيد الميلاد سنة ١٢٤٦ م أن يجعل كنراد الثالث ملك ألمانيا يقسم بأن يشترك فى الحروب الصليبية(٦). كما أعلن ديات مانيز فى عيد القيامة سنة ١١٨٧م الاشتراك فى توجيه حملة

---

(١) السابق ، ص ٨٥ ، وانظر ملاحظة رقم (٣) نفس الصفحة .

(٢) السابق ، ص ٦٨ .

(٣) باركر : الحروب الصليبية ، ص ٢٣ — ٢٤ .

يقال النرمان والنرماند — وهناك أسرة نرمندية تولت الحكم فى صقلية وجنوب إيطاليا وإليها ينتمى النرمنديون الذين اشتركوا فى الحروب الصليبية أمثال بوهمند وتانكرد .

(أنظر : باركر ، ص ٢٤) .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٥) الكسيس صاحب القسطنطينية وامبراطور الإمبراطورية البيزنطية . أنظر : باركر السابق، ص ٤٢ ، ٤٤ ؛ وأنظر حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ص ٣٧ ، وأنظر أيضاً :

Coasset Hist des Croisades T, I. p. 79.

(٦) باركر : المصدر السابق ، ص ٨٦ — ٨٧ .

إلى الأرض المقدسة ، « وضمت الحملة الثالثة ألمانيا وانجلترا وفرنسا (١) ولم ينقطع سيل المحاربين الجرمان وقد ورد أنهم اشتروا بعض المدن الساحلية ومنها بيروت » (٢) .

واجتمع حشد من الصليبيين حول فردريك الثانى (١١٢٨ - ١١٢٩ م) وفردريك هذا هو الذى عقد معاهدة مع سلطان مصر الملك الكامل أيوب(٣). ومن ألمانيا خرجت حملة الأطفال الصليبية (٤) فقد حشد طفل من كلونيا يدعى نقولا قرابة العشرين ألف طفل ، وقد كان مصيرهم على نحو ما هو معروف (٥) .

ولقد كان للإنجليز دور عظيم التأثير على المستوى الحزبى والاجتماعى والسياسى واللغوى فلهم دور فعال فى الحملة الثالثة - كما أن هنرى الثانى ملك انجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا قررا سوياً الاشتراك فى حملة صليبية وقررا معاً فرض ضريبة عرفت بعشر صلاح الدين ، وأثبتت المفاوضات التى أجراها الإنجليز مع المسلمين والمعاهدات التى أبرموها عن دورهم البارز فى المجال الاجتماعى والسياسى (٦).

وللنرويجيين دورهم فقد قدم ملك النرويج سيجورد Sigurd the Solafari الى الأرض المقدسة بأسطول مؤلف من ٥٥ سفينة وبدأ سيره سنة ١١٠٧ م وأمضى ثلاث سنوات متجولا على الطريقة النرمانية يحارب المسلمين فى أسبانيا ويؤاخى النرمان فى صقلية وبسبب سيجورد هذا استطاع بلدوين أن يستولى على صيدا (٧) .

---

(١) السابق .

(٢) السابق ، ص ٩٦ .

(٣) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١١٣ .

(٤) السير وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ص ٢٥ .

(٥) أنظر أرنست باركر : الحروب الصليبية ، واقرأ التفاصيل ، ص ١٠٦ .

(٦) اقرأ باركر : الحروب الصليبية ، ويتضح ذلك من الاقتراح الخاص بزواج العادل من جوانا أخت الملك رتشارد .

(٧) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ٤٤ .

وقد كان لدول شرق أوربا دورها فى هذا المعترك حيث سار حشد كبير من دول جنوب شرق أوروبا إلى الأرض المقدسة من دول استريا (١) ، وملك المجر .

وكذلك كان لدول شمال غرب أوربا دورها وأثرها فى هذا المعترك أيضاً ففى سنة ١٢١٨ م انضم إلى الجيوش التى قدمت إلى عكا فى السنة السابقة جيش جاء من شمال غرب أوروبا (٢) .

وهكذا كانت أرض الشرق مسرحاً لصراع لغوى لم يتوقف سلماً ولا حرباً فالناطقون بكل تلك اللغات معاملاتهم مستمرة ومصالحهم الاقتصادية ، ومعاهداتهم التجارية ، واحتكاكهم اليومى دائم بلا توقف وزمن الصراع طال أجيالا واتخذ أشكالا وصوراً تركت آثاراً وبصمات قوية على اللغة على نحو ما فصلته فصول هذا الكتاب .

وهو موجود فى اللغات الأوروبية بقول وليم موير : « إن من نتائج الحروب الصليبية أنها بعثت فى نفوسهم حياة سياسية جديدة ثم ميلا نحو الشرق كان من آثاره زيادة فى المعلومات التاريخية والجغرافية عن البلدان والناس ووسعت الأفكار من جهة اللغة » (٣) .

وفى معجم عرب أوربا حتى اليوم من الألفاظ العربية الكثير ، منها ألفاظ تتعلق بالتجارة والبحرية - وألفاظ مثل كلمة تعريفه « Tarriff » وكلمة سخرة « Corvette » وألفاظ ترتبط بالآلات الموسيقية مثل العود والنقارة « Naker » (٤) .

ووجدت كذلك بجانب المفردات بعض المصطلحات — وجلبت الحروب الصليبية معها إلى تلك اللغات مسميات بعض النباتات والثمار والصناعات والأزياء والألوان ومن أمثلتها : السكر ، والذرة ، والليمون ، والبطيخ ، والقطن ،

---

(١) أستريا اسم دولة من دول شرق أوروبا فى ذلك الحين ، أنظر المصدر السابق ص ١٠٧ .

(٢) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

(٣) السير وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ص ٣٠ .

(٤) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١١٥ / ١٥٢ .

والحرير الموصلي والدمشقي ، والليلق، والأرجوان . . . إلخ واشتقوا كذلك من الألفاظ العربية اللازورد والأحمر . . إلخ. واستخدموا المرايا الزجاجية والمساحيق بمسمياتها ، وغير ذلك الكثير مما انتقل إلى اللغات الأوروبية فى العصور الوسطى نتيجة للحروب الصليبية (١) .

ويؤكد الباحثون أن باللغة الإنجليزية قدراً كبيراً من التأثر — « وهكذا وجدنا فى الإنجليزية قدراً كبيراً من الكلمات ذات الأصول العربية يصل بها بعض الباحثين إلى بضع مئات دخلت الإنجليزية مباشرة أو بالواسطة ، ولكن صلة العربية بالإنجليزية بدأت متأخرة فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى ولمدة خمسة قرون على الأقل بعد ذلك » (٢). أى منذ بداية الحروب الصليبية وطول مدتها وبعدها كذلك — « وكان أغلب ما تسرب إلى الإنجليزية عن طريق اللغتين الأسبانية والبرتغالية اللتين تحتويان عدداً يربى على ١٥٠٠ كلمة ذات أصول عربية على ما قرره العلامة دوزى » (٣) .

وقدم بيير جيرو الكاتب الفرنسى فى كتابه عن الكلمات الأجنبية « قائمة من مائتين وثمانين كلمة دخلت من العربية إلى الفرنسية فى العصور المختلفة وقد وزعها بعناية على تواريخ اقتراضها » (٤) .

وقد حدث أن اصطنع الصليبيون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية من جراء التنافس التجارى الوظائف المختلفة التى كانت مألوفة عند المسلمين مثل وظيفة المحتسب فقد أخذوها عنهم بلفظها ونصها(٥). فقد عهد الصليبيون بهذه الوظيفة إلى رجل مسلم اعتقاداً منهم بأن ذلك أقرب إلى طبيعة الأمور كذلك أخذوا عن المسلمين وظيفة المستحفظ وسموها « Moafess » .

---

(١) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٥١ / ١٥٢ .

(٢) د. عبد الصبور شاهين : دراسات لغوية ، ص ٢٨٢ .

(٣) السابق ، ص ٢٨٢ .

(٤) السابق ، ص ٢٨١ .

(٥) أنظر د. حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، ص ١٥١ .
ومن مراجعه : مقدمة ابن خلدون ، ووالى الحسبة للشيزارى .

ويقرر باحث عالم أن كثيراً من الألفاظ فى التجارة والإدارة يمكن ردها درن تعسف إلى أصولها العربية(١) . وذلك لأن « الطابع الإسلامى كان بارز الملامح ملموسا فى الإدارة الصليبية »(٢) .

وبالمعاجم الإنجليزية كثير من الكلمات التى ترجع إلى أصول عربية — ونجد فى القاموس الإنجليزى الحديث «Twentieth Century Dictionary» كثيراً من الكلمات التى ينص عليها بأنها من أصل عربى . وبالبحث نجد كثيراً منها دخلت زمن الحروب الصليبية ومن أمثلة ذلك كلمة «Sofe» فقد ذكر أنها من أصل عربى وأن معناها الأريكة أو المقعد الطويل ذى الظهر واليدين(٣) وهذه الكلمة بنفس المعنى وجدت من قديم فى العربية ووجودها فى مفرج الكروب يبين أنها كانت مازالت مستعملة وجارية على الألسنة إلى ذلك الحين ويشير إلى زمن دخولها فى اللغات الأوربيات فقد جاء فى مفرج الكروب : « وكان لنور الدين رحمه الله صُفّة فى الدار التى على النهر الداخل إلى القلعة من الشمال وكان جلوسه على تلك الصُّفة فى أكثر الأوقات»(٤) .

وهناك غير ذلك كثير .

---

(١) د. حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، ص ٥١ .

(٢) السابق ، ص ١٥١ ويرجعك إلى Brichier: Le Eglise et l'orient P.94 «Maofese» وعادت لنا محافظ » فهى لفظة ذات رحلة .

(٣) Along Seat with Stuffed bottom back and Armes

جاء عنها فى المعجم الإنجليزى ما معناه أنها الأريكة أو المقعد الطويل ذى الظهر واليدين . ونص على أنها من أصل عربى .

وجاء فى القاموس المحيط ج ٣ ، ص ١٦٣ « صفة الدار والسرج — الجمع صفف كصرد — وأهل الصفة كانوا أضياف الإسلام وكانوا يبيتون فى مسجده صلى الله عليه وسلم .. والصفة : موضع مظلل من المسجد .. » .

وأصابها تطور دلالى وانتهت إلى المكان الظليل المريح الذى يتكىء فيه الجالس على ظهره وذراعيه — ثم تطورت لتطلق على المقعد نفسه .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

وفى معجم دوزى:(١) Noms Des Vétements chez Les Arabes
قائمة بالكلمات التى دخلت اللغات الأوربية تحت عنوان :

Lest des mots appartenant aux Langues européennes et dont cet ouvrarge fait Connaitre La Signification ou L,Etymologie, P 445 .

ويوجد بالمعجم الاستعمالات المختلفة لتلك الكلمات العربية الدخيلة فى اللغات الأوربيات(٢) .

كما يوجد معجم للألفاظ الأسبانية والبرتغالية التى هى من أصل عربى لأنجلمان وأتمه دوزى(٣) .

وعلى الطرف الآخر تنظر إلى لغات المعسكر الإسلامى . فنجد فى المعاجم التركية كلمات عربية دخيلة كثيرة ونجدها تميزها بإضافات حرف «ع» أمامها (بمعنى عربى الأصل) — وقد جمعها الأتراك فى معجم فى عهد السلطان عبد الحميد وطبعوه وأسموه « لغات عثمانية»(٤).

وتوجد فى المعاجم الفارسية كذلك كلمات عربية دخيلة كثيرة منها ما يميز بحرف «ع» أيضا بمعنى عربى ومن أمثلتها معجم «فرهنك نفيسى» وهو معجم عربى وفارسى فى نفس الوقت(٥) .

(١) Diction.. Detaille Des Noms Des Vétements Chez Les Arabes by ; R.p A.Dozy.

(٢) أنظر فى القائمة وارجع إلى الصفحات لترى حركة الكلمات وتاريخها وطريقة استعمالاتها المختلفة .

(٣) طبع ليدن سنة ١٨٦٩ .

(٤) الطبعة سنة ١٢٨٢ هـ — طبعة حجرية فى ٥٧٠ صفحة — وقد اطلعت عليه فى مكتبة الزميل الأستاذ الدكتور عبد السلام فهمى رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بسوهاج .

(٥) طبع سنة ١٣٤٣ هـ . ش وأنظر أيضاً : فرهنك جامع فارسى — إنجليزى ، تأليف سليمان حييم — كتابخانة ومطبعة بروخيم — طهران ١٣١٢ . واقرأ القاموس الفريد فى العصر الجديد (فارسى عربى) الشيخ أحمد النجفى (فرهنك لغات واصطلاحات جديدة وقديم وقواعد دستور زبان فارسى به عربى) .

وأنظر قاموس : برهان قاطع تأليف محمد حسين بن خلف تبريزى متخلص ببرهان مؤلف بسال ٢ ع ١٠ بحرى قمرى بالمقابلة نسخ متعدد خطى وجابى وتصحيح وتوضيح وجه اشتقاق ، وذكر شواهد وافزددن لغات بسيار وتصاوير ونقشه ، بااتمام دكتر محمد معين .

وعلى الرغم من كل هذا فإن اللغة العربية خرجت منتصرة وهذا أمر جلى لايحتاج لتدليل وإن احتاج لتعليل فنحن نتكلم العربية الآن وهى مازالت سليمة معافاة ـ وكذلك يتبين رجحان كفة اللهجة المصرية فى هذا المعترك على نحو يلمسه الدارسون حتى من غير المتخصصين .

ويشهد به الباحثون ، وعلى نحو ما كشفت عنه مباحث هذا الكتاب . وفى الصفحات القادمة نحاول أن نعلل لهاتين الظاهرتين .

الفصل الثانى

١ — عوامل انتصار اللغة العربية فى معترك الصراع اللغوى الكبير :

تضافرت عوامل متعددة مكّنت اللغة العربية من النصر فى صراعها اللغوى ضد تيار معسكر اللاتين بلهجاته ولغاته المختلفة وضد تيار معسكر الإسلام بلغاته المتنوعة ما بين فارسية وكردية وتركية وتركمانية ، ولهجاته المتعددة. وقد اتسعت أرض المعارك وطال زمن الصراع .

— وأول عوامل النصر : الإسلام، وكتابه المبين الذى نزل بلسان عربى مبين « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ، وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » (١) ، « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربياً » (٢) .. وحرص المسلمون بمختلف لغاتهم على لغة القرآن حفظوها وفجر بها كل العلوم فى العربية أو كما يقول السيوطى

« القرآن مفجر العلوم ومنبعها » (٣) .

ومن العلوم التى أمدت اللغة العربية بأسلحة النصر القوية :

الحماس الشديد للدين الإسلامى ، وقد كان سقوط بغداد على أيدى التتار وعبثهم بالتراث الإسلامى سبباً فى تحمس شديد ونهضة تأليفيه قام بها العلماء وشجعهم عليها الحاكمون فى إخلاص ظهرت معه موسوعات علمية هامة من أشهرها المعاجم ، والمصنفات التى ترمى إلى حفظ اللغة وضبطها وسلامتها والوقوف على خواصها : ومنها كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة لمؤلفه عبد الرحمن ابن على ابن شيث ، وكتاب قانون ديوان الرسائل ، وكتاب صبح الأعشى ، وكتاب قوانين الدواوين (٤) . وغير ذلك كثير ومن خير ما أعان على إعلاء خصائص الفصحى ودفع بها فى ميدان هذا الصراع قدماً بالإضافة لحشد عظيم من العلماء مصنفات عالمين جليلين هما : الفيروزبادى وابن منظور .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية الثالثة والرابعة .

(٢) سورة الشورى ، الآية السابعة .

(٣) جلال الدين السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن ، ص ٢ ، واقرأ : ص ٢ / ٣ .

(٤) هذه المصنفات كان هدفها رسم الطريق السليم لدارسى العربية : فقد وضعت الأسس الصحيحة التى يسير عليها مستعمل العربية وأخذت بأيديهم فى هذا الخضم .

وقد طوف الفيروزبادى معظم البلدان وقدم إلى مصر وأقام بالقاهرة ، وانتقل إلى بلاد الروم واتصل بخدمة السلطان مرادخان، وفى لسانه أكثر من لغة ، ومن خير ما ألف: « اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب » وضاع هذا المصنف ونسى الناس أمره(١) ، وبقى مختصره «القاموس المحيط» المرجع المتداول الذى أسهم فى خدمة العربية بمادته ، وبإثارته قرائح العلماء فأخرجوا حوله طائفة من الكتب منها « ابتهاج النفوس بذكر مافات القاموس» و« الدر اللقيط فى أغلاط القاموس المحيط » و « الجاسوس على القاموس».

أما ابن منظور المصرى فيقال إنه ترك بخطه نحواً من خمسمائة مجلد غير أن كتابه الذى اشتهر به هو « لسان العرب » ذلك المعجم الواسع المادة عظيم القدر جمع فيه مؤلفه بين ستة كتب وهى « كتاب تهذيب اللغة» للأزهرى و« الصحاح للجوهرى » و « حواشى ابن برى عليه » و « المحكم » لابن سيدة ، و« النهاية فى غريب الحديث » لابن الأثير . ويقول باحث ، ويقال إنه قد بلغت مواد معجمه ثمانين ألفاً . وبذلك فهو من أكبر المعاجم التى دونت فى العربية (٢).

---

(١) هناك رأى بأنه هم به ولم يؤلفه — (كما يمكن أن يفهم هذا من مقدمته) حيث إنه يقول فى مقدمة القاموس « عن اللامع المعلم العجاب » غير أنى ضمنته فى ستين سفراً يعجز تحصيله الطلاب ويقول الدكتور رمضان عبد التواب « المعروف أنه شرع فيه ثم انصرف عنه إلى القاموس»

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص ٢٢٤ . واقرأ من ص ٢٣٩ وقد اعتمد فى أقواله على أقوال السلف بدليل قوله « ويقال » . ويلاحظ القارىء أن فى تلك الإحصاءات التى يقدمها الدارسون التقليديون قدراً كبيراً من المبالغة التى لا تستريح لها النفس، وأما فى الدراسات الحديثة التى تستخدم الوسائل الدقيقة والأجهزة المتقدمة فنجد تلك الإحصائية التى جاءت على النحو الآتى :

المعجم	الثلاثى	الرباعى	الخماسى	المجموع
التاج	٧٥٩٧	٤٨٠١	٣٠٠	١١٩٧٨
اللسان	٦٥٢٨	٢٥٤٨	١٨٧	٩٣٧٣
الصحاح	٤٨١٤	٧٦٦	٣٨	٥٦١٨

دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر ، ص ٩ للدكتورين : عبد الصبور شاهين ، وعلى حلمى موسى ، ط الكويت — ١٩٧٣ .

ولا شك أن لمثل هذه المؤلفات اللغوية ما لا يخفى من أثر جلي فى تثبيت اللغة العربية وحسم الصراع لصالحها برسم الطريق السليم أمام المتعلمين والدارسين وردهم إلى الصحيح . وبحفظ الثروة اللفظية وتيسير استعمالها والوصول إليها.

ديوان الإنشاء : الذى وضع القوانين التى تضمن للعربية انتصارها ، وقام فيه بجهد مشكور كتّاب أعانوا على ذلك فى مجالات مختلفة ، فخصص لكل مجال جماعة من الكتاب — وجعل على رأس كل جماعة من يتصفح مايكتب فى الديوان من جميع الإنشاءات والتقليدات والمكاتبات حتى لا يكون فيها خطأ فى الخط أو اللفظ أو المعنى أو الإعراب ، ولذا أوجبوا أن يكون هذا المتصفح عالى المنزلة فى اللغة والنحو وحفظ كتاب الله .

كما قام فى ديوان الإنشاء جماعة من الكتاب يجيدون اللغات الأجنبية من فارسية ورومية وفرنجية كى يترجم ما يرد إلى الديوان بغير اللسان العربى بلسان عربى مبين(١) . وأن يعمل فهرستا لترجمة ما يترجم من الكتب الواردة على الديوان ، بغير اللسان العربى من الرومى والافرنجى وغيرهما مصرحاً بمعنى كل كتاب ومن ترجمه (٢) (من العجمية . — ويوضح القلقشندى المقصود بالعجمية فيقول : « والمعرفة باللغة العجمية وهى كل ماعدا العربية — من التركية والفارسية والرومية والفرنجية والبربرية والسودان وغيرهم(٣) » . ومما قاله إنه : « لا يخفى أن الكاتب يحتاج فى كماله إلى معرفة لغة الكتب التى ترد عليه لملكه أو أميره ليفهمها ويجيب عنها من غير اطلاع ترجمان عليها فإنه أصون لسر ملكه وأبلغ فى بلوغ مقاصده (٤) » .

ولا شك أن هذا مما يعين على إعلاء خصائص الفصحى ويدفعها قدماً فى ميدان هذا الصراع ، يوضح ذلك ويؤكده مارواه القاضى الفاضل عن نفسه قال : « كان فن الكتابة بمصر زمن الدولة المصرية غضاً طرياً ، وكان لا يخلو

---

(١) اقرأ صبح الأعشى للقلقشندى ، ج ١ ، ص ١٣٠ وما يليها من تفصيلات .

(٢) القلقشندى : السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ .

(٣) القلقشندى : السابق ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(٤) القلقشندى : السابق ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

ديوان المكاتبات من رئيس يرأس مكانا ويبانا ويقيم السلطان بقلمه سلطانا .
فأرسلني والدي وأمرني بالسير إلى ديوان المكاتبات ، وكان الذي يرأس به تلك الأيام رجل يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبتي رحب بي وسهل ثم قال : ماذا أعددت لفن الكتابة من الآلات ؟ .

قلت ليس عندي شيء سوى أني أحفظ القرآن وكتاب الحماسة. فقال : في هذا بلاغ . ثم أمرني بملازمته فلما ترددت إليه . وتدربت بين يديه أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فحللته من أوله إلى آخره — ثم أمرني أن أحله مرة ثانية فحللته(١). ويعد القاضي الفاضل حالة من حالات عصره.

فمثل هذا المنهج يمكن للفصحى ويعين على تثبيت خصائصها في خضم هذا الصراع المترامي .

ومن عوامل انتصار الفصحى أيضاً المعاهد العلمية التي أنشئت والمدارس التي فتحت وخزائن العلم التي تعددت. ومنذ عهد بعيد وبمصر عناية بالغة بالمدارس والمعاهد غير أن الذي يعنينا ماله دوره التأثيري في هذا المعترك وقد رأينا منذ الفاطميين العناية بالمكتبات وكانوا يلحقونها بالمجامع العلمية كالمجتمع الذي أسسه الوزير يعقوب بن كلس وكان ينفق عليه ألف دينار كل شهر(٢) وأسس الحاكم دار الحكمة ودار العلم وألحق بها مكتبة تحتوى على ردهة كبيرة للمطالعة وعلى حجر للاجتماعات التي كانت تعقد للمباحثة »

ويصف المسيحي (شاهد عيان) مكتبة القصر فيذكر أنه يجتمع فيها من نفائس الكتب» ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك»(٣). ويقول المقريزي « إنها بلغت ألفا وستمائة ألف مجلد » (٤) .

---

(١) الوشي المرقوم في حل المنظوم : لنصر الله محمد بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هجرية ، (مطبعة ثمرات الفنون ١٢٩٨ هـ) .

(٢) اقرأ كتاب (le Madarass Nizamiyya Par : Atallas P 61)

(٣) الخطط للمقريزي ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

وهذا هو العصر المتداخل فى عصر الحروب الصليبية والمؤثر فى الصراع . ويتحدث وليم موير عن صلاح الدين فيقول : « امتاز حكمه بفتح المدارس وإقامة المستوصفات وغيرها من الإصلاحات » (١) . ويقول عن بيبرس : « شيد بيبرس كثيراً من المعاهد الدينية » (٢) وفى هذا مايوحى بدور المكتبات والمعاهد والمدارس والمساجد التى ملأت أرجاء مصر تُحفِّظ القرآن للناشئة فتقوِّم ألسنتهم وتقربهم من خصائص الفصحى وفى هذا دفع للعربية فى ميدان الصراع وإمداد لها بأسلحة النصر ومقوماته .

وانطلاقاً من هذا يتبين أن من عوامل انتصار العربية فى هذا المعترك جماهير مصر لوفرة الأفراد المنصرفين لحفظ القرآن ودراسة الحديث : « فقد كان صلاح الدين وأولاده يذهبون إلى الإسكندرية لسماع الحديث النبوى الشريف عن الإمام الحافظ السِّلفى (٣) حيث ظفرت مصر فى هذا العصر

---

(١) السير وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ص ٢٠ .

(٢) السير وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ص ٥٣ .

(٣) السلفى (هو أبو طاهر السلفى : والسلفى لفظ أعجمى معناه غليظ الشفة قيل ومن السلفة وأصلها س : بمعنى ثلاثة ولب : بمعنى شفة ، ومعناه ثلاث شفاه وذلك لأنه كانت له شفة مشقوقة .

ولد فى جردان إحدى محال مدينة أصبهان من بلاد الفرس وهو المحدث العظيم أحمد بن محمد ابن أحمد السلفى . وعاش السلفى فى الإسكندرية موفور الكرامة مرعى الحرمة فى عصر الأيوبيين بضعاً وستين سنة وجاوز المائة بلا ريب وإنما النزاع فى مقدار الزيادة ومكث فيها وثمانين سنة يسمع عليه . أنظر فى ترجمة السلفى :

وفيات الأعيان : ج ١ ، ص ٣١ .

النجوم الزاهرة : ج ٤ ، ص ٨٧ — ١٢٨ .

طبقات الشافعية الكبرى للسبكى : ج ٤ ، ص ٣٤ .

طبقات المفسرين للسيوطى : ص ٥٦ .

طبقات الحفاظ للسيوطى ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

الكامل لابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢١٢ .

تذكرة الحفاظ للذهبى ، ج ٤ .

بعدد ضخم من رجال الحديث منهم السلفى المتوفى سنة ٥٧٦ هـ. وابن دحية المتوفى سنة ٦٣٣ هـ عن نيف وثمانين سنة » (١) .

كما كثر عدد الشعراء فى ذلك العصر كثرة بالغة احتفظت مراجع ذلك العصر بعدد ضخم منهم ، ولطائفة كبيرة منهم دواوينهم التى أثبتها لهم مؤرخوهم بالإضافة إلى أن أبناء مصر عملوا على انحسار تيار مد اللهجة المصرية وإفساح المجال لخصائص العربية التى نزل بها القرآن الكريم . وقد خرّجت مصر من أبنائها جيوشاً من العلماء فى كل فروع العلم التى تخدم العربية فى مجال صراعها .

علماء فى علم القراءات حفظوا القرآن وحفّظوه وحافظوا على تلاوته دراية ورواية ، ففى القرن الخامس اشتهر من القراء رجل يقال له أبو طاهر الأنصارى المصرى مصنف « العنوان فى القراءات » وعبد الرحمن بن أبى بكر صاحب كتاب التجويد فى القراءات » وإليه انتهت رياسة الإقراء بالإسكندرية والشاطبى وهو القاسم بن فيره (بكسر الفاء بعدها ياء ثم راء مشددة مضمومة) ومعناها الحديد بلغة عجم الأندلس وولد الشاطبى بشاطبة من بلاد الأندلس وسمع من أبى طاهر السلفى بالإسكندرية ، وأكرمه القاضى الفاضل وأنزله بالمدرسة التى بناها وجعله شيخها ونظم بها قصيدة اللامية والرائية فى القراءات وجلس للإقراء وقصده الخلائق من كل الأقطار . يقول فى ذلك أحدهم :

رأيت جماعة فضلاء فازوا   برؤية شيخ مصر الشاطبى
وكلهمو يعظمه ويثنى   كتعظيم الصحابة للنبى

وبرع فى الإقراء أيضاً صديق الشاطبى وصهره كمال الدين الضرير أبو الحسن على الهاشمى المصرى وكان رئيساً للإقراء فى عصره ، وإسماعيل ابن هبة الله بن على المصرى المتوفى سنة ٦٨٠ هـ ، والجرائدى تقى الدين

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، ص ٢٧٢ ؛ والروضتين : ج ٢ ، ص ١٧ .

(٢) دكتور أحمد بدوى : الحياة الأدبية ، ص ١٢٧ .

يعقوب بن بدوان بن منصور المصرى المتوفى سنة ٦٨٨ هـ وابن الصواف يحيى بن أحمد بن عبد العزيز شرف الدين بن الصواف الإسكندرانى المتوفى سنة ٦٩٠ هـ ، أستاذ الإمام السبكى وقالوا « بموته نزل القراء درجة » ، وتقى الدين بن الصائغ وهو محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصرى كان تلميذ الضرير وإليه رحل الطلاب من أقطار الأرض لانفراده بالقراءة دراية ورواية (١) .

إشارة إلى جماعة من العلماء فى فن واحد فى فترة واحدة يظهر أثرهم فيمن يقصدونهم من أقطار الأرض الناطقين بالعربية وتوحى بقوة الدفعة التى تشد من أزر العربية فى هذا المعترك اللغوى . وعلى شاكلتهم علماء فى مختلف العلوم من تفسير وفقه ومثلهم فى النحو ، وغيرهم فى علوم البلاغة وهكذا وتلمح إلى بعض منهم فى تلك الفنون والعلوم .

فمن علماء التفسير المشهورين الإمام أبو بكر الأدفوى ، وأبو الحسن الحوفى الذى أخذ عنه خلق كثير من المصريين وله تفسير جيد ، وله كتاب « إعراب القرآن » فى عشرة مجلدات وتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، والسخاوى المصرى شيخ القراء بدمشق قال عنه الذهبى كان إماماً علامة مقرئاً محققاً بصيراً بالقراءات وعالماً ماهراً بها ، إماماً فى النحو واللغة ، وإماماً فى التفسير وله معرفة تامة بالفقة والأصول ، ولد سنة ٥٥٨ هـ (٢) ، وابن منير الطرابلسى الإسكندرانى المالكى ، كان إماماً فى النحو والأدب والأصول والتفسير ، وله يد طولى فى علم البيان والإنشاء ، وتلمذ عليه كثيرون منهم أبو حيان المتوفى سنة ٦٨٣ هـ ، وسئل عنه ابن دقيق العيد فقال : « ما يقف فى البحث على حد » .

وأبو حيان الأندلسى الحيانى نزيل مصر شيخ النحاة والمحدثين والمفسرين .

(١) جلال الدين السيوطى : حسن المحاضرة ، ص ٣١٢ .
الحركة الفكرية لعبد اللطيف حمزة ، ص ٢٢٣ - ٢٣٥ .
(٢) طبقات المفسرين : الذهبى ، ص ٤٢ .
الحركة الفكرية لعبد اللطيف حمزة ص ١٩٢ .

ويمكن أن يدرك اللغوى شأن هذا فى دفع العربية قدماً فى مجال الصراع اللغوى عندما نعلم أن السيوطى أحصى فقهاء مصر حتى القرن التاسع فعد منهم ثمانين فقيهاً على مذهب الإمام الشافعى ، وأربعين على مذهب مالك ، ونحواً من خمسين على مذهب الإمام أبى حنيفة وقرابة العشرين على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (١) .

هذا بالإضافة إلى دور علماء مصر البالغ فى علوم اللغة فقد تتابع فى النحو علماء كثيرون نلمح هنا إلى من أدرك منهم فترة الصراع التى نحن بصدد دراستها منهم ابن بابشاذ الذى كان من كبار القراء وصاحب آراء فى النحو ، وعهد إليه مراجعة الرسائل الديوانية وتصحيحها وله كتاب فى القراءات ، وقيل إن بابشاذ : كلمة مصرية قبطية معناها السرور(٢) .

وابن برى بن عبد الجبار المقدسى المصرى المتوفى سنة ٥٨٢ هـ قرأ كتاب سيبويه وتصدر للإقراء بجامع عمرو ، وكان قيماً بالنحو واللغة والشواهد وكان يلقب بأبى النحاة (٣) ، وكانت عناية ابن برى موجهة إلى اللغة وتصحيح أغلاط اللغويين ، وضع حاشيتين على الصحاح للجوهرى استدرك فيهما أكثر ما فات الجوهرى من صحيح اللغة وصوب كثيراً مما وقع فيه من الأوهام والأغلاط .

ويحيى بن معط صاحب ألفية ابن معط التى على نمطها نظمت ألفية ابن مالك ، وموفق الدين عيسى بن عبد العزيز المتوفى سنة ٦٢٩ هـ الذى يشد أنظار الباحثين إلى وجود مدرسة نحو مقرها الإسكندرية ، وابن الحاجب صاحب الكافية فى النحو والشافية فى الصرف المولود بقرية إسنا والذى لازمه -

---

(١) حسن المحاضرة : جلال الدين السيوطى ، ص ٢٠٥ .
الحركة الفكرية لعبد اللطيف حمزة ، ص ١٩٨ .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ، ص ٣٤٩ ،
الحركة الفكرية لعبد اللطيف حمزة ، ص ٢١٧ .

(٣) الحركة الفكرية لعبد اللطيف حمزة ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

الطلبة وكثروا من حوله (١) . وابن مالك المشهور صاحب الألفية الذى أخذ النحو عن الشلوبين ، ثم جاء إلى مصر ، والذى جالس ابن يعيش (٢) . وأبو حيان الحيانى ، أندلسى النشأة ، مصرى الإقامة الذى مات بالقاهرة سنه ٧٤٥ هـ (٣) . وابن هشام المصرى صاحب مغنى اللبيب . وابن عقيل المولود سنة ٦٩٨ هـ ، الذى لازم أبا حيان فقال فى حقه : « ماتحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل » ولازم القونوى ، وأبا الجلال القزوينى ، وجماعة من كبار علماء الفقه والحديث والتفسير (٤) .

ونبغ خلق كثير فى علوم البلاغة فى مصر منهم زكى الدين بن أبى الأصبع ، وضياء الدين بن الأثير الذى خلف كتباً قيمة منها « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » ؛ وكتاب « الجامع الكبير فى صناعة المنظوم والمنثور » ، وكتاب « البرهان فى علم البيان ورسالة الأزهار » ، ومن أشهر كتبه « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » .

تلك إشارة يتبين منها أهمية الدور الذى قام به العلماء فى العمل على انتصار الفصحى والمحافظة على خصائصها والإبقاء عليها سليمة مما دفعها قدماً فى ميدان الصراع ومكنها من الخروج ظافرة .

وقد كان للحكام والسلاطين ومن بيدهم الأمر دور قوى فى هذا المجال يتضح ذلك عندما نعلم أن صلاح الدين على الرغم من أنه كردى كان حافظاً لأنساب العرب بل كان عارفاً بخيولهم ، كما كان حافظاً لديوان الحماسة ، وكان يتمثل بأبيات مما فى هذا الديوان (٥) . وكذلك كان تاج الدين بورى

(١) الحركة الفكرية لعبد اللطيف حمزة ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ .
ابن خلكان : الوفيات ، ترجمة ابن الحاجب .
(٢) الحركة الفكرية : عبد اللطيف حمزة ، ص ٢٢٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .
(٥) حسن المحاضرة : جلال الدين السيوطى .
الحركة الفكرية ، ص ١٨٠ .

الأخ الأصغر لصلاح الدين شاعراً (١) . كما كان ولده الملك الأفضل شاعراً كذلك ، ولا نخفى شهرة الملك الكامل فى تشجيع الأدب والأدباء .

وخلاصة القول وصفوته أن عوامل متعددة مكنت اللغة العربية من الخروج من هذا المعترك منتصرة ، فعلى الرغم من ضراوة المعارك حيث عاشت مع الأوربيات فى مجتمع اللاتين جنباً إلى جنب وعاشت مع لغات معسكر المسلمين جنباً إلى جنب وبقيت لهجاتها حتى اليوم لاتنال منها بينما تنتقص هى من أطراف تلك اللهجات يوماً بعد يوم — ومرجع ذلك : القرآن الكريم الذى مكن العوامل الحضارية والثقافية من أداء دورها فى هذا المعترك، مع كثرة الناطقين بها المتحمسين لكتابها الكريم ، ولا يغيب عن البال ماوضعه الإسلام الحنيف من نُظُم ومظاهر نشاط ثقافى وعقلى ، ومناحى وجدان ، ونزوع فكرى ، مما جعل قرائح الناطقين بها تضاعف من نتاجها ، ومعاهد العلم تبذل جهدها مما أمدها بعدد النصر ووسائله ، ولا يغيب عن بالنا العوامل اللغوية ومن أهمها : العوامل التى ترجع إلى طبيعة اللغة العربية (أصواتها ، وقواعدها ، ومتنها) . وعامل هام كذلك وهو أن : العربية ليست من شعبة اللغة المتصارعة معها ، وليست من شعبة متقاربة لها . وليس معنى ذلك أنه يشترط أن تكون اللغتان المتصارعتان من فصيلة واحدة حتى تقضى إحداهما على الأخرى ، ولكن إذا كانت اللغتان المتصارعتان من فصائل لغوية مختلفة كان ذلك سبباً فى بيان الخصائص اللغوية الغريبة فى سهولة فييسر ذلك على أبناء اللغة التنبه لها ومعالجته ، على نحو مانجد ذلك جلياً فى باب الخواص الصرفية والنحوية (٢) .

---

(١) وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ .
الحركة الفكرية : ص ٢٧٣ .
اقرأ نماذج من شعره فى شفاء القلوب ، ص ١٤ .

(٢) أنظر : باب الخواص الصرفية والنحوية حيث ترى الدليل العملى واضحاً فى الخواص الصرفية .

٢ ــ أما عن الشق الثانى من القضية وهو بيان :

العوامل التى سجلت للهجة المصرية ما حققته من مظاهر للنصر فى هذا المعترك اللغوى

هناك اتصال بين هذه العوامل والسابقة عليها وانبثاق عنها وتأثير فيها وتأثر بها.

فمن المسلم به أنه مهما بلغ حظ المرء من الثقافة فلابد من تسرب كثير من خصائصه اللهجية فى مصنفاته وكتابته .

ومن المسلم به أيضاً أن البيئة اللغوية التى يعيش فيها الكاتب مهما كان غريباً عنها لا محالة متأثر بها وظاهر هذا التأثر فى مؤلفاته بنوع خاص إذا كانت مصنفاته إنسانية وموجهة إلى هذه البيئة بالدرجة الأولى . .

ومن هنا فقد تضافرت عوامل متعددة سجلت للهجة مصر ماحققته من مظاهر نصر ، ومن هذه العوامل :

العامل الثقافى وجو النهوض العلمى : ــ فقد كان زعماء الكتاب فى مصر فحسب يقول عالم باحث : « ومما يسترعى النظر أن عظماء الكتاب فى ذلك العصر كانوا بمصر لا الشام إذا استثنينا العماد الكاتب الذى كان يزور مصر مع ذلك أحياناً : ومن السهل تعليل ذلك :

لوجود ديوان الإنشاء فى مصر ، وقد كان مكاناً لتدريب الكتاب وتخريجهم .

وبأن الشام كان فى آخر عهد الدولة الفاطمية يحكم حكماً إقطاعياً مجزءاً أجزاء صغيرة لا تستطيع أن تهيىء للكتاب جواً ينهض بهم إلى النبوغ فى هذا الفن ، أما فى مصر المتحدة ذات الملك الواسع والثروة الكبيرة ، فلها من سعتها ومواردها ما يمكنها من دفع الكتاب إلى الإجادة والتبريز وبأن رأس الدولة منذ العصر الأيوبى كان القاهرة فلا عجب إذا تزعم كتابها ناثرى عصرهم وكتابه(١) . ومن اليسير على اللغوى أن يدرك الأثر الذى تحدثه مثل هذه المكانة فى ميدان الصراع اللغوى بتأثيرها الاقتصادى والثقافى ، وقد ظل المؤرخون الغربيون حتى اليوم يعتبرون كتابات التاريخ التى تمثل وجهة نظر الإسلام كتابات مصرية وكذا شأن من يتمعن تراث تلك الحقبة مثال ذلك : يقول وليم موير : « لم يتعمق كاتب من الكتاب تعمق (ويل)

---

(١) د. أحمد بدوى : الحياة الأدبية ، ص ٣٤٢ .

فى مؤلفاته الشرقية التى كثيراً ما تخالف ما كتبه مؤلفو الغرب فى هذا الموضوع أو بعبارة أخرى التى تناولت الحروب الصليبية المتتابعة بحثاً وتدقيقاً من وجهة نظر آسيية مصرية »(١) فالتراث كتبه علماء مصريون فى مصر لهذا اعتبر موير وجهة النظر الإسلامية وجهة نظر مصرية فى مقابل وجهة النظر الغربية أضف إلى هذا

عامل الموقع الجغرافى والدور الحضارى :

توسط موقع مصر وتأثيرها الحضارى كان ميزة لها ظهر أثره عند سقوط بغداد وتحمل مصر التبعات وبعد أن صارت دار الخلافة أشار القلقشندى إلى مثل هذه المعانى فى مقدمته :

تناهت علاء والشباب رواؤها فما ظنكم بالفضل والرأس أشيب(٢)

فتحت مصر أبوابها للاجئين إليها من العلماء والأدباء « وقد برزت مصر إلى المكان الأول بين بلدان العالم الإسلامى منذ ذلك العهد فقد نجت من عاصفة المغول . وصارت تحت إمرة سلاطين المماليك بعد رد الصليبيين على أعقابهم أولى دول الإسلام العظمى »(٣) .

وفى مصر أمن العلماء واتجهت هممهم إلى إعادة بناء الثقافة الإسلامية وكانت الموسوعات العلمية « وقد رفع هذا الوضع من شأن الشخصية المصرية التى صهرتها محنة الحرب الصليبية وخرجت منها ومن المحنة المغولية مستحقة لهذه المنزلة »(٤) .

وساعد مصر موقعها الجغرافى على أن تسيطر شرقاً وغرباً . على مكة والمدينة؛ شرقاً يقول وليم موير : « وصار الناصر صاحب السلطان على تلك الأماكن المقدسة وكان يمدها بالغلال عن سخاء عندما تصيبها السنون »(٥) . وغرباً على طرابلس ، يقول موير أيضاً : « امتد سلطان الناصر غرباً فى

---

(١) السير وليم موير : تاريخ دولة المماليك ، ص ١١ .

والمشهور فى النسب إلى آسيا آسيوى ولكن القواعد تجيز آسيى فالياء بعد ثلاثة أحرف فيجوز أن يبقى الاسم على وضعه فى الظاهر .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، المقدمة .

(٣) يوحنان فك : العربية ، ص ٢٣ .

(٤) د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص ٢٣ .

(٥) وليم موير : تاريخ دولة المماليك ، ص ٨٣ .

شمال أفريقية كما امتد فى غيرها من الجهات الأخرى وقد بقى حاكم طرابلس مدة طويلة يعين من قبله »(١) .

وأقامت مصر للأدب سوقاً رائجة يفد إليها الشعراء من بغداد والشام واليمن والحجاز والمغرب(٢) وأطلقت الأعياد ألسنة الشعراء والكتاب وقوى الاختلاط وتم التأثير والتأثر اللغوى بين لهجة مصر والوافدين عليها ولعبت الشخصية المصرية دورها منذ استقلالها أيام الطولونيين ، ولوجود ديوان الإنشاء بمصر ، وقد كان لتشجيع أحمد بن طولون للكتاب المصريين أثر فى قوة اللهجة المصرية منذ ذلك الحين . فقد عاتب ابن طولون بعض خاصته لأنه استخدم كاتباً مصرياً لم يستطع أن يقوم بعمله على أحسن وجه فكان جواب ابن طولون : « أنا أحتمله لأنه مصرى »(٣) ؛ لهذا وغيره ظهرت الروح المصرية وتراكيبها اللهجية .

يعضد العوامل السابقة ويقويها عامل الهيبة ورفعة المكان وذيوع الصيت :

يوضح ذلك ما جاء على لسان الملك العادل فى مفرج الكروب : « سار الملك العادل بالعسكر ونزل بركة الجب وسير إلى الملك الأفضل يقول له : « أنا لا أحب أن أكسر ناموس القاهرة ، لأنها أعظم معاقل الإسلام »(٤) . ويعلق المحقق الناشر على هذا بقوله : « لاحظ هذا التعبير ودلالته التاريخية فهكذا كانت مصر وكانت مكانتها على طول عصور التاريخ الإسلامى »(٥) .

ولا يغيب عن البال أن مصر كانت أرض الأحلام والآمال وخير ما يصور ذلك قول وليم موير : « لقد كان ما يعطيه السلطان لوكلائه من الأموال الكثيرة وما كان يصل إلى بلاد التركستان من الحكايات الممتعة عن أحوال المماليك

---

(١) وليم موير : تاريخ دولة المماليك ص ٨٤ .
وانظر السلوك للمقريزى ج ٢ ص ١٠٠ مطبعة النيل .

(٢) د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .

(٣) سيرة ابن طولون ، ص ١٥ —
الحركة الفكرية ، ص ٢٦٣ .

(٤) د. جمال الدين الشيال : مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٥) د. جمال الدين الشيال : مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٣ ، ص ١٠٩ هامش .

فى مصر باعثاً كبيراً لكثير منهم على بيع أولادهم وبناتهم ليكونوا فى حاشية سلطان مصر على أن أهالى تلك الجهات نفسها كانوا يفدون زمراً إلى أرض الآمال »(١) . وإذا وضعنا فى الاعتبار أن القادمين إلى أرض الأحلام والآمال لا ريب حريصين على وسائط الاندماج الاجتماعى ووسائله وأولها اللسان ، فإننا نطلق العنان لخيال اللغوى ليتصور ماذا يحدثه مثل هذا الأثر . وإلى اليوم نجد الغربيين الذين يريدون تعلم العربية يبدءون بتعلم اللهجة المصرية لعدة أسباب – فهى وسيلة الاندماج الاجتماعى وهى الخطوة الأولى فى طريق تعلم العربية ، نلاحظ ذلك بين من نلقاهم من المستشرقين .

ويضاف إلى ما سبق زعامة مصر الروحية التى يلقى قول موير الآتى الضوء على وجهها حيث يقول : « على الرغم من ضعف بعض المماليك كان صيت مصر ذائعاً فى الممالك الأخرى حتى إن ملك الهند أرسل للمرة الثانية بعثاً تحمل الهدايا والتحف لسلطان مصر لكى يحصل منه على اعتراف بملك (ابن طغلوق) وتثبيته من الخليفة الذى كان عظيم الاحترام فى الأقطار الإسلامية الأخرى مع أنه لم يكن له شأن ما فى مصر » (٢) .

ومن أهم العوامل وأقواها العامل الحربى والسياسى :

وقد كان لمصر دورها العسكرى والسياسى فى أرض الصراع اللغوى قبل الحروب الصليبية وهو ما مكن للغتها ؟ على حين شاءت الأقدار أن تتكون فى بلاد الشام والجزيرة مجتمعات صغيرة مفتتة منعزلة إلى حد ما وأن يكون لكل مجتمع منها كيانه الخاص – وطغت به عاطفته المحلية وحصرته فى إطار ضعيف ضيق(٣) ، أضف إلى ذلك قول موير : « إن بيت المقدس كان فى قبضة ملك مسيحى نحو قرن من الزمان ، وأن سورية حكمها حكام مسيحيون نحو قرنين أى من سنة ١٠٩٧ – ١٢٩١ »(٤) ، وفرض وضع مصر عليها أن تكون

---

(١) وليم موير : تاريخ دولة المماليك ، ص ٩١ .

(٢) وليم موير : تاريخ دولة المماليك ، ص ٦٩ .

(٣) د. محمد حلمى أحمد : مقدمته لابن شامة : الروضتين ، ص ٣ .

(٤) وليم موير : تاريخ دولة المماليك ، ص ١٦ .

مسئولة عن الدول الإسلامية من حولها وقد حدث بعد سنة ٩٦١ م أن حرص البيزنطيون على أن يستردوا مجدهم وأن يملكوا البلاد الشامية ، ولم تتوقف موجة الفتح البيزنطي إلا باصطدامها بالقوة المصرية (أيام الفاطميين) ، « الذين أمدوا الإسلام بدم جديد وعنصر قوى يتدفق حياة ويتطلع للفتح وساعدتهم موارد مصر الداخلية على تنفيذ تلك الخطة »(١) . وصارت مصر والإمبراطورية البيزنطية قبل الحروب الصليبية أقوى دولتين فى البحر المتوسط(٢) . واستردت مصر دمشق من البيزنطيين وحاولت أكثر من مرة الإغارة على حلب والاستيلاء عليها(٣) . وعمر المصريون أنواعاً مختلفة من السفن الحربية كالشوانى والشلنديات والمسطحات وسيروها إلى ساحل الشام مثل صور وعكا وعسقلان (٤) .

ولا يغيب عن البال أن صلاح الدين أدرك منذ أن ولى الحكم أهمية الأسطول فى مصر فرفع راتب البحارة وجمع المواد اللازمة لبناء السفن وعقد معاهدات تجارية مع الجمهوريات الإيطالية حصل بمقتضاها على حاجته من الحديد والخشب والشمع (٥) . وظهر أثر ذلك عندما حاول رجنالد شاتيون صاحب حصن الكرك والشوبك مهاجمة تجارة مصر فى البحر الأحمر والوصول إلى مكة فبادرت البحرية المصرية بتدمير السفينتين المرابطتين تجاه أيلة وطاردت الأسطول الصليبي عند عيذاب حتى دمرته وحصلت على عدد كبير من الأسرى وقدر كبير من الغنيمة(٦) . وقد عبر وليم الصورى عن مخاوفه من نفوذ بحرية مصر وسلطانها بقوله : « إن نور الدين يستطيع أن يوقف نمو مملكتنا بما يرسله من سفن عديدة من مصر »(٧) . وهذا عين ما كان زمن

(١) حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ، ص ٢٥ .

(٢) د. السيد الباز العرينى : الشرق الأدنى (الأيوبيون) ، ص ١٧٠ .

(٣) حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ، ص ٢٥ —
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣ — ١٤ .

(٤) د. السيد العرينى : الشرق الأدنى ، ص ١٦٩ ، وانظر مراجعه .

(٥) د. السيد العرينى : الشرق الأدنى ، ص ١٧٧ .
المقريزى : السلوك ، ج ١ ص ٤٥ .

(٦) السابق : العرينى ص ١٨٢ ؛ السلوك ج ١ ، ص ٧٩ .
الكامل ج ١١ ، ص ٣٢٤ .

(٧) السابق : الشرق الأدنى ص ١٧٣ —
تاريخ دولة الأتابكة : لابن الأثير ، ص ٢٥٩ .

صلاح الدين ؛ فبينما كان صلاح الدين يحاصر بيروت تلقى من الأنباء ما يشير إلى أن سفينة ضخمة قادمة من أبوليا تجاه دمياط فاستولى عليها ووقع في أيدى المصريين نحو ١٧٠٠ أسير منعوهم بذلك أن يكونوا مدداً للصليبيين(١) . ولما عاد الأسطول المصرى من بحر الروم سنة ١١٨٣ م بعد حصار السواحل السورية كان قد ظفر ببطشة بها ثلاثمائة وخمسة وسبعون من الفرسان بسلاحهم وتجار امتلأت جيوبهم بالمال وكذلك ظفر في نفس السنة ببطشة من الفرنج كانت تريد عكا بها أخشاب ونيف وسبعون رجلا من صناع السفن(٢) .

وبعد انتصار حطين رابطت قوة بحرية مؤلفة من عشرة سفن في عكا وتوجهت ١٥ سفينة إلى الإسكندرية ثم إلى صور(٣) ؛ واستطاع المصريون في ٢٥ ديسمبر سنة ١١٨٩ م اختراق الحصار الصليبي حول عكا ونجحوا في الاستيلاء على سفينتين من سفن العدو .

وبعد ... أليس في مقدور اللغوى أن يدرك الأثر الذى يمكن أن يحدثه إعجاب المسلمين الداخلين في دائرة الحروب الصليبية بدور مصر صاحبة النفوذ المبسوط الذى يلاحق العدو في البر والبحر لينزل به الهزائم فيشفى غلتهم ويترك ذلك كله يحدث صداه في المعترك اللغوى .

يوضح ذلك ويؤكده أن مؤرخى الغرب لم يروا عدواً لهم غير المصريين ؛ ولم يروا من يحرز النصر إلا المصريون ، وهاك بعض مقتطفات من أقوالهم : « عاد المصريون فهاجموا الأرمن المتغسين في عقر دارهم عقاباً لهم على مساعدتهم المغول في الحرب الأخيرة »(٤) وقول آخر : « ولو تحاشى الأرمن والصليبيون الخضوع لنفوذ المغول لكان خيراً لهم فان هذا الخضوع كان لابد أن يثير حقد

---

(١) د. السيد العرينى : الشرق الأدنى ص ١٨٢ ؛ السلوك للمقريزى ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٢) د. العرينى : الشرق الأدنى ، ص ١٨٣ ؛ السلوك : المقريزى ، ج ١ ص ٩٣ — ٩٧

(٣) د. العرينى : الشرق الأدنى ص ١٨٣ ؛ السلوك للمقريزى ، ج ١ ، ص ٩٣ — ٩٧ .

(٤) وليم موير : تاريخ دولة المماليك ، ص ٧٣ .

المصريين عليهم وتكون عاقبته سقوطهم »(١) ، وقول آخر : « وقد كان فرسان الهيكليين يدافعون عن أحد المعاقل الآمنة فاستولى المصريون عليه عنوة بعد حصار »(٢) .

وجاء على لسان المحارب الصليبي صاحب الحوليات وهو يسجل من خلال وجهة نظره حديث الملك الأشرف ما يفهم منه نظرة الصليبيين والمسلمين على السواء نحو مصر يقول : « أما القائد الأفضل الذى وصل أمام المدينة حزيناً بائساً فقد أخذ يبكى ويقول : يا أرواح الأرباب إن العين لم تبصر مثل ما جرى ولا سمعت الأذن بمثل ما حدث .. أيتها الأرواح يا من لا تعاديك قوة ولا يماثلك بأس ولا تضاهيك فروسية قط .. يا من لم تهزمى أبداً أمام أية أمة ولكنك غلبت على أمرك على يد هذا الشعب المسيحى الصغير ما أبلغ الحزن وما أشد الأسى .. ماذا أقول ؟ .. وماذا أعيد ؟ .. أترانى أهزم على أيدى شعب منبوذ جبان وجماعة من الصعاليك لا يملكون من الدنيا سوى المزود والعصاة .. هؤلاء الذين تتبعوا الشعب المصرى الذى طالما وزع عليهم الصدقات حين كانوا يجوبون بلادنا ملتمسين الإحسان لقد قدت مائتى ألف فارس ولكنى رأيتهم يثنون أعنة جيادهم ويوجهونها شطر مصر هرباً »(٣) .

وإذا صرفنا النظر عما فى قول هذا الصليبي من مخالفات لعقيدة المسلم فليس فى الإسلام إلا رب واحد .. فإنه يبقى فيه الدليل الذى سقنا من أجله القول قاطعاً شاهداً .

وخلاصة ما ننتهى إليه أنه لم يعد غريباً إذا وجد الدارس آثار اللهجة المصرية أو بعض ظواهرها فهناك من الأسباب ما يبرر وجودها أليست هى لهجة من لهم الزعامة الحربية والسياسية والأدبية والزعامة الروحية ، هى لهجة أصحاب الصيت الذائع ، هى لهجة العاصمة الفكرية ملجأ العلماء ومأواهم ومحط الآمال وأرض الأحلام .

---

(١) وليم موير : تاريخ دولة المماليك ، ص ٤٩ .
(٢) وليم موير : تاريخ دولة المماليك ، ص ٤٨ .
(٣) حسن حبشى : « الحرب الصليبية الأولى » قسم الحوليات ، ص ١٨١ .

يؤكد كل ما سبق ويبرر له ويأتى دليلا عليه ما ذهب إليه اللغويون المحدثون حيث يذهب يوهان فك إلى أن التعبيرات المحلية المصرية هى التى طغت على اللغة العربية عقب الحروب الصليبية ، ويتخذ منها منطلقاً إلى أن لغة القاهرة فى العصر الحاضر هى التى ستصبح لغة العالم العربى ، وأنها هى المثل الأعلى خارج حدود مصر .

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله مذهباً قريباً من هذا فى مستقبل اللغة العربية المشتركة التى ستنتظم جميع الأمم العربية .

يقول يوهان فك : « إن الثراء العريض الذى قام بمصر على أساس التجارة الهندية الواسعة المدى فى القرنين الثامن والتاسع الهجرى (الرابع عشر والخامس عشر الميلادى) قد هيأ الأسباب الضرورية لنشاط الحياة العقلية وساعد على إنشاء نهضة أدبية فى مصر وسورية تميزت من الوجهة اللغوية بظهور التعبيرات المحلية المصرية »(١) — وتأسيساً على هذا رأى يوهان فك أن لغة القاهرة ستصبح المثل الأعلى للعالم العربى خارج مصر وستعيد لنفسها الصدارة التى كانت عليها أيام الحروب الصليبية يقول : « ولما كانت مصر قد تقدمت خطوات فسيحة فى ميادين النقل الآلى والفنى المشار إليهما ، فقد يكون متيسراً أن تصبح لغة التحادث القاهرية هى المثل الأعلى للعالم العربى خارج مصر فى نواحى النطق الصوتى والتعبير السائد والمادة اللغوية ، وأن يعيد التاريخ ثانية لمصر تلك المكانة التى حققت لها التصدر فى طليعة البلدان الناطقة بالضاد على عهد المماليك فى القرنين السابع والثامن هجرى « الثالث عشر والرابع عشر الميلادى »(٢) .

أما الدكتور أنيس فيحدد ما يذهب إليه فى هذا الصدد ويعلل له وهو « أن تصبح لغة المثقفين من المصريين وهى التى تسمع فى خطابهم وفى حديثهم هى اللغة المشتركة الموحدة بين الأمم العربية(٣) » وأما التدليل والتعليل — فلأن

---

(١) يوهان فك : العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب — ترجمة عبد الحليم النجار ص ٢٣٠ .

(٢) يوهان فك : العربية ، ص ٢٣٣ .

(٣) د. إبراهيم أنيس : مستقبل اللغة العربية المشتركة ، ص ٧١ .

لهجة الخطاب المصرية بين المثقفين وفى المدن الكبرى كالقاهرة والإسكندرية ونحوهما لا تختلف كثيراً عن تلك العربية الفصيحة التى ننشدها من حيث الألفاظ والمعانى ويقتصر الخلاف على بعض التراكيب وأساليب التعبير كطرق النفى وصيغ الكلمات والتحلل من الإعراب بالحركات والتزام صورة معينة من الإعراب بالحروف وغير ذلك من أمور يمكن بسهولة إرجاع كثير منها إلى لهجات عربية قديمة » .

وأن الظروف مهيأة لهذه اللهجة عن طريق الإذاعة فإن القوم يؤثرون كل ما تذيعه محطات القاهرة ، وما تنتجه من أفلام ، وما تقوم به الفرق التمثيلية من مسرحيات وما تكتبه الصحف والمجلات بذلك الأسلوب الدارج على الألسنة والسائد فى الحديث والخطاب ، وهم يذكروننا بدور الغناء من أفواه المشهورين ، فللغناء أثره فى عملية التشويق التى هى أساس هام فى كل تقليد لغوى ، فأى خلاف فى نطق بعض الأصوات بين المصريين وغيرهم يمكن أن يقضى عليه بعد زمن قليل عن طريق الأغنية المحبوبة التى يحاول كثيرون الترنم بها علانية أو خفية فيما بينهم وبين أنفسهم فلا يمر زمن طويل حتى نشهد نطقاً موحداً للجيم والقاف والضاد ونطقاً موحداً لوضع النبر من الكلمات ، وفى النغمة الكلامية التى تسمى عند الأوروبيين « Intonation(١) » .

وإذا كانت دراسات يوهان فك قد أوصلته إلى أن التعبيرات المحلية المصرية ظهرت جلية فى لغة العصرين الصليبي والمملوكى . فهذه إحدى نتائج الصراع الذى نحن بصدد دراسته وهى فى الآن نفسه تلقى ضوءاً على الصراع اللغوى الذى تعيشه العربية اليوم والذى ينبغى أن يحسن توجيهه ليؤتى أكله فى صالح لغة القرآن الكريم .

أما بخصوص انتصار اللهجة المصرية فى مجال النطق والميادين الصوتية بعد انتصارها فى مجال التعبيرات والتراكيب النحوية فهناك حقائق كثيرة تؤيد

---

(١) د. إبراهيم أنيس ، المصدر السابق ، اقرأ صفحات : ٦٦ – ٦٧ – ٦٨ .

مذهب الدكتور أنيس وتدلل عليه يلمسها كل من يخالط الأشقاء العرب داخل حدود مصر أو خارجها خاصة بين أوساط المتعلمات منهن جامعيات أو دونهن(١)

وهذا وذاك يوجب على اللغوى أن يقدم نتائج أبحاثه ويجعلها فى خدمة لغة القرآن الكريم الذى نزل بلسان عربى مبين .

---

(١) لمست ذلك بجلاء عندما كنت بليبيا — وألمسه فى حقل العمل فى مصر .

الباب الثانى

باب
الدراسات الصوتية

تمهيد

التغيرات الصوتية ونشاط حركة التبادل اللغوى

نشطت حركة التبادل اللغوى، واشتدت حركة اقتباس المفردات وتبادلها فى العصور الوسطى وتنازعت تلك الحركة عوامل متعددة أحدثت آثاراً صوتية باعدت بين تلك الكلمات فى صيغها الجديدة ، وصورها التى هى عليها فى لغاتها الأصلية .

ومن العوامل التى أدت إلى ذلك :

ـ أن الكتب التى كانت ترد إلى ديوان الإنشاء فى ذلك الحين كانت ترد بخطوط مختلفة ، فمنها ما هو بالخط الأرمنى ، ومنها ما هو بالخط الرومى ، ومنها ما هو بالخط الفرنجى ، وغير ذلك من الخطوط المخالفة للخط العربى(١).

ـ كما أن حروف الهجاء فى كل اللغات لا تمثل أصوات اللغة والكتابة التى نعرفها فى الخط العربى المتداول أو فى تدوين اللغات الأوروبية على النحو المعروف ليست إلا وسيلة تقريبية يتفاوت نصيبها من الدقة تعبيراً عن الواقع الصوتى »(٢) . ويضطر كثير من الدارسين إلى إضافة بعض الرموز عند تحليل كلمات غير عربية ، فمثلا الأب رفائيل نخلة اليسوعى اضطر إلى إضافة بعض الرموز عند تحليلاته لبعض كلمات من اليونانية فجعل « kh » تلفظ كالخاء و« gh » تنطق كالغين و« th » تلفظ مثل الثاء و« dh » تنطق كالذال(٣) وكثير من أصوات الحلق لا ينطقها الأوروبى فلا رموز لها فى كتابته ـ كما أن

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٢٩ – ١٣١ ، واقرأ ص ١٦٥ – ١٦٩ .

(٢) د. محمود فهمى حجازى : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص ٢٣ – ٢٤ ، اقرأ إلى ص ٢٧ أمثلة توضح جوانب بين الخلاف والاتفاق بين الخط العربى – والنطق .

(٣) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٥١ .

رمز « ch » فى الألمانية له صورتان صوتيتان ليس لهما مقابل فى العربية(١) .

واحتاجت اللغة الفارسية أربعة أحرف تضاف إلى أبجدية العربية لتمثل أصواتها لاختلاف النطق فيها عن العربية وهذه الحروف هى « ب » تنطق مثل « P » فى الفرنسية أو الإنجليزية ، و « ک » تنطق مثل « g » فى « garcon » أو مثل الجيم القاهرية ، و« ج » وتنطق مثل « j » ، و« ز » وتنطق مثل « Th » فى الفرنسية أو الإنجليزية وهكذا اختلفت الأصوات وترتب على ذلك اختلاف رموز الكتابة وحروف الهجاء بين اللغات المختلفة وتبع ذلك اختلاف فى نطق المكتوب وأصواته بدوره .

فاختلاف حروف الهجاء ، واختلاف أساليب الرسم وما قد يتبع ذلك من اختلاف فى الأصوات والنطق قد ينتهى بالكلمات إلى صور تبدو غريبة عن أصلها إلى حد بعيد وخاصة إذا امتد الزمن فى لغة متصلة الحلقات كالعربية.

ونود أن نشير إلى حقيقة لها أهميتها وهى أن الأعلام التى تراعى الدقة فى نطقها إلى حد بعيد وبخاصة أعلام الأشخاص قد أصابتها مثل هذه التغيرات الشديدة وأحدثت تلك المباعدة وهى أعلام على حكام لهم دورهم ومكانتهم. فما بالك بما أصاب الصيغ الأخرى فى الحالات المتنوعة .

وقد لعبت تحريفات النساخ دورها . ومن الأمثلة على ذلك .. العلم «بالك»(٢) قد ضُبط بعدة صور ، ضبط فى زامباور هكذا « Balyg »(٣) ، ولكنه عند « Amadroz » ضبط « Bulak »(٤) .

---

(١) د. محمود فهمى حجازى : علم اللغة بين المناهج والتراث ، ص ٤٣ . ويقول د. رمضان عبد التواب إن لأحداهما مقابل فى العربية هو نطقها خاء بعد الفتحة والضمة مثل : auch / nach / noch / Buch

أما النطق الثانى بعد الكسرة فهو الغريب عن العربية مثل : Sehlecht / micht

(٢) جاء فى مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٩٨ (ط الشيال) النص الآتى : «فقال يعنى منه الذى منعك من الأمير تلك – ويشير إلى منازلة (تلك بن بهرام بن أرتق منبج) .

(٣) Zamdbour, op Cit p. 230

(٤) أميدروز Amedroz فى مقدمة ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، وانظر : معجم أنساب الأسر الحاكمة :زامباور – واقرأ ابن واصل ، ج ١ ، ص ٩٨ مفرج الكروب ، (طبعة الشيال) .

والعلم « التونتاش » والى حوران وأصل اسمه « Tantayos »(١) نجده فى الروضتين « التونتاش »(٢) وعند ابن القلانسى « التيونياس »(٣) وعند أسامة فى مخطوط الاعتبار بغير نقط « الوناس » وقد نقطها فيليب حتى فى النسخة التى نشرها ونص على أن النقط من عنده(٤) مستبدياً فيه بوليم الصورى .

وهكذا كانت لأخطاء الإملاء وتحريف الرسم الكتابى آثار خطيرة فى هذا المجال فصارت الرموز الصوتية صورة تقريبية باعدت بين الأصل والواقع الصوتى ، فالعلم «Gny» عرب « كى » وأصله هو « Guy Lusignan King of Jerusalim » وجاء بأساليب رسم متعددة باختلاف النسخ وتعدد التحريفات . جاء فى نسخة « كى » وفى ثانية « لى » وفى أخرى « سلى »(٥).

والعلم « Hugh » الذى عرب « أوك » وهو « Hugh Embriaco Lor of Jebail » جاء فى نسخة « أوك » وفى ثانية « أودك » وفى ثالثة « أولى »(٦) . والسبب هو الخط العربى وجهل الكاتب ، فكثير من الصيغ الأجنبية المكتوبة بالعربية ينتابها التصحيف والتحريف ويترتب على ذلك اختلافات فى النطق .

فلمفارقات التعريب والصور الخطية ، وتحريف الرسم الإملائى أثره فى المباعدة بين الكلمات فى صيغها الجديدة وصورها التى هى عليها فى لغاتها الأصلية .

---

(١) حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، ص ٤٣ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٨٩ — ٢٩٠ .

(٤) الاعتبار : لأسامة بن منقذ ، نشر فيليب حتى ص ٨٧ حاشية رقم ١٧٨ ؛ وانظر مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، (ط الشيال) .

(٥) مفرج الكروب ، ج ٢ ، ط الشيال ، وانظر هامشه .

(٦) المصدر السابق ، ومثله : « الياغيسيانى » هو فى نسخة « باغيشانى » وعن الفارقى « البغصيانى » وفى ابن القلانسى « الياغيسيانى » وفى الروضتين « الياغيسالى » .

ومثله : ختر خان فى ابن القلانسى « ختر خان » و« خير خان » و« قرخان » وفى ابن الأثير « قرجان » . أنظر المفرج . ط الشيال ، ج ١ ، ص ٤١ — ١٠٤ . وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى ، ص ٢١٧ ، والروضتين ج ١ ، ص ٤٤ .

— ومن العوامل التى تؤدى إلى إحداث صور بعيدة عن الأصل وغريبة عما أخذت عنه : الأخطاء السمعية التى تنشأ عن ضعف بعض الأصوات والتى تؤدى إلى سقوط هذه الأصوات عند انتقال اللغة(١) .

والخطأ فى السماع يؤدى أحياناً إلى تشويه الصيغ ، وإحداث صور بعيدة كل البعد عن الأصل ، وغريبة عما تجيزه قاعدة الإبدال اللغوى فى حدود التقارب بين الصوتين المتبادلين ، وقد يكون مبعث التشويه النطقى الناشىء عن الخطأ فى السماع : (أ) الأمية . (ب) وقد يكون الميل إلى التقريب على نحو ما ألف فى استخدام الكتلة الصوتية ورنين الكلمات . (ج) وقد يكون الميل إلى الانسجام(٢) .

ومن الأمثلة التى سيقت توضيحاً لهذا الرأى أن :

— صوت الباء المجهورة « B » يتحول إلى واو أو إلى فاء .
— صوت الباء المهموسة « P » يتحول إلى ميم أو إلى ضاد .
— صوت الثاء يتحول إلى سين أو إلى طاء أو إلى كاف .
— صوت الجيم يتحول إلى همزة أو إلى خاء أو إلى شين .
— صوت الدال يتحول إلى تاء أو إلى زاى .
— وهناك تبادل يتم بين الراء واللام ، فاللام قد تتحول إلى راء ، والراء قد تتحول إلى لام .
— وصوت « V » يتحول إلى باء أو إلى فاء أو إلى واو .
— وهناك تبادل يتم بين اللام والنون ، فصوت اللام قد يتحول إلى نون وصوت النون قد يتحول إلى لام(٣) .

ومن الملاحظات الخاصة بالألفاظ اليونانية عند تعريبها أن الصوت يتحول فى العربية إلى أصوات متعددة(٤) مثال ذلك حرف « Chi » اليونانى الذى

---

(١) د. على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع ، ص ٥٩ . اقرأ قانون روسلو ومييه .
(٢) صاحب هذا الرأى : د. عبد الصبور شاهين : دراسات لغوية اقرأ من ص ٢٩٥—٣٠٢
(٣) اقرأ النماذج التى توضح هذه الأمثلة فى كتاب دراسات لغوية : د. عبد الصبور شاهين صفحات ٢٩٥ — ٣٠٢ .
(٤) الأب رفائيل نخله اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

يلفظه المعاصرون كالخاء أو بما يشبه الشين على حسب موقعه ؛ قد يتحول فى العربية إلى شين أو خاء أو هاء أو كاف أو قاف ... إلخ(١) .

أما حرف « K » « Kappa » الملفوظ كالكاف فكثيراً ما يصير قافاً كما فى فندق وقرميد .. إلخ .

ومن الملاحظات الخاصة بالكلمات الفارسية عند تعريبها أن الصوت قد يتحول عند تعريبه منها إلى أصوات متعددة فى العربية ومن الأمثلة على ذلك :

ـ الكاف الفارسية تتحول إلى الكاف أو الجيم العربيتين (٢) .

ـ الكلمات الفارسية المنتهية بهاء ونطقها يشبه « é » الفرنسية تتحول إلى تاء أو جيم أو قاف وتاء معاً(٣) .

ـ كما اطرد فى الفارسية تحويل صوت الجيم الفارسى إلى أصوات الجيم أو القاف أو الكاف العربية ، فقالوا فى « Gurbuz » الجُرْبُزُ ، والقربز والكربق(٤) .

ومن الأمثلة التى طالعتنا فى موضوع بحثنا والتى حدثت مفارقات صوتية فى نطقها وجعلتها لا تأتى على وجه واحد ، وانتهى الأمر ببعضها إلى صور متعددة تبدو غريبة عن أصلها فى لغاتها إلى حد بعيد :

ـ العلم « Amourri » ملك بيت المقدس عرب بالصور الثلاث الآتية : عمورى ـ أمورى ـ مرى(٥) .

ـ والعلم « Arnauld» صاحب شقيف أرنون ، وجدناه فى بعض المراجع « إرناط » وفى بعضها « أرنول »(٦) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٠ - ٢٥١ واقرأ فى نفس الصفحات النماذج التى توضح هذه الأمثلة

(٢) الأب رفائيل نخله اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢١٥ .

واقرأ نماذج الأمثلة فى نفس الصفحات .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ارجع لسيبويه ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٧ ، ط هارون .

(٥) د. حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ص ١٦٤ . واقرأ « ثبت باختلاف رسم الأعلام فى المراجع العربية والإفرنجية » ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٤٦ ، اقرأ الثبت السابق .

– وحدث الشيء نفسه فى المراجع الإفرنجية ؛ فكلمة « مرعش » العربية هى عندهم « Morés » و« Germanicee »(١) .

– وكلمة « أرض الروم » نجدها عندهم « Arzen » و« Erzeramus » و« Theodosiopolis »(٢) .

– ومثال ثالث « المصيصة » (بلدة) لها عندهم الصورة الآتية « Missis » و« Mamistrs » و« Mapuesta »(٣) .

كما أن للعادات والصفات الصوتية دور كبير فى هذا أيضاً ، وذلك لأن العادات الصوتية فى اللغة العربية تختلف عنها فى غيرها من اللغات خاصة اللغات « الهندوأوروبية » الداخلة معها فى الصراع زمن الحروب الصليبية (من المعسكرين الإسلامى والصليبي معاً) توضيح ذلك أن صوت « P » فى تلك اللغات مهموس بينما الباء فى العربية دائماً صوت مجهور ، ويقابله فى تلك اللغات صوت « b » كما أن صوت « V » يشير إلى مجهور الفاء ، والفاء فى العربية صوت مهموس . كما أن الفرق بين « P » والفاء هو أن الأول انفجارى ، والثانى رخو وتجمعهما الشفوية . وتختلف صفات الأصوات تبعاً للعادات الصوتية فى كل لغة .

كما أن صوت « th » رمز مركب فى الكتابة اللاتينية يشير إلى صوتين عربيين هما الذال والثاء والفرق بين الذال والثاء أن الأولى مجهورة والثانية نظيرها المهموس ، وقد يتطور فى النطق على نحو ما ننطقه فى مصر اليوم فيشير إلى الزاى والسين .

كما أن رمز « J » شبيه بالجيم الفصيحة بينما يوجد فى حروف اللاتينية « G » و« K » ... إلخ ، وتطور الجيم العربية فى اللهجة المصرية مخالف

---

(١) د. حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، ص ١٦٤ . اقرأ الثبت السابق .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٤ – ١٦٥ . اقرأ الثبت السابق .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٤ – ١٦٥ . اقرأ الثبت السابق .

لتطوره فى اللهجة الشامية(١) . وبين أيدينا ثلاثة أشكال لما يسمى بالجيم : —

١ — الجيم الموصوفة بالفصحى هى المعروفة بالمعطشة .

٢ — الجيم القاهرية وهى مجهورة الكاف .

٣ — الجيم الشامية وهى مجهورة الشين(٢) .

كما أن صوت الراء فى العربية مكرر بينما هو فى بعض لغات اللاتينية يضعف فيه التكرار إلى حد لا يكاد يسمع(٣) .

واللام فى كلامنا يغلب أن تكون مرققة لاغلظ فيها على حين أن اللام « L » فى الإنجليزية مثلا مغلظة (٤) تنطق كالمطبقة إذا كانت متطرفة أو وليها صوت ساكن مثل « Well » و« Fild » ولكنها مرققة فى غير ذلك ، ويصعب على الطفل المصرى تغليظ اللام بأن يصعد اللسان معها نحو الحنك الأعلى كما فى الأصوات المطبقة .

هذا بالإضافة لما يوجد فى بنية الكلمة ونسجها من مخالفات لها دورها فى المباعدة بين الكلمة فى صيغها المعربة وما كانت عليه فى لغتها الأصلية توضيح ذلك :

أن الكلمة فى اللغة العربية لا تبدأ بصوتين ساكنين ، ولا يتوسطها أكثر من صوتين ساكنين ، كما لا تنتهى بأكثر من صوتين ساكنين متواليين أيضاً (٥) .

كما أنه ليس فى الغالب المستعمل فى مقاطع الكلمات العربية صوت لين طويل + صوتان ساكنان على حين يشيع هذا النسج فى اللغات اللاتينية الداخلة فى الصراع ، وإليك الإنجليزية مثلا على ذلك(٦) .

كما أن من ضروريات لغة الكلام فى العربية التجانس بين الأصوات

---

(١) أنظر : د. تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة .

(٢) د. عبد الصبور شاهين ، فى التطور اللغوى . إقرأ ص ٢١٣ .

(٣) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، أنظر ص ١٩٤ .

(٤) السابق ص ١٩٣ .

(٥) السابق ص ١٩٥ .

(٦) السابق ، ص ١٩٦ .

المجهورة والمهموسة حين تتوالى سواءاً فى الكلمة أو الكلمتين المتتابعتين ، وهذا ليس ضرورياً فى اللغات اللاتينية خذ الإنجليزية مثلا على ذلك(١) .

فلكل لغة نظام مقطعى تلتزمه فى بناء كلماتها ، فاللغة العربية فى الكلام المتصل غالباً تبنى كلماتها من ثلاثة مقاطع :

(أ) المقطع القصير وهو مكون من = صامت + حركة قصيرة .

(ب) المقطع الطويل المفتوح وهو مكون من = صامت + حركة طويلة .

(جـ) المقطع الطويل المقفل وهو مكون من = صامت + حركة قصيرة + صامت مثل « كم »(٢) .

وتُخضع اللغات الكلمات الدخلية فيها لنظامها المقطعى ، وحيث إن « المقطع العربى لا يبدأ إلا بصامت ولا يثنى إلا بحركة » على حين بعض المقاطع فى اللغات الأجنبية تبدأ بصامتين ، وهى بداية لا تتفق مع نظام المقطع العربى ، من هنا تخضع الكلمات الأجنبية لنظام المقطع العربى ، وفى النطق المصرى المعاصر نرى تصرفاً شبيهاً بتصرف السلف من الفصحاء ، وهو إضافة مقطع مكون من الهمزة وحركتها (أ) ليتوصل إلى النطق بصامتين(٣) .

وممنوع فى النطق العربى أن تتجاوز ثلاثة صوامت سواء فى وسط الكلمة أو فى أولها ، ولا يجيز النطق العربى أن يتجاوز فى وسط الكلمة أكثر من صامتين لا يفصل بينهما حركة ، ولذلك فهو يقحم حركة وسط الصوامت الثلاثة(٤) .

وهكذا تخضع الكلمات المقتبسة فى الغالب للأساليب الصوتية فى اللغة ولمقومات هذه اللغة فينالها كثير من التحريف فى أصواتها وطريقة نطقها وتبعد

---

(١) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، أنظر ص ١٩٥ – ١٩٦ .

(٢) د. عبد الصبور شاهين : دراسات لغوية ، أنظر ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(٣) السابق ، ص ٣٠٤ .

(٤) السابق ، ص ٣٠٥ .

عن صورتها الأصلية وتصبغ معظم هذه الكلمات بصبغة اللسان العربي(١) .

وهذا هو التعليل الذى جعل العرب على حد تعبير أحد علماء العربية : « يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التى ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضاً ؛ والإبدال لازم لئلا يدخلوا فى كلامهم ما ليس من حروفهم ، وربما غيروا البناء من الكلام الفارسى إلى أبنية العرب ، وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف أو زيادة حرف أو نقصان حرف أو بإبدال حركة بحركة أو إسكان متحرك أو تحريك ساكن وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه .. »(٢) .

وهو الذى حدا بالجوهرى إلى أن يقول : « العرب تخلط فيما ليس من كلامها ، أقول أعنى بذلك أنها تخلط الكلمات الأعجمية فى نطق حروفها وتحرفها فى أبنيتها بما يوافق ألسنتها وأبنية كلامها ، ولا تأتى به على وجهه عند أهله حفظاً لألسنتها من لكنة العجم(٣) » .

فالكلمات المقبسة تخضع فى الغالب لمقومات اللغة التى اقتبستها ولأساليبها الصوتية وبذلك ينالها الكثير من التحريف فى طريقة نطقها ، وفى أصواتها .

والكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة إلى عدة لغات فتتشكل فى كل لغة بالشكل الذى يتفق ومناهج نطقها وأساليب أصواتها مما يجعلها تبدو غريبة فى كل لغة عن نظائرها فى بقية اللغات الأخرى التى اقتبستها(٤) وإليك الأمثلة من موضوع بحثنا(٥) : كلمات عربية خضعت لأساليب النطق الغربية (نطق الفرنجة) .

---

(١) د. على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع ، ص ٣٠ .

(٢) أبو منصور الجواليقى : المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، باب معرفة مذاهب العرب فى استعمال الأعجمى ، ص ٦ .

(٣) أحمد محمد شاكر : فى تحقيقه وشرحه المعرب للجواليقى ص ٦ حاشية رقم (ج) .

(٤) د. على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع ، ص ٣٠ .

(٥) اقرأ : حسن حبشى : نور الدين والصليبيون . ثبت باختلاف رسم الأعلام فى المراجع العربية والإفرنجية .

ـ كلمة « البيرة »=(مكان) أخذت فى المراجع الإفرنجية أشكالا مختلفة جعلتها تبدو غريبة فى كل لغة عن نظائرها فى بقية اللغات الأخرى . فهى فى مرجع « Bile » وهى فى مرجع آخر « Bire » وهى نفسها فى مرجع ثالث « Biredjik » وفى مرجع رابع « Biréjik » .

ـ وكلمة « تروجة » (مكان) هى فى مرجع « Torage » وهى نفسها فى آخر « Tourtouge » .

ـ وكلمة « زردانة » نجدها فى مرجع « Sordone » ، وفى مرجع « Sordenas » وفى مرجع « Serdagne » ومن عجب أن هذا الإسم عاد بعد رحلته إلى المراجع العربية بسمات وخصائص صوتية جديدة ، فقد نسب إليه حاكمه الصليبى « William jourdian Count Cerdagne(١) » . الذى عرف فى المراجع العربية باسم السردانى . وقد تحدث عنه أسامة فى الاعتبار « السردانى صاحب طرابلس »(٢) .

ـ كما أن كلمة « Ture » هى فى المراجع العربية « الترك »(٣) ، وكلمة « Menehut » هى « دمنهور » و« Baudas » هى « بغداد »(٤) .. إلخ .

---

(١) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٥٠ ، هامش ٦٢ للمحقق .

(٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٥٠ .

(٣) المزيد من الأمثلة : اقرأ ثبت باختلاف رسم الأعلام ، د. حسن حبشى ، نور الدين والصليبيون ، ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(٤) اختلاف رسم الأعلام ... السابق .

الفصل الأول

التغيرات الصوتية

التي أصابت الدخيل من لغات المعسكر الإسلامي

دخلت اللغة العربية مفردات لغوية كثيرة من المعسكر الإسلامي على مختلف لغاته تجرى على بعض منها تحليلات صوتية بهدف دراستها من ناحية ولمعرفة القوانين العامة التي انتهجتها اللغة العربية في تعريب الكلمات في تلك الفترة من فترات صراعها اللغوي في ظل ملابسات الصراع السياسي والحربي والحضاري الذي عاشته العربية ردحاً طويلا من الزمن تصارع أعداءها، وتناطح لغات حماتها المدافعين عنها المعلين لكتابها الكريم فهي على استحياء منهم وفي وعي تأخذ وتعطي .

وفي شيء من التؤدة والتأمل — يلحظ الدارس أن المفردات المعربة من داخل المعسكر الإسلامي اختلف منهجها في التعريب كثيراً عن المنهج الذي اتبع مع المفردات المعربة من داخل المعسكر الصليبي .

فنجد التغيرات الصوتية في الأولى تسير في حدود ضيقة ، ونجد المسافة بين الصورة الصوتية في أصلها والصورة التي انتهت إليها في العربية تكاد تكون متقاربة ، وأنه يمكن حصر نقاط التطور وتحديد أوضاع المخالفة ، كما يمكن تحديد القواعد ووصف القوانين الصوتية التي انتهجتها ، على العكس من الكلمات المعربة من داخل المعسكر الصليبي (معسكر العدو) حيث نجد مسافة الخلف واسعة والهوة بعيدة بين الصورة الصوتية لكلمة المعربة وصورتها في الأصل الذي أخذت عنه .

وستتولى الصفحات القادمة بالدراسة التحليلية مع التعليل والتدليل توضيح ذلك .

والتغيرات الصوتية التى أصابت الدخيل من لغات المعسكر الإسلامى يمكن أن تندرج تحت نوعين أساسيين من التغيرات فى هذا المجال :

(١) تغيرات صوتية بالإبدال .

(٢) تغيرات صوتية بالقلب المكانى .

وسوف نعطى تفصيلات تحت كل قسم زيادة فى التوضيح ودقة تفرضها روح المنهج علماً بأن الفروق لن تكون كبيرة فى التغيرات الموجودة تحت كل قسم من القسمين الأساسيين .

١ ــ تغيرات صوتية بالإبدال

(أ) نماذج لتغيرات صوتية فى حدود القواعد والقوانين الصوتية العامة :

حيث استبدل صوت بصوت تجمعهما صفات صوتية عامة مثل اتحادهما فى المخرج أو فى ممر الهواء عند موضع النطق مثلا ، أو نحو ذلك ، كأن يتم التبادل بين القاف والجيم ، والكاف والهمزة مثلا ، مثال ذلك كلمة «باركوج»

« باركوج » هو مجاهد الدين على قيماز باركوج(١). عرب « برقوق » ودفعته اللهجة المصرية المعاصرة دفعة أخرى فى مجال التطور الصوتى فجعلته « برءوء » ــ ومثله « قفجاق » وهو أمير تركمانى ابن ألب أرسلان شاه .. أو ابن ألب أرسلان تاس وتطور أصواتياً إلى « قبجاق »(١) . ودفعته المصرية المعاصرة دفعة أخرى فى مجال التطور الصوتى فجعلته « أبـآب » .

والتغير الصوتى فى العلم الأول جعل الكاف قافاً ، وجعل الجيم قافاً .. والعلاقة الصوتية بين الثلاثة واضحة (الكاف ــ والقاف ــ والجيم) .

فالكاف : صامت مهموس حنكى قصى انفجارى(٢) .

---

(١) الاسم ورد عند وليم موير ، ص ٦٧ تاريخ دولة المماليك . وورد فى الاعتبار لأسامة ، طبعة فيلب حتى ، ص ١٥٧ . وعلق عليه د. فيليب حتى فى الهامش بقوله « ويقال له قبجاق » . أنظر هامش ٦٩ ، ص ١٥٧ .

الاعتبار لأسامة .

(٢) محمود السعران : علم اللغة مقدمة ١٦٩ : و د. تمام حسان : مناهج البحث ص٦٥ ــ ٦٦ . و د. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ١١٢ .

والقاف : صامت مهموس لهوى انفجارى(١) .
والجيم : القاهرية بنوع خاص صامت مجهور حنكى قصى انفجارى(٢)

وهذه تغيرات صوتية طبيعية تمت اوجود صفات مشتركة بين الأصوات التى تم بينها التبادل الذى أحدث التماثل الصوتى من ناحية ، ثم تبعه تغير صوتى فى الحركات « Wowels » من ناحية أخرى فصارت على وزن (فعلول) مثل بهلول ، شملول ، برقوق . والسر فى التطور الصوتى هنا راجع للنظام المقطعى داخل الكلمة .. هنا مقطع من النوع الرابع والعادات الصوتية فى العربية لا تجيزه هنا (٣) فليس هو (فى الوقف ولا مثل ضالين) وإنما تحوله فى هذه الحالة إلى النوع الثالث فبدل باركوج تصير بركوج — برقوق . فالفتحة الطويلة صارت قصيرة وتواءمت الصيغة مع صيغ العربية على وزن فعلول علماً بأن صيغة فعلول بفتح الفاء من الصيغ العربية المتطورة ، فالذى فى العربية صيغة فُعلول بالضم فلا يقال عَصفور بل عُصفور .

والتغير الصوتى فى العلم الثانى جعل الفاء — باء (قفجان — قبجاق) .
فالفاء : صامت مهموس شفوى — سنى احتكاكى(٤) .
والباء : صامت مجهور شفوى انفجارى (٥) .

هذا وغيره نموذج للتغيرات الصوتية التى تظل فيها الصورة المعربة قريبة من الأصل ، وذلك لأن حركة التبدلات والتغيرات بين الأصوات ظلت فى نطاق القواعد الصوتية ، فالأصوات التى يتم بينها التبادل تجمعها صفات صوتية عامة .

---

(١) د. محمود السعران : علم اللغة ، مقدمة ص ١٧٠ ، د. تمام حسان : مناهج البحث ، ص ٩٦ ، ود. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ٢١٤ .

(٢) السابق ، ص ١٦٩ . ود. تمام حسان : مناهج البحث ، ص ٩٦ . ود. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ٢١٢ — ٢١٣ .

(٣) اقرأ النظام المقطعى للعربية فى مقدمة شراب الراح . د. البدراوى زهران .

(٤) السابق ، ص ١٩٠ . ود. تمام حسان : مناهج البحث ص ٩٧ — ٩٨ . ود. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ٢٠١ .

(٥) السابق ، ص ١٦٧ ، ودكتور تمام حسان : مناهج البحث ص ٩١ — ١٠٧ ، ودكتور عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ١٩٩ .

ولتكتمل الصورة فى ضوء البحث العلمى ننبه إلى أن التغيرات والتبدلات التى تحدث بين الأصوات هى بين صوت وصوت تجمعهما صفات صوتية عامة ، وليس من الضرورى أن يكون الصوت المستبدل فى كل مرة واحداً . مثال ذلك كلمة « قتلغ » عربت « خطلخ »(١) .

« قتلغ » : وهو قائد تترى الأصل وعربوها « خطلخ » فالقاف قلبت خاء والغين قلبت خاء هى الأخرى أيضاً . وذلك للعلاقة الصوتية العامة التى تجمع بين ثلاثتهم (ق — غ — خ) .

فالقاف : صامت مهموس لهوى انفجارى(٢) .

والخاء : صامت مهموس حنكى قصى احتكاكى(٣) .

والغين : صامت مجهور حنكى قصى احتكاكى(٤) .

ونجدهم فى بعض الحالات أبدلوا السين من الشين ، وقد نجدهم يعكسون فيبدلون الشين من السين فهم مثلا قالوا : للصحراء دست وهى بالفارسية دشت — وقالوا (طشت) وهو بالفارسية (تست) . ووجدناهم يطلقون اسم (الفنش) على « الفونسو » صاحب صقلية(٥) .

وهذا فى مجموعه خاضع لقانون التبادل العام بين الأصوات .

---

(١) جاء فى الأعتبار لأسامة ، ص ٦٣ : وحضر الطوط واسباسلار خطلخ ، وجاء فى هامش ١٠٧ كلمة خطلخ تترية الأصل وأصلها قتلغ . وأسباسلار : لقب بمعنى قائد الجيش ،

(٢) د. محمود السعران : علم اللغة ، مقدمة ص ١٧٠ . ود. تمام حسان : مناهج البحث ، ص ٩١ — ١٠٧ . ود. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ١٩٨ .

(٣) السابق ، ص ١٩٤ ، ود. تمام حسان : مناهج البحث ، ص ١٠٧ ، وعبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ١٩٨ .

(٤) السابق ، ص ٦٤ . ودكتور تمام حسان : مناهج البحث ، ص ١٠٨ ، ود. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ١٩٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٠ « ولد الفنس صاحب » .. وكان جده الفنس هو الذى أخذ طرابلس الشام من المسلمين .

فالتبادل فى الصيغ الأخيرة تم بين صوامت تجمعها صفات عامة ، فهى صوامت احتكاكية أى يضيق فيها مجرى الهواء فيحدث احتكاكاً مسموعاً .

فالسين : صامت مهموس لثوى احتكاكى(١) .

والشين : صامت مهموس لثوى حنكى احتكاكى(٢) .

غير أن التبادل يخضع لقاعدة يتطلبها الانسجام الصوتى وتواؤم الصيغ فالتغيرات الصوتية التى أصابت الصيغة الأخيرة بالإضافة لإحلال صوت الشين محل السين معظمها يتصل بالحركات التى تقوم بوظيفة الانسجام الصوتى وتشكيل الصيغة ، وبذلك أخذت الصيغة وزن صيغة (فُعْل) — « فُنْش » بدل « الفونسو » ، واستفادوا من بنية الكلمة الأصلية وجعلوا الكلمة المعربة وكأنها سبقت بأداة التعريف « ال » وصارت لها بقية خصائص مثيلاتها من الصيغ ونطقت « الفنش »(٣) .

(ب) نماذج لتغيرات صوتية تمت فى أضيق نطاق

« تبادل الكلمات فى صورة قريبة من أصلها » :

وأمثلة هذا النموذج موجودة بغزارة ووفرة من لغات المعسكر الإسلامى على حين يندر وجودها من لغات المعسكر الصليبى ، ويقابل ذلك وجود المفردات المترجمة من لغات المعسكر الصليبى على حين يندر من لغات المعسكر الإسلامى ، ولذلك تعليله العلمى الذى جاءمشفوعاً بالدليل فى موضعه.

ومن الأمثلة عليه كلمة « بَكَرَة » ويرى صاحب الغرائب أن العربية أخذتها من التركية وهى فى التركية « Makara » وهى آلة صغيرة لرفع الأثقال(٣) ، ويبدو أن لهذه الكلمة رحلة — فقد استعملتها العربية القديمة ووصفها ابن زياد الإعرابى فى كتابه البئر (٤) .

---

(١) د. محمود السعران : علم اللغة مقدمة ، ص ١٩١ . ود. تمام حسان : مناهج البحث ، ص ٩٦ ، ود. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ٢١٢ .

(٢) د. محمود السعران : علم اللغة مقدمة ص ١٩٣ ، ود. تمام حسان : مناهج البحث ، ص ٦٥ ، ود. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ٢١٢ .

(٣) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٣ .

(٤) البئر : لابن زياد الاعرابى ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، نشر الهيئة المصرية العامة — ١٩٧٠ .

استبدل صوت الباء بصوت الميم ومثله حدث فى العربية نفسها (بكة=مكة).
فالباء : صامت مجهور شفوى انفجارى(١) .
والميم : صامت مجهور شفوى أغن(٢) .

ولعب قانون المماثلة «Assimilation» دوره فأدت الحركات وظيفتها من حيث الانسجام وتشكيل الصيغة وتحولت الألف المقصورة التى هى فى نهاية الكلمة إلى تاء مربوطة توحى بصيغة التأنيث وأدت وظيفتها وصارت البكرة هى واحدة البكر مثل صيغة البقرة والبقر ، والشجرة والشجر ، وحُملت على نظائرها وعوملت كما تعامل العربية الكلمات المنتهية بتاء مربوطة . وقد جاء على شاكلتها فى (السلوك) : صرة — صرر . قال المقريزى : «وكان قد صر عدة صرر من ذهب»(٣) .

ومثال آخر تظهر فيه عملية الاقتباس بصورة أوضح — كلمة (بوغاز) وهى من التركية وأصلها « Boghaz » ومعناها حلق أو مضيق وتطلق على المضيق فى البحر بين ساحلين(٤) .

وأدت الحركات وظيفتها فى التجانس والانسجام الصوتى ومع ذلك ظلت صلة التقارب قوية بين الصورة الصوتية للصيغة المعربة وبين الأصل .

وقد تكون الحركات من عوامل المباعدة بين الصيغة المعربة والأصل ، فالحركات دورها الهام فى كل الحالات «وليس بخاف ما تقوم به المصوتات من دور خطير فى تشكل بنية الكلمة على المستوى الصرفى» حتى يمكن القول بأن نظام الصرف العربى هو نظام صوتى بالدرجة الأولى(٥) .

وقد قامت المصوتات فى الصيغة الآتية بدور هام وذلك على النحو الآتى :
كلمة «بيرق» من التركية وأصلها « Bayrak » ومعناها الراية أو العلم(٦) .

---

(١) د. محمود السعران : علم اللغة ، ص ١٦٧ والمراجع التى سبق الإشارة إليها .
(٢) السابق ، ص ١٨٤ .
(٣) المقريزى : السلوك ، ص ٨٥٠ ، ج ١ ، قسم ٣ .
(٤) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٣٧٣ .
(٥) د. عبد الصبور شاهين : التطور اللغوى ، ص ٢٠ .
(٦) الأب رفائيل نخله اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٢ .

وفى العامية المصرية تحولت الفتحة الخالصة إلى فتحة ممالة نحو الكسرة ، وتحولت الياء الصامتة إلى ياء صائته (ياء مد) . أما الفصحى فقد وجدت فى الصيغة الأصلية تقارباً من صيغها الصرفية فطبقت عليها قوانينها ونطقتها « بيرق » وجمعتها على «بيارق» مثل مسجد ومساجد ومنزل ومنازل .. وظلت الصلة بين الأصل والمعرب قوية .

وقد تكون ظاهرة التفخيم أو الترقيق فى بعض الحالات من عوامل المباعدة بين الصيغة المعربة والأصل ، وقد يكون أثرها سطحياً .

ومن الأمثلة على ذلك كلمة « القاووق » وهى من التركية وأصلها « Kavouk » ومعناها القلنسوة الطويلة من جوخ(١) وظاهرة التفخيم هى التى جعلت الكاف الأولى والأخيرة قافاً — وتحولت الفاء « V » إلى واو ليتم الانسجام الصوتى وهو تبادل طبيعى لأن الفاء والواو شفويتان . وقد تكون العامية المصرية هى التى أعطتها دفعة من التطور الصوتى والدلالى فجعلتها كوفية. وقد تكون لها رحلة وعادت للعربية « coiffeute » وهناك من يرى أن «كوفية » مستعارة من « Cuffiae » (كوفيا) الإيطالية ، ويقول دوزى : « إن الشرقيين قد استفادوا هذه الكلمة من الإيطاليين الذين كانوا يمارسون التجارة فى الموانى المصرية والسورية فى القرون الوسطى وهم الذين كانوا ينقلون الصليبيين(٢) .

وكذلك كلمة « لالك » وهى كلمة فارسية معناها الحذاء(٣) بقيت على حالها عند التعريب اللهم إلا بعض التعديل الطفيف من حيث الحركات أعطاها الانسجام والتوائم الصوتى ، وبقيت داخل دائرة المفردات المقتبسة ، فلا

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٣ .

(٢) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ترجمة أكرم فاضل ، ص ٣١٨ .
وقد حاول الدكتور أحمد عيسى أن يرجعها إلى قوف الرقبة وهو الشعر السائل فى نقرتها (المحكم ، ص ١٩٢) . كما حاول د. عبد المنعم عبد العال (الألفاظ العامية ص ٤٧٥) أن يربطها بالفعل تكوف بمعنى استدار .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٢١ تحقيق د. جمال الشيال . ص ١٢١ .

اعتراض عليها في منهج النطق العربي من حيث الأصوات والصيغة ولذلك انخرطت بين المفردات العربية وأخذت أوضاعها الصرفية فألحقت بها أداة التعريف وعلامة الإفراد والتأنيث ، وتشبهاً بالعامية المصرية صارت (لالكة = للكة) مثل فردة وقيل « للكة » وأطلقت على فردة الحذاء . جاء في مفرج الكروب : « أخذ بعض العامة لالكة فيها مسامير كثيرة ورمى بها أميراً »(١) . وجمعوها على لوالك تشبهاً بصيغة (فاعل) التي تجمع على فواعل « عامل » وعوامل » (قالوا) لالك و(لوالك) ونسبوا إليها فقالوا (اللالكاني)(٢) أي الحذّاء أو صانع الأحذية .

وفي العامة المصرية المعاصرة أخذت الصيغة تطوراً أصواتياً جديداً فصارت « لكلوك » على وزن (فعلول) .

أما كلمة « **ديدبان** » بمعنى حارس فهي من الفارسية وفعلها ديدب بمعنى راقب(٣) . فقد نقلت إلى العربية كما هي .

ومثلها كلمة « **بشت** » وهي من الفارسية بمعنى عباءة وتنطق كما هي . قال أسامة : « فضربه الوالد بهذا السيف وهو في غمده متقلد به فقطع الجهاز والنعل الفضة وبشتاً كان على الركابي وصوفية وعظم مرفقه »(٤) . ولكنها في العامية المصرية أصابها تطور فتحولت الضمة إلى كسرة وتطلق على رداء من الصوف بدون أكمام يلبسه الفلاحون .

ومثلها « **جوبان** » من التركية بمعنى « راع »(٥) ، ومثلها « **يرق** » وهي

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، طبعة الشيال ، ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، هامش ، الشيال ، نفس الصفحة .

(٣) الإعتبار : لأسامة ، ص ١٢٣ .

القاموس الفريد في العصر الجديد ، معجم فارسي ، تأليف النجفي ، طهران إيران جابخانة مؤسسة انتشارات وجاب دانشكاه ، القاموس الفارسي ، ج ٢ ، ص ٩٦٩ .

(٤) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١١٧ .

(٥) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١٠١ — ١٠٦ .

أنظر معجم تركي فرنسي عنوانه ألسنة فرنساوية وتركية لك لغتي جلد أول .

من التركية أيضاً بمعنى سلاح ولكن أصلها « يراق »(١) وأصابها تطور صوتى طفيف فى كمية حركة المقطع الثانى .

أما «سِنْدروس Sindoruus » بمعنى معدن فقد عربت سَندروس(٢) وهى كلمة فارسية تطلق على صمغ من الشجر أو معدن شبيه بالكهرباء(٣) . ومن الواضح أن التغيير طفيف مبعثه بعض الحركات .

ومثلها كلمة «سِرْفِسار Sir/Fa/Sar » وأصلها من الفارسية «سَرْافسار» ومعناها رأس العنان الذى يمسك باليد(٤) ، فكلمة (سر : رأس) والتغيرات الصوتية التى أصابتها طفيفة أيضاً مبعثها الحركات التى أدت دورها فى الانسجام الصوتى حيث استبدل بالفتحة كسرة فى المقطع الأول ونشأ عن ذلك تغير طفيف فى المقاطع الصوتية للكلمة خاصة بعد أن حذفت الهمزة من الكلمة فى النطق العربى فصارت الكلمة تتكون من مقطع طويل مقفل «سِرْ» : (صامت + حركة قصيرة) + (مقطع قصير) = (صامت + حركة قصيرة) + مقطع طويل مقفل « رِ » + (ساكن مقطعى طويل وساكن) = « ساز » مما يمكن معه أن تظل أيضاً فى نطاق الكلمات المقتبسة .

ومثلها فى ذلك كلمة « اسباسلار » وأصلها « اسفهسلار » ومعناها مقدم الجند او العسكر ، وتتكون فى الأصل من كلمتين : اسفه ومعناها المقدم (فارسية) . وسيلار : ومعناها العسكر (تركية)(٥) وحولها النطق العربى

---

(١) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١٢٢ .

وفارسية أيضاً : أنظر فرهنك جديد ص ٩٦٠ فقد جاء معناها أى الخاتم وترجمة النص المذكور الآتى : خطوط متناه داخل اسم شخص تكون عادة على الختم (المهر) » .

(٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١٢ .

(٣) أنظر : معجم فرهنك جديد ، ص ٨٥٠ .

(٤) أسامة بن منقذ : الاعتباز ، ص ١٢ .

وأنظر المعجم الفارسى القاموس الفريد فى العصر الجديد ، وأنظر أيضاً معجم فرهنك جديد الفارسى ، ص ٨١٠ .

(٥) اقرأ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

وانظر فرهنك جديد الفارسى والمعجم الفارسى القاموس الفريد فى العصر الجديد .

وأنظر مفرج الكروب لابن واصل ، هامش ، الشيال ، ج ١ ، ص ٣ .

إلى اسباسلار فحدثت بعض التغيرات المقطعية وأدت الحركات دورها وأخذت الكلمة المقتبسة طريقها فى العربية وعرفت بأل ونسب إليها ووجدت لها صورتان فقيل الاسفهسلارى وصارت الكلمة لقباً يختص به الأمراء جاء فى الاعتبار « اسباسلار مودود رحمه الله نزل بظاهر شيزر »(١) ، و« اسباسلار مودود هو شرف الدين مودود ابن النونكين حاكم الموصل باسم السلطان السلجوقى محمد شاه أصبهان »(٢) .

ومثلها « خواجابزرك » ومعناها « الوزير » وهو اللقب الذى تلقب به « نظام الملك وزير ملك شاه » (٣) وبزرك بالفارسية معناها العظيم — وواضح أن الكلمة تعد مقتبسة ، جاء فى كتاب العصا لأسامة « خواجابزرك نظام الدين الإسلامى »(٤) يعنى الوزير نظام الدين .

وكلمة « اليزك » وهى فارسية معناها (طلائع الجيش) نقلت بنصها . جاء فى مفرج الكروب : « أخرجوا اليزك ووجهوا من يكشف الأخبار »(٥).

ورأيناهم يشتقون منها وينسبون إليها — فقد جاء على لسان ابن واصل عند حديثه عن رجوع الملك العزيز إلى مصر : « وسار إليها على تيقظ وتحفظ ويزكيه »(٦) ، (يقصد تتقدمه طلائع الجيش) .

وكذلك كلمة « أوربة » و« أوزبك » كلمة تترية أصلها أوزبك بمعنى قائد الجيش — وجاءت فى المراجع العربية « أوزبه » و« أوزبك » قال أسامة :

---

(١) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، د. فيليب ، ص ٦٨ .

المصدر السابق ، ط د. فيليب ، ص ١٧٤ . كما جاء فى العصا لأسامة أيضاً وخواجا بزرك نظام الدين الإسلامى، ص ١٢ ، ط درينبورج — ١٨٩٣ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ط الشيال .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٢ ؛ وانظر فرهنك جديد القاموس الفارسى ، فارس ص ١٥٠١ . فقد جاء يزك = قراول پاسدار — طلايه . فرهنك جديد = بمعنى مراقب ، وانظر ص ٢٩٣ نفس المرجع . قراول ديدبان حافظ المكلف بالمراقبة .

مأمور : نيكهبان ؛ وأنظر ص ١٠٦٨ . نفس المرجع .

« أمير الجيوش أوزبه صاحب الموصل »(١) وذكره أبو الفدا وابن الأثير بلقب « أمير الجيوش أوزبك »(٢) . فنهاية الكلمة فى صورتها الأصلية أوحت لمقتبسها فى العربية بنهايتين متلائمتين مع طبيعة التراكيب التى اختيرت لها فى العربية حيث شفع اللقب العربى باللقب التترى ، غير أن شكل الصيغة وصورتها الصوتية توحى وكأنها بدل من اللقب فى الحالتين .

وكذلك « كزاكند » ومعناها سترة سميكة تقوم مقام الدروع فى القتال(٣) وأخذت عن الفارسية وعربت (كزاغند) وجمعت على (كزاغنديات) . وواضح أن الذى جعل صوت « گـ » الفارسى غيناً هو عدم وجود هذا الصوت فى الفصحى وذلك لأن نطقه شبيه بنطق « G » فى كلمة « garçon » الفرنسية أو هو شبيه فى النطق بالجيم القاهرية ويمكن أن يتبادل هذا الصوت وصوت الغين الموقع .. فالغين : صامت مجهور حنكى قصى احتكاكى(٤) . أما الجيم القاهرية فهى صامت مجهور حنكى قصى انفجارى(٥) .

ومثلها « دركاه » ومعناها (بلاط أو ديوان) ، وعربت « دركاه » وكلمة «در» معناها عتبة أو باب ، و«كاه» لاحقة مكانية(٦) . وكما حدث التبادل بين هذا الصوت «كا» وصوت الغين فى الكلمة السابقة حدث بينه وبين صوت الكاف العربية فى هذه الكلمة التبادل أيضاً ، فالكاف صامت مهموس حنكى قصى انفجارى أى أن الكاف هى مهموس هذا الصوت الفارسى

---

(١) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١١٧ ؛ وأنظر الكامل لابن الأثير ، ج ١١ ، والقاموس الفريد فى العصر الجديد ، والمعجم الفارسى ، د. هنداوى وفرهنك جديد .

(٢) الاعتبار لأسامة ، ص ١١٧ . واقرأ هامش ط د. فيليب — وأنظر الكامل لابن الأثير ج ١١ ، ومعجم فرهنك جديد (السابق) والقاموس الفريد ؛ والمعجم الفارسى ، د. هنداوى .

(٣) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٤٩ ، وأنظر المعاجم الفارسية فرهنك جديد ، والقاموس الفريد .

(٤) د. محمود السعران : علم اللغة ، ص ١٩٤ والمراجع التى أشير إليها سابقاً .

(٥) السابق ، ص ١٦٩ .

(٦) دركاه خان كاه المصدر السابق ، ص ١٦٩ ؛ وانظر : فرهنك جديد ، ص ٦٢٩ فارسى بفارس تأليف فريدون كار ، نشر مكتبة ابن سينا ، طهران ، سنة ١٣٤٥ هـ .

ومثلها تماماً كلمة « تركش »(١) ومعناها (الجعبة) وعربت « تركش » .

وكل هذا يمكن أن يعد من باب المقتبسات وفيه تعليل لظاهرة الترادف فى عربية الحروب الصليبية وهو إثراء لها . كما أنه يعلل أيضاً لظاهرة المشترك اللفظى ويبررها – حيث إن لفظ « الدركاه » أيضاً يدل على « الفضاء أو الممر المؤدى إلى مدخل قصر أو بناء كبير » وقد عرفها دوزى بقوله (٢) :

Cour devant un Palais Vestibule Portique, Port.

وجاء فى مفرج الكروب « فحضرا دركاة السلطان ليخاطباه »(٣) ، وأخذت بقية الخصائص الصرفية ، فعرفت ، وجمعت على « دركاوات » .

ومثلها مما دعت الحاجة لاقتباسه كلمة«جُلاب»كل آب = ماءورد(٤)، جاء فى مفرج الكروب : « أمر له بجلاب مثلوج فشربه »(٥) . فليس للاقتباس هنا ضرورة فلهذه الكلمة نظير فى العربية فالجلاب فارسى معرب معناه : « ماء الورد »(٦) ، ونقولها « مورد » ، وقال دوزى : « إنه الماء ينقع فيه الزبيب »(٦) .

---

(١) ويلاحظ بالدليل العملى أن الكاف الفارسية مرة تصير عيناً ومرة كافاً عربية . وقد يحدث ذلك فى الكلمة الواحدة أى أن ليس هناك قانون تصير بموجبه الكاف الفارسية مرة غيناً ومرة كافاً .

Dozy: Supp. dict. Arab. (٢)

وانظر : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٢ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٢ .

(٣) أنظر فرهنك جديد ص ١١٧٩ . وجلاب أصلها كل آب وكل معناها ورد وآب معناها ما وأيضاً معناها نبيذ الورد وجاء فى القاموس الفارسى أيضاً أنها اسم عرق (جل) و(كل محمدى) فهو نبيذ من ورد يسمى كل آب (كل محمدى) = نبيذ ورد ، ص ١١٧٩ .

(٤) ابن اصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٥) الجواليقى : المعرب ، ص ١٠٦ ، وأنظر هامش مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ وأرى أنه ليس هناك ضرورة ملحة للاقتباس حيث يوجد فى العربية مايساوى جلاب وهو ماء الورد ولكن قد يكون باعثه الإيثار للألطف أو حب الاستغراب .

(٦) نص تعريف دوزى : المرجع السابق .

Dozy : Supp dict Arab «L, eau dans la quelle on a laissé Tremper les raisins sacs»

غير أن هناك كلمات اقتبست من معسكر المسلمين ، وتبدو فى ظاهرها أن الحاجة لم تكن ملحة لاقتباسها فلها ما يناظرها فى العربية ، ولم يحدث اقتباس مثيلاتها من لغات معسكر الفرنجة .

وهنا تفريق بين الدخيل من لغات المعسكرين ولكن بالتأنى والبحث يتبين أن له علله ومبرراته . ومن أمثلة ذلك كلمة « كوهية » جاء مثلا فى الاعتبار النص الآتى : « ووراءهم الشواهين الكوهية على أيدى البازيارية »(١) .. وإذا صرفنا النظر مؤقتاً عن بقية الكلمات الدخيلة ، وسلطنا الضوء على كلمة « كوهية » وهى كلمة دخيلة من الفارسية وأصلها من « كوة » الفارسية بمعنى الجبل ، نسب إليها ، وجمعت بطريقة المصدر الصناعى ووصفت الشواهين ، وهى كلمة فارسية أيضاً ، بالتأنى نجد أن لاقتباسها ما يبرره فهى تطلق على نوع من الطيور الجارحة — ومفردها « شاهين » .

نقول إن مبرر تعريب الكوهية قد يبدو ضعيفاً فكلمة الجبل موجودة فى العربية ، ويمكن أن يقال الشواهين الجبلية ، أو شواهين الجبال ... ولكن إذا أدخلنا فى اعتبارنا دور « الدلالة » وأثرها نجد أن اختيار « الكوهية » له ما يبرره ، فقد كانوا فى الفارسية ينسبون إلى « كوة » بمعنى جبل كل قوى شديد ، وتردد ذلك فى أعلام القادة آنذاك على نحو ما جاء العلم « شيركوه » . ولذلك عدلوا عن مرادفة العربى وهو الجبل واقتبسوا الفارسى « كوه » ، فكلمة « شير » معناها فى الفارسية الأسد « أى أسد الجبل »(٢) . ولما رأو أن دلالة لفظة « الأسد » قوية ، حافظوا على الأصل والمعرب فقالوا : « أسد الدين شيركوه » .

---

(١) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١٩٢ .

وجاء فى فرهنك جديد ، ص ٨٧٢ : « شاهين أحد الطيور الجارحة القوية تعيش على قمم الجبال وشبيه بالعقاب . وجاء أيضاً فى فرهنك جديد ص ١١٥١ كوه بمعنى جبل . وجاء أيضاً فى فرهنك جديد ص ٢١ « باز = صقر خاص بالصيد » .

ومن هنا نجدهم يستعملون كلمات بازيارية وبازدارية نسبة إلى الباز .

(٢) هامش مفرج الكروب ، ط د. جمال الدين الشيال .

والتفريق هنا بين الدخيل من لغات المعسكرين واضح نجده فى أكثر من موضع فهم مثلا قالوا : ريتشارد قلب الأسد ، أى ترجموا قلب الأسد ، فلم يعربوا ولم يقتبسوا فلم يسموه ريتشارد أو الانكتار « لين هيرت » « Richard Lain Heart » (١) . فعلى حين يقتبسون من معسكر المسلمين يترجمون من معسكر الفرنجة .

فقد نقلوا إلى العربية ألقاب وأعلام لغات معسكر المسلمين بأدق تفاصيل نطقها على عكس ما كان منهم فى ألقاب وأعلام لغات معسكر الفرنجة .

فهم مثلا لم يقولوا « Queen » وإنما ترجموها « ملكة » ولم يقولوا « King » وإنما قالوا « ملك » واستغنوا عن « Cont » و « Lord » بكلمة صاحب بينما نقلوا إلى العربية من لغات معسكر المسلمين الألقاب المشابهة بكل أنواعها ودقائق نطقها فقالوا : « خان » لقب سلطان الأتراك ، وأطلق على الأمير أو السيد(٢) . و« خاقان » لقب ملك عند الترك(٣) . « وطرخان » لقب ملوك تركستان القدماء وهو عند الترك رئيس أو شريف(٤) و« خاتون » وهي المرأة شريفة الأصل عالية المقام عند الترك(٥) .

و« شاه » و« شاهنشاه » (٦) وذكروا بجانبه مثيله العربى أو ألحقوا أحدهما بالآخر فقالوا : « شاه ملك » و« ملك شاه »(٧) و« ملكشاه » . كما نقلوا « بادشاه » و« باشا » ومعناها ملك فى الفارسية أو إمبراطور أيضاً .

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٣٧٣ ، وانظر فرهنك جديد

(٢) السابق ، ص ٢٧٣ ، وأنظر فرهنك جديد .

(٣) السابق ، ص ٢٧٣ ، وأنظر فرهنك جديد .

(٤) أصلها شاهان شاه بمعنى ملك الملوك .

أنظر فرهنك جديد ص ٨٦٢ أما بادشاه فهى بمعنى إمبراطور ، أنظر نفس المرجع .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ح ٢ ، ص ١٧٣ ، اقرأ أيضاً جمع الكلمتين معاً (شاه ملك ، وملكشاه) .

(٦) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص وأنظر هامش ٥ (السابق) .

(٧) السابق .

و « خداوند » بمعنى سيد(١) ، و « خوند » بمعنى سيد أيضاً . وجعل لقباً للرجال والنساء على السواء ، استمع :

« الملك الصالح أمه — خوند — قطلو ملك بنت الأمير تنكير »(٢) .

فالدخيل من معسكر المسلمين يأتى فى كثير من الحالات كما هو فى لغته حتى وإن وجد فى العربية ما يماثله ، ويحافظون على دقائق نطقه على الرغم من مخالفته لصيغ العربية ومن صعوبة نطقه على اللسان العربى مثل كلمة « الزمركل » التى يصرح المحقق بأن نطقها عسير وضبطها كذلك(٣) . ومثل « طغتكين » و « طغدكين »(٤) .

ومرد ذلك لأسباب من أهمها أن طبقات المجتمع كانت عند القمة غير عربية ، فقد كان الحكم لغير العربى فى إطار الإسلام .

والناطقون بالدخيل منهم على صلة قوية بالعربية فصورة الدخيل واضحة فى أسماعهم يسيرة على ألسنتهم مترددة فى مجتمعاتهم ، فجاء الدخيل فى الكثير الغالب فى حكم المقتبس ، وذلك على العكس من المعرب من لغات معسكر الفرنجة .

وإليك نصاً جمع بين أعلام من المعسكرين صرح فيه بأسماء القواد المسلمين مع أنها غير عربية ، ولم يصرح فيه بأسماء الفرنجة على الرغم من سهولتها وأهميتها : « فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة نازل ملك الألمان بجموعة وانضم إليه من فرنج الساحل مدينة دمشق وصاحبها مجير الدين أبق بن محرز والقيم بأمر دولته معين الدين أنر مملوك جده طغتكين »(٥) .

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، وانظر فرهنك جديد ، ص ٥٥٨ . وهى بمعنى سيد وبمعنى ولى النعمة .

(٢) السير وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ص ١٠٣ .

(٣) دكتور فيليب حتى : الاعتبار ، ص ٤٤ أنظر حاشيته .

(٤) المفرج : ج ١ ، ص ٤ ، د. الشيال ، رجع فى ضبطه لمراجع متعددة مثل ابن خلكان الوفيات ، ج ١ ، ص ٤٢٥ — ٤٢٦ ، وشفاء القلوب ، ص ٥٤ ب .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٢ .

ونلاحظ أنه ذكر أسماء ملوك المسلمين بأنسابهم وجدودهم لمبرر وغير مبرر ، بينما لم يذكر اسم ملك الألمان على الرغم من أهمية ذكره وعدم صعوبة نطقه فهو « كونراد الثالث Conrad » كما أغفل ذكر من اشترك معه في قيادة الحملة على الرغم من دوره الخطير فهو (« لويس السابع » ملك فرنسا(١) .

وتعليل ذلك بالإضافة لما سبق أن المؤرخ قريب من الحاكم المسلم وقد يكون معجباً ببطولته وإسلامه ، وقد يقدم له مصنفه .

وفوق ما سبق يجب ألا نغفلَ الأثر الاجتماعي للاحتكاك بين طبقات المجتمع ، وقد كان الفرس يعظمون حكامهم فجاءت ظاهرة دقة الألقاب والإسراف فيها لهذا السبب — استمع : « حدثني الأجل شهاب الدين أبو الفتح المظفر ابن أسعد بن مسعود بن بختكين بن سبستكين مولى معز الدولة بن بويه بالموصل » (٢) . قارن هذا بحديثهم عن رؤساء الفرنجة وألقابهم من نحو « Cont, Lord » مثلا : جاء : « نزل علينا دنكرى ، وهو أول أصحاب أنطاكية بعد ميمون »(٣) .

---

(١) د. جمال الدين الشيال ، هامش ٣ ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(٢) الاعتبار لأسامة ، ص ١٧٣ .

(٣) الاعتبار لأسامة ص ٦٥ . من الجدير بالذكر أن فى التركية وفى الفارسية كلمة ميمون بمعنى قرد وانتقلت إلى العربية بهذا المعنى أيضاً واستخدمت فى ذلك الحين لدلالة اجتماعية تحمل السخرية وما زالت حتى اليوم تطلق كلمة ميمون على القرد .

أنظر : فرهنك جديد ، ص ١٣٩٣ ميمون حيوان شبيه بالإنسان بمعنى (قرد) (فى العامية المصرية إلى اليوم) .

وننقل الحديث إلى نموذج آخر من نماذج الدخيل من لغات معسكر المسلمين .

(جـ) نموذج لكلمات بدأت بتغيرات صوتية فى أضيق الحدود ثم تطورت أصواتياً ودخلت فى دائرة المفارقات البعيدة ومن أمثلتها :

« طغراء » : من التركية والفارسية معاً ، وأصلها «Toughra»(١) وبدأت تغيراتها الصوتية فى نطاق ضيق فقد صارت الألف المقصورة ألفاً ممدودة ، والتقارب قوى بين الكلمة فى صورتيها الصوتيتين ، ثم أصابها تطور ضيق آخر عن طريق قانون التسهيل الذى تدخل بدوره فحول لفظة « طغراء » إلى « طغرة » . فتحولت الهمزة إلى تاء مربوطة تنطق مرة (تاء) وأخرى (هاء) حسب موقعها ، وساعد على هذا أن كلتيهما (الهمزة الممدودة والتاء) توحيان بأن الكلمة مؤنثة ، وأخذت الكلمة « طغرة » وزن صيغة (فعلة) . وهذا اتجاه عام فى العامية نحو القضاء على التفريعات الكثيرة فى علامات التأنيث تبعاً لنظرية السهولة والتيسير(٢) .

وتابع قانون التسهيل دوره أيضاً فخفف (الغين) وصارت (راء) وهو تحول صوتى يحدث مثله(٣) كثيراً . وبعد أن صارت « طرة » جمعت على « طرر » وصارت مثل غرة لفظاً ومعنى ووزناً وأحكاماً صرفية — قال الشاعر متغزلا فى فتيات إفرنجيات :

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٤ . وانظر فرهنك جديد ص ٩٦٠ . فقد جاء معناها أى الخاتم . وترجمة النص المذكور الآتى : « خطوط مثناه داخل اسم شخص تكون عادة على الختم (المهر) » .

(٢) أنظر مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٣٦ ، مقال د. رمضان عبد التواب .

(٣) ومعروف من قديم لدى علماء العربية أن الراء قد تصير غيناً . جاء فى المقتصد لعبد القاهر : « ومن قوته كثرت اللثغة فيه حيث كان وتنوعت فبعضهم يجعلها ياءاً وبعضهم يجعلها غيناً » .

وفى الفرنسية تنطق الراء قريبة من الغين ، واستمع مثلا إلى نطق « Paris » .

فيا عذولى فيهن دع كلـــفى . وانظر إلى الشمس هل لها طور(١)

وأصابتها تطورات دلالية مختلفة نوقشت فى باب الدلالة .

كلمة « خربندة » من الفارسية وأصلها (خر : حمار) ، و(بنده : خادم) والخربندة جمعت على خربندية : ومعناها « مكارون » أو « حمارون » القائم على العناية بالحمار(٢) . ونقلت إلى العربية فى تلك الصورة القريبة من الصورة الأصلية لفظاً ومعنى .

غير أن بعض التطورات الصوتية أصابتها ، فالهاء الفارسية المتطرفة التى تشبه « é » الفرنسية لم تكن لتبقى على حالها طويلا فى النطق العربى . فأخذت صورة التاء فى بعض الحالات ، وقلبت جيماً فى بعض الحالات «خربندج»(٣) وبذا بعدت عن أصلها شيئاً فشيئاً . وطبقت عليها العربية قوانينها الصرفية المختلفة — ونسب إليها فقيل (خربندى ، وخربندجى) وجمعت على خربندية مطبقة فى ذلك قوانين العامية المصرية والنسب فى التركية .

« الجرخ » : نوع من القوس الرامى الذى ترمى عنه النشاب أو النفط ، وهى مأخوذة عن الفارسية (٤) ، وأصلها « **Tcharkh** » جرخ . بدأت تغيرات الصوتية عند تعريبها فى أضيق الحدود ، وذلك على النحو الآتى : لأن العربية لا تبدأ بصامتين استعانت بهمزة الوصل التى تطورت هى الأخرى مع المقطع الصوتى التالى لها « Tcha » (اتشا) إلى أداة التعريف + خ

---

(١) النص فى ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، وأنظر : فرهنك جديد ، والقاموس الفريد .

(٢) جريدة القصر ، ج ١ ، ص ٨ ، يقصد غرر جمع غرة وهى الجبهة الجميلة . (الحياة الأدبية ، د. أحمد بدوى ، ص ٢٤) .

(٣) اقرأ هامش د. الشيال فى المفرج ، ج ٢ (السابق) .

فى بعض الحالات صيغة النسب الغربية على العربية قد تضلل فى الاستعمال . فالنسب فى التركية بإلحاق (جى) فى آخر الكلمة ، فلما جردت على القياس العربى من ياء النسب قيل خربندج وتعددت الصيغ هكذا فى اللسان العربى .

(٤) أقرأ النص فى ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، وانظر القاموس الفريد فى العصر الجديد . وفرهنك جديد .

وصارت (الخ) ، وأضيف المقطع الصوتى الأخير فصارت (الجرخ) وأدت الحركات دورها فى الانسجام الصوتى من ناحية النطق ، وأعطت لها شكل الصيغة التى تتلاءم مع طبيعتها لتتفاعل مع مثيلاتها فى العربية فأخذت وزن « فُعْل » وجمعت على « فعول » فقيل الجرخ والجروخ ، ونسب إليها فقيل «الجَرْخِي» . و(الجُرْخى) الذى يرمى عن قوسه السهام أو النفط أى الرامى الذى يقابله بالفرنسية « Albaletrier » وجمعت جرخى على جرخية(١) ، وطبق هنا قوانين العامية المصرية .

« اللت » : وهو لفظ فارسى معناه القدوم أو الفأس الكبيرة وجمع على « لتوت » (لت — لتوت ، فعل — فعول) . وأصاب صيغة جمعه تغيرات دلالية وأصواتية معاً زادت فيه المقاطع الصوتية للكلمة عن طريق الحركات والسواكن معاً فصارت « لتتوت » ، وأصبحت تلك الصيغة توحى بالمفرد وأطلقت فى العامية المصرية على مفرد وهى (العصا الغليظة) ، « لتتوت — فعلول » ، وجمعت كمثيلاتها على « فعاليل » ، (لتتوت — لناتيت) ، (شمروخ — شماريخ) ، لفظاً ومعنى ، بينما مفردها فى الأصل « لت » . جاء فى مفرج الكروب : « وخرج خلفهم وبيده لت حديد وهو يحمى ساقتهم »(٢) .

رَسْدَاق ومثل السابقة كلمة«رسداق»وعربت عن الفارسية«رستاق»والتغير الصوتى فى حدود القواعد العامة المتوقعة بين التاء والدال ، فالتاء هى مهموس الدال . فالتاء : صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس ، والدال : صوت أسنانى لثوى انفجارى مجهور .

---

(١) اقرأ هامش الناشر ، د. الشيال ، ابن واصل : المفرج ، ج ٢ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٠ ؛

وانظر القاموس الفريد فى العصر الجديد ٦ وأنظر أيضاً فرهنك جديد ، ص ١٢٠٤ وتجدها ذات دلالات متعددة هناك .

يقول الدكتور رمضان عبد التواب أن « لتتوت بمعنى عصا غليظة المستعملة عندنا فى الريف أغلب الظن أنها كلمة قبطية قديمة بمعنى العصا .

غير أن التطور أصاب دلالتها التي تعددت فأطلقت على أرض السواد ، وأطلقت على القرى(١) ، جاء في مفرج الكروب : « ونهبوا البلاد والرستاتيق وهكذا جمعت على « رساتيق » مثل نظيراتها (فعلال — فعاليل) ، (قرطاس — قراطيس) ، وأضافوا للمفرد تاء التأنيث فقيل « رستاقة » بالإضافة إلى رستاق .

شحنكة ومثل ماسبق لفظة «شحنكة» وهي رياسة الشرطة ، وتعددت دلالتها فتطلق على محافظ المدينة ، وتطلق على الأمير المشرف على حراسة المدينة . وعربت في صورة قريبة من الأصل فقيل « **شحنكة** » ، وقيل « **شحنكية** » وهنا تدخل قانون التسهيل فجعلها « **شحنة** » ، جاء في مفرج الكروب : « أسد الدين شيركوه وأيوب قصدا العراق وخدما الأمير مجاهد الدين بهروز الخادم وكان شحنة ببغداد من قبل السلاطين السلجوقية (٢) . وجمع هذا اللفظ على « شحن » و« شحانى »(٣) ، وهكذا بدأ التغير الصوتي في أضيق الحدود ثم حدثت المفارقة الشديدة إلى درجة أن حدث اللبس بينه وبين فعل شحن العربي الأصل فتجد في القاموس « شحن البلد بالخيل : ملأه ، وبالبلد شحنة من الخيل أي رابطة » .

وجاء أيضاً « الشحنة بالكسر ما يقام للدواب من العلف الذي يكفيها يومها وليلتها وفي البلد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان » (٤) . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه اللفظة ذات رحلة ، فهي عربية الأصل ثم استعارتها الفارسية ثم عادت إلى العربية .

---

(١) الجواليقي : المعرب ، ص ١٨٥ . أبو منصور الجواليقي موهوب بن أحمد ابن محمد ابن الخضر مولود سنة ٤٦٥ هـ وتوفي سنة ٥٤٠ هـ ، صاحب المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، أي أنه ولد بعد بداية الحروب الصليبية وعاش ٧٥ عاماً من الصراع .

أنظر : مقدمة المحقق والشارح أحمد محمد شاكر ؛

وانظر الخفاجي : شفاء الغليل ، ص ١٠٧ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ، ص ١٤٠ ؛ اقرأ هامش الناشر د. جمال الدين الشيال .

(٣) السابق ، ج ١ ، ص ٧ .

(٤) السابق ، ج ١ ، ص ٧ .

أوطاق وشبيه بما سبق كلمة «أوطاق» وأصلها «أوتاغ» عربت من التركية « أوطاق » لعبت ظاهرة التفخيم دورها وكذلك « الأطباق » ومعناها فى لغتها « الخيمة » غير أن الصورة الصوتية التى عربت عليها أوحت بأنها تدل على الجمع « أفعال » فأطلقت على مجموعة الخيام(١) . ثم كان الاستطراد الطبيعى – وهو البحث عن مفرد واختاروا المفرد « وطاق » مثل (نطاق) على وزن (فعال) ، (فعال جمعه أفعال – وطاق أوطاق) وأوحت صورته بأنه مفرد « وطاق » مثل (نطاق) بينما الدلالة تشير إلى مؤنث وهى (خيمة) فألحق بهذا المفرد علامة التأنيث فصارت (وطاقة) . جاء فى مفرج الكروب : « وصل الفرنج إلى مخيم العادل قبل استتمام ركوب العساكر ودخلوا فى وطاقته »(٢) .

ومثلها فى ذلك كلمة « شينى » وهى السفينة الحربية ، وقيل أنها من أصل مصرى (٣) وأغرى شكلها ودلالتها بإضافة علامة التأنيث فصارت « شينية » ، ثم وجد من حسبها ممالة فعدلها وقال « شانية » وهكذا صار لمفردها ثلاث صور (شينى ، شينية ، شانية) ، وجمعت على (شوان) .

قال الشاعر :

أحبب إلى بها شوان أصبحت ‏ ‏ ‏ ‏ من فتكها ولها العداة شوانى(٤)

---

(١) القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ ؛
وأنظر فرهنك جديد ص ٨٧٧٣ . جاء أن معناها : بوليس حارس المدينة . وحافظها ومكتوب أمامها أصلها من العربية ، ص ٨٧٢ .

(٢) أنظر : مفرج الكروب ، ج ١ ، ط الشيال .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، وعن الوطاقة انظر فرهنك جديد ص ١٣٦ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، د. الشيال .
وعن الشينى انظر الجواليقى .

(٥) الحياة الأدبية ، ص ١٥٩ ، ٥٣١ .

٢ - تغيرات صوتية بالقلب المكانى

(أ) نماذج لتغيرات صوتية تمت داخل بنية الكلمة :

ويعلل عالم لغوى لما يصيب بنية الكلمة من تغيرات صوتية على هذه الصورة بالأسباب التالية :

١ - جهل الناطق ببنية الكلمة .

٢ - استثقال بعض الأصوات فى موقع معين من الكلمة ، فلكل لغة طريقتها فى ترتيب أصوات كلماتها ، وفى اختيار نهاياتها .

٣ - الخطأ فى السماع .

٤ - نتيجة اختيار متعمد(١) .

ومن أمثلة هذا النموذج كلمة « **زنجير** » من الفارسية وعربت جنزير ومعناها السلسلة(٢) .

فالتأنيف الصوتى استدعى ترتيباً داخل الكلمة يتم به الانسجام بين الحروف فجاءت على هذه الصورة القريبة من ذوق الأذن واللسان العربى ، غير أن الرسم الإملائى فى العربية ونقط الحروف أعطى دفعة جديدة غير مقصودة نحو التطور الصوتى ، إذ وضعت النقطة أعلى الحرف بدل أسفله فصارت تكتب وتقرأ خنزير وتجمع على خنازير(٣) بدل (جنزير) جاء فى ابن شداد : « ووضعت على السفن الكلاب والخنازير »(٤) ، ويقصد بها أنواعاً من السلاسل وأخذت الخصائص الصرفية لمثيلاتها فى العربية وصارت تعامل معاملة صيغة منتهى الجموع مثل قنديل ، وتثنى وتجمع وتعرف وتصاف ويضاف إليها

أما « **بطشة** » ويقال لها **بسطة** و**بطسة** ، وتجمع على **بطش** و**بطس** ،

---

(١) د. عبد الصبور شاهين : دراسات لغوية ، ص ٣٠٥ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ؛

عن كلمة « زنجير » أنظر المعجم الفارسى ، ج ٢ ، ص ٧٣٣ ؛

القاموس الفريد فى العصر الجديد .

معجم اللغة الفارسية ومصطلحاتها الحديثة والقديمة ، تأليف سماحة العلامة الشيخ أحمد النجفى (جلد دوم ، ١٣٥٤ ﻫ) .

(٣) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٩٠ .

(٤) السابق ، ص ٩٠ . تم هذا بالتصحيف غير المقصود .

وبسطات وبطات(١) ، ومعناها السفينة الكبيرة(٢) . فمن الواضح أن تعدد الصور مرجعه التغيرات الصوتية داخل بنية الكلمة بالتقديم أو التأخير أو القلب المكانى .

ومثال آخر كلمة « بللور » وهى معربة عن اليونانية « Baryllos » حذف منها حرف « S » الإعراب ثم وقع فيها القلب(٣) .

ومثال غير ما سبق كلمة « يشم » ويقال له « يشب » وهو جوهر ثمين قريب من الزبرجد ومنه الأبيض والأصفر والزيتى وهو أفضلها(٤) والتبادل الصوتى بين الباء والميم أمر طبيعى ، فالميم : صوت شفوى أنفى مجهور ، والباء : صوت شفوى انفجارى مجهور .

وأخذت بقية الخصائص الصرفية من تعريف فقيل « اليشب » ، ونسب إليها فقيل « اليشبى » ... إلخ .

« بلخشن » وهو جوهر أحمر شفاف يضاهى فائق الياقوت فى اللون سمى هكذا نسبة إلى موطنه بلخشان ، وهو إقليم يقع فى أقصى شرق أفغانستان وأهل إيران يسمونه « بذخشان »(٥) .

وقد وردت الأمثلة الثلاثة الأخيرة (بللو ، يشم ، بلخشن) فى نص واحد مجتمعة حيث جاء فى مفرج الكروب : « خرج صلاح الدين رحمه الله فى النصف من شوال قاصداً الغزاة ومعه ما هو برسم الهدية إلى نور الدين : وهو الفيل والحمارة العتابية وذخائر وأمتعة من القصر مستحسنة وآلات مثمنة وقطع بللور ، ويشم وأوان لا يتصور وجود مثلها وثلاث قطع بلخشن »(٦)

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ط الشيال ، ج ٢ .

(٢) السابق .

(٣) السابق ، ط الشيال ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

ابن الأكفانى ، نخب الذخائر فى أحوال الجواهر ، تعليقات الأب انستانس مارى الكرملى هامش « ١ » ، ص ٦٣ .

(٤) السابق ، ابن الأكفانى ، نخب الذخائر ، ص ١٤ — ١٥ .

(٥) السابق ، وهامش مفرج الكروب ، د. جمال الدين الشيال ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(ب) نموذج لكلمات معربة تتعدد صورها بتعدد تغيراتها الصوتية داخل بنية الكلمة :

« النمجاة » لفظ فارسى معناه الخنجر المقوس الذى يشبه السيف القصير(١) وعرب بالصور الآتية :

١ — نمجة . ٢ — نيمجة . ٣ — نمجان . ٤ — نمشة . ٥ — نمشا .

وعندما يتعمق الدارس الصور الصوتية المعربة يجد أن التغيرات تمت بين أصوات تجمعها صفات مشتركة ، وأن التبادل الصوتى جاء طبيعياً ومتوقعاً : فالهاء المتطرفة التى تشبه فى نطقها « é » الفرنسية يلزم تغيرها فى النطق العربى وهى فى الصورة الأولى قد تغيرت إلى تاء تمكن ظهور الحركات عليها أو وصلها ، وفى حالة الوقف تنطق هاء .

والتغير الصوتى الذى حدث فى بنية الكلمة فى الحروف الصامتة هو بين أصوات تجمعها صفات صوتية عامة ، ففى الصورة الأولى جعلت الجيم الفارسية جيماً عربية ، وجاء تغير الحركات أمراً ضرورياً ليحدث التناسق الصوتى ولتأخذ الصيغة مكانها بين صيغ العربية وبهذا تم تعريبها فى شكلها الأول على الصورة الأصواتية « نمجة » على وزن « فعله » مثل بلطة وزناً ومعنى ، (ومثلها فى العامية المصرية « مطوة ») .

أما الصورة الصوتية الثانية من صور التعريب وهى « نيمجة » فهى لم تختلف عن الأولى إلا فى الحركات ، فالفتحة جعلت كسرة طويلة (ياء مد) وتم تعريبها فى الصورة الصوتية « نيمجة » مثل « نيلجة »(٢) .

أما الصورة الثالثة من صور التعريب وهى « نمشة » فما تم فيها من تغيرات صوتية جاء بين أصوات تجمعها صفات مشتركة : فالجيم الفارسية « j »

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ .
يلاحظ الباحث أن هذه الكلمة لم تعد تستعمل وأسقطت من القاموس الجديد .
(ارجع إلى القواميس الفارسية السابق ذكرها) .

(٢) النيلج : بكسر أوله ، دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر .
(القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢١٠ ، باب الجيم ، فصل النون) .

يمكن أن تصير شيناً وانتقالها إليها أمر متوقع ، ومعلوم أن الجيم الفصيحة صوت مركب يستلزم طريقتين من طرق النطق أولهما « الشدة أو الانفجار » وثانيهما « الرخاوة أو الاحتكاك »(١) ، لذلك فصوت الجيم يختلف نطقه باختلاف اللهجات .. ومن هنا فلدينا ثلاث جيمات : « الجيم الفصحى ، والجيم القاهرية ، والجيم الشامية »(٢) .

والجيم التى فى هذه الصورة قريبة الشبه بالجيم الشامية يسمع منها لهواء الرئتين احتكاكاً بالعضوين المتباعدين(٣) .

أما الصورة الرابعة من صور التعريب وهى « تمشا » فما أصابها من تطور صوتى لا يخرج عما هو متوقع الحدوث ، فالهاء الفارسية المتطرفة قريبة فى نطقها من الألف الممالة فى العربية ، واحتمال أن تتحول فى تطورها إلى ألف مقصورة أمر جائز خاصة أن هذا يساعد على تمام الانسجام الصوتى الذى به تعطى صيغة على وزن « فعلى » وهى كثيرة التردد فى العربية مثل ليلى سلمى ساوى .

أما الصورة الصوتية الخامسة من صور التعريب وهى « تمجان » فتطورها متوقع أيضاً حيث جاءت على وزن « فعلان » وأخذت شكل الصيغ التى تنتهى بألف ونون زائدتين وهى موجودة بكثرة فى اللغة العربية .

غير أن تعدد الصور المعربة قد يكون مبعثه فى بعض الحالات تعدد الصور فى اللغة أو اللغات التى عربت منها .

ومن الأمثلة على ذلك كلمة « **أكدش** » مأخوذة عن التركية وعن الفارسية معاً ، وهى لفظ يطلق على الحصان الخليط ، أو غير الأصيل ، أو الصغير

---

(١) د. تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ، ص ١٠٣ .

(٢) أنظر د. عبد الصبور شاهين ، فى التطور اللغوى ، ص ٢١٣ .

(٣) اقرأ وصف الأصوات الثلاثة فى مناهج البحث ، ص ١٠٤ .

الجيم الفصيحة صوت مزدوج فيه انفجار واحتكاك — والجيم الشامية صوت مفرد فيه احتكاك فقط .

غير الجيد(١) وقد تطلق على الحصان الجيد (٢) . وبذلك فهى تسهم فى إثراء ظاهرة التضاد فى اللغة ، ولها فى التركية صور صوتية متعددة منها : أكدج ، وإغدج ، وأغدش ، وأكدش(٣) ، وهى فى الفارسية : أكدش(٤) .

وتأثرت فى تعريبها بالصور المتعددة فى لغاتها الأصلية ، ففى العربية وجدنا لها أكثر من صورة صوتية طالعتنا : إكدش ، وكديش ، وكدش . وجمعت : كدش ، وكدشان ، وأكاديش .

وفى الصورة المعربة الأولى بدىء بهمزة لمحاولة تلافى بدء النطق بساكن . وتجوهلت الصور الصوتية غريبة النطق على الذوق واللسان العربى (اكدج ، إغدج ، إغدش) .

وفى الصورتين الثانية والثالثة كسر الحرف الثانى ، وقامت الحركات بدورها فى تماثل النطق وانسجامه لإعطاء صيغ تتفق مع صيغ العربية وتتلاءم مع نطقها ، فجاءت واحدة على (إفعل) ، وثانية على وزن (فعيل) ، وثالثة على وزن (فَعِل) ، وقد يكون للثانية والثالثة (فعيل ، وفَعِل) ارتباط بالمدلول واتصال بالنهيق والصهيل .

---

(١) مفرج الكروب لابن واصل : اقرأ ط د. الشيال ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

(٢) مفرج الكروب لابن واصل .

أنظر القاموس الفريد فى العصر الجديد فارسى عربى . وانظر فرهنك نكليسى ، تأليف سليمان حيم ، ص ١٣١٢ ، وانظر المعجم فى اللغة الفارسية ، د. محمد موسى هنداوى ...

(٣) مفرج الكروب : لابن واصل ، ط الشيال ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

أنظر معجم لغات عثمانية .

(٤) مفرج الكروب لابن واصل ، ط الشيال ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

أنظر المعاجم الفارسية السابقة والقاموس الفريد فى العصر الجديد (فارسى - عربى) ، ج ١ . معجم اللغة الفارسية ومصطلحاتها الحديثة والقديمة للنجفى ، وأنظر فرهنك جديد ص ١٥٦ .

(جـ) نماذج لكلمات عربت بتصرف كبير داخل بنية الكلمة :

ومن أمثلة هذا النموذج « ايلدكز » عربت « الدكى » ، وهو شمس الدين أبو جعفر محمد بهلوان جهان ابن ايلدكز (حكم من سنة ٤٦٨ هـ إلى سنة ٥٨١ هـ)(١) ، وعرف باسم « الدكى » .

المقطع الأول وهو « ايل »(٢) نظر إليه على أنه أداة التعريف (ال) ، ويمكن أن يستسيغه ذوق السماع العربى بشىء يسير من التعديل فى الحركات .

والمقطعان الثانى والثالث « دكز » عربا بصورة تتمم مع السابق صيغة عربية تتفق مع ما كان شائعاً من الصيغ آنذاك فجاء « ايدكى » وصار مجموع الاسم « الدكى » على هيئة الأعلام فى العربية المعرفة « بأل » والمنسوب إليها ، وهو ما كان متردداً فى ذلك الحين « الدكى » مثل (الحلبى ، المصرى ، الأيوبى

وقد يكون للذوق المصرى أثر فى اختيار الاسم على هذه الصيغة فقد كان حكمه فى مصر(٣) وكان يقال له (ابن الدكى) على نحو ما يقال فى مصر (ابن الدنى ، ابن الشقى ، ابن الغبى ... إلخ . مثلا) ..

فقد كان يقال شمس الدين الدكى ، أو ابن الدكى(٤) .

(د) نماذج لكلمات عربت على أنها كتلة صوتية واحدة بصرف النظر عن المقاطع التى تتكون منها الكلمة — أو عن عدد الكلمات التى تكونت منها الصيغة المعربة :

ولهذه الظاهرة تفسيرها اللغوى على نحو ما يوضح ذلك عالم لغوى بقوله : « إن عامة الناس تطرق أسماعهم الكلمات الجديدة فيحاولون محاكاتها نطقاً ، وبخاصة إذا كان أغلبهم أميين » ، (وهو الوضع الذى كان سائداً فى مجتمع المسلمين آنذاك) « ومع هذا السماع المستمر للكلمات الدخيلة كانت تنشط

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ط الشيال .

(٢) يتردد هذا المقطع كثيراً فى اللغات الفارسية فى ذلك الحين ومن أمثلته (إيلغازى إيدكى إيلخان .... إلخ) .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ .

(٤) مفرج الكروب ، والروضتين .

دائماً الحاسة اللغوية المتذوقة ، فالمستمع يتلقى الكلمة كتلة صوتية واحدة لأنها لا تمثل فى أذنه سوى هذه الكتلة ، ثم إنه يعرضها على ذوقه ليرى كيف يمثلها عندما يريد إعادة نطقها ، فأحياناً يسيغ ذوقه هذه الكتلة الصوتية المرتبطة بمدلول معين فيرددها كما هى شأن أغلب الكلمات التى لا يختلف نطقها المصرى عن أصلها الأجنبى .. وأحياناً لا يستسيغها فإذا به يحرفها أو يشوهها على سبيل التقريب من كتلة صوتية أخرى ألف نطقها أو مدلولها »(١) .

والشىء الجدير بالتنويه إليه هو ما يلاحظه الباحث من وجود أمثلة هذا النموذج بكثرة فى الكلمات العربية من معسكر الفرنجة ، وأنه يقل فى الكلمات المعربة من لغات المعسكر الإسلامى ولذلك تعليله العلمى الذى جاء فى موضعه .

ومن أمثلة هذا النموذج العلم « خطلبا » وأصله « قتلغ ابه » : وهو صارم الدين خطلبا الذى ولى حكم مصر (٢) .

فقد أُخذت الكلمة على أنها كتلة صوتية واحدة وتصرف فيها الخيال اللغوى وأكمل ما رآه ناقصاً ، وجعلها « **خطلبا** » مثل (تعلبا ، ثعلبة) فالجزء الأول من الاسم « قتلغ » عرب على أنه مقطع « خطل » والجزء الثانى منه وهو « أبه » ضم إلى سابقه وأدغم فيه وحذف صوت « غ » وحدثت بعض التبديلات الصوتية بين القاف والخاء مثلا .. فالقاف : صوت حنكى قصى انفجارى مجهور ، والخاء : صوت حنكى قصى احتكاكى مهموس .

وساعد على الصورة التى انتهى إليها انتهاؤه بهاء قريبة فى نطقها من الألف المقصورة واستساغته الحاسة اللغوية المتذوقة لوجود مثل صيغته فى الاستعمال اللغوى (خطلبا ، ثعلبا) ... إلخ .

وإذا اعتبرنا أن هذه من الكتل الصوتية التى حرفها اللسان العربى على سبيل التقريب من كتلة صوتية ألف نطقها ، أو مدلولها ، فإن هناك كتلا صوتية عديدة استساغها اللسان والذوق العربى وهى غريبة عليه .

---

(١) د. عبد الصبور شاهين ، دراسات لغوية ، اقرأ ص ٢٩١ – ٢٩٢ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

ومن أمثلة ذلك كلمة « **دزدارية** ، و**بيمارستان** ، و**بوستان وسرموذة إلخ** » فقد استساغ اللسان العربي هذه الكتل الصوتية وغيرها كثيراً فوجدنا مثلا كلمة « دزدارية » مستعملة بصورة مألوفة ، وإليك نصاً : « مثلك ينبغي أن يكون مستحفظاً بحصن ، وأمر له بدزدارية — قلعة كواشي »(١) .

و« وفوض مجاهد الدين إلى نجم الدين أيوب دزدارية تكريت فسار إليها »(٢) .

و« **الدزدارية** » كلمة فارسية مكونة من لفظين « دِزْ » ويقال دُزْ أي قلعة و « دار » وهي اللاحقة وتستخدم في الفارسية والتركية للدلالة على صاحب الشيء(٣) . ومعناها الحافظ أو الممسك — فالكلمة في أصلها (دزدار) حافظ القلعة (أي المستحفظ عليها أو المتوليها) ، واستساغ الذوق العربي كلمة « دزدار » على وزن (فعلال) كتلة صوتية ونسب إليها وعرفها وأعطاها بقية الأحكام الصرفية وقال « الدزدارية » وطور في دلالتها وجعلها تساوي مستحفظاً وهو الأصل الذي أهمله على حين ذكر كلمة قلعة في كل تركيب وردت فيه كلمة دزدارية وكأن الكتلة الصوتية في حد ذاتها هي التي راقته بدليل ذكر كلمة مستحفظ في النص الأول .

ومثلها كلمة « **بيمارستان** » التي عدت كتلة صوتية واحدة ، وإليك النصوص الآتية : قال ابن شداد « وأمرني بالمقام في القدس الشريف لعمارة **بيمارستان** أنشأه فيه »(٤) . وقال ابن واصل « وبنى بدمشق وحلب بيمارستان في غاية الحسن »(٥) . فاللسان العربي اعتبرها كتلة صوتية واحدة واستساغها بينما هي في حقيقتها تتكون في اللغة الفارسية من كلمتين : « بيمارستان » .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٨ .

(٣) اللغة الفارسية . وانظر الوسيط في فقه اللغة الأنطاكي .

أنظر معجم فرهنك جديد ، وانظر المعجم الفارسي القاموس الفريد في العصر الجديد .

(٤) ابن شداد : السيرة اليوسفية ، ص ٢٤٢ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٨٣ : واقرأ ج ٢ ، ص ٤٠٨ .

(بيمار) ومعناها مريض ، و(ستان) وهى لا حقةتدل على المكان(١) .
ولئن كان اللسان العربى قد استساغها فإن اللسان المصرى لم يستسغ تلك الكتلة الصوتية كما هى وإنما أدخل عليها تغيرات أدت فيها ظاهرتا الإطباق والتسهيل دوراً هاماً ووجدناها فى اللسان المصرى « مرصطان » و« مرستان » .

وكذلك « **بوستان** » فقد أخذت على أنها كتلة صوتية وعدت كلمة واحدة بينما هى فى حقيقتها تتكون من كلمتين « بو » ومعناها رائحة و« ستان » وهى لاحقة تدل على المكان(٢) .

« **سرموذة** » وقد استساغها اللسان العربى وأخذها كتلة صوتية واحدة على هيئة بعض الصيغ فى العربية التى على وزن (فعلولة) وهى التى تطلق على نوع من الأحذية التى كان يلبسها السلطان ومازال حتى اليوم وزن هذه الصيغة يطلق على أنواع تلبس فى الأقدام مثل « خدوجة » ، و« زنوبة » .

جاء عن ملابس السلطان « **الطشت خاناه** » ، (بيت الطشت) سميت بذلك لأنه يكون فيها **الطشت** الذى تغسل فيه الأيدى ، و**الطشت** الذى يغسل فيه القماش السلطانى : وفيه ما يلبسه السلطان من **الكلوتة** و**الأقبية** وسائر الثياب والسيف والخف و**السرموذة** »(٣) .

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٤ .
أنظر القاموس الفريد فى العصر الجديد قسم القواعد : « فرهنك لغات واصطلاحات جديد وقديم ، وقواعد دستور زيان فارسى به عربى جلد أول » .
(٢) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٤ .
وانظر : المعاجم الفارسية السابقة .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٠ — ١١ ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ .
وانظر المعاجم الفارسية السابق ذكرها .

غير أن اللسان المصرى لم يستسغ تلك الكتلة الصوتية مجتمعة « سرموذة » وأدخل عليها تغيرات صوتية أدت فيها نظرية السهولة وظاهرة التفخيم دورها وحولت « سرموذة » إلى « صرمة » بالدلالة المعروفة فى الدارجة المصرية وقربها من كتلة صوتية أخرى ألف نطقها ومدلولها (صرمة على وزن فعلة مثل جزمة) .

الفصل الثانى

التغيرات الصوتية
التى أصابت الدخيل من لغات المعسكر الصليبى

دخلت اللغة العربية مفردات لغوية كثيرة من لغات المعسكر الصليبى نجرى على بعض منها تحليلات صوتية بهدف دراستها ، والتوصل إلى القوانين الصوتية العامة التى انتهجتها اللغة العربية عند التعريب من لغات العدو ، وهى فى أشد فترات الصراع اللغوى الذى يؤججه الصراع الدينى والسياسى ، والاقتصادى والحربى :

ويلاحظ الدارس أن المفردات والصيغ المعربة من لغات المعسكر الصليبى يختلف منهج تعريبها عن المعربة من المعسكر الإسلامى ، وأن المسافة بين الصورة الصوتية للكلمة الدخيلة فى أصلها وبين صورتها الصوتية التى انتهت إليها فى العربية بعيدة على عكس ما لاحظنا فى الفصل السابق .

ونعرض أمثلة لأعلام وصيغ معربة من داخل المعسكر الصليبى تمثل ظواهر لغوية مختلفة جديرة بالمتابعة المستأنية والدرس والتحليل .

(أ) ظاهرة أخذ الكلمة الدخيلة كتلة صوتية مجتمعة ثم صبها فى قالب شبيه بالصيغ العربية المستعملة :

ونشأ عن تلك الظاهرة ظاهرتان متداخلتان :

١ — ظاهرة الخلط بين الأعلام والصيغ الدخيلة عند التعريب .

٢ — ظهور صور صوتية متعددة ومختلفة الأنواع للدلالة على علم واحد أو كلمة دخيلة واحدة .

وعن الخلط بين الأعـلام والصيغ المعربة فإنه يمثل ظاهرة لغوية لها أبعادها المتشابكة .

ومن الأمثلة على ذلك العلم « Amalarik » عربوه « عمورى »(١) ، كما عربوه « مرى » و« أمورى » أيضاً .

وعربوا العلم « جوسلين » : « جوسلين(٢) ولكنهم عربوا « Baldwin » منذ أن وطئت أقدامه أرض الشرق « جوسلين »(٣) هو الآخر .

وعربوا « Richard » : « الانكتار » . وأطلقوا هذا الاسم على كل ملوك انجلترا .

وعربوا « ميمونيدس » ابن ميمون وسموه « ميمونا » وفى الوقت نفسه عربوا « Bohemond » (أبو ميمون) وسموه « ميمونا » أيضاً .

ويترتب على هذا الخلط بعد جديد وهو أن اصطنعوا ما يميزون به بين الأعلام أو الصيغ عندما تضطرب دلالاتها — فقد لقبوا الأول « ميمونيدس » بلقب الرئيس (يريدون رئيس الملة اليهودية) ، استمع : « أمر صلاح الدين فعين موسى ابن ميمون رئيساً لطوائف اليهود بمصر »(٤) . أما العلم الآخر فكانوا يشيرون إلى أنه من الفرنجة ويوضحه السياق ، ولنقرأ(٥) : «وكان نزل

---

(١) مفرج الكروب لابن واصل ، الروضتين لأبى شامة ، السيرة اليوسفية لابن شداد .. الخ على طول صفحات تلك الكتب .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٨ ؛ وانظر المراجع السابقة .

(٣) أدب الحروب الصليبية ، عبد اللطيف حمزة ، ص ٤٧ .

وفى مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٨ : « وأطلق الحلبيون من فى الأسر من ملوك الفرنج منهم إرناط برنس صاحب الكرك وجوسلين خال الملك . وإرناط : هو L. Prince Arnauld Renould de Chatillon Seigneur de Carac وكان اسمه قبل مجيئه إلى الشام وفى نسخة : ابن جوسلين ابن خال الملك (وانظر نص العماد) والروضتين ؛ ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٤) الحركة الفكرية فى مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة ، ص ٣٤٢ .

(٥) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٦٥ .

علينا دينكرى وهو أول أصحاب أنطاكية بعد ميمون » ؛ والمقصود بدنكرى « Tancred » ، والمقصود بميمون هنا « Bohemond »(١) .

وتحتم الدقة الإشارة إلى أن الخلط بين الصيغ والأعلام لم يكن مقصوراً على الدخيل من لغات معسكر الفرنجة فحسب بل كان موجوداً أيضاً بين الدخيل من لغات المعسكر الإسلامى ومن الأمثلة على ذلك ما حدث من خلط بين كمشتكين ، وطغدكين ، وصححه الدكتور فيليب حتى فى نسخة الاعتبار التى نشرها وأكد وجهة نظره بأن طغدكين كان قد توفى قبل حديث أسامة فى هذا الموضوع (٢) . وخلطوا كذلك بين خطلخ الحمدار ، وخطلخ العلمدار (٣) .

غير أن الخلط بين الدخيل من لغات معسكر الفرنجة اتخذ شكل الظاهرة ذات الأبعاد والآثار اللغوية الجديرة بالمتابعة المستأنية على نحو ما تكشف عنه الدراسات القادمة .

والتعليل العلمى للخلط بين الدخيل من اللغات فى كلا المعسكرين هو : الجهل بتلك اللغات وعدم المقدرة على نطق كلماتها بدقة ، فلكل لغة أساليب نطقها الخاصة بها . يؤكد هذا أن أسامة بن منقذ على الرغم من مكانته الاجتماعية والأدبية والعلمية فهو شاعر ومؤلف ومؤرخ ، لم يكن يعرف لغات غير العربية يؤيد هذا قوله فى الحديث عن « امرأة إفرنجية تعلقت بى ، وهى تبربر بلسانهم وما أدرى ما تقول »(٤) ، وقوله : « إنهم لا يتكلمون إلا بالإفرنجى ما ندرى ما يقولون »(٥) .

---

(١) بوهيمند ؛ ميمون وهو « Bohemond » حاكم أنطاكية أما تنكرد فهو الذى خلفه على أنطاكية سنة ١١٠٤ ، أنظر : الاعتبار ، ص ٦٥ .

(٢) د. فيليب حتى : الاعتبار ، ص ٣٠ .

(٣) أنظر مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨١ ، د. جمال الدين الشيال .

ففى مفرج الكروب اسمه خلطع الجمدار ، ج ١ ، ص ١٨١ ؛ وفى الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٠ اسمه خطلغ العلمدار .

(٤) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١٤٠ وفى صفحات أخرى متعددة ما يؤكد هذه الفكرة ، أنظر ص ٢١ – ٢٢ .

(٥) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٦٦ .

هذا حاله من لغات معسكر العدو ، ومثله حاله من لغات معسكر المسلمين. يقول فى حديث عن رفيق له : « التفت إلى غلام له كلمة بالتركى ولا أدرى ما يقول »(١) . ويقول فى موضع آخر أيضاً : « وهم يتكلمون بالتركى ، ولا أدرى ما يقولون »(٢) . فالجهل باللغات هو سبب التجاوزات الصوتية إلى هذا الحد الكبير ، وهو سبب الخلط بين الدخيل من الصيغ والأعلام . كما أنه سبب ظهور الصور الصوتية المتعددة للصيغة الدخيلة الواحدة . ومن الأمثلة على ذلك وجدناهم عربوا « Bohemond » أبو ميمون(٣) واختصروه إلى ميمون وعربوه كذلك بيمند ، وأعطوا للصيغة الخصائص الصرفية المختلفة من تعريف وإضافة ، جاء فى مفرج الكروب : « ملك بعده ولده بيمند وهو طفل »(٤) ، وعلق عالم التاريخ المحقق بقوله : « بيمند هو « Bohemond» الثالث »(٥) ، ووجد بجانب (بيمند) « ميمند » وهو تبادل صوتى طبيعى بين (الباء والميم) فالباء صوت شفوى انفجارى مجهور والميم صوت شفوى أنفى مجهور ، وصار طبيعياً أن نجد للصورة الصوتية الواحدة « Bohemond » أربع صور : (أبو ميمون ، وميمون ، وبيمند ، وميمند) . بالإضافة إلى اللواحق الصرفية التى يمكن أن تتصل بها فى أوضاعها المختلفة .

وعلى نحو ما تعددت الصور فى العلم السابق تعددت فى العلم « Amalarick » جاء فى مفرج الكروب : « كاتب الفرنج الذين بالقاهرة ملكهم بالشام المعروف بمرى وكان ذا شجاعة ومكر ودهاء »(٦) .

وعلق المحقق المؤرخ بقوله : « مرى هو أملريك الأول « Amalarick ».

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ١٠٠ .

(٢) السابق : ص ١٥١ .

(٣) اقرأ الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ٤٠ ، ط فيليب .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٥) د. جمال الدين الشيال : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٥ — ١٥٦ .

ملك بيت المقدس وتسميه المراجع العربية مرى أو عمورى وقد ولى الملك بعد وفاة أخيه بلدوين الثالث « Baldwin 111 » الذى لم يعقب »(١) .

ونقلوا العلم برتراندبن الفونس جوردان » فى أكثر من صورة صوتية فهو « برترام بن الفونس » وهو أيضاً « بدران بن الفونس »(٢) .

وعربوا لعلم « ليو الثانى » أمير أرمينية « Leo Roupenian Prince of Armenia. » ابن لاون الأرمنى ، وعربوه أيضاً ابن ليون الأرمنى .

جاء فى مفرج الكروب : « ويستغيثون من ابن ليون الأرمنى »(٣) ؛ وجاء أيضاً فى مفرج الكروب : « ثم ساروا إلى مدينة أذنة والمصيصة وهما لابن ليون الأرمنى »(٤) . وكذلك عربوا العلم أرنولد « إرناط »(٥) ، وعربوا « Arnauld » أيضاً « أرنول »(٦) ؛

وعربوا « Baldwin of Ibelin » ابن « بارزان » صاحب الرملة(٧) . ووجد عند ابن الأثير « باليان بن بيرزان »(٨) ، والباحث يحار كيف صار « Baldwin أو Baldwin of Ibelin » ابن بارزان ، أو بليان بن بيرزان ولكن المهم أنه هكذا عرب — وواضح أن بعض الخلافات الصوتية بين

---

(١) د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٥ — ١٥٦ اقرأ مراجعه .

(٢) حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، ص ٥٥ واقرأ مراجعه .

(٣) ابن واصل : السابق ، ج ٢ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٧٦ ، ط . الشيال .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٦) حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى ، ص ٩٤ .

وأرنولد هو «Le prince Arnauld Seigneur de carac» وكان اسمه قبل مجيئه إلى الشام رينولد شاتيلون «Renauld de Chatillon» وعرف بإرناط صاحب الكرك

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، وانظر هامش د. الشيال .

(٨) الكامل لابن الأثير ، ج ١١ .

الصورتين مبعثها اللهجات ، ففى الصورة الأولى ألفتحة صريحة « بارزان » ، وفى الصورة الثانية الفتحة ممالة « بيرزان » والإمالة إحدى الظواهر اللهجية ، وهذا ما توحى به صورة الخط .

وعربوه كذلك « بغدوين » ، جاء فى الاعتبار : « بغدوين الملك والد الملكة امرأة الملك فلك بن فلك »(١) .

و« بغدوين » الملك هذا هو « aldwin B11 King of jerusalim » بلدوين الثانى ملك أورشلم . وهكذا وجدت ثلاث صور صوتية لصيغة دخيلة واحدة « بالدوين » ١ — ابن بارزان أو بيرزان . ٢ — باليان . ٣ — بغدوين

ونبدى هنا ملاحظتين أولاهما : أن مبعث ظاهرة الخلط ومبعث ظاهرة تعدد الصور الصوتية للصيغة الدخيلة الواحدة ، هو : ثقافات المعربين اللغوية . فمن يعرف منهم غير العربية تأتى الصيغ من اللغات التى يتقنها تنبىء عن ذلك بما تحمل من دقائق صوتية ، فابن واصل مثلا يختلف فى تعريبه للفونس عن غيره ، فعلى حين جعله الآخرون « الفنش » وجدناه عنده « الأدفنش »(٢) ولعله كان هكذا فى لسان الصقليين لاتصاله بملوكهم ومعرفته لغاتهم ، حيث كان ملوك مصر يبعثونه سفيراً لهم .

كما نجد أسامة بن منقذ الذى لا يتقن غير العربية يعرب « Bohemond » أبو ميمون . بينما عربه ابن واصل « بيمند » ، وأمثلة غير ذلك كثيرة تختلف باختلاف المعربين .

والملاحظة الثانية : أن اختلاف لغات المعسكر الصليبى وتداخلها وطول مدة الصراع التى تكررت فيها الأعلام وتشابهت ، وعدم التمكن من تمييز نطق الأعلام الأوروبية ، وعدم المقدرة على نطقها ، كل أولئك كان من عوامل الخلط بين الصيغ ، وكان سبباً فى تعدد الصور الصوتية للصيغة اللغوية الواحدة ، بالإضافة إلى أنه كان دافعاً للاجتراء فى تعريب الدخيل من لغات المعسكر الصليبى ولاختيار بنيات شكلية يسهل على اللسان العربى ترديدها .

---

(١) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٨١ وتعدد بن الملك هو « Baldwin »

(٢) أنظر مفرج الكروب لابن واصل ، ج ١ ، ص ١١٤ .

أما عن ظاهرة أخذ الدخيل من لغات معسكر الفرنجة على أنه كتل صوتية وصبه في قوالب شبيهة بالقوالب العربية ، فقد أخذت هذه الظاهرة أبعاداً مختلفة

(أ) بعْضٌ استسيغت فيه الكتلةالصوتية ورددت كما هي اللهم إلا بعض تغيرات صوتية طفيفة .

(ب) وبعْضٌ لم تستسغ فيهالكتلة الصوتية فحرفت وقربت من كتلة صوتية ألف نطقها أو مدلولها .

ومن أمثلة النموذج الأول: صيغ لا يحس القارىء خلِيّ الذهن عنها أنها غير عربية فقد صبت في قوالب عربية ولنقرأ النص الآتي من حوار على لسان إفرنجية تشكو مقتل أخيها : « قالت : هذا قتل أخي عرس » ، « قال : هذا رجل برجاسي »(١) . والمقصود بأخيها عرس (الفارس الإنجليزيHurso(٢)) والمقصود ببرجاسي : مصطلح يطلق على طائفة « bourgeoisie »(٣) .

فعندما طرقت الكتلة الصوتية « Hurso » السمع العربي حاولت الحاسة المتذوقة محاكاة نطقها ووجدتها صالحة للقولبة في صيغة « فُعْل » فجعلتها « عُرْس » والتغيرات الصوتية هنا في مجموعها خاضعة لقانون التبادل العام بين الأصوات حيث تبودل صوت الهاء بصوت العين ، فالهاء صوت حنجري احتكاكي مهموس ؛ والعين صوت حلقي احتكاكي مجهور . ولكن التغير الصوتي في الحركات هو صاحب الدور الأساسي في قولبة الصيغة فيه صارت الكلمة على وزن «فُعْل» وهو أحد أوزان الاسم الثلاثي في العربية (فعل ، يكون اسماً مثل قُفْل — ويكون صفة مثل حُلْو)(٤) بالإضافة إلى أنها انتهت إلى كتلة صوتية ألف نطقها ومدلولها .

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ١٤١ « البرجاسيون طائفة من التجار لا تقاتل ولا تحضر القتال » .

(٢) السابق ، ص ١٤١ .

(٣) السابق ، ص ١٤١ .

(٤) نبه الأشموني على أن أوزان الاسم الثلاثي عشرة ، شرح الأشموني ، ج ٤ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، وشرح المفصل ، ج ٦ ، ص ١١٣، ١١٢ ، وابن عقيل ، ص ٣٥٨ — ٤٥٩ .

أما الكتلة الصوتية « bourgeoisic » فعندما طرقت السمع العربى وحاولت الحاسة المتذوقة قولبها وترديدها كان للحركات الدور الهام فى صبها فى قالب « برجاسى » على وزن (فِعْلالى) وكأنها مصدر رباعى منسوب إليه (١) .

وصيغة « Maremma » وهى كلمة إيطالية تطلق على نوع من السفن الحربية الكبيرة فى العصور الوسطى(٢) . من يقرأ تعريبها فى كتب تاريخ الحروب الصليبية لا يحس بوجود كلمة غير عربية ، فقد جاء فى مرجع : « شرعوا فى قتال أهل دمياط ، وعملوا آلات ومرمات وأبراجاً يزحفون بها فى المراكب إلى برج السلسلة »(٣) . وجاء فى مرجع آخر : « وصل مركب كبير للفرنج من أعظم المراكب يسمى مرمة وحوله عدة حراقات تحميه والجميع مملوء من الميرة والسلاح وما يحتاجون إليه فوقع عليها شوانى المسلمين وقاتلوا فظفروا بالمرمة وما معها من الحراقات وأخذوها »(٤) . وجاء فى مرجع « أرسل الله ريحاً قطعت مراسى مرمة كانت للفرنج من عجائب الدنيا فمرت تلك المرمة إلى البر الذى فيه المسلمون فملكوها »(٥) .

أما « بسكند » فمن يقرؤه فى نصه يجده قريب الشبه بالقولبة العربية خاصة وقد سبقته أداة التعريف وأخذ بقية الخصائص الصرفية « البسكند »(٦) ، علماً بأنه تعريب للعلم « Viscount » فالحاسة اللغوية المتذوقة أخذت

---

(١) أنظر شرح الأشمونى ، ج ٤ ، ص ١٨٤ — ١٨٦ حيث يتحدث عن صيغ الرباعى والخماسى وهو يشرح قول ابن مالك :

لاسم مجرد رباع فَعْلَل فِعْلِل وفِعْلَل وفُعْلُل

(٢) حبيب الزيات معجم المراكب والسفن فى الإسلام ، ص ٢٦٠ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٥١ .

(٥) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ١٨٩ ؛ وخطط المقريزى ، ج ١ ، ص ٢١٦ فى حوادث سنة ٦١٥ هـ .

(٦) اقرأ النصوص فى الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ١٣٩ .

العلم على أنه كتلة صوتية واحدة وقامت الحركات بدورها فقربته من كتلة صوتية ألفت نطقها .

أما « باشورة » وأصلها فى الفرنسية « Bastion »(١) ، ومعناها : الحائط الظاهرى من الحصن يختفى وراءه الجند عند القتال(٢) ، فقد لعب الخيال اللغوى فيها دوره فأكمل الصيغة من عنده فجعل نطق « Bastion » « باشورة » باضافة الراء وتاء التأنيث ولا يكون ذلك إلا إذا تُقُبِّلت الكلمة كتلة صوتية . ثم أعيد صبها فى قالب جديد ، وقد اختار لها قالب « فاعولة » وجعلها تأخذ صيغة التأنيث بإلحاق تاء التأنيث فى نهايتها علماً بأنها لا وجود لها فى الأصل الذى أخذت عنه — ولا وجود لها فى كلمة حائط العربية التى تحمل دلالتها .

وقد ترتب على اختيار هذا القالب ما تبعه من آثار صوتية . فى حالات الجمع حيث صنحت تلك الصيغة أن تجمع جمع تكسير على « بواشير » ، وجمع مؤنث سالم على « باشورات » ، مثل القوالب التى تشبهها فى العربية من (قارورة : قارورات ، وقوارير — وباكورة : بواكير وباكورات .. إلخ)

جاء فى مفرج الكروب : « فملكها الباشورة ، فصعد الفرنج حينئذ منها »(٣) . وجاء أيضاً : « فصعد إنسان من العامة بقميص خلق فى باشورة الحصن »(٤) .

وهكذا عوملت معاملة المؤنث فى الإسناد والإضافة وأخذت الخصائص الصرفية الصوتية المختلفة على مستوى الجملة والجمل .

ومثل « باشورة » جاءت صيغة « صابورة » وهى ما يوضع من الثقل فى قعر السفينة لئلا تميل أحد جانبيها .

---

(١) أنظر : د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ، ص ٨١ .

(٢) السابق ، ج ٢ ، ص ٨١ ؛ ودوزى Dozy Supp dict Arab

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٤) السابق ، ص ٨١ ، ج ١ .

وأصلها من الإيطالية « Zavorra » وأخذتها التركية وجعلتها « Sabourra »(١) وانتقلت إلى العربية وصبتها فى قالب قريب من الأصل على الرغم من التغيرات الصوتية التى أصابتها وتحول صوت « Z » إلى صاد وتحول صوت « V » إلى صوت « الباء » . فصوت « Z » هو النظير المجهور للسين فهو صامت مجهور اثوى احتكاكى . وصوت « ص » هو مطبق السين — فهو صامت مهموس اثوى احتكاكى مطبق والنظير المجهور للصاد هو مطبق « الزاى » (Z) أى أنه يتكون كما يتكون الزاى إلا أن فيه إطباقاً . فهو صوت صامت مجهور لثوى احتكاكى مطبق(٢) .

ومما تجدر ملاحظته أنه من جملة أصوات العامية المصرية — وهو الصوت الأول فى نطقنا العامى لكلمة « ضابط Zabit » مما يجعلنا نعرض فكرة احتمال أن يكون للجهة المصرية أثر فيما أصاب هذه الكلمة من تطور وذلك لسببين أولهما : أن البحرية المصرية كانت صاحبة السيادة فى البحرين الأبيض والأحمر فى ذلك الحين(٣) . ثانيهما : أن للهجات المحلية آثارها فى ذلك المعترك اللغوى . وأما التبادل بين صوتى « الباء » و(V) فهو فى حدود التبادل العام بين الأصوات .

فالباء : صوت شفوى انفجارى مجهور وصوت « V » هو النظير المجهور (للفاء) أى أنه صامت مجهور شفوى سنى احتكاكى .

أما « بطسه » و« بطشه » وهى من الإسبانية (٤) يمكن أن تعد فى حكم

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٨٢ .

(٢) دكتور محمود السعران ، علم اللغة مقدمة ، ص ١٩٢ .

(٣) أنظر : انتصار لهجة مصر (الباب الأول من هذا الكتاب) .

(٤) د. جمال الدين الشيال : مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ؛ ومعجم السفن . وعلى مبارك .

فى الأسبانية الحديثة باركو سفينة وباركا وأصلها Bartcha وصارت بطشة وبطسة .

المقتبسة على الرغم من بعض التغيرات الصوتية التى أصابتها سواء بين السين والشين أو بالقلب المكانى . ووجد لها على العموم فى العربية ثلاث صور بصيغة المفرد المؤنث لتدل على السفينة الكبيرة (**بطشه ، بطسه : بسطه**). وترتب على هذه الأشكال الثلاث ما تبعها من آثار صوتية فى حالات الجمع حيث جمعت على بطش وبطس ، وبطشات وبطسات ، جاء فى مفرج الكروب : « جهز الفرنج بطساً متعددة وجعلوا على سوارى البطس أبراجاً(١)»

أما « Bartecha » فقد يكون فى نطقها ما يوحى بتأنيثها فوجود ما يشبه الألف المقصورة ساعد على إعطائها صيغة المفردة المؤنثة وتحولات الكتلة الصوتية فى عمومها إلى صيغة بطشه « فعلـه » وساعد هذا الاختيار على تغيرات صوتية أخرى أصابت الكلمة فى حالة الجمع حيث جمعت على « **بطس** » .

ومما هو من قبيل الدخيل المقتبس كلمة « سربة » ومعناها الفرقة من الخيالة « Troupe de Cavaliers »(٢) . جاء فى مفرج الكروب : « ولهم خذلهم الله تنوع فى المكايدة ، فإنهم قاتلوا مرة بالأبرجة وأخرى بالمنجنيقات ، وليلا **بالسرابات**»(٣) . وهكذا جمعوها جمع مؤنث سالماً « **سرابات** » ووجدت لها صورة جمع تكسير « **سرب** » وعرفت وأخذت الخصائص الصرفية والصوتية الأخرى .

(ب) أما عن البعد الثانى من أبعاد التعريب بالكتل الصوتية ذلك البعد الذى نشطت فيه الحاسة اللغوية المتذوقة ولم تستسغ الكتلة الصوتية فحرفتها وباعدت بينها وبين أصلها مباعدة واسعة بينما قربتها من كتلة صوتية مألوفة لها ، فله ثلاث اتجاهات متشابكة : -

١ — **اتجاه لعب فيه الخيال اللغوى** العربى الأمى دوره ويقابله على النقيض الخيال اللغوى المثقف .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ .

(٢) Dozy, Supp dict Arab.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ .

٢ ـ اتجاه لعب فيه تعدد لغات الإفرنج وتداخلها دوراً آخر .
٣ ـ اتجاه لعبت فيه الرغبة فى التمييز بين المتداخل والمختلط من لغات العدو والميل إلى توضيح دلالة كل دوراً ثالثاً :

١ ـ ومن أمثلة النوع الأول :

جاء فى كتاب الاعتبار على لسان أسامة « فطعنه فارس من الإفرنج يقال له ابن الدقيق »(١) . وابن الدقيق هنا هو الفارس الإفرنجى « Benedictus » وكان ينطق بالفرنسية « Benedict » وحرف اسمه وقرب من كتله صوتية مألوفة .

وأقرب تصور فى تعريب هذا العلم أنه أُخِذَ كتلة صوتية واحدة تم صب فى قالب شبيه بالقوالب العربية يتفق ذلك مع التحليل الصوتى الآتى :

المقاطع « Benedi » تطرق السمع العربى الأمى وكأنها « I Bned » « إبند » (وكأنها اللام شمسية لا تنطق) والمقطعان التاليان « Dictus » (دك : دق) ويقوم الخيال اللغوى بتكميل الصورة الصوتية وتعمل الحركات دورها فى الانسجام الصوتى وقولبة البنية وتشترك ظاهرة التفخيم بدورها وتشكل البنية على الصورة الصوتية (ابن الدقيق) .

ومثلها تعريب « Bohemont » أبو ميمون ، لا يصدرها إلا الخيال العربى الأمى بدليل تعدد صورها . جاء فى الروضتين «كسر نور الدين أعداءه ووقع البيمند صاحب أنطاكية أسيراً فى يده »(٢) . وجاء فى مفرج الكروب : « بيمند : وميمند » . وجاء فى الاعتبار : « وكان نزل علينا دنكرى وهو أول أصحاب أنطاكية بعد ميمون »(٣) . وجاء فى الاعتبار أيضاً « أبو ميمون » تعريباً لـ « Bohemond » أو « Bohemont »

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ١ .
(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٧٢ .
(٣) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٦٥ .

وأقرب تصور لعملية تعريب هذا العلم بتلك الصورة الصوتية المحرفة أنه طرق السمع على أنه كتلة صوتية مجتمعة فلما حاول اللسان الأمى محاكاة نطقها مع تكرار السماع المستمر لها أخرجها على هذه الصورة .

فالمقطع الأول « Bo » يمكن أن يطرق السمع العربى الأمى على أنه « Bo : بو » (بدلالة صوتية عربية بمعنى « أب » ومازال حتى اليوم مستعملا فى المغرب العربى : بومدين — بورقيبة — بوتفليقة ...) . والمقطع الأخير « mont » أو « Mond » قام فيه الخيال اللغوى الأمى بتكميل الصورة الصوتية وأدت الحركات وظيفتها وأعطت الصيغة ذلك الشكل القريب من الكتل الصوتية المألوفة لها وكان (بوميمون) ويمكن أن يصير (ميمون) وقد يأتى دور الخيال اللغوى الأمى منطلقاً مما انتهى إليه الخيال اللغوى المثقف توضيح ذلك من هذا المثل الأخير أيضاً . انتهى الخيال اللغوى المثقف بتعريب « بيمند » و« ميمند » وهذا يتفق مع القواعد العامة للتبدلات الصوتية مع ملاحظة دور الحركات . ولما طرقت السمع تلك الصورة الصوتية المعربة وحركت الخيال اللغوى العربى الأمى فما كان عليه إلا أن يقوم بدوره ويكمل الصورة فتصير « ميمند — ميمون » ويصبح « ميمون — أبو ميمون » وهكذا .

وكذلك تعريب « Leo 11 » ليون أو ابن لاون . فقد عربه ابن واصل « ليون » . قال فى مفرج الكروب : « ثم ساروا إلى مدينة أذنة والمصيصة وهما لابن ليون الأرمنى »(١) وهو تعريب اللغوى المثقف الذى يعرف غير العربية فالكلمة نطقان (ليو ، ليون) تبعاً للغات الفرنج المتعددة آنذاك ، بمعنى الأسد. وكما جاء (ليو ، وليون) جاء (لاون) : « ويستغيثون من ابن لاون الأرمنى »(٢).

ولا يظن ظان أن الخيال اللغوى الأمى انفردت به مصنفات وأن الخيال

(١) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ١ ، ص ٧٦ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ .

اللغوى المثقف انفرد بمصنفات أخرى فهذا يخالف الواقع ، فالصور الصوتية المتنوعة يجمعها مصنف واحد (١) وهى موجودة فى كل المصنفات المختلفة دون تفريق(٢) وهذا يؤكد أن الاحتكاك اللغوى آنذاك كان قوياً متفاعلا بين كل طبقات المجتمع وأن لكل دوره .

ومثله العلم «Perdrovant»(٣) عربوه «بدروا» (٤) وأيضاً تعريبهم : « برتراند ابن الفونس جوردان » ، « بدران بن الفونس »(٥) . وكذلك تعريبهم « فلك الخامس Fulk(V) » ابن الفلك(٦) .

أما عن النوع الثانى وهو الاتجاه الذى لعب تعدد لغات الإفرنج وتداخلها دورها فى تشكيل بنيات الكتل الصوتية الدخيلة بصورة باعدت بينها وبين أصلها وقربتها من البنيات المألوفة . فمن خير الأمثلة عليه تعريبهم « Theodros Iascoris » و « Theodros Sophianos » بصورتين صوتيتين متباعدتين . حيث عربوا الكتلة الصوتية الأولى « لشكرى » أو « الأشكرى »(٧) أو « الشكرى » . وعربوا الكتلة الصوتية الثانية « تادرس الصفى »(٨) . . وعلى الرغم مما بينهما من بعد فلا غرابة وذلك لأسباب ثلاثة :

١ — تداخل لغات المعسكر الغربى .

٢ — وطول مدة الصراع .

---

(١) أنظر على سبيل المثال مفرج الكروب ـ والاعتبار والروضتين .

(٢) أنظر السلوك والخطط للمقريزى مثلا ـ وابن شداد السيرة اليوسفية ـ والروضتين ـ ومفرج الكروب والاعتبار .

(٣) أنظر ١٣٤ الدكتور فيليب حتى كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ٦٧ .

(٤) اقرأ فى الاعتبار لأسامة ، ص ٩٧ النصوص التى وردت فيها هذا التعريب .

(٥) أنظر د. حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، ص ٥٩ .

(٦) اقرأ النصوص التى وردت فيها فى الاعتبار ، ص ٦٥ .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٣٢٥ .

(٨) الاعتبار : لأسامة بن منقذ ، ص ١٤٠ .

٣ — والرغبة فى توضيح الدلالة والتمييز بين المتشابهات .

أما عن الصورة الصوتية الأولى فقد أطلقها المؤرخون العرب أول الأمر على « Theodros lascoris » إمبراطور الدولة البيزنطية فى نيقية بعد استيلاء اللاتين على القسطنطينية ؛ ثم غلب اسم « الأشكرى » بعد ذلك على أباطرة بيزنطة(١) .

ونستطيع أن نقول إن عملية التعريب تمت بطريقة الكتلة الصوتية وقد اكتفى بالجزء الأخير منها وهو « lascris » ويمكن بتعديلات صوتية طفيفة تتحول تلك الكتلة فى اللسان العربى إلى « نشكرى » . فالمقطع « Las » يمكن أن يكون « La^{v}_{s} » وذلك بأن يتحول صوت السين إلى شين ، فالسين : صوت لثوى احتكاكي مهموس ، والشين : صوت لثوى حنكى احتكاكي مهموس . أما المقطعان التاليان فهما يتممان مع المقطع الأول فى اللسان العربى الصيغة القريبة المألوفة للأذن العربية (شكرى) أو (لشكرى) ثم تاخذ الخصائص الصرفية الصوتية الأخرى وتصير « اللشكرى أوالأشكرى» وبعد أن سهل على اللسان ترديد تلك الصيغة وألفتها الأذن وتحددت لها دلالتم صارت لقباً يطلقه العرب على أباطرة بيزنطة(٢) . « ظفر عز الدين كيكاوس صاحب بلاد الروم بملك الروم المعروف باللشكرى »(٣) .

أما الكتلة الصوتية الثانية « Theodros Sophianos » فلم يكتف بأحد جزئيها كما صنع مع السالفة وإنما أخذت كلها كتلة صوتية واحدة وكان من اليسير على اللسان العربى أن يقربها من الصورة الصوتية المألوفة له وقد أسهم فيها الخيال اللغوى الأمى فجاءت مستساغة فى الأذن العربية « تادرس الصفى »

---

(١) أنظر مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٣٢٥ ، ط . د. الشيال .
واقرأ السلوك للمقريزى ، ج ١ ، ص ١٧٩ .تعليق طويل كتب بهذا الخصوص كتبه د. مصطفى زيادة .

(٢) السابق .

(٣) السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢٥ .

على هيئة علم موصوف بصفة منسوب إليها وفق ما كان شائعاً آنذاك مثل محمد المصرى أو سلمان الفارسى .. أو الأنطاكى أو الرهاوى أو صلاح الدين الأيوبى مثلا ... إلخ .

فالجزء الأول منها « Theodros » صار « تادرس » بتعديل طفيف فى الحركات وذلك بأن حلت محل الحركة المزدوجة « dipthong » فى المقطع الأول حركة واحدة (فتحة طويلة) مع بعض التجاوزات الصوتية الخفيفة أيضاً وذلك بإحلال صوت « ت » محل « The » لما بينهما من علاقة تحددها الصفات الصوتية المشتركة . حيث إن التاء صامت مهموس سنى إنفجارى و(The — ذ) صامت مجهور مما بين الأسنان احتكاكى . وهذا وذاك يستجيب لنظرية السهولة التى تسعى إليها كل اللغات — أما الجزء الثانى من تلك الكتلة الصوتية وهو « Sophianos » فقد صار الصفى ولو صرفنا النظر مؤقتاً عن أداة التعريف لوجدنا أنه اكتفى بالمقطع الأول والثانى « Sophia » واستطاعت الحاسة اللغوية المتذوقة أن تكون منها صيغة مستخدمة الحركات فى الاستفادة من شكل البنية وكأنها منسوب إليها مع استغلال ظاهرة الإطباق فى المقطع الأول . وهكذا ببعض التغيرات الصوتية التى هى فى نطاق قواعد التبادلات الصوتية العامة تحولت الكتلة الصوتية « Theodros Sophisnos » إلى « تادرس الصفى » .

ونلاحظ أن الحركات المزدوجة التى هى « كسرة + ضمة » مثل « leo » « Theo » تحولها عملية التعريب فى اللسان العربى إلى الصامت المتفتح الطويل (فتحة طويلة) .

٢ — كما أن الصوت الذى يشبه « e » الفرنسية ، (الفتحة الممالة) سواء كانت طويلة أم قصيرة فى لغات معسكر الفرنجة أو لغات المعسكر الإسلامى تحولها عملية التعريب فى اللسان العربى إلى ما يشبه (الهاء) ويؤثر ذلك إ.

على نوع الصيغة حيث تجعلها مؤنثة (وتنطق هذه مرة هاء ومرة تاء حسب الموقع والسياق) مثل « مرمة ، نمجة » .

كما أن الحركة المزدوجة « dipthong » التى هى (كسرة + فتحة) إن جاءت فى المقاطع الأخيرة من الكلمة تتحول فى عملية التعريب إلى « ياء » وتؤثر على نوع الصيغة فتجعلها وكأنها صيغة منسوب إليها مثل «Sophianos » (صوفىّ) ؛ ومثل « porgoisie » (برجاسِيّ) .

أما «William jourdian Count Cerdagne» فقد عرب « بالسردانى» بينما عرب « Guillaume de Bures »(١) بـ « كليام دبور » .

من الواضح أن تداخل لغات الفرنج هو الذى غير النطق بين العلمين : « William » و « Guillaume, » فلكل لغة أساليب نطقها ، فلما طرقت الكتلة الصوتية الأولى « Guillaume de bure. » الأذن العربية وجدتها فى مجموعها قريبة من صيغ مألوفة وسهل على اللسان ترديدها (كِلْيَم مثل يشكر) وألفها الذوق العربى ، والتغيرات الصوتية التى أصابتها جاءت فى أضيق الحدود .

أما الكتلة الصوتية الثانية فهى عسيرة النطق يشق على اللسان العربى ترديدها مجتمعة « William Jourdian Count Cerdagne. » فالتقط منها جزءها الأخير وببعض التحريفات والتجاوزات الصوتية الخاضعة لقواعد التبادل العامة بين الأصوات حول « Cerdagne » إلى (سردانى) على هيئـــة الصيغ المنسوب إليها وفق ما كان شائعاً آنذاك وهكذا كان تداخل لغات الفرنجة وتعددها من عوامل المباعدة بين الصيغ المعربة .

أما عن النموذج الثالث وهو الاتجاه الذى لعبت فيه الرغبة والميل إلى تمييز المتداخل وتوضيح دلالة المختلط من لغات معسكر العدو فهو متصل بالاتجاه السابق عليه متشابك مع غيره .

---

(١) الاعتبار ، ص ١٣٧ ، ص ٦٥ .

. ومن الأمثلة على ذلك وجدناهم عربوا « أرنولد (إرناط) واسمه(١) » le Prince Arnauld Seigneur de Carac بينما عربوا سَمِيَّة : أرنول الرهاوى(٢) ، أى أنهم ميزوه بنسبته إلى الرها ، جاء النص الآتى : « ولقد تم انتخاب بطرك لمدينة بيت المقدس هو أرنول الرهاوى »(٣) . فهم عربوه « أرنول » ولم يقولوا « إرناط » ، ونسبوه إلى الرها وهى عند الغربيين « Edessa » .

ونلاحظ أنهم صبوا العلم فى قالب « أفعول » أو « فعلول » متبعين منهج اللهجات المحلية « فقد لاحظ الكسائى أن وزن أفعول بضم الفاء كان قد بدأ يتحول فى عصره إلى وزن فعلول بفتح الفاء ، وهذا ما نلاحظه اليوم فى كل اللهجات المحلية »(٣) .

فالذى يعنيهم هو التميز بين الأعلام المتشابهة ووضوح الدلالة وعلى الرغم من تنوع الصيغ إلا أن منهجهم واضح لا اضطراب فيه فهم لم يقولوا مثلا : (جوسلين الرهاوى) علماً بأن اسمه « Goscillen Count of Edesssa » وأوديسا وآذاسا فى نطقهم هى الرها — كما أنهم لم يقولوا إرناط الكركى على نحو ما عربوا سميه أرنول الرهاوى — وإنما هدفهم التميز بين الصيغ المتشابهة والأعلام المتكررة ، مع الاهتمام بوضوح الدلالة ، وقد تحقق ذلك بقولهم : أرناط فقط مرة — وبقولهم ابن جوسلين فقط مرة — ومرة بقولهم أرنول الرهاوى .

والخيال اللغوى هو الذى أعطى الصيغة الأولى « إرناط » على وزن « إفعال » مثل إكرام وإقبال وإحسان .. وفى ذلك قدر كبير من التجاوزات الصوتية تسيغه عملية التعريب بالكتل الصوتية ، وقد أدت فيها الحركات دورها وقامت فيه ظاهرة الإطباق بعملية التناسق بين الأصوات فخرجت

---

(١) د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .

(٢) د. حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى ، ص ٨٤ .

(٣) د. محمود فهمى حجازى : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، ص ٦٣ .

هذه الضوورة الصوتية المقبولة لدى اللسان والسمع العربى ، والذى يعرف غير العربية هو الذى أعطى صيغة « أرنول » فمسافة الخلف ضيقة بين « Arnould » وأرنول .

ومما يؤكد أن هدفهم التمييز بين الصيغ والأعلام المتشابهة وتوضيح الدلالة أنهم لجئوا فى بعض الحالات إلى كثير من التجاوزات الصوتية ، وإلى الاستفادة من الشكل العام لطبيعة النطق الذى يطرق سمعهم وإلى الترجمة فى بعض الحالات ، وإلى الاستفادة عند الحديث عن الأعلام المتداخلة من الألفاظ التى تحمل دلالات القربى فى اللغة العربية مثل ابن وأخ وأم وزوج وزوجة .

ومن الأمثلة على ذلك قولهم : « وأطلق الحلبيون من فى الأسر من ملوك الفرنج ، منهم : إرناط برنس صاحب الكرك ، وجوسلين خال الملك »(١) . وقد تبعت الصفة هنا الموصوف تمشياً مع قوانين العربية ، ومعنى ذلك أن القاعدة العامة فى ترتيب العربية لكلماتها تميل إلى الدقة والصرامة(٢) ؛ فلم يتأثروا بالأصل ولا بالكتل الصوتية « le prince Arnould » .

و« جوسلين » خال الملك هذا هو(٣) « Goslin III of courtenay » « titular count of Edessa » ومعناه أنهم هنا لم يترجموا ولم يعربوا وكان باعثهم على ذلك الرغبة فى توضيح الدلالة . ومثاله أيضاً قولهم « صاحب بانياس »(٤) . وصاحب بانياس هذا هو « Renier » . ومثله قولهم : « أخو الملك جيفرى » فقد أرادوا « Constble Amalarick » .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

(٢) يرى مثل ذلك عبد القاهر الجرجانى – ويذهب قريبا منه برجستراسر ، ونيودور نولدكه .

أنظر عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، ص ١٨٨ .

(٣) دكتور جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

(٤) اقرأ النص فى الاعتبار لأسامة ، ص ٦٥ ، نشر فيليب حتى .

وفى هذا دليل واضح فقد سبق أن رأيناهم عربوا « Amalarick عمورى » و ــ مرى ، و ــ أمورى غير أنهم انتحوا هنا طريقاً مخالفاً تماماً رغبة فى التمييز بين المتداخل والمختلط من لغات معسكر العدو ، كما نلاحظ أنهم استفادوا من الشكل العام لنطق العلم « goodfrey » فقد صاغوه فى قالب جمع إلى شكل الصيغة العربية النسب فصار وكأنه علم منسوب إليه مثل مصرى وعبرى . جاء جفرى وليست الصيغة كذلك إلا من حيث الشكل .

ونص آخر « إن الفرنج كان لهم ملك مجذوم ، وكانت له أخت ، ولم يكن له ولد فأوصى بالملك لها ولولدها »(١) .

المتأمل لهذا النص لا يخرج إلا بهدف واحد لكاتبه وهو الرغبة فى توضيح الدلالة وتحديد المقصود علماً بأنه نص لمؤرخ يجيد لغات الفرنجة ويبعث سفيراً لديهم ، ويعلم أن الملك المجذوم هذا هو « بلدوين الرابع » ملك بيت المقدس « Baldwin (IV) King of Jerusalm. » وقد سبق أن رأيناهم عربوا بالدوين مرة بغدوين ومرة جوسلين ، ومرة باليان بن بارزان والهدف هو الرغبة فى التميز بين المتداخل من لغات العدو وتوضيح دلالة المختلط واجتياز صعوبات النطق حيث تعاقبت أجيال الفرنجة. فقد جاء فى نص آخر : « بغدوين الملك والد الملكة امرأة الملك فلك بن الفلك »(١) . وبغدوين الملك هنا هو بالدوين الثانى ملك بيت المقدس « Bladwin 11 King of Jerusalim » فانظر الأجيال الفاصلة بين الملكين ــ كما أن الملكة هنا هى Melisende Queen of Jerusalim » أما فلك بن الفلك فهو(٢) فلك الخامس «Fulk (v) of Angou»

على حين أن الملكة أخت الملك المجذوم بالدوين فى النص السابق هى(٣)

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٢) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٨١ .

(٣) السابق ، الاعتبار ، ص ٦٥ .

« سبيلا » ملكة بيت المقدس « Sibylla, Queen of Jerusalim » وزوجها هو (١) « Guy Lusignan of Jerusaiim » وقد سبق لنا أن رأيناهم عربوا « Guy » كى .

فطول مدة الحروب وتعاقب الأجيال وتداخل الصيغ اضطرهم أن يصطنعوا ما يميزون به فى لغتهم ويوضحون به دلالة ما يقصدون .

واستكمالا لجوانب تلك القضية نعرض النص الآتى :

« فكان فى جملة الأسرى مقدم الداوية ، ومقدم الأسبتارية ، وصاحب الطبرية ، وأخو صاحب جبيل ، وابن القومصية ، وابن بارزان صاحب الرملة ، وصاحب جنين ، وقصطلان يافا وابن صاحب مرقية وعدة كثيرة من خيالة القدس وعكا ومن البارونية »(٢) ..

واضح أن الهدف هنا هو تحديد الدلالة وتوضيح المقصد بدليل محاولة الاستفادة من بعض الاستعمالات اللهجية المحلية خاصة اللهجة المصرية ، والمثل على ذلك قولهم : مقدم الداوية ، ومقدم الاسبتارية ... والبارونية .. فكان القياس على الفصحى يستوجب أن يقولوا : مقدم الداويين والاسبتاريين والبارونيين ، ولكنه استعمل منهج العامية المصرية حيث كان يقال آنذاك : العساكر المصرية والعراقية والحلبية .. ولعمارة اليمنى فى ذلك العصر كتاب اسمه « النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية » وللجزار أرجوزة فى مائة بيت واثنين سماها « العقود الدرية فى الأمراء المصرية »(٣) وعلى نسجها قالوا : الداوية ، والاسبتارية ، والبارونية ... والاستجابة للهجة هنا جاءت لعاملين :

١ — التأثر باللهجات نتيجة للاحتكاك اللغوى وهذا أمر لا مفر منه .

٢ — الرغبة فى توضيح الدلالة وتمييز المتداخل المختلط — ويؤكد ذلك

---

(١) مفرج الكروب ، ط جمال الدين الشيال ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(١) السابق ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٢) السابق ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٣) أدب الحروب الصليبية ، د. عبد اللطيف حمزة ، ص ٣٩٠ .

ما يراه الأب مرمرجي من أن « كلمة الداوية التي تطلق على نوع من الرهبنة العسكرية في تاريخ الحروب الصليبية يحتمل أن تكون تعريباً لكلمة « Divi » اللاتينية » . « وأن التعريب حافظ على عناصره الأساسية »(١) . ففي اللغات الإفرنجية يطلقون على هذه الطائفة العسكرية اسم « Templares » نسبة إلى « Temple » المعبد أو الهيكل ، حيث إن بلدوين الثاني أقطعهم خاناً يقيمون فيه قرب مسجد عمرو أو محراب داود(٢) ، ومن ثم سموا بالداوية في المصطلح التاريخي العربي وهم بهذا حققوا هدفين :

١ ــ وضوح الدلالة .

٢ ــ والمحافظة على عناصر التعريب الأساسية كما يقول الأب مرمرجي .

كما تجنبوا ذكر اسم عسير نطقه هو « Odo of Saint Amand grand master of the Temple »(٣) .

وما ينطبق على المثل السابق ينسحب على « الاسبتارية » و« الباروتية » ، فقد كانت كلمة « الاسبتارية » من وضوح الدلالة بدرجة كبيرة حيث كانوا يسمون بالفرنسية « Hospitalliers » وبالإنجليزية « Hospitallers » وكان يطلق على الدار التي يسكنونها « Hospice »(٤) . فمن هذا كله يمكن

---

(١) أنظر الأب مرمرجي الدومينكي : المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنة السامية ، ط القدس ١٩٣٧ ، ص ٥١ ، داوية وللأب مرمرجي اجتهادات أخرى فما يراه أنها يحتمل أن تكون تطور التامبليه الفرنسية فقد وجدت صيغ لها بالعربية تاملية وتامية وتأبية ــ وتاوية .
كما أنه يرى أيضاً أن لقبهم كان قبل هيكل داود Les pauvres Chevaliers de la Sainte cète أي الفرسان الفقراء المدينة المقدسة ــ وأن كلمة داوية في السريانية جمع الكلمة « Dawya » الآتية من فعل « Dwa » ومعناها بائساً أو فقيراً ــ أو هي تعريب للفظة فرنسية قديمة وهي « Dive » من اللاتينية « Divus » جمعها « Divi » ودلالتها إلهي أي الفرسان الإلهيون ...

(٢) مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، د. الشيال .

(٣) مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، د. الشيال .

(٤) السابق .

أن تؤخذ الكلمة على أنها كمية من الأصوات ذات دلالة واضحة معروفة تردد مثلها كثيراً فى العربية من نحو الانكشارية .. والتجاوزات الصوتية هنا فى حدود التغيرات المتوقعة .

فالمقطع الأول « Hos » صار « اس » والتبادل بين الهاء والهمزة له مبرراته الصوتية ، فصوت الهاء العربى يتكون عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق صوت صائت كالفتحة مثلا ، فالهاء : صوت صامت مهموس حنجرى احتكاكي — وساعد على اختيار الهمزة بدل الهاء هنا وظيفة صرفية فقد قربتها من أداة التعريف — وأما المقطعان التاليان وهما « pita » فالتجاوز الصوتى فيهما يسير حيث حل صوت الباء « B » محل صوت « P » الذى لا يردده اللسان العربى وبينهما من الصفات ما يسمح بذلك ، فالباء : صوت شفوى انفجارى مجهور وصوت « P » هو النظير المهموس للباء ، وهو لا يعد من أصوات العربية ، ويتكون بنفس الطريقة التى يتكون بها صوت الباء فيما عدا أن الوترين الصوتيين لا يتذبذبان أثناء نطقه . والمقطع التالى وهو « Li » تحول إلى (ر) « Ri » والحركة المزدوجة « dipthong » التى تتكون من كسرة وفتحة « ier » تحولت فى النطق العربى إلى ما يشبه الياء . وبذا يتحدد شكل الصيغة التى أدت فيها الحركات دورها فى إحداث الانسجام وتكوين البنية الشكلية على الهيئة التى رأيناها .

وأصبحت الصيغة وكأن لها مفرد اسبتارى — ومن ثم وجدنا فى كتب التراث تعبير : « الفرسان الاسبتاريين »(١) ، مثلما نجد مصطلح « فرسان الاسبتارية » .

أما تعريبهم « قصطلان يافا » فهو مما يؤكد رغبتهم فى تميز المتداخل وميلهم إلى توضيح الدلالة فإن كلمة قصطلان معرب اللفظ اللاتينى Castalanus

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢ — ٣ .

ويقابله فى الفرنسية « Chatelain » ومعناه فى العربية مستحفظ القلعة وكان المفروض أن يقولوا « مستحفظ قلعة يافا » أو « مستحفظ القلعة اليافاوية» ولكنهم آثروا قول « قصطلان يافا » ليعطى القيمة الدلالية بوضوحها وإيحائها المطلوب . ومما يوضح قوة التفاعل بين اللغات ثمرة الاحتكاك اللغوى آنذاك أنا وجدنا الفرنجة أخذوا الكلمة بنصها من العربية وسموها « Moafese » على حين عربها المسلمون قصطلان .

وأما قولهم (أخو صاحب جبيل) ففيه توضيح الدلالة المقصودة .. بالإضافة لتجنب صعوبة النطق فإن أخو صاحب جبيل هذا هو المعروف بأوك « Hugh (11) Embriaco Lord of jebail » .

أما قولهم (ابن القومصية) فإن اختيار البنية الشكلية للكلمة المعربة على هذه الصورة أمر فيه مدعاة للتأمل فمجيء الاسم على هذه الشاكلة يوحى بأنه منسوب لأمه والحقيقة ليست هكذا .. إلا أن كلمة « Comes » عندما عربت أصابتها بعض التغيرات الصوتية ، فصوت « C » صار قافاً . وكما هناك اسبتارية و داوية وبارونية هناك قمصية . ولا يصدر تعبير « ابن القمصية » فى هذا المجال إلا عن تخيل لغوى أمى تسيطر عليه روح التهكم والسخرية المازحة مما يجعلنى أرجح دور اللهجة المصرية هنا . خاصة وأن كلمة «قومص » تتردد فى كل الكتب التى أرخت للحروب الصليبية ، وهى تعريب للفظ اللاتينى « Comes » و نقل إلى العربية فى صورة صوتية مختلفة منها : (القمص ، القمس ، والقومس ، والقومص) ، ولظاهرة الإطباق هنا دورها .. كما أن للواحق الصرفية دورها أيضاً — وجاءت صور جمعه على النحو الآتى :

قمامس ، قمامص ، قمامسة ، قمامصة ، وقوامص(١) . جاء فى مفرج

---

(١) أنظر مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٧٣ .

الكروب النص الآتى : « حشد الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا إلى عماد الدين فى ملوكهم وقمامصتهم وكنودهم ليرحلوه عن بارين فلقيهم وقاتلهم أشد قتال(١) كما جاء فى مفرج الكروب « قد ذكرنا مكاتبة الحلبيين للقومص صاحب طرابلس وقصده حمص »(٢) . ومما تجدر الإشارة إليه ويؤكد ما نحن بصدده أن القومس المذكور هنا هو الكونت ريموند الثالث صاحب إمارة طرابلس الصليبية(٣) « Raymond descendant de Saint Agilles » وقد تلقفت الأذن العربية الجزء الأخير من الكتلة الصوتية « de Saint Agilles » ولعب الخيال اللغوى الأمى دوره وصاغ منها لقب « الصنجيلى » ونجد الاسم بهذا اللقب يتردد فى مراجع التراث المختلفة(٤) .

أما قول ابن واصل « وساروا إلى عماد الدين فى ملوكهم وقمامصتهم وكنودهم » فان كلمة « كنودهم » تحتاج إلى نظرة صوتية تحليلية .

ومن يتتبع المراجع يجد أن مفردها « كِنْد ، وكُند ، وقُنْد »(٥) ولا جمع لها غير كنود ، ودخلت العربية عن طريق الكلمة الفرنسية التى يرد الباحثون أصلها إلى « Comes » اللاتينية ، وهى نفسها « Comet » التى عربها المحدثون « كنت » أو « كونت » وإذا كان الأب رفائيل نخلة اليسوعى يقول أن « Comes » عندما تكون الكلمة فى حالة نصب فى اللاتينية (٦) وأن « Comitem » هى حالة الرفع فى اللاتينية فمعنى ذلك أن الكلمتين من أصل لاتينى واحد وأن مرحلة تطورهما سابقة على الاحتكاك اللغوى بالعربية .

---

(١) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ١ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٣) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٣ ، ص ٢٩ ، د. الشيال .

(٤) أنظر الكامل لابن الأثير ، والروضتين لأبى شامة .

(٥) مفرج الكروب لابن واصل ، ط . د. الشيال ، ج ١ ، ص ٧٣ . وابن شداد : السيرة اليوسفية ، ص ١١٥ .

(٦) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٨٠ . واقرأ أيضاً : من ص ٢٧٧ إلى ٢٨٠ .

ومثلما جمعوا « كند » على « كنود » رأيناهم جمعوا ترم على تروم وترم هي تعريب « Term » وكما نعلم أن من أوزان الاسم الثلاثى (فِعل) ويكون إسماً مثل (عِدْل) وصفة مثل « نِكْس»(١) . ويجمع على (فُعُول) نقول « عُدُول » ، (شهود عدول) .

ولم يكن التعريب بالكتل الصوتية مقتصراً على ما تنقله العربية من لغات مختلفة وإنما هو موجود فيما تنقله لغات الفرنجة من اللغة العربية كذلك ، فتلك من الظواهر اللغوية العامة التى تعرفها كل اللغات فقد جعلوا كلمتى « صلاح الدين » كلمة واحدة وهى « Saladin » أنظر كتباً بهذا العنوان(٢) ، كما وجدناهم يعدون كلمتى « الله أكبر » كلمة واحدة ، فيقول مثلا المحارب الصليبى فى حولياته : « إن المسلمين يصرون على أسنانهم ويصرخون صرخات عالية مدوية مرددين كلمة « Allahchibar »(٣)

ظاهرة نقل الكلمة الأوروبية فى صورة عربية خالصة:

طالعتنا بعض الكلمات المأخوذة من لغات معسكر الفرنجة وقد صبت فى قالب عربى خالص يضيع معه الأصل الفرنجى للكلمة ، والذى أعان على صب الكلمة الفرنجية فى قالب عربى عوامل منها :

– تقارب الصورة الصوتية المعربة من صور صوتية عربية حديثة أو قديمة

– أو تقارب الدلالة ، أو صلاحية اختلاطها ، وبكثرة الاستعمال وبمرور الوقت ينسى الأصل ، وتبقى الكلمة بالدلالة العربية الجديدة ، وتبدو الصورة الصوتيةوكأنها نوع من المشترك اللفظى ، ويغيب الأصل تماماً . من أمثلة ذلك كلمة « الطارق » وجمعها طوارق ، وهى نوع من الترس يستعملها الفرنج والروم(٤) .

---

(١) اقرأ شرح الأشمونى ٤ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ؛ والمزهر للسيوطى ج ٢ ، ص ٣–١٠

(٢) Lane Poole (Sit) Saladin end the fall of the Kingdom jerusalim London 1878, Lawis.

Bernarol : Saladin and the assassins (B.S.A.S) (1753, Xvl2)

(٣) حوليات المحارب الصليبى ، حسن حبشى ، ص ١١٦ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص الشيال . ط

ويرى « Dozi » أنها مأخوذة من الكلمة اللاتينية « Targa » وأن أصلها اللاتيني « Tergum » ومنها أخذت الكلمة الإيطالية « Tarja » ومنها أيضاً أخذت الكلمة الفرنسية « Targe » ويؤيد « Dozi » رأيه بشواهد منقولة من المراجع العربية نفسها التي عاصرت الحروب الصليبية ، فيورد للعماد الأصفهاني نصوصاً من الفيح القسي تؤكد أنها آلات الفرنجة(١) . وقد وصف مرضى بن على (الطوارق) فى « تبصرة أرباب الألباب » الذى ألفه لصلاح الدين عند حديثه عن نوع من التراس قائلا : « منها الطوارق وهى التى يستعملها الفرنج والروم »(٢) ، ويمكن تصور انتقالها إلى العربية عبر المراحل الآتية :

لفظ « Targe » التى تطلق على نوع من تراس الفرنج عندما طرقت السمع العربى تحولت على اللسان العربى إلى « طارق » وذلك خاضع لقوانين التغيرات الصوتية ، فقد تم التبادل بين أصوات تشترك فى صفات صوتية عامة وقامت ظاهرة التفخيم بدورها — فالتاء صارت طاء ، والجيم صارت قافاً ، وذلك لما بينهما من صفات عامة ، فالتاء : صوت مهموس سنى انفجارى ، والطاء : صوت مهموس سنى مطبق انفجارى ، وللجيم أكثر من صورة فى العربية ولهجاتها — الجيم القاهرية مثلا صوت مجهور حنكى قصى انفجارى .

والقاف : صوت مهموس لهوى انفجارى . ونظير القاف المجهور : صامت مجهور لهوى انفجارى . وترددت الكلمة على اللسان العربى « طارق » على وزن « فاعل » ولها نظير فى العربية وليست هناك قرينة نطقية تمنع كونها من المشترك اللفظى . ولأن لفظة طارق فى العربية متعددة الدلالة كان ذلك

---

(١) أنظر العماد الأصفهانى : الفيح القسى صفحات ١٦٤ ، ٢٤٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، هامش د. الشيال ؛ وتبصرة أرباب الألباب لمرضى بن على ، ص ١٢ .

مسوغاً لقبولها، وقد وردت فى القرآن الكريم(١) وهكذا وجدت الكلمة الدخيلة لها نظائر فى العربية فاختلطت بها. وأصبحت نوعاً من المشترك اللفظى وأخذت كل خصائصها الصوتية والصرفية ، وجمعت على « طوارق » وثنيت ، وعرفت ووصفت وأضيفت .. إلخ .

مثال ثان كلمة « Angulani » فإنها دخلت إلى العربية عن طريق نقلها ككتلة صوتية مجتمعة غير أن حاسة التذوق العربية حرفتها وأعادتها « غلمان » والفرق بين الصورتين الصوتيتين شاسع . ولكن كلمة « غلمان » فى العربية مفردها « غلام » لها دلالتها المعروفة ومع ذلك حدث خلط ولبس بين الصورة الدخيلة وبين الأصل المعروف . وكلمة « Angulani » التى صارت « غلمان » لاتينية الأصل يفسرها مسيو بريـيـــه بقوله : « Uu Crops de troup de L,armee Turque. » وهذا التعريف قريب من دلالة مصطلح « غلمان » عند ابن القلانسى ، فابن القلانسى يطلق هذا المصطلح على « فريق من المعسكر يستعان به فى الحرب » . ويقول الدكتور حسن حبشى أن مصطلح « الغلمان » هذا لا يوجد عند أحد من المؤرخين قبل ابن للقلانسى(٢) . ومعناها أن ابن القلانسى هو معرب هذا اللفظ ، وإن شئت فقل هو محرفه — ولما قام الدكتور حسن حبشى بترجمة حوليات المحارب الصليبى نقل مصطلح « Angulani » إلى العربية بلفظ « الغلمان » قائلا : إن هذا التعريب يتفق مع دلالتها فى المراجع العربية مستشهداً بابن القلانسى(٣) .

وأتى الدكتور حسن حبشى بأدلة متعددة أكدت أن كلمة « الغلمان »

---

(١) سورة الطارق ، الآية الأولى والثانية « والسماء والطارق » .

(٢) حسن حبشى ، ص ١١٨ حوليات المحارب الصليبى ، ص ٢١٨ .
أما مسيو بريـيه فهو من المهتمين بدراسة الحروب الصليبية ومن المترجمين لحوليات المحارب الصليبى من الإيطالية إلى الفرنسية وهو أحد البحاث المشتغلين فى حقل الحروب الصليبية من الفرنسيين من أمثال بونجارس وهاجيمر وبريـيه .. أنظر ص ١٤ من الحرب الصليبيه الأولى .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، نشر امدراوز .

لفظاً ومعنى ، تعريب الكلمة اللاتينية « Angulanı »(١) وفى ذلك ما يؤكد أن كلمة « الغلمان » المعربة اختلطت صورتها الصوتية ودلالتها معاً بالكلمة العربية الأصلية التى مفردها « غلام » .

ويمكن تصور انتقالها إلى العربية عبر المراحل الآتية :

الكلمة طرقت السمع كتلة صوتية مجتمعة وتمثلها الخيال العربى وببعض التحريفات رددها اللسان العربى « الغلمان » ، وتحليل ذلك صوتياً على النحو الآتى :

المقطعان الصوتيان الأولان « An/gu » وفقاً لقواعد التبادلات الصوتية العامة يمكن أن ينطقا « الغ » وبين الجيم والغين من الصفات العامة المشتركة ما يسمح بذلك ، فالغين : صامت مجهور حنكى قصى احتكاكى .

والمقطعان الصوتيان التاليان « Lani » يمكن أن يصيرا « لام » ، وبذا تتحول الكلمة فى السمع والنطق العربى « الغلام » ومع بعض التسامحات الصوتية وقيام الحركات بدورها وبالاستعانة بالخيال اللغوى العربى تتحول إلى « غلمان » مع ربطها بالدلالة التى تشير إليها فى لغتها وهى فرقة من الجيش .

واستقرت على هذه الصورة الصوتية بتلك الدلالة فى الذهن العربى وفى المراجع العربية حيناً من الزمن .

ولكن من يقرأ النصوص وهو خلىّ الذهن يسبق إلى ذهنه الدلالة العربية وبمرور الزمن ينسى الأصل .

غير أن الواقع اللغوى فى تلك الفترة أوجد نوعاً من المشترك الصوتى . وترتب على ذلك أن الصيغة الجديدة أخذت كل الخصائص الصوتية والصرفية للصيغة الأصلية .

---

(١) اقرأ د. حسين حبشى : الحوليات .

الباب الثالث

باب: الدراسات الدلالية

تمهيـــد

أخذت الدراسة فى هذا الباب طبيعة مستقلة مغايرة فرضتها مادة البحث ومقتضياته فعلى الرغم من أن تنقل الأفكار والمعانى بين العربية وغيرها لم يتوقف عبر العصور إلا أن الاهتمام بتطور دلالة الدخيل فيها وتتبع مساراته لم يحظ بعناية الدارسين ولم توضع مناهج لدراسته . ولم تهتم الدراسات العربية بتاريخ الدخيل وتتبع مساراته مثلما صنع باحثو الغرب(١) . مما ألقى على عاتق هذا الباب عبء ارتياد طريق مجهول الشعاب وعر المسالك ، وفرض عليه وضع منهج يتلاءم وطبيعة الصراع اللغوى الذى عامته العربية فترة العصور الوسطى .

فقد تتبع البحث الظاهرة الواحدة فى كل أوضاعها وتعقب مساراتها وضم الشبيه إلى الشبيه وبحث ظروف الدخيل وتاريخه وأصله وعلله ؛ ولم تعرف طبيعة اللغة هنا التفريق بين الدخيل من كلا المعسكرين استجابة منها لمتطلبات المجتمع واحتياجاته وتفاعلا مع واقعه المتغير المتطور .. لهذا لم تدرس مثلا ظاهرة الترادف مستقلة ، ولم تدرس كذلك مثلا ظاهرة المشترك اللفظى مستقلة كما لم يدرس الدخيل من لغات المعسكر الصليبى بمعزل عن دراسة الدخيل من لغات المعسكر الإسلامى ؛ فقد تبين للبحث أن طبيعة تفاعل المجتمع الإسلامى آنذاك واستجابة اللغة لسد حاجات النقص فى بعض مجالات الحياة التى فرضها الصراع السياسى والحربى والواقع الاجتماعى حتم عليها أن تأخذ من لغات كل معسكر ما يسد حاجاتها فى مجال النقص مما هو جديد عليها ومتوفر فى لغات غيرها ، فقد توفر مثلا فى لغات الفرنجة ألفاظ متعددة تدل على أنواع مختلفة من السفن الحربية أو التجارية ... التى لا عهد للعربية بها فأدخلتها العربية

---

(١) اقرأ رأى الأب رفائيل نخلة اليسوعى فى هذا : غرائب اللغة العربية .

بين مفرداتها وطورت دلالات بعضها فى اتجاهات مختلفة ما بين تخصيص وتعميم ورقى وانحطاط وتطور نحو المعنى المضاد .. على حين توفر مثلا فى لغات معسكر المسلمين الألفاظ التى تتصل بالحكم والألقاب والزعامة ورتب الجيش وغيره وغير ذلك مما لا عهد للعربية به فأدخلته بين مفرداتها وطورت فيه مما أسهم مثلا فى إثراء ظاهرة الترادف فى العربية أو المشترك اللفظى أو التضاد لذا انصبت اهتمامات البحث هنا على نوع الدراسة وكيفيتها وتتبع الظواهر اللغوية وإيجاد حل للمتشابك منها ، وطبيعة الحياة ألا تتوفر ألفاظ لدلالات فى لغة مجتمع ويحرم آخر منها مما أوجد نوعاً من التداخل بين المفردات فى الظاهرة الواحدة من لغات المعسكرين وجعل طبيعة الدراسة فى هذا الباب تأخذ صبغة المباحث تحقيقاً للهدف المرجو . فإن غاية الدراسات اللغوية فى كل فروعها دراسة المعنى اللغوى ، فهو قمة الدراسات وهدفها .

كما أن نقل الأفكار والمعانى واقتباس المفردات وتعريب الكلمات من لغات مختلفة فى العصور الوسطى .. فى حاجة إلى أن يسلط عليه علم الدلالة مناهجه الحديثة من جوانبه المختلفة ما بين منهج وصفى ، ومنهج مقارن تحليلى ، ومنهج تاريخى ذى اعتبار متحرك متطور(١) .

وقد كانت الحروب الصليبية وسيلة لإثراء الفكر الغربى بالمعانى والأفكار والقيم الإسلامية التى استفادها الغرب من الشرق يشهد على ذلك كُتَّابهم وباحثوهم ، قال السير وليم موير : «إن من آثار الحرب الصليبية بالنسبة للعالم الغربى أنها وسعت الأفكار من جهة اللغة »(٢) .

كما لا يخفى ما استفاده الفكر الفارسى والتركى وما استفاده الغرب بعامة من الفكر الإسلامى الخالد ومن المعانى العربية . ومن الأمثلة على ذلك ما جاء

---

(١) بين هذه المناهج الثلاثة تكامل اثر فى ذلك :

Bloomfield ; Languge : Chapter 18: The Comparative Method P. 297-320.

(٢) السير وليم مويير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ص ٣٠ .

فى القرآن الكريم من قصص ، فإن قصة سيدنا يوسف عليه السلام التى وردت فى القرآن الكريم قد نظمها شعراء الفرس مراراً ، ومن أسف لم ينظمها شاعر عربى واحد . كما افتن الفرس فى غيرها افتناناً واقتدى بهم فى ذلك شعراء الترك(١) وصنعوا مثل ذلك بقصة المجنون وليلى وغير ذلك كثير(٢) .

كما استفادوا من معانى الإسلام السامية ومبادئه الخالدة الحم الكثير الذى صبغ حياتهم الخاصة والعامة .

وفى تبادل الأفكار والمعانى إثراء لها وتطور هو فى حاجة إلى بحث ودرس ونضرب مثلا بمعنى أخذه الفرس عن العرب وعمقوه ، قول الشاعر :

ولا يقيم عـلى ضيم يراد بـه إلا الأذلان عير الحى والوتـد
هذا على الخسف معقوص برمته وذا يشج فما يرثى له أحـد

أخذ شاعرهم الشطر الأخير من البيتين وقال :

دشمنانت همچو ميخ خيمة ميخواهم مدام
تن بخاك وسر بستك دريسمان بركردنس(٣)

ومعناه : أود أن يكون أعداؤك كوتد الخيمة أبدا جسمه فى التراب ورأسه للحجر ، والحبل فى عنقه .

---

(١) اقرأ مقدمة الشاهنامة للدكتور عبد الوهاب عزام تجد على ذلك أمثلة كثيرة ، وانظر : الحياة الأدبية للدكتور أحمد بلوى ، ص ٥٢ .

(٢) مقد الشاهناه .

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم معروف للفرس منذ بداية الدعوة الإسلامية غير أن شخصية يوسف وشخصية زليخا لم تصورا فى الأدب الفارسى إلا متأخراً على يد شاعرين هما : الفردوسى (المتوفى حوالى ١٠٢١ م) ثم بلغ بالشخصيتين قمتهما الفنية فى التصوير الأدبى الشاعر الفارسى الآخر عبد الرحمن الجامى (المتوفى عام ١٤٩٢ م) وقد وضحت الصبغة الصوفية فى قصة جامى . اقرأ ص ٧٢ من كتاب النماذج الإنسانية فى الدراسات الأدبية المقارنة للدكتور محمد غنيمى هلال . وانظر جامى : يوسف وزليخا ، كليات جامى ، مخطوطة ٢١ بتصرف ، بدار الكتب المصرية ، برقم ١٨٧ب – ١٨٩ .

(٣) اقرأ مقدمة د. عبد الوهاب عزام : للشاهنامة .

وعلى الجانب الآخر استفاد الفكر العربى من الفكر الغربى ، ومن أفكار الشعوب الداخلة فى الإسلام، ومن أجل الأعمال وأعظمها التى نقلت إلى الفكر العربى فى ذلك العصر « الشاهنامة » ومعناها : « سفر الملوك » وقد كتبها الفردوسى بالفارسية سنة ٤٠٠ هـ وبذل فيها جهوداً مضنية استمرت سنوات طوالا ، وكتبها فى ستين ألف بيت(١) . ونقلها إلى العربية الفتح بن على البندارى(٢) الأصبهانى فى لغة نثرية للملك المعظم عيسى بن العادل بن أبى بكر ابن أيوب(٣) .

ونضرب مثلا بمعنى أخذه العرب عن العجم وعمقوه .

روى أن الملك العزيز قد غُنى بين يديه دو بيت بالأعجمية معناه : أنه جعل الليل برد دار للحبيب : أى ممسك البرد ليحجب الشمس فأرسل إلى وزيره الأجل نجم الدين أبى الفتح يوسف بن المجاور يأمره أن يصنع المعنى فى شعره ، وأن يأمر الشعراء بالعمل فى ذلك فصنع بديها وأرسله إليه :

قال الليل : انصرف راشداً فإنه استخدمنى برد دارا

ثم صنعوه بعده فمن مرو وباده ، واشترك فى التحدث عن هذا المعنى القاضى الفاضل والأسعد بن الخطير ، وابن النبيه ، وشهاب الدين يعقوب ابن أخت نجم الدين والقاضى الأسعد عبد الرحيم بن شيث(٤) .

وعلى الرغم من أن الترجمة من لغة إلى لغة تكشف مشكلة المعنى بصورة جلية أى تزيدها(٥) فإن عوامل مختلفة فى هذه الفترة ساعدت على تذليل تلك المشكلة .

---

(١) قصة الأدب الفارسى ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

(٢) البندارى : هو علامة الزمان وترجمان الأوان شرف الدين الفتح بن على بن محمد ابن الفتح البندارى الأصفهانى .

(٣) مقدمة الشاهنامة . د. عبد الوهاب عزام، إقرأ ترجمة الفردوسى فى مدخل الشاهنامة للدكتور عبد الوهاب عزام ، من ص ٤١ إلى ص ٧٠ .

(٤) بدائع البداية ، ص ١٥٠ .

(٥) أنظر عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، من ص ٢٢٩ — ٢٣٩ .

ومن تلك العوامل :

– الكتاب والأدباء أنفسهم فقد كان كثيرون منهم يجيدون لغات مختلفة غير العربية ومن أمثلتهم فى ذلك العصر : العماد الأصفهانى ، ومحمد بن أبى القاسم السلمى ، ومحمد بن مصطفى الصلفرى ، وموفق الدين بن صقلاب ، وحسام الدين خشترين ، وعلم الدين ايدمر المحيوى ، وسيرزاد بن معلود .. وغير ذلك كثير .

– وأضف إلى ذلك كثيرين من الفرنجة كانوا يتقنون اللسان العربى ، وينقلون المعانى والأفكار المختلفة من العربية وإليها فى يسر . ومن أمثلة هؤلاء : برنارد فيشيه « Bernard Vachier » وهرلوان « Herlouin » .

وكان الصليبيون قد أدركوا أن إتقان العربية أسرع وأفضل ما يحسم الأمور فى المواقف الهامة فأتقن كثيرون منهم اللسان العربى ، مما كان له أثر بالغ فى مواقف كثيرة ، يقول المحارب الصليبى فى حولياته : « لم ير الصليبيون بدا من أن يبعثوا بمبعوث من قبلهم يتقن اللسان العربى ليسأل أنر ونور الدين أن يأذنا لهم بهدنة يتمكنون خلالها من دفن قتلاهم »(١) ، ويقول أيضاً : « وحينذاك انعقد إجماع زعمائنا على المبادرة بإنفاذ رسول إلى الترك أعداء المسيح ليسألهم على يد أحد المترجمين هذا السؤال الصريح .. عما دعاهم إلى اقتحام أرض المسيحيين وهم فى سورة غضبهم »(٢) .

ويقول : « سرعان ما انكفأ رجالنا إلينا بكل ما أجابتهم به تلك الطغمة الغليظة ويقال : إن هرلوان الذى يعرف اللسانين العربى واللاتينى كان يقوم بالترجمة لبطرس الناسك ، وفى هذه الأثناء ألمت بجيشنا نكبتان لم ندر ما نفعل حيالهما »(٣) . كما يقول : « وإذ ذاك أمر يوهمند على لسان مترجمه زعماء

---

(١) حوليات المحارب الصليبى ، ص ١٥٦ .

(٢) السابق ، ص ١٥٥

(٣) السابق ، ص ١٥٦

المسلمين بالالتجاء ونساؤهم وأطفالهم ومتاعهم إلى قصر واقع جنوب الميناء وأخذ على نفسه عهداً أمنهم به على حياتهم »(١) .

وكان من الفرنجة من يحاور باللسان العربي ويُحاجّ به في الدين وغيره على نحو ما كان يصنع صاحب الشقيف مع صلاح الدين(٢) .

وقد كان ثمن الجهل بلغة العدو فادحاً على نحو ما يروى أسامة في قصة حسنون مع دنكرى « Tancred » الذى أعطاه أمانه على ما توهم حسنون على حين أنه فى حقيقة الأمر لم يؤمنه . يقول : « فإنهم لا يتكلمون إلا بالإفرنجية لا ندرى ما يقولون »(٣) ودفع حسنون حياته ثمن جهله بلغة عدوه.

وقد كان إتقان اللغات والإلمام بها عاملا من عوامل إثراء الأفكار ونقل المعانى . وفى كثير من الحالات يحدث أن يصيب كثير من معانى الكلمات الدخيلة تغيرات فى المعنى « Change in meaning » لأسباب عارضة قد يكون مبعثها العالم الخارجي ، وقد يحدث ذلك لعوامل نفسية داخلية(٤) .

كما أن هناك عوامل لغوية تؤثر فى تطور دلالتها منها : عوامل تتعلق بمبلغ ارتباط الكلمة بفصيلتها .

وبمبلغ وضوح دلالتها فى الأذهان فإن وضوح الدلالة يقلل تعرض الكلمة للتغير .

— كما أن انعزال الكلمات الدخيلة عن أسرتها يعمل على إبهامها ويعرض مدلولها للانحراف عن وضعه الأصلى ، وقد يعرض الكلمة نفسها للفناء(٥) .

— وعوامل تتعلق بأصوات الكلمة فثبات الأصوات يساعد على إثبات

---

(١) السابق ، ص ١٦٦ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .
ابن شداد : السيرة اليوسفية .

(٣) اقرأ القصة فى الاعتبار : لأسامة بن منقذ ، ص ٦٦ — ٧٦ .

(٤) اقرأ علم اللغة مقدمة : د. محمود السعران ، ص ٣١٤ .

(٥) د. على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع ، ص ٨٨ .

المعنى ، وتظل صلة الكلمة بأسرتها وثيقة واضحة فى الذهن ما دامت محتفظة بصورتها الصوتية التى تساعد على ثبات مدلولها(١) .

– وعوامل تتعلق بالقواعد الصرفية والنحوية ؛ فقد تذلل قواعد اللغة الطريق إلى تغير مدلول الكلمة(٢) فإن لاختيار القالب الذى يصب فيه الدخيل أثراً فى تغير المدلول . فقد يوحى شكل الصيغة بالتأنيث أو التذكير أو الجمع أو الإفراد وقد يكون ذلك مخالفاً لحقيقتها على نحو ما مر فى الباب السابق(٣) وبتغير الشكل يتغير المدلول .

– وقد يحدث التطور فى دلالات الدخيل صدى لتغير الميول الاجتماعية ، أو نتيجة لتغيرات عارضة فى العالم الخارجى .

وفى موضوع بحثنا أصاب بعض الكلمات الدخيلة «معربة كانت أو مقتبسة» بعض التطورات الدلالية التى انتهت ببعضها إلى تغيرات كبيرة فى المعنى .

فبعضها خصصت دلالته وهذا ما يسمى بالتغير نحو التخصيص : أو تخصيص المعنى(٤) « Narrowing Restriction of meaning » .

وبعضها عممت دلالته ، وهذا ما يسمى بالتغير نحو التعميم أو تعميم المعنى(٥) « Expansion of meaning » .

وبعضها رقيت دلالته ، وهو ما يسمى بالتغير المتسامى أو رقى الدلالة(٦) « memliorative Change » :

---

(١) د. على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع ، ص ٨٩ .

(٢) السابق ، ص ٨٩ .

(٣) أنظر باب الدراسات الصوتية .

(٤) اقرأ دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، ص ١٥٢ .
وحمود السعران : علم اللغة مقدمة ، ص ٣٠٨ .

(٥) اقرأ دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، ص ١٥٤ .
ودكتور محمود السعران : علم اللغة مقدمة ، ص ٣٠٩ .

(٦) السابق ، ص ١٥٨ .
ود. محمود السعران : علم اللغة مقدمة ، ص ٣٠٧ .

وبعضها انحطت دلالته ، وهو ما يسمى بانحطاط الدلالة أو التغير نحو الخافض(١) « penjorative Change » .

وبعضها تغير معناه نحو الدلالة المضادة وهو ما يسمى بالتضاد(٢) .

وبعضها تغيرت دلالته لتشير إلى ماض فى حضارى وتكشف عنه على نحو ما سيتضح .

وترتب على هذه التغيرات وغيرها إثراء لظواهر لغوية مختلفة كثير منها لم يلتفت إليها الدارسون وبعضها نال نصيبه من أقلام الباحثين فى العربية ، وقد تناول البحث هذه الظواهر اللغوية وتلك بالدراسة والتحليل من زوايا مختلفة متنوعة تطلبتها طبيعة الدراسة ودلت عليها ، على نحو ما تكشف عنه دراسات الفصلين القادمين . ومن الظواهر التى نالت حظها من أقلام الباحثين فى العربية :

- ظاهرة الترادف(٣) .
- ظاهرة المشترك اللفظى(٤) .
- وظاهرة التضاد(٥) .

فتلك ظواهر لغوية عامة تعرفها اللغات ، يدرسها علماء اللغة ويعللون لها(٦) . وظاهرة الترادف فى العربية بنوع خاص ذات أعماق وأبعاد متنوعة استطاعت بها العربية أن تستفيد من الدخيل زمن الحروب الصليبية فأثرت تلك

---

(١) السابق ، ص ١٥٦ ، ود. محمود السعران : علم اللغة مقدمة ، ص ٣٠٥ .

(٢) د. محمود السعران : علم اللغة مقدمة ، ص ٣١٠ .

عن التضاد أقرأ من مصنفات الثروة اللفظية د. البدراوى زهران .

(٣) اقرأ بحثاً عن الترادف للأستاذ على الجارم بمجلة اللغة العربية ، الجزء الأول ، من ص ٣٠٣ إلى ص ٣٣١ .

واقرأ عن الترادف أيضاً من مصنفات الثروة اللفظية السابق .

(٤) اقرأ : دور الكلمة فى اللغة ترجمة الدكتور كمال بشر لفظ واحد مدلولات عدة ، من ص ١١٣ إلى ص ١٣٦ . واقرأ أيضاً من ص ٩٨ إلى ١١٢ مدلول واحد ألفاظ عدة .

(٥) أنظر كتب الأضداد فى اللغة .

(٦) اقرأ : علم اللغة مقدمة ، ص ٣١٠ .

واقرأ من مصنفات الثروة اللفظية السابق .

الظاهرة وغيرها من الظواهر التي على شاكلتها إثراء سدت به في بزاعة كثيراً من احتياجاتها آنذاك في مجالات متعددة فقد نسقت بين الصيغ الدخيلة وصيغها الأصيلة ، وتعايش الدخيل والأصيل معاً كل يؤدي دوره على نحو ما رُسم له وعلى حد قول « دي سوسور » في مثل هذا الصدد أن الصيغة الجديدة لم تكن بديلا للقديمة فقد تعايشت الصيغتان زمناً استخدمت فيه إحداهما بمعنى الأخرى(١) وهو عين ما حدث في العربية آنذاك غير أن العربية في كثير من الحالات طورت بعض الصيغ لتنوع بين الدلالات على نحو ما يوضح ذلك الفصلان القادمان ، ولعب القياس الإبداعي هنا دوره الذي كان له أثره في التطور اللغوي ذلك العصر وقد عللت له ودللت عليه بعض المباحث القادمة ، ويقول دي سوسير في مثل هذا الصدد أيضاً : « إن القياس على هذا النحو الإبداعي المحض يحتل مكاناً متفوقاً في نظرية التطور اللغوي ، وأن استحداث قياس بعينه أمارة على طروء تطور في الدلالة »(٢) .

وقد اتبع البحث في هذا الباب منهجاً هدف من ورائه إلى تحقيق الغايات الآتية :

ـ دراسة أصل الكلمات الدخيلة دراسة علمية وتعيين مصدرها محاولين بذلك أن نسهم في سد تلك الثغرة التي أخذت على اللغويين العرب « فإن العرب ومن ورثوا لغتهم في العصور الأخيرة لم يدرسوا أصل الكلمات الدخيلة في لسانهم درساً علمياً ، كما فعل معظم شعوب أوروبة ، ولم يعينوا مثلهم في القواميس مصدر تلك الكلمات إلا ندرة مكتفين في الغالب بقولهم أنها دخيلة »(٣) وقد سار على هذا الطريق عالمان لغويان : الأب رفائيل نخلة اليسوعي في كتابه « غرائب اللغة العربية » . والدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه « دراسات لغوية » حيث قدم كل منهما معجماً موصلاً خدم مرحلة من مراحل مسار

---

(١) د. عبد الصبور شاهين : دراسات لغوية ، ص ٤١ .

(٢) السابق ، ص ٤٣ .

(٣) الأب رفائيل نخلة اليسوعي : غرائب اللغة العربية ، ص ١٩٩ .

العربية على طريقها الطويل ونأمل أن نخطو على هذا الطريق خطوة فى مجال العصر الذى ندرسه « عصر الحروب الصليبية » .

– والغاية الثانية التى نرجو أن تحققها الدراسة فى هذا الباب هى : تتبع حركة تطور دلالة الدخيل فى ذلك العصر حيث إن « قواعد علم اللغة تشهد بأن أول جانب يتأثر من اللغة بفعل اختلاطها بغيرها هو متنها نتيجة لاقتراض الكلمات والمصطلحات التى لا نظير لها فى اللغة المقترضة . . »(١) . وهذا أمر لا يزعج فعلى نحو ما قرر « فندريس » أن : « استعارة المفردات مهما اشتد أمرها يمكن أن تظل مسألة خارجة عن اللغة »(٢) .

غير أنه كثيراً ما ينال معنى الدخيل تغيير أو تحريف عند انتقاله ، وفق ما تقتضيه الظروف الاجتماعية المحيطة بهذا الانتقال ، فقد يخصص المعنى العام ويقصر على بعض ما يدل عليه ، وقد يعمم المدلول الخاص : وقد يستعمل الدخيل فى غير ما وضع له لعلاقة ما بين المعنيين ، وقد تنحط دلالته وقد تسمو إلى منزلة راقية(٣) ، على نحو ما توضح ذلك الأمثلة القادمة .

وحاول البحث من خلال اللغة أن يتتبع تلك الظواهر اللغوية فى أوضاعها المختلفة وأن يرصد حركات تطورها ويسجل مساراتها وما انتهت إليه ، وقد كان لكل كلمة مسارها الذى تتبعه البحث بالدرس والتحليل فى صبر وأناة فمنها ما أصابه تطور أصواتى كان له أثره البعيد المدى ومنها ما أصابه تطور دلالى ، ومنها ما اختلط بغيره ، ومنها ما أدى دوره حقبة من الزمن ثم اختفى ومنها مازلنا نستعمله حتى اليوم على نحو ما كان عليه ، ومنها ما أصابته دفاعات مختلفة فى مجالات التطور اللغوى المتعددة على نحو ما تكشف عنه المباحث القادمة .

– والغاية الثالثة التى هدفت دراسة هذا الباب إلى تحقيقها هى محاولة

---

(١) د. السعيد محمد بدوى : مستويات العربية المعاصرة فى مصر ، ص ٣٤ .

(٢) ج. فندريس : اللغة ، ترجمة الدواخلى والقصاص ، ص ٣٥٨ .

(٣) اقرأ : اللغة والمجتمع ، د. على عبد الواحد وافى ، ص ٣٠ .

الربط بين عناصر الظاهرة اللغوية الواحدة ربطاً مبعثه تأصيل الدراسة والتنسيق بينها في الظاهرة اللغوية الواحدة وفي الظواهر اللغوية المتشابهة على نحو ماأوضحته المباحث في الفصلين القادمين الثاني والثالث من هذا الباب .

وقد اكتفينا من نصوص كتب التاريخ بما يحقق الهدف الذي تقوم عليه الدراسة ويوضح طريقة الاستعمال وكيفيته ، ويأتي شاهداً على بعض نواحي التطور ومراحله .

وحققت الدراسة في هذا الباب أيضاً غاية هامة ذات شقين متقابلين تقابل التكامل :

ـ الشق الأول : محاولة تأصيل الكلمات بالرجوع إلى المعاجم اللغوية الهامة .

ـ الشق الثاني : الاستعانة باللهجات الدارجة التي نستعملها والاستفادة منها في معرفة مسار بعض الكلمات وحركات تطورها ، فنحن شهداء على عصرنا ويضاف إلى ما سبق أن مادة الفصلين القادمين وما دار فيهما من دراسات تعد ممهدة لدراسة الخواص التركيبية وفي خدمة الباب الرابع ، خاصة ما قدمته من استعمالات لغوية للدخيل ، ومن صور لجموعه واشتقاقاته المختلفة ، وطرق التصرف فيه .

الفصل الأول

تطور دلالة الدخيل من لغات معسكر الفرنجة

وقفت العربية من الدخيل موقفاً نسقت فيه بين الدخيل والأصيل فى براعة: سدت معها كثيراً من احتياجاتها فى مجالات مختلفة ؛ وما أصاب الدخيل من لغات معسكر الفرنجة من تغيرات فى المعانى أو تطورات نحو التخصيص أو التعميم أو الرقى أو الانحطاط .. وما نتج عن ذلك من ظواهر لغوية متعددة فى هذا الميدان إنما كان له مبعث وينطلق نحو تحقيق هدف .

ومن الأمثلة على ذلك ما توضحه الدراسات والتحليلات التى نجريها على معانى بعض الكلمات الوافدة من لغات معسكر الفرنجة ، وسوف نحاول ترتيبها أبجدياً قدر الإمكان ، حيث إن الاستطراد فى دراسة معنى ما ومتابعة تحليلاته فى بعض الحالات قد يحول دون ذلك ، وقد جعلناها نماذج وأدرجنا تحت كل نموذج شبيهه وما هو على شاكلته أو من جنسه ، وذلك بهدف إعطاء بعض ألوان من الدراسات الدلالية ، واكتفى بالترتيب بين أمهات النماذج فحسب ، أما ما يندرج تحت النموذج فقد تنوعت أبجديته .

نموذج(١)

بترکوس وبركوس والجمع براكيس

جاء فى مفرج الكروب النص الآتى : « وكان العدو قد ظفر للمسلمين ببتركوس فيه نفقه ورجال أرادوا الدخول للبلد »(١) .

وجاء فى ابن شداد : « وقالوا للسلطان نحن نخوض البحر فى براكيس

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ .

وبطش إلى العدو فأذن لهم فى ذلك وأعطاهم بركوساً . وهو المركب الصغير(١)
وجاء فى الروضتين « خاف جماعة ممن كان فى البلد فأخذوا لهم بركوساً وهو مركب صغير »(٢) .

وإن من يتتبع هذه الكلمة اللغوية الدخيلة فى أوضاعها اللغوية المختلفة واستعمالاتها اللغوية المتعددة يخرج بوصف لغوى دقيق لها أصواتياً وصرفياً تركيباً . على نحو ما تنبىء عنه النصوص السابقة . ونص العماد الآتى مثلا على ذلك :

« أخذ من الفرنج بركوسان فيهما نيف وخمسون نفراً »(٣) . ويقول أيضاً وفى موضع آخر : « وعادوا بها وبهم إلى براكيسهم »(٤) .

وفى محيط المحيط : « البركوس والباركوس : ضرب من السفن بين البريق والفرقاطة معرب »(٥) .

ويرى كندرمان « Kindermann »(٦) أن الكلمة مأخوذة من الإيطالية « Barcoso » وأنه يقابلها بالفرنسية « Barque » والإنجليزية « Bark » كما أن « بطشة » التى صارت « بطسة » من الإسبانية وأصلها « partcha » ومعناه أن هذه الكلمات كلها دوال على مدلول واحد .

وقد وجدنا محققاً يقرأ « بركوس » « مركوش » ويعلق فى الهامش بقوله : « نقط شين الكلمة ساقطة من الأصل « غ » وواردة فى « م »(٧) » . وهنا تبدو القيمة العلمية لرد الدخيل إلى لسانه الأصلى . فلو أن المحقق عاد إلى اللغة الأصلية وإلى الأصول الاشتقاقية ماكان منه مثل هذا .

---

(١) السيرة اليوسفية لابن شداد .
(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .
(٣) العماد الأصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٢٣١ .
(٤) السابق ، ص ٢٣٨ .
(٥) بطرس البستانى : محيط المحيط ، ج ١ ، ص ٨٧ .
(٦) اقرأ : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ . د . جمال الدين الشيال .
(٧) د. عزيز سوريال عطيه أستاذ تاريخ العصور الوسطى بالإسكندرية ، حاشية رقم ١٠ ، ص ٣٤٠ . كتاب قوانين الدواوين للأسعد بن مماتى الوزير الأيوبى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م .

ويلاحظ أنه قد ورد فى النص الثانى لابن شددا كلمة « بطش » وهى أيضاً كلمة دخيلة ولها استعمالات لغوية متعددة فى أوضاع لغوية مختلفة تعطى وصفاً لغوياً دقيقاً لها أصواتياً وصرفياً تركيباً ودلالياً فقد وردت :

« بطسة وبطشة » وتجمع على « بطس وبطش وبطسات وبطشات » .. وهكذا يقوم التبديل الصوتى بدوره فى تعدد الصيغ : يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : « استخراج صورة من صور أخرى بواسطة التبديل الصوتى موضوع دارت حوله بحوث كثيرة قديمة وحديثة : وقد رويت أمثلة لهذا النوع من التبادل بين أكثر الأصوات العربية إذ نجد مثلا أرث على القوم تأريثاً وأرج تاريجاً إذا وشى بهم »(١) .

وبالاعتبار الوصفى الثابت ومن الإستعمال اللغوى لهذه الكلمة نجدها تطلق على نوعين من السفن فى آن واحد ، أو على نوع واحد يستعمل لغرضين فهى تطلق على :

(آ) سفن تستخدم للحرب .

(ب) سفن تستخدم لنقل التجارة(٢) .

فمثلا يتحدث ابن واصل عن « بطسة » استعملت للقتال عند محاصرة برج الذبان سنة ٥٨٦ هـ . ويتحدث أيضاً عن بطشه « مشحونة بالآلات والأسلحة والميرة والرجال والمقاتلة لتدخل إلى عكا »(٣) وهى بأحد الاعتبارين يمكن أن تعد من المشترك اللفظى .

فقد جاء فى محيط المحيط : « البطسة : مركب للحرب أو التجارة بلغة أسبانيا وتجمع على بطس »(٤) ومعناها السفينة الكبيرة .

---

(١) د. عبد الصبور شاهين : دراسات لغوية ، ص ٤٥ .

(٢) اقرأ للدكتور جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٣) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

واقرأ : الخطط التوفيقية لعلى مبارك ، ج ١٤ ، ص ٨٢ فيها ما يؤكد هذه المعانى والاستعمالات وصيغ الجموع .. وغيرها .

(٤) محيط المحيط ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

وخلاصته أن هناك فرقاً جوهرياً بين ما يطلق عليه الاستعمال العربي (بطسه أو بطشه أو بسطه) وبين ما يطلقون عليه اسم (بركوس أو بتركوس) وما يطلقون عليه اسم « بارجة » مع ملاحظة أن كلها دخيلة وذات أصل واحد غير أن عبقرية العربية أعطت كل واحدة منهجاً صوتياً وخواصاً صرفية ونحوية ومجالا دلالياً مخالفاً ، فلا ترادف بينها وفي ذلك براعة فقد سدت نقصاً وحققت بالدخيل هدفاً .

بارجة وتجمع على بوارج

والبارجة : سفينة حربية ، يقول الأب رفائيل نخلة اليسوعي : « هي من « Barca » في اللاتينية المتأخرة ، دخلت هذه الكلمة لغتنا بواسطة التركية « Bartcha » زورق حربي كبير قائم بخدمة سفينة من السفن الكبرى »(١) .

وهكذا نجد أن لكل واحدة من الكلمات الدخيلة الثلاث بصيغها المختلفة دلالة خاصة بها في الاستعمال اللغوي العربي — للبركوس دلالته ، وللبطسه دلالتها ، وللبارجة الدلالة الخاصة بها كذلك .

ولكن من يبحث في تمعن وأناة ويعود إلى الأصول اللغوية التي أخذت عنها يجد خلاف ذلك في ألسنة اللغات التي أخذت منها ، يجد :

واحدة أخذت عن الإيطالية وهي « Barcoso » وجعلتها العربية « بركوس » أو « برتكوس » وهو تجاوز صوتي طفيف وجائز .

وواحدة أخذت عن الإسبانية وكانت التركية واسطة فيها وهي «Bartcha» وجعلتها العربية « بطشة » أو « بطسة » وهو تغير صوتي جائز أيضاً .

وكلمة أخذت عن الفرنسية « Barque » أو عن الإنجليزية « Bark » وجعلتها العربية « بارج » أو « بارجة » وهو تبديل صوتي بين الجيم والكاف وبين هذين الصوتين من الصفات العامة المشتركة ما يسمح بذلك .

ومعناه أن الكلمات من أصل اشتقاقي واحد وتشير إلى مدلول واحد

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعي : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٧ .

والاختلاف مرده تنوع الألسنة وتعدد اللغات وتداخلها واختلاف النطق تبعاً لكل لغة « نطق اللاتينية المتأخرة يختلف عن نطق الأسبانية وعن نطق الإنجليزية وعن نطق الفرنسية ونطق الإيطالية » . غير أن عبقرية العربية خصصت كل نطق لنوع وحددته به على نحو ما مر .

ومما يتصل بما سبق ويأتى دليلا عليه كلمة « بركيل » ولنقرأ استعمالهم لها فى النص الآتى : « والقتيل يكون العوض عنه بنظيره من جنسه فارس بفارس وبركيل ببركيل ، وتاجر بتاجر ، وراجل براجل »(١) .

والمقصود بالبركيل هو مرتاد البحار من التجار والمغامرين .

وفى « Dozy »(٢) : (فعل بركل : بمعنى داخ من تلاطم الأمواج) « être agité par les Vagues » .

هذا بالإضافة إلى أن من معانى كلمة السفينة فى اللاتينية «Barca – barica» وفى الإنجليزية والفرنسية « barque »(٣) فهذا وكل ما سبق يؤكد تعدد الدوال على المدلول الواحد . ولكن فى محيط المحيط الحال يختلف فى العربية « فالبراكية ضرب من السفن ، والبركوس والبراكوس ، والبريق والبريك أنواع أخرى من السفن »(٤) . فعندنا تعددت الأنواع بتعدد الأسماء . . وهذا دليل على أن الدخيل يتشكل وفق مقتضيات الظروف ، وتسد به العربية حاجتها وتنسق بينه وبين الأصيل وتخصص كل دال بمدلول ، وأكثر من ذلك أن مستعملى العربية آنذاك وضعوا أسماء لمسميات أخرى عن طريق القياس الإبداعى المحض لسد حاجتهم وهذا دليل على الدقة فرأيناهم يطلقون اسم « المسطح » على نوع من السفن ، واسم « الحراقة » على نوع آخر من السفن أيضاً وهكذا ...

---

(١) نصوص من هدنة « ملحق رقم ٨ » بالسلوك للمقريزى . تحقيق مصطفى زيادة ص ٩٨٥ الملاحق : جمع ونشر د. محمد مصطفى زيادة .

(٢) Dozy : Supp – dict. Arab

(٣) أنظر : Dozy : Supp. dict. Arab

واقرأ د. محمد مصطفى زيادة : السلوك للمقريزى ، ص ٩٩١ (قسم الملاحق) .

(٤) بطرس البستانى : محيط المحيط ، ج ١ ، ص ٨٧ (مادة برك) .

المسطح . ويجمع على **مسطحات**

و« المسطح » ويجمع على « مسطحات » : أطلق على نوع من السفن الحربية الكبيرة . جاء في مفرج الكروب : « وصل الخبر في خامس شوال بأن الأسطول المصرى استولى على مراكب الفرنج ومنها مسطح ذكر أنه كان فيه خمسمائة نفر »(١) .

ويعرف « Dozy » هذا النوع « المسطح » تعريفاً ينبيء أن اشتقاق الاسم جاء عن طريق القياس الإبداعى : فقد قال ما معناه : « إنه يعنى نوعاً من السفن ذات السطح »(٢) . « Sort de narvire, Peut étre un « narvire qui a un pont, un tillac. »

ومثله إطلاقهم « الحراقة » على نوع من السفن عن طريق القياس الإبداعى أيضاً **الحراقة وتجمع على حراريق وحراقات**

ويقول باحث تاريخى محقق : « إن النصوص المختلفة تفيد أن هذا النوع من السفن الحربية كان يستعمل بكثرة فى مياه البحر المتوسط . وفى نهر النيل إبان الحروب الصليبية »(٣) . وفى محيط المحيط قال : « إنها سفن بالبصرة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو ، ومفردها حراقة »(٤) . وفى تاج العروس : « أن الحراريق نوع من السفن الحربية التى كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية ، وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو »(٥) ومعنى كل هذا أنهم اشتقوا اسمها من عملها وهو الإحراق ، فسموها حراقة .

وصفوة القول أن مستعملى العربية فى ذلك العصر نسقوا فى براعة بين الدخيل والأصيل وبين ما وضع عن طريق القياس الإبداعى تنسيقاً ينبيء عن دقة فى الفكر ، وبه ميزوا بين أنواع مختلفة متعددة من السفن التى كان يستخدمها أسطول

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ .

(٢) Dozy : Supp dict Arab

(٣) د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ .

(٤) أنظر : محيط المحيط .

(٥) أنظر : تاج العروس .

واقرأ د. محمد مصطفى زيادة ، السلوك للمقريزى ، ج ٢ ، قسم ٢ ص ٣٠٦ .

مصر آنذاك . يؤكد ذلك ما جاء تحت عنوان : « الأسطول المنصور » فى كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى حيث يقول : « وهو الآن يجرى فى ديوان جيش المصريين وسنذكر حاله ، وأسماء مراكبه : ١ طريدة ، ٢ حمالة ، ٣ شينى ، ٤ مسطح ، ٥ حراقة ، ٦ مركوش (بركوس) ، ٧ شلندى ، ٨ أعزازى . ومنفعة المسلمين به أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر ، فأما الطريدة فإنها برسم حمل الخيل ، وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً ، وأما الحمَّالة فيحمل فيها الغلة ، وأما الشلندى فإنه مركب مسقف تقاتل الغزاة على ظهره وجدافون يجدفون تحتهم ، وأما المسطح فهو فى معناه ، وأما الشينى وسمى الغراب أيضاً فإنه يجدف بماية وأربعين مجدافاً وفيه المقاتلة والجدافون ، والحراقة مختصره وربما كانت ماية وحوالى ذلك ، والإعزازى من توابعه تحمل فيه الأزواد ، والمركوش « البركوس » لطيف لنقل الماء لخفته يدخل على المواضع ويكون وسقه دون ماية أردب »(١) وهكذا يؤدى الدخيل دوراً محدداً مرسوماً له فى ذلك العصر .

وعندما نلقى نظرة على ما نستعمله فى لغتنا العربية المعاصرة فى هذا المجال نجد أن أسماء كثيرة منها قد اختفت لعوامل عدة وما بقى منها مثل : البارجة ، والزورق والطراد قد أصابه التطور وذلك استجابة للمتغيرات أو الظروف الاجتماعية المحيطة فقد تغيرت دلالة البارجة وتغيرت لفظ الطريدة أو الطاردة ودلالتها وحل محلها لفظ الطرّاد الذى يطلق على غير ما كان ففى الماضى يطلق على ما يدل عليه قول المقريزى الآتى :

« فسارا فى طريدة بحرية فيها عدة رماة وجرخية وزراقين .. »(٢) .

أما لفظة « المركب » فما زالت تحتفظ بدلالتها ، فهى علم على جنس السفن وتطلق أيضاً على السفن التى تحمل البضائع التجارية فقد جاء فى السلوك النص الآتى : « فاتفق وصول مركب بمتجر للفرنج بلغ موجبه أربعين ألف

---

(١) الأسعد بن مماتى : كتاب قوانين الدواوين ، ص ٣٣٩ — ٣٤٥ .

(٢) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٩٨ (قسم ٢) .

دينار »(١) . وما زلنا حتى اليوم نطلق على السفن المحملة بالبضائع التجارية اسم المراكب . فنقول مثلا « تعبر قناه السويس مراكب ضخمة محملة بالبضائع » ونخلص إلى أن الدخيل يستجيب لمقتضيات الظروف ويتطور مع حاجة العصر ويتشكل وفقاً لها دالا ومدلولا ، اختفاءاً وبقاءاً .

كما أننا نستعمل اليوم كلمة « فلوكة » وقد يظن بعضنا أن لهذه (التسمية) صلة بالفلك غير أنها اسم نوع من السفن أخذناه عن الإيطالية . وقد يدهش القارىء عندما يعرف رحلته ، فهذه الكلمة مأخوذة فى الأصل عن « حراقة » المستعملة فى مصر أيام الصليبين وأخذتها اللغات الأوروبية وتشكلت فى كل لسان بشكل ففى الأسبانية سموها « Haloque » وقد تنطق « Faloque » وفى الإيطالية نطقوها « feloca » وعادت إلينا ونسينا أصلها وقلنا فلوكه . وهكذا .

قلفط — مقلفط — مقفلط وهو تحريف :

جلفط وجلفناط

جاء فى كتاب السلوك للمقريزى النص الآتى : « ووجد سقف مقلفط فنقب فيه قدر مائة وعشرين ذراعاً »(٢) .

وكلمة مقلفط الموجودة فى النص اسم مفعول من فعل « قلفط » وصحته « جلفط » بمعنى سَدّ . ودَرْوَز ألواح السفينة بالخيوط أو بالخرق والقير وتسمى المواد المستعملة لهذا الغرض باسم « الجلفاط أو الجلفناط(٣) » .

وكما أخذت العربية عن اللغات الداخلية معها فى الصراع على نحو ما رأينا فإنها أعطت نفس اللغات كثيراً من مفرداتها على نحو ما سبق ، ومن أمثلة ذلك

---

(١) المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ص ٩٥٥ (قسم ٣) .

(٢) المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ص ٩٦٠ (قسم ٢) — واقرأ الدكتور محمد مصطفى زيادة .

(٣) أنظر : المعلم بطرس البستانى ، محيط المحيط .

هذا الفعل « جلفط » أو « قلفط » فقد أخذته الفرنسية وهو عندهم « Calfter » ومعناه « سَدَّ »(١) .

وفى اللهجة المصرية المعاصرة نال هذا اللفظ دفعة أصواتية ودلالية فى مجال التطور ، فنحن نقول : « فلان مألفط » وهذا الشيء مثلا « آخر ألفطة » و« أفلطة » عن طريق القلب المكانى . إذا كان منسقاً متقناً « وفلانة عمالة تألفط فى روحها » .

وانطلاقاً مما نحن بصدده وعلى نحو من القياس الإبداعى وتوضيحاً له وجدناهم يستعملون كلمة :

« الزراقة » و«الزراق » وجمعوا الزراق على الزراقين .

والزراقة : أنبوبة خاصة يرزق بها النفط فسرها « Dozy » دوزى(٢) بالعبارة الآتية : «Le tube avec Lequelle on Lancait Le naphte» .

والزراق : هو الذى يرمى النفط من الزراقة . جاء فى مفرج الكروب : « خمسة من الزراقين المتقنين صناعة الإحراق بالنار »(٣) .

وجاء فى السلوك : « طريدة بحرية فيها عدة رماة وجرخية وزراقين »(٤)

فعن طريق القياس الإبداعى اشتق من الفعل « زرق » اسم الآلة ، واسم العامل عليها . ويقرر دى سوسور « أن القياس على هذا النحو الإبداعى المحض يحتل مكاناً متفوقاً فى نظرية التطور اللغوى (٥)» ومثل هذا القياس

---

(١) Qatermere : Histoire des sultans : Mamalouks de I.Egypte. 1.2 P 43 n. 51.

(٢) Dozy : Supp dict. Arab

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .
وانظر د. جمال الدين الشيال نفس الصفحة .

(٤) المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ (قسم ٢) .
واقرأ د. محمد مصطفى زيادة نفس الصفحة .

(٥) د. عبد الصبور شاهين : دراسات لغوية ، ص ٤٣ .

عند سوسور : « سمتان من الإبداع والمحافظة »(١) .

وجاء فى النعمانى : « أن النفط كان يرسل من أنابيب تجعل فى السفن وتعرف فى اليونانية باسم « سيفونيه » وتسمى عند العرب بالزراقات ، تنبعث منها نار النفط بإرعاد شديد فتحرق السفن »(٢) . ونبدى هنا ملاحظة تخدم القضية التى نحن بصدد علاجها :

قد تكون الكلمة التى يستعملها الفرنج فى معسكرهم « سيفونيه » أخف على النطق وأيسر من تلك التى ابتدعها العرب بقياسهم ، وفى هذا ما يشير إلى طبيعة مستعملى العربية وسلوكهم اللغوى آنذاك فإنهم يستحدثون فى متن اللغة الأصلى صيغاً ما وسعتهم الحيلة ، ولا يقتبسون إلا ما هم فى حاجة له ويحددون الدال والمدلول فى نوع من الدقة ، وهذا من عوامل انتصار العربية فى صراعها اللغوى آنذاك .

نموذج (٢)

باشورة وتجمع على « **بواشير ، وباشورات** »

جفتا وجفته والجمع « **جفانى ، وجفتيات** »

ستارة وتجمع على « **ستائر ، وستر** »

تدور هذه الكلمات الثلاث حول معنى عام يجمعها ، وهو السياج الساتر الذى يحتمى به الجند فى الحرب غير أن كل واحدة استقلت بمعنى خاص بها ؛ توضيح ذلك :

« **الباشورة** » : جاء فى السلوك النص الآتى : « وقعت الباشورة ، فلم يشعر الفرنج إلا بالمسلمين قد تسلقوا وطلعوا إلى القلعة ورفعت الأعلام على الباشورة وحفت بها المقاتلة وطرحت النيران فى أبوابها »(٣) .

---

(١) السابق .

(٢) النعمانى : الجندية فى الدولة العباسية ، ص ١٥٤ .

(٣) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٥٢٩ (قسم ٢) .
واقرأ زيادة ، ص ١٥٠ من السلوك ج ١ قسم ١ .
واقرأ الشيال مفرج الكروب ج ٢ ص ٨١

. والباشورة تجمع على بواشير (١) . ومعناها الحائط الظاهري من الحصن يختفي وراءه الجند عند القتال ، ويقابلها فى الفرنسية « Bastion »(٢) .

« جفتا » : جاء فى الفتح القدسى « ونظمت الستائر من القضب وصفت من سور صور بالمكان القريب ، وكَمَتَ من ورائها الكماة ، واستترت بالجفاتى من قدامها الرماة »(٣) . .

وقال العماد أيضاً : « وكان من إحكام العزم وإتمام الحزم ، تكميل الآلات وتتميمها وتركيب الأبراج والدبابات وتأليفها وتقريب الجفاتى والجنويات وتصفيفها »(٤) . ويقال « جفته (٥) »و« جفتا »(٦) وتجمع على « جفاتى » .

وقال « Dozy » إنها تقابل الكلمة الفرنسية « Palissade »(٧) ومعناها السياج الساتر . أو هى كنوع من المتراس أو الحاجز المعيق لتقدم العدو ، أو الذى يستتر وراءه الجنود الرماة أثناء القتال(٨) .

ويفهم من نصوص العماد السابقة أن الجنود يكونون فى الوسط خلف الجفاتى وأمام الستائر .

الستارة : الستارة وتجمع على : الستائر

جاء فى السلوك : « وأقيمت الستائر ووقع الحصار »(٩) . وجاء فى مفرج الكروب : « وعمقوا الخندق عليهم وأداروا حولهم سوراً مستوراً

---

(١) أنظر : المفرج ، ج ٢ ، ص ٨١ ،
وانظر : السلوك ص ١١٦٢ عمود «٢» .
(٢) اقرأ : Dozy ; Supp dict Arap
(٣) العماد الأصفهانى : الفيح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٦١
(٤) السابق ، ص ٦٠ .
فى القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ١٥٦ : « كمت الغيظ أكنه ، وأخذه بكيته أى بأصله وخيل كاتى : كزرابى كمت » .
(٥) أنظر : السلوك ١١٦٤ ، عمود (٢)
(٦) اقرأ زيادة ، ص ٤٤٣ .
(٧) Dozi: Supp.Dict.Arab
(٨) اقرأ : د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .
(٩) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، ص ٧٦٤ ، قسم ٣ .
واقرأ زيادة ص ١٠٢ من كتاب السلوك و ص ٧٦٤ أيضا .

بالستائر »(١) وللستائر أهمية خاصة فى الحروب آنذاك وقد كانوا يصنعونها من الجلود واللبود المبلولة بالخل والشب والنطرون(٢) لوقاية الحصون والقلاع من قذائف النفط .

وكانت تستعمل بوجه خاص لحماية الأبراج والدبابات المصنوعة من الخشب وكذلك لحماية السفن من قذائف النفط .

وهناك نص فى وصف نوع من الستائر يفهم منه أن مستعملى العربية ماكانوا ليقتبسوا كلمة دخيلة ما وسعتهم حيلة الاشتقاق ، والقياس الإبداعى . جاء : « وأما ما يدفع به آلات الحصار فالمنجنيق أشدها ، فمن أراد التوقى فليُخرج من أعلى السور أخشاباً طوالا يظهرها كالجناح المطل ، ويدلى منها البسط والأكسية والشباك من الحبال الغلاظ واللبود ، ما أمكن ولتكن مرخاة بعيدة عن السور فيجىء الحجر وقد ضعف فعله وبطلت قوته ، وكذلك النشاب والجرخ والزيار لا يتجاوز تلك الستائر »(٣) .

ونص آخر : « وليس فى حرب البحر شىء أصعب من النفط ، بسبب الزفت والقير الذى يطلى به المركب ، فيحتاج لدفع ذلك باللبود المبلولة بالخل والشب والنطرون »(٤) فانظر معى هل هذا الذى قيل فى النصين السابقين يساوى فى معناه كلمة « ستارة » أم أنهم قاسوا على (ستار وسِتْر وسُتُر) مع شىء من الإبداع والمحافظة(٥) وتجوزوا وسموا كل هذا ستارة ، ولو استطاعوا أن يصنعوا مثل هذا مع الباشورة والجفتة لفعلوا ويشير هذا إلى أمرين

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .
واقرأ د. جمال الدين الشيال ، ص ٣٠٣ ، ج ٢ .

(٢) فى ص ٣١٥ ، ج ٢ المفرج نص « وسقوها بالخمر والخل » فقد كانوا ينقعون الجلود فى الخمر والخل لتصبح غير قابلة للاشتعال ثم يتخذونها ستائر يسترون بها الأبراج والحصون من القذائف النارية .

(٣) الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ١٩٤ .

(٤) السابق ، آثار الأول ، ص ١٩٧ .

(٥) أنظر مادة (ستر) محيط المحيط ، ص ٩٢٢ .

أولهما : أن اللغة العربية لم تكن لديها المفردات الكافية للتعبير عن المعاني المطلوبة فى هذا الصدد فاستخدمت الاشتقاق والقياس الإبداعى ما وسعتها الحيلة واقتبست من اللغات المتصارعة معها لأسباب كثيرة أهمها الحاجة .

الأمر الثانى : أننا لا نستطيع أن نقول إن واحدة من الكلمات الثلاث مرادفة لصاحبتها ، وذلك لأن للباشورة دلالة خاصة بها ، وكذلك للجفتة دلالتها الخاصة ، ومثلها الستارة ، وليس معنى ذلك أننا نصادر على الترادف أو المشترك اللفظى ، وإنما نصف حقائق ونقررها نتيجة للواقع اللغوى .

نموذج (٣)

« باله » تعريب « Ballot » من الفرنسية وتجمع على « بالات » و« بيل » وهى الكمية الضخمة المضغوطة من القطن أو الأقمشة .

واتصالا بها تأتى كلمة « بُقْجة » التى كانت تستخدم بكثرة فى ذلك العصر . جاء فى السلوك : « وجعل عند القبر سناجق السلطان وبُقَجة وقوسه وتركاشه »(١) .

البقج مفردها بقجة و« البقجة » : هى الصرة من القماش توضع بها الثياب أو النقود أو الأوراق الخاصة وهى فارسية الأصل وتجمع على بقج(٢) . وقد ترجم « Quaterémere » كلمة بقجة السابقة فى نص المقريزى إلى الفرنسية بكلمة « Coffre » أى صندوق أو خزانة وعلق د. مصطفى زيادة على هذا بقوله : « إنه لا يوجد بين الأمثلة الواردة هناك للتدليل على ذلك المعنى ما يشير إلى أن البقجة كانت تصنع من مادة غير القماش »(٣) ومعنى ذلك أن كلمة بقجة لها دلالة واضحة خاصة بها فى الاستعمال العربى لا تقبل الخلط بينها

---

(١) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٣٧١ (قسم ٢) .

(٢) أنظر : محيط المحيط للبستانى .

(٣) اقرأ : تعليق محمد مصطفى زيادة على النص السابق بالسلوك ج ١ ، قسم ٢ ص ٣٧١ . وانظر :

Quatremere Histoire des sultans Mamloukes dc I'Egypte, 1 P 12 N 13.

وبين « باله » من ناحية ، ولا بينها وبين « صندوق » من ناحية أخرى . فلكل دال مدلوله الخاص به ، بل أن كلمة « صندوق » تلك لاتقبل الخلط بينها وبين كلمة « مودع » تلك الكلمة التى اشتقوها فى ذلك العصر عن طريق القياس الإبداعى والجمع « مودعات » .

جاء فى السلوك النص الآتى : « وكان لاجين معظماً للشرع وأهله منفذاً لأوامره ، ومن ذلك أنه طالب أموال الأيتام من الأمراء وكانت تحت أيديهم ونقلها إلى « مودع » جديد لمال الأيتام استجده »(١) وسمى مودع الحكم : وهو صندوق يوضع فى عهدة قاضى القضاء لحفظ أموال اليتامى القُصَّر وأموال الغائبين أيضاً(٢) .

فالمودع : صندوق لحفظ مال مخصوص لغرض معين(٣) . عرفه دوزى Une Caiss ou L, on déposait les fonds assignes a telle ou telle destination,, وإن كان دوزى قد ترجم كلمة « مودع » فى بقوله «Une Caisse» .. الخ فإن كلمة «كيس » المستعملة فى اللغة العربية تختلف فى دلالتها العربية عما ذهب إليه دوزى على الرغم من أن العربية اقتبستها عن الفرنسية غير أنها أعطتها صيغاً معينة ومنحت كل صيغة دلالة مخصوصة .

كيس وكيسه ، والجمع أكياس ، وكِيَس وكيسات .

ومن يتأمل استعمالات العربية المعاصرة يجد لكل صيغة دلالتها الخاصة بها فمثلا : قد يكون الكيس من ورق وتباع فيه البضائع ، وقد يكون الكيس

---

(١) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٨٦٤ (قسم ٣) .

(٢) أنظر : د. محمد مصطفى زيادة على السلوك ص ٨٦٤ .

وانظر تعريف Dozy دوزى : المودع - ولمودع الحكم Dozy Supp. dict Arab ..

(٣) وقد جا فى المواعظ والاعتبار للمقريزى ج ٢ ، ص ٩٢ - أن مودع الحكم فى زمنه كان فندق مسرور الكبير الواقع على يسرة السالك من سوق باب الزهومة إلى الحريريين بالقاهرة .

من قماش ويسمى كيسة وتحفظ فيها النقود والأشياء الخاصة بأبناء البلد والفلاحين وقد يكون من جلد وبه بعض النقوش والزخارف وتحمله الفتيات ويسمونه « كيسة » و« بلك » أو « محفظة » أو « شنطة صغيرة » وعلى الرغم مما بين هذه الصيغ الأخيرة من ترادف إلا أن هناك فارقاً جوهرياً بينها وبين الحرمدان :

الحرمدان : « تلك الكلمة التى كانت تستخدم فى عصر الحروب الصليبية »

جاء فى السلوك : « واتفق أن الأمير طرنطاى النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتمر فأسرهم وفيهم حامل حرمدانه — فوجد فى الحرمدان كتباً من الأمراء مثل سنقر الأشقر وأيتمش السعدى وغيرهم ممن كان مع سنقر الأشقر »(١) . فالحرمدان : لفظ فارسى معناه المحفظة الخاصة التى يحمل فيها الفرد أوراقه ونقوده ، والحرمدان أيضاً هو حقيبة الحلاق(٢) .

وعلى الرغم من أنهم فسروا « الحرمدان » مرة بالمحفظة ومرة بالحقيبة إلا أن المحفظة أو الحقيبة ليستا من مرادفاته .

ومن زاوية ثانية :

كما لم تقبل دلالة كلمة « باله » الخلط بينها وبين دلالة كلمة « بقجة » من ناحية فهى لا تقبل الخلط بينها وبين كلمة « رزمة » المستعملة فى عصر الحروب الصليبية أيضاً . جاء فى كتاب مفرج الكروب النص الآتى : — « أخذ المسلمون بعكا مركباً للفرنج كان مقلعاً إلى صور محتوياً على ثلاثين رجلا وامرأة واحدة ، ورزمة من الحرير »(٣) .

---

(١) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٦٩٧ (قسم ٣) . واقرأ : محمد مصطفى زيادة .

(٢) أنظر : Dozy, Supp.dict.Arab.

وما به من مراجع . والمحفظة : من المشترك اللفظى — تلك الصيغة الواحدة التى تحمل دلالات متعددة وكذلك الحقيبة من المشترك اللفظى فهناك حقائب المسافرين ، والحقيبة التى يحمل فيها الطالب أدواته والحقيبة « السامسونايت » التى يحملها رجال الأعمال ، والحقيبة التى تحملها السيدة فى يدها « (شنطة يد الستات) .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

واقرأ : د. جمال الدين الشيال ، ص ٣٠٥ .

وعلى الرغم من أن دوزى عرف « الرزمة » بأنها البالة بالفرنسية «Ballot» (١) إلا أن من يتتبع الاستعمال اللغوى فى اللهجة الدارجة يجد فرقاً واضحاً بينهما فى الدلالة ، فالبالة غير الرزمة ، فلا يستطيع متحدث بالدارجة أن يقول رزمة قطن وبالة ورق ، ولكن القاموس يقول : رَزَّمَ الثياب وغيرها شدها وجمعها رزماً (٢) . وهذا يتفق مع ما يراه دوزى ، فرزمة الثياب ورزمة الحرير مثل بالة الثياب وبالة الحرير — ومن هنا يتضح دور اللهجات الدارجة فى تطوير الدلالة . وهكذا نجد العربية فى ذلك العصر اقتبست كثيراً من المفردات ولكن لأغراض فرضتها عليها طبيعة العصر والظروف الاجتماعية المحيطة فلم تكن لدى العربية المفردات اللغوية الكافية ، وقد كانت تستخدم كل ما لديها من مفردات فى هذا الصدد بل وتطور من دلالاتها لتتواءم مع احتياجات عصرها مثل ما صنعت مع لفظة « **الحزْمة** » والشَّدَّة » و« ومع ذلك اقتبست « **النَّدْب** » الذى يبدو فى ظاهره مرادفاً لحزمة ولكن الاستعمال يوحى بالفرق . جاء فى السلوك النص الآتى : « أحضر إليه بعد العصر بندب نشاب ميدانى من السلاح خاناه » (٣) . والندب هو الحزمة من النشاب » ، وعرفه دوزى بما نصه : « Un faisceau. Un Paquet de Fléches » (٤) ومع ذلك نجد أن لفظ « ندب » خصص بالنشاب وما هو على شاكلته من نحو البندق .. جاء فى السلوك : « وبعث هدية فيها عشرة أنداب بندق ذهب كل ندب خمس بندقات » (٥) . فالأنداب جمع « ندب » وهو كيس صغير « Un Petit Paquet » (٦) .

أما لفظة « حزمة » فهى لنحو ما جاء فى القاموس : « حَزَمَ الشىء ،

---

(١) Dozy, Supp dict Arab

(٢) محيط المحيط : ج ١ ، ص ٧٧٦ .

(٣) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، ص ٨٥٩ (قسم ٣) ، د. محمد مصطفى زيادة .

(٤) Dozy, Supp dict Arab

(٥) السلوك ج ١ ، ص ٢٧٦ (قسم ٣) ، د. محمد مصطفى زيادة .

(٦) أنظر : كاترمر Quatremere op Cit. II.I.P 76 n 75.

يحزمه حزماً : شدّه، وحزم الفرس : شد حزامه(١) . وفى لهجتنا المصرية الحزمة لما يحزم من الخضروات بكل أنواعها . وفرق كبير بين الحزمة والشدة والمشدة تلك التى كانت تستخدم فى عصر الحروب الصليبية . جاء فى السلوك : « فقدم له فرس أشهب فى عنقه « مشدة » سوداء وعليه «كنبوش أسود »(٢) .

فالمشدة : هنا معناها ما يوضع على رقبة الحصان ، وقد كانت تسمى الرقبة أيضاً . وهو ما ذهب إليه دوزى فى ترجمة كلمة « المشدة » قال (٣) : « écharpe au Cou d'un Cheval » . ومــع ذلك فكلمة « إيشارب الدخيلة فى اللهجة المصرية من الفرنسية تختلف عن المشد فى الفصحى ، (فالإيشارب) غطاء خاص بالرأس من نوع رقيق، كما أن دلالة (الشال) فى العامية المصرية تختلف عن دلالة الإيشارب والمشد معاً .

كما جاء : « الشد : عند العامة شال من الحرير يعمّ به أو يتمنطق »(٤) . و« المشد : نطاق تشد المرأة به نفسها »(٥) .

وهذه وتلك تختلف عن « الحياصة » التى كانت مستخدمة فى لغة ذلك العصر أيضاً حيث جاء فى كتاب السلوك : « وصل إلى الملك الناصر من قبل القان ملك التتر طمغاً صورة أمان فصار يحملها فى حياصته، وسيّر إلى القان هدايا كثيرة »(٦) . والمقصود بالحياصة هنا : الحزام أو المنطقة وهى

---

(١) محيط المحيط لبطرس البستانى .
(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، ص ٤٥٢ (قسم ٢) ، ط دكتور محمد مصطفى زيادة .
(٣) Dozy, Supp, dict Arab
(٤) محيط المحيط .
(٥) السابق .
(٦) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، ص ٣٧٩ (قسم ٢) .
واقرأ : د. محمد مصطفى زيادة نفس الصفحة ٣٧٩ .

في الأصل « السير » الذى يشد به حزام سرج الحصان(١) ، وكذلك « الحزام » و« السير » و« المنطقة » و« الحياصة » على نحو ما هو واضح فى استعمالنا اليوم وهكذا دفعت الظروف المحيطة وحركة الحياة المتلاطمة فى ذلك العصر حركة التطور فى الدلالة دفعاً قوياً فى كل اتجاه .

أما كلمة « الكنبوش » بضم الكاف الوارد ذكرها .

« الكنبوش » : هى البردعة تحت سرج الفرس(٢) فيرى دوزى أنها تقابل اللفظ الفرنسى « housse » الذى من معانيه غاشية الفرس . ونلاحظ أن كلمة الكنبوش والغاشية لا وجود لها فى استعمالنا اليوم وبالتالى فهى مجهولة لنا ، فقد أصابها الفناء وهكذا نرى للكلمات حياة وتلك دراسة لها مجالها — حياة الكلمات . « Le vie de langage » .

و « الكنبوش » بفتح الكاف اللثام الذى يستعمله أهل بلاد المغرب لتغطية الوجه من الذقن إلى الخيشوم اتقاء لبرودة هواء الصباح ورطوبته (٣) .

« نموذج (٤) »

« بابا » أو « باب » أو « بابه » والجمع « بابيه »

هذه الكلمة من المشترك اللفظى ، اقتبستها عربية الحروب الصليبية وأعطتها أكثر من دلالة ، واستعملتها فى غير موضع .

ومن استعمالاتها جاء فى السلوك(٤) : « وكتبتم إلى ملوك الفرنجة وإلى البابا بما فعله »(٥) . « والبابا هو الحبر الأعظم عند الكاثوليك » (Papa)(٦) .

---

(١) محيط المحيط ، ج ١ .

(٢) محيط المحيط .

(٣) Dozy' Supp dict Arab

(٤) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٨٦ .

(٥) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٧ .

(٦) أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ .

والمقصود بلقب « البابا » فى النص « بابا روما » وكان فى زمن القلقشندى يقال له « الباب » بياءين موحدتين مفخمتين ، وربما قيل « البابا » أو « البابة » أيضاً .

والدلالة الثانية لهذا اللفظ هى : أننا نجدهم يطلقون لقب « البابا » على رجال الطشتخاناه . ويطلقون كلمة « البابية » على رجال الطشتخاناه جمع).

جاء فى كتاب السلوك : « سار الأمير بدر الدين جنغلى بن شمس الدين البابا »(١) .

وعلى نحو ما تحدث القلقشندى عن الدلالة الأولى لكلمة « البابا » يتحدث عن الدلالة الثانية فيقول(٢) : « البابا هو لقب علم لجميع رجال الطشت خاناه ممن يتعاطى الغسل والصقل وغير ذلك . وهو لفظ رومى ومعناه أبو الآباء(٣) » ويعلل لسبب التسمية بقوله : « وكأنه لُقِّبَ بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه مخدومه من تنظيف قماشه وتحسين هيئته أشبه الأب الشفيق فلقب بذلك » .

ومن نماذج استعمالاتهم لهذا المعنى الأخير ما جاء فى السلوك أيضاً فقد جاء النص الآتى : « أنا خارج بهذا القماش أحمله وامش قدامى ، فإن سألك أحد فقل هذا بعض البابية معه قماش بعض الصبيان »(٤) : أى بعض رجال الطشت خاناه .

وعلى الرغم من أن هذا اللفظ من المشترك اللفظى إلا أننا نجدهم يحرصون على تحديد دلالاته ويفرقون بينها فى دقة ، فنجد القلقشندى يحاول أن يحدد

---

(١) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٩٥٠ .
واقرأ : د. محمد مصطفى زيادة نفس الصفحة ٩٥٠ .

(٢) اقرأ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ .

(٣) السابق .

(٤) السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ .

بوضوح وأن يميز بين دلالة لقب البابا عند النصارى ، ولقب القان عند التتار ولقب البطرك . يقول عن البابا : « وما ذكره فى التثقيف من أنه عندهم بمثابة القان عند التتار فخطأ ظاهر ، لأن الباب قائم فى النصارى مقام الخليفة بل به عندهم يناط التحليل والتحريم ، وإليه مرجعهم فى أمر دياناتهم بخلاف القان فان أمره قاصر على أمر المُلْك »(١) .

ويقول : « وأول ما وضع هذا اللقب عندهم على بطرك الإسكندرية »(٢) ونقلوا اسم البابا إلى بطرك رومية وأبقوا اسم البطرك على بطرك الإسكندرية(٣) ويتحدث القلقشندى فى إيضاح وتفصيل عن لقب البطرك وغيره من بقية الألقاب المتصلة به .

ديان :

اتصالا بما سبق وانطلاقاً منه يأتى حديثنا عن لقب « ديان » الذى كان يستعمل فى عربية الحروب الصليبية ، جاء فى كتاب السلوك النص الآتى :

« وطلب بطرك النصارى ، وجماعة من أساقفتهم ، وأكابر قسيسيهم ، وأعيان ملتهم ، وديان اليهود ، وأكابر ملتهم »(٤) .

و« **الديان** » : هو الرئيس الدينى للملة اليهودية .

---

(١) السابق

(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٧٥ .

واقرأ Quateremere : Histoire des Sultans Mamlouks d,Egypt 1.2. pp. 194–195.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ واقرأ تفصيلات ٤٧٣ ، ٢٧٤ حيث يتحدث القلقشندى بإيضاح وتفصيل عن لقب البطرك . ثم يتحدث عن لقب الأسقف — ثم يتحدث عن المطران . وعن القسيس ، وعن الجاتليق ، ثم عن الشماس وأخيراً عن الراهب .

(٤) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٩١٠ . واقرأ حاشية زيادة هامش نفس الصفحة ٩١٠ .

ويقول دوزى : « إنه معرب اللفظ الإسبانى « Dean » المشتق من الكلمة اللاتينية « Decanus »(١) .

فالتعريب هنا أفاد هدفاً وحقق غاية اتضحت معه فى دقة دلالة : — بابا ، **قان** ، **ديان** ، **بطرك** .... إلخ .

وعلى هذا النحو واتصالا به كانت دقتهم فى تحديد الفروق بين بعض طوائف الصوفية فقد ظهرت (القلندرية) وسمت نفسها (الملامتية) ، ولكن المقريزى يميز فى تفصيل بين القلندرى والملامتى ، فقد كان لفظ (القلندرى) مستعملا فى ذلك العصر .

« القلندرى » وتجمع على « القلندرية »

جاء النص الآتى فى كتاب السلوك : « فطعنه فى حلقه فحمل إلى قبة القلندرية فمات من يومه ودفن بها »(٢) .

وقد وصف المقريزى فى كتابه المواعظ والاعتبار طائفة القلندرية وصفاً وافياً نجترىء منه قوله « القلندرية طائفة تنتمى إلى الصوفية ، وتارة تسمى أنفسها ملامتية ، وحقيقة القلندرية أنهم قوم طرحوا التَّقَيُّد بآداب المجالسات والمخاطبات وقلت أعمالهم من الصوم إلا الفرائض ، ولم يبالوا بتناول شىء من اللذات المباحة ، واقتصروا على رعاية الرخصة »(٣) .

وسميت تلك الجماعة بالقلندرية نسبة إلى مؤسسها : وهو قلندر يوسف العربى الأصل الإسبانى الموطن(٤) .

---

(١) Dozy , Supp, dict Arab.

(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٦٥٥ . واقرأ د. محمد مصطفى زيادة نفس الصفحة ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ — ٤٣٣ .

(٤) Enc. Lsl. Art. Kalandar, Kalandari

وحاول المقريزى أن يفرق بين القلندرى والملامتى فجاء تفريقه مملوءاً بالتحامل فمما قاله : « والفرق بين الملامتى والقلندرى أن الملامتى يعمل فى كتم العبادات والقلندرى يعمل فى تخريب العادات »(١) .. إلخ . وقد يكون لتحامل المقريزى ما يبرره — وذلك لأننا فى لهجتنا المصرية حتى اليوم ما زلنا نستعمل كلمة « أرندلى » بصورة توحى بالاستهجان والمهانة .

ومن وجهة نظر البحث اللغوى يتبين لنا أن الدفعة التى دفعتها اللهجة المصرية لتلك الكلمة فى مجال التطور الصوتى متوقعة فأرندلى هى قلندرى بعد أن طبقت عليها اللهجة المصرية قوانينها الصوتية ، فحدث التبديل الصوتى . والقلب المكانى ، وتحوُّل القاف إلى همزة هذا موجود من الناحية الصوتية . أما من ناحية الاستعمال فقد طبعتها ، ولونتها بالروح المصرية ، فمن بين الاستعمالات المترددة «فلان دا إبن أرندلية » و.. « فلان دا أرندلى أجارك الله »

نموذج (٥)

فعل : « بطق » والاسم : « بطاقة » والجمع : « بطائق »

جاء النص الآتى فى كتاب السلوك : « فبطق العادل إلى من بقى معه من الأمراء الأكراد »(٢) . والمقصود أن العادل أرسل بطاقة أى رسالة إلى الأمراء(٣) ، وجاء فى السلوك أيضاً : « وإذا بالطيور قد وقعت مخلقة تحمل البطائق المخلقة وتخبر فيها بالبشائر العظمى »(٤) . وقد كانت العادة فى نقل الأخبار السارة أن تمسح الطيور والبطائق التى تحملها بهذه المادة وغيرها من

---

(١) اقرأ المواعظ والاعتبار للمقريزى ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٣) د. محمد مصطفى زيادة صفحة ٢٨٢ .

(٤) السلوك ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٦٩٧ . واقرأ زيادة نفس الصفحة ٦٩٧ .

العطور ، أما طيور الأخبار السيئة وبطائقها فكانت تلطخ بالسواد(١) .

ولفظة « بطاقة » يونانية الأصل ومعناها اللوح الرقيق للكتابةPittakion(٢) واقتبستها العربية واشتقت لها فعلا وأوجدت لها جمعاً . جاء فى محيط المحيط : لفظ « بطاقة » وجمعه « بطائق » معرب الكلمة اليونانية « بتاكيون »(٣) .

وهكذا اقتبس مستخدمو اللغة اللفظة التى دعت الحاجة لها وأعطوها الخصائص اللغوية المختلفة صوتياً وصرفياً ونحوياً ، كما اضطرتهم ضرورة الاستعمال اللغوى إلى القياس الإبداعى لسد الحاجة فكان أن وضعوا :

« **تذكرة** » وجمعها « **تذاكر** »

جاء النص الآتى فى كتاب السلوك : « وسار الأمير جمال الدين النجيبي الصالحى إلى نيابة دمشق ومعه الصاحب عز الدين عبد العزيز وداعة وزير دمشق وعلى يده تذاكر شريفة بعد خلع ما عليها »(٤) .

« **التذاكر** » جمع «**تذكرة**» : وهى كل مكتوب يصدر من السلطان إلى نوابه بالأقاليم المصرية ونيابات الشام وإلى قصاده الذين يرسلهم فى مهام الدولة لتذكرتهم بتفاصيل ما يوكل إليهم ، وليكون بمثابة ورقة اعتماد وحجة عند الجهات التى يقصدونها »(٥) .

---

(١) أنظر ابن أبى الفضائل : كتاب النهج السديد ص ٣٣١ — وقد شرح دوزى خلوق فى معجمه : « Supp dict Arab » .

(٢) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٥٥ .
وتكتب باليونانية " Pittakion " .

(٣) أنظر : محيط المحيط : بطرس البستانى .
وانظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٢٣١ وما بعدها .

(٤) السلوك : المقريزى ص ٤٨٠ ، ج ١ ، قسم ٢ .

(٥) د. مصطفى زيادة ، ص ٤٨٠ ، السلوك (السابق) .
وانظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٧٩ — ١٠٤ .

ومن هذا يتبين أن دلالة لفظ « تذكرة » تختلف عن دلالة لفظ « بطاقة ».
وقد ترجم كاترمير لفظ« تذكرة » بقوله(١): « Un acte un rescrit émané du Prince » وفى لهجتنا المصرية المعاصرة نستعمل كلمة « بطاقة » وكلمة « تذكرة » وقد أصابهما قليل من التطور فنقول مثلا (البطاقة العائلية أو الشخصية) ، و (بطاقة التموين) ، و (البطاقة الصحية) ، و (البطاقة المدرسية) ونجمعها على بطايق وبطاقات .

ونطلق كلمة « تذكرة » على (تذكرة القطار) ، و(تذكرة الدواء) ، و(تذكرة الأتوبيس) ولها مع ذلك دلالة خاصة بها .

ونستعمل اليوم كلمة « كارت » الدخيلة « Cart » ويمكن أن نطلقها على أى تذكرة ، وعلى أنوع بعض البطاقات .

نموذج (٦)

« بُرْنس » والجمع « برانس »
« بكلة » والجمع « بكَل »

هذه الكلمات المقتبسة بصيغها وجموعها كانت تستخدم فى عربية الحروب الصليبية . حيث جاء النص الآتى : « وبعث المعظم مع الكتاب غفارة الملك الفرنسيس فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور وهى : أشكرلاط أحمر بفرو سنجاب فيها بكلة ذهب»(٢) . وذكر دوزى نصاً آخر : « ثم أنعم عليهم بالكسوة التامة من العمائم والغفائر والبرانس والأكسية »(٣) .

فكلمة « عمة » جمعت على « عمائم » ، وكلمة « غفارة » جمعت على

(١) Quatremere, op cit 1. 1. P. 188 N 68.
(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٣٥٧ .
(٣) أنظر د. زيادة ومراجعة نفس الصفحة ٣٥٧ .

« غفائر » ، وكلمة « برْنس » جمعت على « برانس » ، وكلمة « كسوة » جمعت على « أكسية » .

وكلمة « برنس » التي جمعت على « برانس » هذه يونانية الأصل ، وأصل نطقها « Virros »(١) . و« البرنس » كما قال الأب رفائيل : « كل ثوب غطاء الرأس جزء منه » و« تطلق على ثوب عريض الكمين يلبس فوق سائر الثياب »(٢) . وهي واضحة الدلالة في عامية مصر : « فهي ثوب واسع فضفاض مصنوع من القطن يلبس بعد الاستحمام » .

والبكلة : معرب اللفظ الفرنسي « boucle » ومعناه « المشبك »(٣) وتستعمل كلمة بكلة في اللهجة المصرية المعاصرة وتجمع على بكلات وبكل : وهي مشابك اسطوانية ذات أحجام مختلفة تتحكم في تشكيل شعر النساء .

واتصالا بما جاء في النص فان المقصود بغفارة الملك الفرنسيس « معطف الملك لويس التاسع ملك فرنسا » . والغفارة هي المعطف وتجمع على غفائر(٤) على نحو ما ورد في النصين المذكورين ، والغفارة غير الكزاغند .

« الكزاغند » وتجمع على « كزاغنديات » و« وقزاغنديات »

وهي لفظة معربة من الفارسية وتعني المعطف القصير الذي يلبس فوق الزردية ، وكان يصنع من القطن أو الحرير المبطن المنجد ويقابله بالفرنسية « Jacquette » وبالإنجليزية « Surcoat »(٥) .

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعي : غرائب اللغة العربية ص ٢٥٥ وتكتب بالحروف اليونانية هكذا "Beppos" .

(٢) غرائب اللغة العربية الأب رفائيل نخلة اليسوعي ، ص ٢٥٥ .

(٣) د. محمد مصطفى زيادة ، السلوك ، ص ٣٥٧ .

وانظر " Dozy : Supp· dict. Arab " .

(٤) أنظر : محيط المحيط ، بطرس البستاني .

(٥) أنظر Dozy : Supp, dict. Arab ·

واقرأ مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

جاء في السلوك : « جماعة كبيرة من آل مرا تكون زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيول المسومة عليهم القزاغنديات الحمر من الأطلس المعدني والديباج الرومي على رءوسهم البيض مقلدين سيوفهم »(١) .

وجاء في محيط المحيط : « الكزاغند باطن الصدر والدرع — فارسية تجمع كزاغنديات »(٢) .

أما كلمة « أشكُرْلات » التي وردت في النص السابق فهي لفظة دخيلة من لغات معسكر الفرنجة ، وجاءت هنا وصفاً لغفارة الملك الفرنسيس فقيل : « غفارة أشكرلاط أحمر بفرو سنجاب » .

وكلمة « أشكرلاط » تعريب للفظة « Eçarlate »(٣) ومعناه اللون القرمزي أي الأحمر الغامق — وإذا كان القرمزي هي الأحمر فما معنى أن توصف الغفارة بأنها « أشكرلاط أحمر » .. ؟ معناه تطور في دلالة الكلمة المعربة « أشكرلاط » فأصبحت دلالتها تعني النوع لا اللون . ولذلك يعرفون الأشكرلاط بأنه « نوع من القماش كان يرد من أيرلنده لونه قرمزي »(٤) .

أما كلمة « **سنجاب** » الواردة صفة في النص فهي أيضاً مقتبسة ويسمى بها نوع من الحيوانات ذات الفراء القيمة .

وانطلاقاً من الحديث عن المفردات الخاصة بالملابس والدخيلة من لغات معسكر الفرنجة ، يأتي الحديث عن « الكَلَبَنْد » و« الكلوتّة » .

جاء في السلوك النص الآتي : « ورتب له في كل شهر كلوتتين زركش

---

(١) السلوك للمقريزي ، ج ١ ، ص ٦٩٠ ، قسم ٣ .

(٢) محيط المحيط : للبستاني ، ج ٢ ، ص ١٨١٢ .

(٣) Dozy : Supp. dict Arad."

(٤) د. محمد مصطفى زيادة ، صفحة ٣٥٧ من السلوك .

وانظر أيضا : "Dozy : Supp dict Arab" .

قيمة كل منهما مبلغ خمسين ديناراً عيناً وقيمة كلبندها مبلغ أربعين ديناراً »(١) .

« كلوته » وجمعها « كلوتات وكلاوات

وكلمة « كلوتتين » الواردة فى النص ، مثنى « كلوته » . وهى غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة وتجمع على كلوتات ، وكلاوات .

وتسمى أيضاً « كلفته » و« كلفتاه » و« كلفه » ويقابلها فى الفرنسية لفظ « Callotte » ويعرض « Dozy » خلافاً(٢) بين الاشتقاقين فى أصولها : « فبعضهم يرى أنها من اللفظ اللاتينى « Calva » أى غطاء على ارأس . Surperior pars capitis Calautica » وآخرون يرون أنها من لفظ لاتينى آخر هو « Calutica » » .

ويقول غير هؤلاء وهؤلاء أنها معرب اللفظ الفارسى « كلوته » .

أما لفظة « الكلبند » فقد نقلها كاترمير إلى الفرنسية « turban »(٣) أى العمامة . ويرى د. زيادة أن سياق العبارة يفهم منه أن الكلبند كان جزءاً من غطاء الرأس سواء كان عمامة أو كلوته(٤) ومفهوم العبارة كما أراه أن الكلبند من مضافات الكلوته « كلبندها » أى كلبند الكلوته — أى هو من مستلزماتها ، وقد يكون عمامة أو شاشاً أو غير ذلك . . فلكاترمر ما يؤيد وجهة نظره .

« الكبر » والجمع « كبور »

نوع من القباء الذى يتخذ للحرب . جاء فى مفرج الكروب النص الآتى وهو يتحدث عن الفرنجة : « ورجالهم مستديرون حولهم كالسور عليهم الكبور

---

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٩ ط دكتور محمد مصطفى زيادة .

(٢) Dozt : Supp. sict. Arab

(٣) quatrimere. op Cit 1 1. p 211

(٤) د. محمد مصطفى زيادة ص ٤٩٤ السابق .

الثخينة والزرديات السابغة المحكمة بحيث يقع فيهم النشاب ولا يتأثرون »(١) .

وجاء فى اللسان : « القردمانى قباء محشو يتخذ للحروب — فارسى معرب يقال له « كبر » بالرومية أو النبطية » .

أما القردمانى : فهو من الفارسية قباء محشو يتخذ للحروب ، والكبر مثله ولكنه يمتاز بأنه نوع ثخين لا ينفذ فيه النشاب . وهو معرب عن الرومية أو النبطية .

قباء — وجمعه أقبية

وعن « القباء » فقد جاء فى مفرج الكروب : « وكانت يده لا ترى والجو كان فيها بل تكون فى كم قبائه استهانة باللعب »(٢) .

وفى محيط المحيط : « قبا الثوب يقبوه : جعل منه قباء ، والقباء ثوب يلبس فوق الثياب وقيل يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه وجمعه أقبية »(٣) .

وقد كان فخر الدين بن شيخ الشيوخ أحد كبار رجال الدولة فى عهد الملكين الكامل والصالح الأيوبيين أول من ترك لبس العمامة ولبس الشربوش والقباء(٤) . جاء فى مفرج الكروب : « بعث إليه قَباءً وكُمَّةً »(٥) .

الكُمَّة والجمع كمام: فسرها دوزى بأنها « قلنسوة » مستديرة ومرتفعة: « Ponnet, hant et round » (٦) ، وترجمت « baveçan » أى الشكيمة من الحديد التى توضع فى فم الحصان ، وتبين بالبحث أن لهذه

---

(١) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ . وانظر د. الشيال ، السابق .

(٢) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ١ ، ص ٢٧٩ واقرأ د. الشيال ، السابق .

(٣) المعلم بطرس البستانى : محيط المحيط ، ج ٢ ، ص ١٦٦١ .

(٤) السلوك للمقريزى ، ج ١ ص ٢٦١ .

واقرأ : نحل عبر النحل للمقريزى ، نشر الشيال ، ص ٨٥ ، هامش ٥ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .

أنظر د. الشيال ، نفس الصفحة .

(٦) Dozy : Supp. dict. Arab.

الترجمة ما يقرها من السند اللغوى ، فقد جاء فى محيط المحيط «كَمّ البعير : شدّ فمه بالكِمامة »، «والكمام ما يُكَم بهِ فَمُ البعير لئلا يعض أو فم الثور لئلا يأكل » .

الكمامة والجمع الكمام أيضاً ، والكَمّ مصدر(١) .

وفى إستعمالاتنا العامية تقول : « فلان كمم فم فلان حتى لا يتكلم » وفى أيام الحرب العالمية الثانية وجد ما يسمى بالكمامة : وهو غطاء معين يوضع على الفم ليقى من الغازات السامة .

ولا مانع من أن تكون دلالة اللفظ تطورت فى ذلك العصر وأصبح اللفظ يشير إلى أكثر من دلالة وبذلك يعد من المشترك اللفظى حيث يستعمل اللفظ لمعنيين معاً أو أكثر فى آن واحد .

بقيـار

« بقيار » : جاء فى مفرج الكروب : « أمر له بثلاثمائة درهم ثمن بقيار »(٢) . الكلمة فارسية الأصل عرفها دوزى بأنها نوع من العمامة الكبيرة التى يلبسها الوزراء والقضاة والكتاب . وقال الدكتور زيادة إن من معانيها : السجادة السوداء المصنوعة من وبر الحمل وهذه الكلمة أيضاً تدخل فى باب المشترك اللفظى فالكلمة دلالتان أو أكثر فى آن واحد .

« بغلطاق » أو « بغلوطاق » لفظ فارسى الأصل يطلق على قباء بلا أكمام أو بأكمام قصيرة جداً يلبس تحت الفرجية وكان يصنع من القطن البعلبكى الأبيض أو من السنجاب « Petit gris » أو من الحرير اللامع « Satin » وكثيراً ما يزين بجواهر ثمينة . .

جاء فى السلوك : « ودخل السلطان البرية ، وضرب حلقة فأحضر إلى الدهليز ثلاثمائة غزال وخمس عشر نعامة أعطى عن كل غزال بغلطاق بسنجاب

---

(١) محيط المحيط : للبستانى ، ج ٢ ، ص ١٨٤٣هـ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .

وانظر حاشية د. جمال الدين الشيال نفس صفحة ٢٤٥ ، ج ٣ .

وانظر السلوك ، ج ١ ، ص ٥٥ . واقرأ حاشية د. محمد مصطفى زيادة .

وانظر : Dozy : Supp. dict. Arab

وعن كل نعامة فرساً ثميناً بسرجه ولجامه »(١) .

دراعة والجمع درايع

« دراعة » : أما الدراعة فهى جبة مشقوقة المقدم ولا تكون إلا من صوف ، والجمع « دراريع »(٢) .

والدراعة أيضاً صدرية تلبسها البنات(٣) . (وحلت محلها فى اللهجة المصرية المعاصرة سوتيان) . وتلك الكلمة أيضاً تدخل فى باب المشترك اللفظى وهى دخيلة أيضاً ولكن حديثاً .

جاء فى السلوك : « وخرج بها (أى الخلعة) وهى عمامة سوداء مذهبة مزركشة . ودراعة بنفسجية اللون وطوق ذهب »(٤) .

« الجوشن » : جاء فى السلوك النص الآتى « فجهزت له خلعة وسنجق وهدية فيها قميص من ملابس السلطان كان قد سأل فيه ليكون له أماناً ، وسير إليه جوشن وغيره من آلة الحرب »(٥) .

وجعل كاترمر كلمة « الجوشن » يقابلها بالفرنسية لفظ « Cuirasse (٦) وفى محيط المحيط : « الجوشن : الدرع »(٧) .

« الستوق — والمستقة — والتستوق » أيضاً معرب من الفارسية . ومعناه : فروة طويلة الكم(٨) .

---

(١) السلوك : المقريزى ، ص ٥٨٤ ؛ وانظر المواعظ والاعتبار المقريزى ج ٢ ص ٩٩
وانظر : Quatremere : op. Cit 1.2 p 75. N63

وفى العامية المصرية تطلق كلمة « ستان » " Satin " على نوع من الأقمشة نقول مثلا - قماش ستان، ونحن لا نقصد به الحرير . وفى هذا تطور دلالى نحو تخصيص الدلالة .

(٢) أنظر : محيط المحيط البستانى .

(٣) Dozy : Supp. dict Arab

(٤) السلوك المقريزى، ج ١ ، ص . ٤٥٢ ، قسم ٢

(٥) السلوك المقريزى ؛ ص ٥٣٦ .

(٦) Quatremére op. Cit. 1.2 p 43

(٧) بطرس البستانى : محيط المحيط .

(٨) Dozy : Dictio. noms des vetossents

« **الجوسن** » وجمعه « **جواسن** » : وهو الدرع من الجلد يلبس حول الجزء الأوسط من الجسم (١) .

جاء : « واتفق مع ذلك أنه لما كان كتبغا سلطان نودى على جوشن للبيع »(٢) .

« **سراكوج** » والجمع « **سراقوجات** » ، والمعنى قلنسوة تترية(٣) .

جاء فى السلوك : « وأعد ألف قباء تترى وألف سراقوج ألبسها الأرمن ليوهم أنهم نجدة من التتر »(٤) .

« **الفرجية** » : نوع من القباء المسترسل ، جاء فى مفرج الكروب : « ثم لبس نور الدين الفرجية وتقلدبالسيفين ووضع فى عنقه الطوق »(٥) .

ولدوزى تعريف بالفرنسية خلاصته : أنها نوع من القباء المسترسل ، ويصنع غالباً من الجوخ وله أكمام واسعة طويلة تتعدى أطراف الأصابع وهى غير مفتوحة أو مشقوقة »(٦) .

ودلالة السيفين الواردة فى النص « وتقلد بالسيفين » رمزاً لتقليده مصر والشام ، قال العماد فيما نقله أبو شامة عنه : « وسألت عن معنى تقليد السيفين فقيل لى هما للشام ومصر وللجمع بين البلادين »(٧) .

« **العباءة** » : جاء فى السلوك : « وأُلبس عباءة »(٨) .

---

(١) Etaingass : Pers : Eng Dict.

(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٨٩٦ – ٨٩٧ .
وانظر د. زيادة ، نفس الصفحة وما بها من مراجع .

(٣) Dozy : Supp dict Arab

(٤) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥١١ . وانظر د. زيادة على نفس الصفحة .

(٥) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

(٦) Dozy dictionnaire taille des Noms des Vetements pp 327 – 334 Supp dict Arab.

(٧) الروضتين لأبى شامة ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

(٨) السلوك للمقريزى ، ص ٧٦٨ وانظر حاشيه د. زيادة.

والعباءة كما عرفها دوزى معطف قصير الأكمام ، ومن معانيها القماش الجل الذى يغطى به ظهر الجمل أو الحصان(١) .

وإلى اليوم ما زالت الكلمة بهاتين الدلالتين مستعملة فى اللهجة المصرية المعاصرة .

نموذج (٧)

تُرْكُبُلِىّ والجمع تُركُبلِيّة

فرقة من الجند عرفت بهذا الاسم عند كل من المجتمعين الإسلامى والمسيحى على السواء .

و« تركبلى » لفظة يونانية(٢) معناها أبناء أو سلالة الترك .

ويرى الباحثون أن البيزنطيين أطلقوا هذا الاسم على فرقة من فرق جيشهم تلى فى الأهمية فرقة الفرسان وينحدر أفرادها من أب تركى أو عربى وأم يونانية . ويعلل لهذا بعض المؤرخين بأن البيزنطيين بعد انهزامهم فى موقعة (ملازكرد) كونوا فرقة من الفرسان تعتمد على الكر والفر والحرب السريعة تشبهاً بالأتراك ويفسرون ظهور هذه الفرقة عند الصليبيين بأنهم : عندما مروا بأراضى الدولة البيزنطية أثناء حملتهم الأولى اقتبسوا نظام هذه الفرقة وكونوا فرقاً تحمل اسم « تركبلى »(٣) .

وقطعت اللفظة رحلتها وعادت إلى جيوش المسلمين لتقتبس الاسم وتطلقه على (فرقة من جيوشها) تسميها « التركبلى » وهذه الظاهرة تعرف فى دراسات علم اللغة باسم رحلة الألفاظ .

---

(١) Dozy : Supp. dict. Arab.

(٢) لفظة يونانية تكتب على هذه الصورة "Touokollouλλol" .

اقرأ د. جمال الدين الشيال ، هامش مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

(٣) السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

وجاء مثل هذا النص فى السيرة . السلطانية لابن شداد . وفى الاعتبار لأسامة ص ٥١ ، وجاء فى الكامل لابن الأثير فى مواضع كثيرة .

جاء فى مفرج الكروب : «قال السلطان : الفارس بفارس والتركبلى بمثله والراجل براجل »(١) .

وهناك فروق دقيقة فى دلالة كلمة تركبلى عند كل من المجتمعين على الرغم من اتحادهم فى استعمالها ؛ مبعثها أن الصليبيين ربطوا بين الأصل التاريخى الاشتقاقى للفظة وبين تلك الفرقة من الجنود ، بينما المجتمع الإسلامى ربط بينها وبين الطبيعة الحربية لهذه الفرقة . وبالإضافة لهذا فان تعريفات(٢) الفريقين تلقى ضوءاً على دلالتها عند كل منهم . نلاحظ أن تعريفات الغربيين كلها تدور حول : « التركبلى : «جند آباؤهم أتراك أو عرب وأمهاتهم يونانيات »(٣) . أو « التركبلى : هم نتاج أم مسيحية وأب تركى »(٣) . وهاك نص تعريف مؤرخ صليبى «Turcopoli, ex Turco patre et graeca matre procreati» ومعناه أيضاً : « التركبلى نتاج أب تركى وأم يونانية »(٤) . أما عند المسلمين فلا نجد تعريفاً وإنما نجد وصفاً يوضح دلالتها عندهم ، ومن أمثلة ذلك قول أسامة وهو فى معرض حديث له حيث يقول : « وإذا به السردانى صاحب طرابلس فى ثلاثمائة فارس ومائة تركبلى وهم رماة الإفرنج »(٥) . وعلى شاكلة هذا القول نجد عند الغربيين تعبير وليم الصورى ، حيث يقول : « وكان يصحبنا جماعة من الفرسان المدرعين بالدروع الخفيفة ويسمون التركبلى »(٦) . والعبرة بالدلالة وليست بالألفاظ

---

(١) أقدم تعريف للفظ تركبلى ذكره : Raymond : d' agiles : Historia Francorum qui ceperunt Hierusalem. R.H.. C. Hisit occid III.
أنظر د. جمال الدين الشيال (السابق) ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٢) أنظر : الاعتبار لأسامة ص ٥١ .

(٣) أنظر : د. الشيال ، المفرج ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٤) السابق ، ص ١٤٩ — ١٥٠ ومراجعه .

(٥) الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ٥٠ — ٥١ .

(٦) نص قوله : Erant practerca nobis equites Levis armaturaequos turcopolos Vocant.

قال : « الكلمة كرمز صوتى لا قيمة له دون استخدام ، والمعنى هو العنصر الثانى بعد وجود الرمز »(١) ، وعلى الرغم من وجود بعض الخلافات لدى الطرفين إلا أن دلالة اللفظ كانت واضحة فى استعمالاتهم طوال التاريخ ، يؤكد ذلك ما جاء فيما وُقّع بينهم من اتفاقات منذ صلاح الدين وحتى الهدنة التى وقعت بين المنصور قلاوون وفرنج عكا سنة ٦٨٢ هـ والتى جاء فيها : « أن يقدم بديل عن كل قتيل فارس بفارس وتركبلى بتركبلى »(٢) واقتبست جيوش المسلمين عن الفرنجة اسم فرقة « Angulani » ووفقاً لحاسة النطق العربى سموها « الغلمان » وصارت كلمة الغلمان تعنى فرقة من الجيش على نحو ما نجد عند ابن القلانسى وغيره . وعلى نحو ما عرفها مسيو رينيه بقوله : « Un crops de Troupe de L' armee Turque »(٣) وصارت كلمة الغلمان فى هذا العصر تحمل دلالات متعددة ، منها ما هو دخيل ، ومنها ما هو أصيل .

— دلالة تنطلق إلى فرقة من الجيش تعرف بالغلمان على غرار فرقة « Angulani » عند الغربيين .

— دلالة تنطلق على الجماعة الذين يقومون على خدمة الخيل ويسمون « الغلمان » والمفرد « غلام » . ويقول عنهم القلقشندى : « أن لفظ غلام فى أصل اللغة مخصوص بالصبى الصغير والمملوك ، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم وكأنهم سموه بذلك لصغره فى النفوس وربما أطلق على غيره من رجال الطشت خاناه ونحوهم »(٤) .

---

(١) دكتور محمود فهمى حجازى : علم اللغة بين المناهج والتراث .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ ؛ واقرأ حاشية الدكتور الشيال ، نفس الصفحات .

(٣) د. حسن حبشى : حوليات الحارب الصليبى ، ص ١١٨ .

وقد أتى الدكتور حسن حبشى بأدلة متعددة بأن كلمة الغلمان لفظاً ومعنى تعريب لكلمة " Angulani " واستشهد بابن القلانسى فهى عنده فريق من العسكر يستعان به فى الحرب .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧١ .

والدخيل هنا قد يختلط بالأصيل ولكن عندنا نحن ، ومن هنا تبدو أهمية وجوب مثل هذه الدراسات ، أما عندهم فكانت الدلالة واضحة ويظهرها الاستعمال والسياق ، ونقرأ هذا الاستعمال الذى جاء فى كتاب السلوك : « ثار جماعة من السودان والتركبدارية والغلمان وشقوا القاهرة وهم ينادون يا آل على ، وفتحوا دكاكين السيوفيين »(١) . وفى كتاب ذيل تاريخ دمشق لإبن القلانسى أمثلة متعددة لاستعمالات مختلفة نرى فيها الدلالة واضحة لما تبدو عندنا دلالة خفية .

واتصالا بما نحن بصدده وجدت فرقة أخرى من الجيش سميت **«الطومان»** أو « التومان » .

« الطومان » أو « التومان » وتجمع على « الطوامين » أو « التوامين »

جاء فى السلوك : « فلما تم الترتيب زحفت كراديس التتار كقطع الليل بعد الظهر من يوم السبت المذكور وأقبل قطلوشاه بمن معه من التوامين »(٢) .

والمقصود بالتوامين أو الطوامين جمع تومان أو طومان وهى الفرقة التى يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل(٣) . ووجد فى ذلك العصر بالإضافة لتلك الفرق فرقة تسمى « الكشافة » .

« الكشافة » جمع « كشاف »

جاء النص الآتى : « خرجت الكشافة من دمشق وغيرها فظفروا بكثير من التتار »(٤) . وشرح كاترمر المقصود بفرقة الكشافة : « بأنها فئة معينة من العسكر وكان عملها الخروج لكشف أخبار العدو » . وجاء فى السلوك أيضاً ما يوضح دور تلك الفرقة : « فبعث السلطان الكشافة ، فلقوا طائفة من التتر

---

(١) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٤٣٩ .
واقرأ د. زيادة ، هامش نفس الصفحة ص ٤٣٩ .
راجع فصل الدراسات الصوتية. واقرأ جدول استعمالات أنواع من النسب فى هذا الكتاب .
(٢) السلوك للمقريزى ، ص ٩٣٣ ، ج ١ ، قسم ٣ ، د. زيادة .
(٣) أنظر : Quatemere : op. Cit. 1.2. p152
(٤) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، د. زيادة .
وانظر : Quatremere : op. Cit 1.1. p 180 N 91.

أسروا منهم شخصاً وبعثوا به إلى السلطان ، فقدم إلى دمشق فى العشرين من جمادى الأولى فآنسه السلطان ، ولم يزل به حتى أعلمه أن التتر فى نحو ثمانين ألفاً وأنهم يريدون بلاد الشام فى أول رجب ، فشرع السلطان فى عرض العساكر واستدعى الناس »(١) .

وأصابت دلالة لفظة « الكشافة » فى عربيتنا المعاصرة يد التطور كما هو واضح من استعمالنا لها الآن (حيث تطلق على فرقة من الشباب فى المدارس).

« الناس »

كلمة **الناس** التى وردت فى نص المقريزى السابق مصطلح له دلالة خاصة وجدت فى عربيسة عصر الحروب الصليبية ومازلنا حتى اليوم نستعملها فى اللهجة المصرية الدارجة . يقول المؤرخ المحقق(٢) معلقاً على النص السابق : « إن المقصود بالناس هم رؤساء الفئات التى أتت لنجدة السلطان أو الفئات أنفسها » . ويقول : « إن استعمال لفظ الناس بمعنى الرؤساء أو الزعماء أو الأمراء كان شائعاً فى مصطلح المؤرخين فى عصر المماليك ، ويوضح ذلك أنه كانت هناك فرقة من فرق الجيش فى ذلك العصر تسمى (**أولاد الناس**) .. » .

« **أولاد الناس** » وضمت هذه الفرقة من الجيش التى يطلق عليها اسم أولاد الناس « الأمراء » أمراء المماليك فقط . ومن هنا أخذت كلمة الناس وأولاد الناس دلالة خاصة متميزة .

ونحن إلى اليوم ما زلنا نقول فى لهجتنا المصرية (ابن ناس) و(بنت ناس) و(أولاد ناس) ، ونقصد بأن المتحدث عنه له أصالة وعراقة . وهى منحدرة إلينا من استعمالات ذلك العصر .

وعلى شاكلتها أيضاً كلمة « **مساتير** » وكلمة « **مياسير** » .

« **المساتير** » جمع « مستور » ، جاء فى السلوك : « ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا

(١) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٦٩٠ واقرأ حاشية د. زيادة نفس الصفحة .

(٢) د. محمد مصطفى زيادة فى حاشية الصفحة المذكورة ، السلوك ، ص ٦٩٠ .

حتى يكفنهم ويدفنهم »(١) ، وجاء أيضاً « المساتير » . ويقول باحث مؤرخ : « لهذا اللفظ معنيان فى كتب المؤرخين(٢) :

— فيُقصد بالمستور الرجل الغنى العفيف صاحب المقدرة على الخير من غير إعلان عن نفسه .

— ويقال : المستور أيضاً للفقير المتقى المنزوى عن الناس . ويعلق بأن المعنى الأول هنا هو المقصود(٣) ، وإليه ذهب كاترمر(٤) .

أما عن « المياسير » ومفردها « ميسور » ، فقد جاء النص الآتى : « ورسم له بالنظر فى أموال التجار ومياسير الناس وأخذ ما يقدر عليه »(٥) .

« المفاردة » جمع « مفردى » : نوع من عساكر حلقة السلطان ، جاء فى السلوك : « وجمعت الأمراء والمفاردة وغيرهم »(٦) . ويعلل مؤرخ محقق لسبب التسمية بقوله : « ويظهر أنهم أفردوا بهذه التسمية لتبعيتهم مباشرة لديوان المفرد وهو ديوان يرجع تأسيسه لأيام الفاطميين وكانت تخرج منه زمن الدولة المملوكية نفقة المماليك السلطانية من جامكيات وعليق وكسوة » .

« الأطلاب » جمع « طُلْب » : لفظ كردى معناه الأمير الذى يقود مائتى فارس ، ويطلق أيضاً على قائد المائة أو السبعين ، وكان أول استعمال هذا الوصف بمصر والشام أيام صلاح الدين ، ثم تطور مدلوله فأصبح يطلق على

---

(١) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٨١٤ .

(٢) د. محمد مصطفى زيادة نفس الصفحة المذكورة .

(٣) Quatremere : op. Cit. 1.2. p 31. N 19

(٤) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٨٩٨ .

(٥) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٤٨٠ .
أنظر : د. محمد مصطفى زيادة ، هامش نفس الصفحة ٤٨٠ .

(٦) د. محمد مصطفى زيادة ، السابق ، ص ٤٨٠ .
أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ .
وابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٢٠٧ .
Quatremere : op. cit. I.I. piz, n 66

الكتيبة من الجيش « Battaillon »(١) وبمرور الزمن صار المسلمون يطلقون هذا اللفظ على ما يماثله من جنود الفرنجة فقد جاء فى السلوك :
« فلقيه طلب الفرنج الداوية »(٢) .

« سُرْبَة وتجمع على سربات وسرابات » . جاء فى مفرج الكروب « ولهم خذلهم الله تنوع فى المكايد فإنهم قاتلوا مرة بالأبرجة ، وأخرى بالمنجنيقات ، وثالثة بالدبابات ، ورابعة بالكباش ، وأخرى باللوالب ويوماً بالنقب ، وليلا بالسرابات »(٣) .

ويقول دوزى أن السربة هى فرقة من الخيالة(٤)«Troupe de cavaliérs» وفى محيط المحيط « السربة » وتجمع على « سرب » ، الجماعة « وجماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين »(٥) ، وفى اللسان : السربة « جماعة ينسلون من المعسكر فيغيرون ويرجعون »(٦) .

ومع ذلك فقد اختفت من الاستعمالات اللغوية المعاصرة ، ولا نسمع بها فى اللهجات المعاصرة أيضا وبخاصة فى اللهجة المصرية .

أجناد الحلقة :

« وهم عدد جم وخلق كثير وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم بواسطة النزول عن الإقطاعات »(٧) .

---

(١) أنظر نص استعماله فى مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٥٩ واقرأ د. الشيال نفس الصفحة أنظر نص استعماله فى السلوك ج ١ ص ٢٤٨ واقرأ : د. زيادة ، نفس الصفحة .
(٢) انظر : Dozy : Supp. dict. Arab.
(٣) السلوك للمقريزى ج ١ قسم ٢ ص ٣٤٩ . ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٧
(٤) Dozy : Supp. dict. Arab, .
(٥) بطرس البستانى : محيط المحيط ، ج ١ ، ص ٩٤٣ .
(٦) اللسان . وانظر تاج العروس .
(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٦ .

وجاء فى السلوك النص الآتى : « فى عدة كثيرة من أتباعهم وأجنادهم وخلق من مقدمى الحلقة والمماليك السلطانية »(١) .

الفدائيون :

جاء فى السلوك النص الآتى : « فرأوا بأن أمرهم لا يتم إلا بقتل العماد ابن شيخ الشيوخ فبعثوا إلى نواب الإسماعيلية فى ذلك ودفعوا إليهم مالا وفدية فسيروا فدائيين قتلاه على باب الجامع »(٢) .

وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية : « الفدائى فى نظام جماعة الحشيشيين هو الشخص الذى يناط به اغتيال من تقرر الجماعة قتله من أعدائها »(٣) .

ويعلق محقق كتاب المقريزى د. زيادة بقوله : « المفهوم من عبارة المقريزى هنا أن تلك الجماعة كانت تؤجر أحياناً للقتل فى مقابل مبلغ من المال دون أن تكون لها مصلحة أخرى »(٤) .

ونلاحظ أن الدلالة أصابها تطور نتيجة للحكم على الأمور من ظاهرها ، وحكموا على كلهم من سلوك بعضهم وعلى الرغم مما نراه شبيهاً بهذا فى حركة الفدائيين الفلسطينيين إلا أنه يجب أن نعرف أن هذا تحزيف مقصود للحط من الفكرة بالحط من دلالتها ، فالفدائى هو الذى يفتدى مبدأه بحياته .

« نموذج (٨) »

« **زَرْبُول ، زُرْبُول** وتجمع على **زرابيل** » : كلمة من أصل يونانى(٥) ، ومعناها نوع من الأحذية .

جاء فى مفرج الكروب النص الآتى : « هذا السلطان عظيم ، وما فى الأرض للإسلام ملك أكبر منه ولا أعظم ، فكيف رحل عن المكان لمجرد

---

(١) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٢٨١ .

(٢) السابق ، ص ٢٧٦ — ٢٧٧ ، د. محمد مصطفى زيادة .

(٣) أنظر : Enc. isl. Art. Fida'i.

(٤) د. محمد مصطفى زيادة ، السابق ، ص ٢٧٧ .

(٥) وترسم بالأحرف اليونانية هكذا " O' EPBouλa " .

وصولى ، والله ما لبست لأمة حربى ولا تأهبت لأمر ، ولا فى رجلى إلا زربول البحر فكيف تأخر »(١) .

ويرى دوزى(٢) : أن الكلمة مشتقة من « Servus » ويرى أن اللفظ الأسبانى « Servilla » ويعنى نوعاً من الأحذية مشتق من « Serva » لأن الخدم كانوا يلبسون هذا النوع من الأحذية .

ولما انتقل اللفظ إلى العرب « زربول » وجعلوه « زربون » ويبدو أن الاستعمال كان فى نطاق ضيق فلم أجده فى القواميس (ووجدت فى محيط المحيط أن الزربون حيوان فالاستعمال عامى (ووصفه دوزى بأنه حذاء أحمر اللون ذو طرف أمامى مدبب مرتفع إلى أعلى .

وكانت تطلق اللفظة فى القسطنطينية على الحذاء الذى يلبسه العبيد أيضاً .

واستطاعت العربية فى عصر الحروب الصليبية الاستفادة من كل الدخيل فى هذه الحالات — ففى هذا المجال الذى ليس فيه من المفردات ما يسد حاجة الاستعمال فقد نوعت العربية تنويعاً حققت به غرضها ومن أمثلة ذلك أنها جعلت الزربول : الحذاء الخاص بالبحر ، والزربون : الحذاء الخاص بالعبيد.

و« اللالك » من الفارسية جعلته نوعاً آخر وجمعه « لوالك »(٣) ونسب إليه فقيل« اللالكائى » . واللالكائى : الحذاء أو صانع الأحذية(٤) . والكلوك نوع يطلق على أحذية الأطفال . كما أطلقت لفظة « المركوب » على نوع من الأحذية . وأطلقت أيضاً لفظة «المداس» على نوع آخر . ومن أمثلة استعمالاتهم لهذه الأنواع الأخيرة التى نحسبها خاصة باللهجة المصرية فحسب .

(١) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ، ص ٣٩٨ .
أنظر : د. جمال الدين الشيال ، نفس الصفحة .

(٢) Dozy : Supp. dict Arab.

(٣) اقرأ النص المستعمل فيه الكلمة لمفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٢١ .
وانظر د. الشيال ، نفس الصفحة .
الكامل لابن الأثير ، ج ١١ ، ص ١٨٣ .

(٤) Dozy : Supp. dict. Arab.

جاء فى السلوك : « يضرب الرأس بالمداسات »(١) . وكذلك جعلوا « الصرمة » تدل على نوع وأصلها « سرمودة » من الفارسية .

« نموذج (٩) »

« الزيار وتجمع على : زيارات » : نوع من القسى الرامية للسهام يذكر غالباً مع أنواع القسى الأخرى مثل : الجرخ والعقار ، ولكنه أكبرها وأضخمها(٢) .

ومعنى ذلك أن هذه الكلمة تثرى ظاهرة الترادف غير أنها فى نفس الوقت تسهم فى توضيح الدلالة وتحديدها فالزيار نوع من القسى حقاً ولكن هناك فرق بينه وبين كل واحد من جنسه ، فهو كما وصفه مرضى بن على : « أشدها رمياً وأعظمها جرماً ، وأنكأها سهماً ويحتاج إيثارها إلى عدة من الرجال وتركيب هيولاها من أصناف من الأخشاب وتنصب على الأبراج وما شاكلها ولا يكاد أحد يقف لها »(٣) . ومعنى ذلك أن هناك لوناً من الدقة فى الدلالة فليس معنى تعدد المترادفات تطابق الدلالة فقد يكون فى تعدد المترادفات تنوع فى الدلالة . وهذا يتفق فى بعض جوانبه مع رأى أبى على

---

(١) السلوك للمقريزى ، ص ٢٠٨ ط دكتور زيادة .

وفى العامية المصرية نالت كلمة « زربون » دفعة فى مجال التطور الدلالى فأطلقت الزربون على العبد من باب إطلاق الشىء على صاحبه أو العكس ، فيقال عبد زربون ثم دفعت بالكلمة دفعة أخرى فى مجال التطور الدلالى فقيل فلان بزربونة (ودلالة الزربونة فى عرف اللهجة المصرية نوع من الحمق) .

وفى بعض حالات المداعبة المازحة : يقال لشخص ما « داهية فى زربونتك » ، وكذلك يقال « ما تزربنش على » ، أو « إنت حتزربن لى على إيه .. ! » .

(٢) إقرأ النص المذكور فيه لفظ الزيار فى مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(٣) أنظر : د. جمال الدين الشيال ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(٤) مرضى بن على : تبصرة أرباب الألباب ، ص ٦ .

واقرأ : العماد الأصفهانى : الفيح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٦٤ .

وانظر : Dozy : Supp. dict. Arab

الفارسى عندما أجاب على ابن خالويه فى محضر سيف الدولة أنه لا يعرف للسيف سوى اسم واحد وأن الباقى صفات(١) .

« الزنبورك وتجمع على زنبوركات » : وتعنى نوعاً من السلاح . وقد أورد مؤرخ محقق أدلة متعددة تثبت أن الزنبورك نوع من القسى التى ترمى عنها السهام ، وأن لفظ الزنبورك نفسه يطلق على نوع من السهام ذاتها(٢)

ومعنى هذا أنها تثرى ظاهرة المشترك اللفظى من حيث إنها لفظ واحد يحمل فى وقت واحد دلالتين أو أكثر . وهو أيضاً إثراء لظاهرة الترادف لأن المفردات التى تطلق على القسى زادت لفظة الزنبورك .

ومن النصوص التى تؤكد دلالة المعنى الأول قول ابن الأثير : « ودام رشق السهام من قسى اليد والجرخ والزنبورك والزيار »(٣) .

ومن النصوص التى تؤيد المعنى الثانى الذى أورده دوزى عن بطارقة الإسكندرية . وفيه : « الزنبورك سهم فى سمك الإبهام وفى طول الذراع وله أربعة أوجه وطرفه من الحديد وهو مريش ليكون فى انطلاقه أكثر ثباتاً »(٤) :

ويرى كاترمر(٥) أن الزنبورك سمى كذلك للشبه بين الصوت الذى يحدثه وتر القوس عند انطلاق السهم وبين الصوت الذى تحدثه تلك الحشرة الصغيرة (الزنبور) .

---

(١) اقرأ : عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، ص ٢٢٦ .
وانظر موضوع الترادف فى كتابنا من مصنفات الثروة اللفظية .

(٢) د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب ، حاشية ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(٣) اقرأ : من النصوص التى تؤيد المعنى الأول فى ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ص ٤ .

(٤) ونصه Le Zenbourk etait une Flèche de lé epaisseur du poueé de la longueur d'une Coudeé qui avait quatre Faces, la pointe de la fleche etait en fer, et des plumes en rendaint le vol plus Snr·

(٥) أنظر : Dozy. Supp. dict. Arab " السابق أيضاً .
وانظر : Quatremere : Op Cit

ويضيف دوزى أن هذا اللفظ منذ اكتشاف الأسلحة الحديثة أطلق على نوع من المدفع الصغير الذى يحمل على ظهر الجمل(١) . ونبدى هنا ملاحظتين

أولاهما : أن التسمية أخذت من مظهر حسى فى الآلة ، وكثيراً ما يحدث هذا عند العرب فى القياس الإبداعى فعلى نحو ما مر رأيناهم سموا الزراقة لأنها تزرق ، والحراقة لأنها تحرق ، والستارة لأنها تستر ، والزنبورك لأن صوته مثل صوت الزنبور ، والدبابة لأنها تدب على الأرض .

وثانيتهما : أن هذا النوع من التطور الدلالى (أو التغير) وهو إطلاق الزنبورك على المدفع مبعثه أمور عارضة خارجية وأمور داخلية ، لأن هذا هو ما يعنيه اللغويون المحدثون بالتطور الدلالى الذى يشير إلى الماضى الحضارى ويكشف عنه ، حيث تحدث الرغبة فى ربط الحاضر بالماضى لبيان الأصالة وعظمة الماضى .

ولهذه الظاهرة ما يؤيدها فى مجتمعنا اليوم حيث رأيناهم يطلقون لفظة « الدبابة » على ذلك المخترع الحديث وهو اسم كان يطلق أيام الحروب الصليبية على آلة بدائية يدخلون فى جوفها ثم تدفع فى أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفها .

جاء فى اللسان : « الدبابة آلة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وتقيهم ما يرمون به من فوقهم : سميت كذلك لأنها تدفع فتدب » . ووصف العماد الأصفهانى إحدى دبابات الفرنج بقوله كانت دبابة عظيمة هائلة ولها أربع طباق وهى خشب ورصاص وحديد ونحاس »(٢) .

ويرى اللغويون أن الهدف من استعمال القديم والإبقاء عليه الاعتزاز بما يشير إليه من الماضى الحضارى وهذا هو الذى يفسر كيف « أن كثيراً من الكلمات فى كل لغة تحفظ آثاراً من الحياة القديمة فى هذا الجانب أو ذاك

---

(١) اقرأ فى وصفها بما يؤيد هذا القول : الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ص ١٩٢ .

(٢) الفيح القسى فى الفتح القدسى .

من جوانبها »(١) . غير أن سنة التطور تنسخ القديم فى كثير من الحالات .

« **القنطارية** » : نوع من الرماح ، وهى لفظة من أصل يونانى « Kontarian »(٢) .

جاء فى المفرج : « قنطاريات الفرنج ليس لها إلا سهام الأتراك .. » .

كما جاء فى الاعتبار : « وفى يده قنطاريته »(٣) وعلق المحقق بقوله على القنطارية : « يونانية معناها قناة الرمح وتطلق على الرمح كله » وفى علم اللغة يسمى هذا تطور نحو التعميم ولا وجود لها فى المعجم . وما جاء : « القناطر جمع قنطرة ، وتقنطر الفارس ، بمعنى قنطر ، وتقنطرت فرسه : كبت ، وقنطر الفارس : سقط عن ظهر فرسه إلى أقدامها(٤) . وكثير من هذه الأنواع اختفت من الاستعمال المعاصر .

« نموذج (١٠)

« **فرنج – أو فرنجة – الإفرنج** » : جاء فى محيط المحيط : الإفرنج والإفرنجة والفرنج اسم لسكان أوروبا ما عدا الأروام والأتراك – معرب فرنك ، ومعناه حر . الواحد : إفرنجى ، والأنثى : إفرنجية أو فرنجية ، وورد فرنجة ، ومنه فرنج وتفرنج كعرب وتعرب(٥) .

ويقول الأب رفائيل نخلة اليسوعى : « أن فرنجة أو إفرنج « Frank » مأخوذة فى الأصل من الألمانية ، وتطلق على أهل أوروبا عامة وأصلها « Frank » ومعناها حر ، اسم شعب جرمانى استولى على غالية سنة ٤٨٦ هـ

---

(١) اقرأ علم اللغة مقدمة ، د. محمود السعران ، ص ٣١٤ – ٣١٦ .

(٢) وتكتب هكذا " (KovTaPiov) = Kontarian" .

مفرج الكروب لابن واصل ، ج ١ ، ص ١٩٣ واقرأ د. الشيال نفس الصفحة .

(٣) الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ٣٩ ، وانظر د. فيليب حتى نفس الصفحة .

(٤) محيط المحيط ، ج ٢ ص ١٧٦٦ – وعلق على ما سبق بقوله « من كلام المولدين » .

(٥) محيط المحيط للبستانى ، ج ٢ ، ص ١٦٠٠ – الأتراك ليسوا من سكان أوروبا وإنما من سكان آسيا .

فسميت فرنسة « France » وهذه الكلمة مشتقة من إسمه »(١) .

فهذه الكلمة ذات معنى تاريخى متحرك من عصر إلى عصر ، وقد أطلقها المسلمون زمن الحروب الصليبية على أهل أوروبا عامة .

وأطلقت كلمة « إفرنجة » و« إفرنجى » فى عصر الحروب الصليبية أيضاً على نوع من الدنانير عرفها القلقشندى بأنها يؤتى بها من البلاد الإفرنجية(٢) . وقد توهم القلقشندى هذا نتيجة للبس — ولكن حقيقة اسم تلك الدنانير « الإفرنتية » ومفردها « إفرنتى »(٣) ، وأصاب الكلمة تطور صوتى نتج عنه هذا النوع من المشترك اللفظى .

وأطلق الترك كلمة « الإفرنجى » أو كلمة « Franqui » على مرض الزهرى وأخذ العرب الإسم عن الترك وسموه الداء الإفرنجى(٤) .

نموذج (١١)

«فم» : وتطورت فى المصرية«بُقْ وتنطق (بُأْ)(بُقْ)»ويرى الأب رفائيل نخلة أنها متطورة عن بوق العسكرى (ضربت البوقات) جمع «بوقة»وهى مقتبسة من اللاتينية « buccina » ودخلت عن طريق الإيطالية « bucco »(٥)

وفى محيط المحيط : بقَ الماء من فيه قذفه بعنف ، وبق على القوم بقاً وبقاقاً : كثر كلامه(٦) .

نموذج (١٢)

« القمص — الكند »

« القمص أو القومس أو القمص ، أو القومص » ، وتارة يؤنثونه فيقولون : « القومصية ، أو القومصة » .

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٨٤ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٣٧ .

(٣) اقرأ : د. الشيال ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٤) غرائب اللغة العربية : الأب رفائيل نخلة اليسوعى : ص ٢٨٣ .

(٥) غرائب اللغة العربية : الأب رفائيل نخلة اليسوعى ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٦) بطرس البستانى : محيط المحيط ، ج ١ ، ص ١١٢ .

وكما اختلفت المراجع العربية فى رسم المفرد اختلفت أيضاً فى رسم الجمع فهو عندهم : « قمامس ، وقمامسة ، وقمامصة ، وقوامص »(١) .

جاء فى مفرج الكروب النص الآتى : « فحشد الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا إلى عماد الدين فى ملوكهم وقمامصتهم وكنودهم » .

والقمس : تعريب اللفظ اللاتينى « Comes » أى الأمير ومعناها الأصلى فى اللاتينية الرفيق لمرافقته الملك فى حروبه وتنقلاته . وتطورت دلالتها إلى الأمير(٢) . وفى العربية أخذت دلالة مخالفة ومن أهم ما يعنينا من النص السابق أن دلالة القمامصة غير دلالة الكنود ، بينما الحقيقة أن « Comes » هو « Comte » يقول الأب رفائيل نخلة : إن « Comes » هى حالة النصب فى اللاتينية ، و« Comte » حالة الرفع (٣) . ويقول مؤرخ محقق أن لفظة « Comes » هى التى حورت فى الفرنسية إلى « Comte »(٤) ونرى أن العربية جعلت لكل لفظة منها دلالة خاصة بها ، وتشير إلى ذلك كل النصوص آنذاك ، وفى عربية مصر المعاصرة عندما يطلق لفظ « القمص » يراد به صاحب مركز دينى معروف ، وعندما تطلق لفظة « كنت » التى هى تطور « كند » يراد بها صاحب مكانة اجتماعية وطبقة معينة . أما لفظة « كند » فى العصر الذى ندرسه فقد جاءت فى صور صوتية متعددة :

« كنُد وقُنْد، ويجمع على : كنُود وأكْناد »

جاء النص الآتى : « وأطلق الملك الصالح الأسرى بمصر من الكنود والفرسان والرجالة »(٥) ، وجاء أيضاً : « انكسر فيها الفرنج ، وأخذ من

---

(١) اقرأ : د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب لابن واصل ، ج ١ ، ص ٧٣ . الصور المتعددة لمفرد ولجمع كلمة قمص يمكن متابعة استعمالاتها اللغوية المختلفة آنذاك فى السلوك للمقريزى ومفرج الكروب لابن واصل والروضتين لأبى شامة والكامل لابن الأثير .

(٢) د. جمال الدين الشيال ، (السابق) .

(٣) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٨٠ .

(٤) د. جمال الدين الشيال (السابق) ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(٥) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٠٥ .

الفرنج ملوكهم وأكنادهم »(١) ، وجاء فى مفرج الكروب : « قد ذكرنا مكاتبة الحلبيين للقومص صاحب طرابلس وقصده حمص »(٢) .. ويقول مؤرخ محقق : « القومص المذكور هنا هو الكونت ريمون الثالث صاحب طرابلس(٣) « La Conte Raymond descendant de Saint Agilles » وهذا يؤكد أن موقف مستعملى العربية فى ذلك العصر واضح تماماً ومنهجهم محدد إزاء الكلمات الدخيلة وهو الاهتمام فى الدرجة الأولى بوضوح الدلالة فى ذهن المستمع والقارىء العربى ، وإن ترتب على ذلك بعض التطورات الأصواتية والدلالية للكلمات الدخيلة .. فصاحب طرابلس هو القومص وليُسَمّ أو يلقب عند الإفرنج بما يشاءون ، أو هو « الصنجيلى »(٤) ، وهى الصورة الصوتية للجزء الأخير من الإسم المذكور « de Saint Agilles » فكان عليهم تحديد رموز صوتية وحصرها داخل دلالات محددة حتى يسهل التمييز بين الألقاب المتشابهة والأعلام المتكررة على امتداد طول ذلك العصر ... ومن هنا وجب أن تحدد دلالة خاصة معينة للقمص والقمامصة ، ودلالة خاصة للكنود أو الأكناد والكند .. وهذا هو الذى كان .

يؤكد كل ما سبق ويأتى دليلا عليه ما يراه الأب انستانس مارى الكرملى (٥) من أن ما اعتاد الكتاب المحدثون أن يرسموه هكذا : « كنت » أو « كونت » هو عن اللاتينية « Comes » وعن الفرنسية « Comte » .

ونخلص إلى أن الدخيل يستجيب دائماً لمقتضيات الظروف ويتفاعل مع تطورات العصر .

---

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٢٩٢ . وانظر د. زيادة نفس الصفحة .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٣) د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٤) السابق .

(٥) أنظر : الأب انستاس مارى الكرملى ، ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ، مجلة الرسالة ، العدد ٤١١ / ١٩ مايو سنة ١٩٤١ م .

واتصالا بما سبق تأتى الكلمات الآتية : « **كمندو** » (١) تعريب الكلمة الإنجليزية « commander » و « كند اسطبل» (٢)معرب اللفظ اللاتينى « comes, Stabuli » **والمارشان** » (٣) من الفرنسية القديمة Marechal أصله من اللاتينى « Mariscalcus » .

جاء فى السلوك النص الآتى : « وكان مقدم الاسبتار قد كتب عدة كتب منها جواب عن مشافهة على لسان كمندو الداوية »(٤) . وإذا كان مؤرخ محقق يرجح أن مرادفها فى عربية آنذاك « مقدم » ويعلل لذلك بأنه هو الذى يلى الرئيس العام « General master »(٥) ، فلم لم يقولوا « مقدم » علماً بأنهم أطلقوا كلمة مقدم فى بعض الحالات على رتب من معسكر الفرنجة ؟ ومن أمثلته ما جاء فى السلوك : « وهم السنجال أود والمقدمون »(٦) ، والواقع أن اختيارهم هذا يؤكده وحدة منهجهم ووضوح هدفهم — ويؤكد ذلك أيضاً اختيارهم صيغة « كند اسطبل » معرب اللفظ اللاتينى المركب « comes Stabuli » ومعناه حاكم القلعة أو المستحفظ . جاء فى السلوك : « وأسر من بينهم كند اسطبل »(٧) . وما زالت هاتان الأخيرتان فى اللهجة المصرية المعاصرة وقد نالتا دفعة فى مجال التطور الصوتى والدلالى ، فنقول : « كومندان » و« كونوستابل » .

أما عن « المرشان » فقد جاء النص الآتى : « فى كتاب الظاهر بيبرس إلى بوهيموند « Bohemond » : « ففى بعض ساعة مَرَّشان المرشان ،

---

(١) تستعمل فى اللهجة المصرية الآن كلمة (كوماندا) أو (كوموندان) وتطلق على نوع رئاسة فى بعض الأعمال والمصانع ، كما أنها وظيفة فى أقسام الشرطة يتولاها المحققون .

(٢) تستعمل فى عامية مصر الآن كتلة صوتية واحدة (كونسطابل) وهى وظيفة فى أقسام الشرطة معروفة أيضاً .

(٣) كلمة مارشال مستعملة فى العامية المصرية أيضا وتدل على رتبة معروفة .

(٤) السلوك ص ٩٦٥ ، ملحق «١» . د. زيادة (السابق) ص ٦٩٥ .

(٥) السابق ، ص ٩٩٥ .

(٦) السابق ، ص ٩٦٧ .

(٧) السابق ، ص ٩٦٧ .

وداخل الرهب الرهبان ، ولان للبلاء القسطلان ، وجاءهم الموت من كل مكان »(١) .

و« المارشان » هو « Marechal » فى الفرنسية القديمة وهو مأخوذ من اللفظ اللاتينى « Mariscalcus » ومعناه فى مصطلح التاريخ الأوروبى فى العصور الوسطى منظم الحفلات والمجالس فى البلاط . وقد يكون مرادفه فى مصطلح الدولة آنذاك وظيفة« أمير مجلس » (٢) ولإيثار هذا الاختيار أيضاً مبرره فى ذلك المقام الذى يؤكد طبيعة منهجهم إزاء الدخيل فى ذلك العصر .

وقد نالت تلك الكلمة بعض التطورات الأصواتية والدلالية أيضاً فصارت فى مصريتنا المعاصرة « مَارْشَال » .

ومما له صلة بما سبق : « السنجال » من الفرنسية « Sénéschal المأخوذة من اللفظ اللاتينى « Senescallus » ومعناه النائب أو الكفيل على حد التعبير المستعمل فى عربية ذلك العصر(٣) .

ولأمر سيتضح نعرض جزءاً من نص الهدنة التى كانت بين السلطان الملك قلاوون وفرنج عكا : « استقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدين أبى الفتح قلاوون الملكى الصالحى وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين على خلّد الله سلطانهما ، وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها التى انعقدت عليها هذه الهدنة . وهم السنجال أود كفيل المملكة بعكا — وحضره المقدم الجليل أفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية ، والمقدم إفرير نيكول ليلورَن مقدم بيت الاسبتار ، والمرشان الأجل إفرير كورات نائب مقدم بيت الاسبتار الأمّن لمدة عشر سنين كوامل » .

احتوى هذا الجزء الوجيز من نص طويل أنواعاً مختلفة من الدخيل منها

(١) السابق ، ص ٩٦٧ .
(٢) د. زيادة ، ص ٩٦٧ .
(٣) د. زيادة ، ص ٩٨٥ .

ما يتصل بأمور عامة في الدلالة — مما هي من صميم الدراسة التي نقوم بها في هذا الباب ، ومنها ما له دلالة خاصة وتعني غيرنا ولا تعنينا .

ومن الأمثلة على ذلك كلمة « السنجال » فتلك ذات دلالة عامة ومعناها النائب أو الكفيل على نحو ما ورد، وإبانتها تفيد من يريد الاتصال بتراث ذلك العصر بصفة عامة وهي تعالج دخيلا تكرر على طول حقبة الصراع وهي في نفس الوقت ذات دلالة خاصة — فإن الشخص المقصود الذي كان نائب مملكة عكا في تلك الفترة هو « Odo Poilechien » وبيان ذلك والكشف عنه يفيد نوعاً خاصاً من الدارسين أصحاب اهتمامات خاصة ، لذلك خلت كتب تراث التاريخ العربي من الاهتمام بتلك الدلالة الخاصة وإن وجدت في كتب الغربيين أو المستشرقين أو بعض المحققين فرد ذلك اهتمامات خاصة ومثل هذا لا ينقص من قيمة ما سجلته كتب تاريخ التراث في ذلك الحين .

فمثلا عندما قال « إفرير » فقد أتى بلفظ دخيل من الفرنسية « Frère » يحمل دلالة عامة وهي الأخ عامة ولكن عندما كانت الحاجة ملحة إلى ذكر الاسم وذلك للنص عليه في هدنة فقد جاء اسمه إفرير نيكول للورن والمقصود « Fr. Nicholos le lorgne » غير أن ذلك يعني دلالة خاصة : أي يقصد شخصاً بعينه ولا يدخل هذا في دائرة بحث هذا الباب ، ومثله قولهم : إفرير كليام ديباجوك ، فإن المقصود هو «Fr. Guillaume de Beaujen»(١)

أما كلمة « الأُمَّنْ » المذكورة في النص فهي ذات دلالة عامة حيث أن المقصود لفظ الألـمْان .

وكذلك قولهم : « **بيوت الفرنجية** » فإن المقصود بها الدويلات الصليبية الباقية بالشام مثل : **بيت الاسبتار** ، و**بيت الداوية** ، و**إمارة يافا** ، وإمارة **أنطاكية** ، وتلك دلالات عامة يحرص البحث على دراستها وتسجيلها فهي أحد أغراضه وهي إسهامة في دراسة وتذليل تراث ذلك العصر .

---

(١) أنظر : د. زيادة : صفحات ٩٨٥ وما بعدها .
وانظر Quatremere: Op. Cit. II. 1, P. 226

وكذلك لفظ « **البرنس** » و« **البرنسية** » على نحو ما جاء فى كتاب السلوك :
« يأخذ أنطاكية منه من البِرِنْسيَّة إلى القُومُوصِيَّة »(١) .

فإن البرنسية صفة البرنس ، وهو معرب اللفظ اللاتينى « Princeps »
وفى الفرنسية والإنجليزية « Prince »(٢) .

ومما له صلة بما نحن بصدد الحديث عنه ، ويدخل فى دائرة اهتماماتنا :
كلمة « **أنَبرُور** » وكلمة « **حَطِّى** » وكلمة « **مِطْران** »

وعن « الأنبرور » جاء النص الآتى : « وفى شعبان قدم الأمير من عند الأنْبرُور ملك الفرنج بكتابه »(٣) . كما جاء : « وهذا الأنبرور هو الذى أعطاه الملك الكامل القدس » . وجاء : « انبرطور. مالك « اللمانية Allemania » الأنبردية Lombardy »(٤) .

وجاء عن « الحطى » النص الآتى : « وقدم كتاب متملك الحبشة وهى الحَطِّى يعنى الخليفة يخاطب السلطان »(٥) .

وكلمة « **الحطى** » لقب صاحب بلاد أمحرا وهى أكبر أقاليم الحبشة ، وصاحبها يحكم أكثر الحبشة ، جاء فى النهج السديد : « وصاحب بلاد الحبشة هذا يسمى حطى يعنى الخليفة وكل من يملكها يلقب بهذا اللقب »(٦) .

ولأن مثل هذا الدخيل يحمل دلالة عامة ، ولتوضيح أهميته وجدناهم يحرصون على توضيحه بإرداف كل دخيل بما يقابله ويفسره فى العربية وهذا يؤكد وحدة منهجهم .

---

(١) السلوك ، ص ٩٦٦ .
(٢) د. زيادة ، نفس الصفحة ٩٦٦ .
(٣) السلوك ، ج ١ ، ص ٤٦٩ ، قسم ٢ .
(٤) السلوك للمقريزى ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨ ؛ واقرأ فى عقد الجمان للعينى ص ١٩٩ — ٢٠٠ وصف ما حدث بين الإمبر اطور والبابا — وذكر حقائق ثابتة فى تاريخ أوروبا .
(٥) السلوك ، ج ١ ، ص ٦١٥ ، قسم ٢ .
أنظر د. زيادة ، نفس الصفحة .
(٦) أنظر ابن أبى الفضل : كتاب النهج السديد ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

فعندما قالوا : « السنجال » أوضحوه بقولهم : « كفيل المملكة » .
وعندما ذكروا كلمة « الأنبرور » ، أردفوها بكلمة « ملك الفرنج ،

وعندما قالوا : « الحطى » أتبعوه بقولهم : « يعنى الخليفة » ، أو بقولهم : (وكل من يملكها يلقب بهذا اللقب) .

واتصالا بما نحن بصدده تأتى كلمة « مطران » ودلالتها تطورت اليوم عما كانت فى عصرهم . فكلمة « مطران » يقابلها فى الفرنسية «**Metropolitain**» ومرادفه فى اللغات الأوروبية الأخرى قريب من هذا(١) .

وفى صبح الأعشى يتحدث القلقشندى عن « المطران » فى عصره بقوله : « المطران بكسر الميم ، وهو عبارة عن القاضى الذى يفصل الخصومات بينهم »(٢) أى بين أهل ملته .

جاء فى السلوك : « وسأل فيه (فى كتابه ـــ رسالته) أنْ يُجَهِّز له مِطْران من عند البطرك »(٣) .

« **التَّكْفُور** »، جاء فى السلوك : « وقد بنى التكفور هيتوم ابن قسطنطين ابن سَاكْ ملك الأرمن .. أبراجاً »(٤) .

و« **التكفور** » لفظ أرمنى معناه الملك المتوج « Roi celui qui Port la couronne وقد أطلقه الأرمن على ملوكهم كما أنه يطلق أحياناً على ملوك الدولة البيزنطية »(٥) .

---

(١) .د مصطفى زيادة ، ص ٦١٥ . السلوك للمقريزى .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٣ .
(٣) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٦١٥ .
(٤) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٥١ .
(٥) اقرأ : د. مصطفى زيادة ، نفس الصفحة ٥٥١ .
واقرأ : ابن أبى الفضل : كتاب النهج السديد .
وانظر : Quatremere : Op. Cit. 1. 2 P 114 N 153

نموذج (١٣)

« المِنْجنَيق » و« المنجليق » : وردت هذه الكلمة فى كتب تراث عصر الحروب الصليبية بصور متعددة فى مفردها وفى جمعها(١) .

جاء « المنجنيق » بفتح الميم وكسرها .. وجاء « المنجنوق » .. وجاء « المنجميق » ، ومن صور الجمع « مجانيق ، ومناجيق ، ومنجنيقات » .

جاء فى مفرج الكروب النص الآتى : « فوصل إلى دمياط الفرنج والروم من داخل البحر واستصحبوا معهم المنجنيقات والدبابات وآلات الحصار وغير ذلك »(٢) . حقاً إن هذه الكلمة قديمة بجميع صيغها فقد وردت فى المعرب للجواليقى(٣) وهى موجودة فى التراث العربى من قديم ومثلها كلمة الدبابة غير أن وجودها فى عربية الحروب الصليبية يشير إلى أنها كانت مازالت مستعملة وجارية على الألسنة إلى ذلك الحين ، ويشير من زاوية ثانية إلى احتمال زمن دخولها فى اللغات الأوروبيات ؛ فهو لفظ دخيل فى العربية من الفارسية ، ولا مانع أن اللغات الأوروبية قد استفادته فى ذلك الحين أو قبله . فهو فى اللاتينية « Mangonallus » وهو فى الفرنسية « Mangonneau » ، وفى الإنجليزية « Mangonel »(٤) وجاء فى محيط المحيط : المنجايق ، المنجنيق(٥) وجاء : جلق القوم بالمنجليق رماهم به(٦) .

ووصفه القلقشندى بأنه آلة من خشب له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف تجعل كفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى

---

(١) انظر الأنيق فى المناجيق وضع أرنبغا الزردكاش تحقيق د. نبيل محمد عبد العزيز أحمد.

(٢) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٣) المعرب للجواليقى ، ص ٣٥٤ وما بعدها ، وورد : منجنيق – ومنجنوق – ومنجليق .. الخ .

(٤) اقرأ : د. جمال الدين الشيال ، ص ١٨٠ (السابق) .

(٥) محيط المحيط للبستانى ، ج ٢ ، ص ٢٩٠٠ ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

(٦) السابق ، محيط المحيط .

ترفع أسافله لأعلى أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئاً إلا هلكه »(١) . والمنجنيقات آنذاك أنواع منها :

١ — العربى .　　　٢ — والتركى .　　　٣ — والفرنجى(٢) .

وجاء فى مفرج الكروب نصاً : « ونصبوا ست دبابات بكباشها وثلاثة مجانيق كبار المقادير تضرب بحجارة سوداء استصحبوها من صقلية »(٣) .

« **دبابة** » وتجمع على « **دبابات** » : من آلات الحرب فى ذلك العصر ، جاء الحديث عنها فى اللسان على نحو ما مر فى هذا الباب .

أما « كبش الدبابة » و« كباش الدبابات » فلجمعها صور فى كتب تراث ذلك العصر منها « أكْبُشْ ، وكُبُوش ، وكِباش » غير أنها لم تذكر فى القواميس ، ولكن محيط المحيط تحدث عن « الكبوشية » وهى فرقة من رهبان اللاتين سموا به من الكابو أى القلنسوة التى يلبسونها الواحد منهم « كبَوشى »(٤)

أما « كبش الدبابة » فهو آلة متصلة بها لها رأس ضخم وقرنان يدفعهما الجنود نحو الأسوار لتحطيمها(٥) .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢) (أنظر : د. الشيال (السابق) ، واقرأ : مرضى بن على بن مرضى : تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة من الحروب .

واقرأ أيضاً Cloude Cahen : un Traite D, Armureric Compose Pour Saladin extrait du Bulletin d'Etudes Orientales, Demas, Tome XII. 1947–1948.

(٣) ابن واصل ، ج ٢ ، ص ١٤ .

(٤) محيط المحيط ، ج ٢ ، ص ١٧٨٨ . وفى عربيتنا المعاصرة نقول فى مصر « الكاب » لنوع من غطاء الرأس فى الجيش .

(٥) د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ، ص ١٤ .

نموذج (١٤)

موميا :

جاء النص الآتى : « وأخرج من خريطته موميا وسقاه وأخذه معه إلى خيمته »(١) .

« **الموميا** » لفظة يونانية الأصل ، وتطلق على مادة دواء يستعمل شرباً ومروخاً وضماداً وهى مادة تنحدر من بعض الجبال مع الماء وتفوح منها وهى جامدة رائحة مثل رائحة الزفت ، وتطلق أيضاً على الدواء المعروف بفقر اليهود .

وتطلق أيضاً على حجارة سود فيها تجويف ، وتوجد فى صنعاء اليمن (٢) .

ومعنى هذا أن لفظة موميا من المشترك اللفظى ، خاصة إذا ما أضفنا لها دلالة نستعملها فى عربية مصر المعاصرة وهى ما نطلقه على الأجساد المحنطة لأجدادنا الفراعنة (موميا رمسيس تعالج فى باريس) . جاء فى غرائب اللغة العربية : « والموميا جثة محنطة على طريقة المصريين القدماء »(٣) .

أما عن « **الدرياق** » ويجمع على « **درياقات** » فقد جاء : « وأفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأكحال والشيافات والسفوفات وعمل المراهم والأدهان وتركيب الدرقيات »(٤) .

« **الدرياق** » وهو « **الترياق** » ، ويقال « **الدراق** » أيضاً ولجمعه صورتان

---

(١) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٨١ .

(٢) أنظر : د. مصطفى زيادة ، السلوك ، ص ٤٨١ .
وانظر : محيط المحيط ، لبطرس البستانى .
وانظر أيضاً : Dozy : Supp. dict. Arab

(٣) الأب رفائيل : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٤٦ . ولا مانع أن تكون اللفظة انتقلت من المصرية إلى اليونانية – فصلات مصر الفرعونية باليونانيين معروفة لدى الباحثين .

(٤) السلوك ، ص ٢٩٩ – ملحق (٩) .

« الدرياقات » و« الدرقيات » وهو دواء مركب يؤخذ لدفع السموم(١) .

أما « الشيافات » و« الأشياف» أيضاً وهو دواء مسحوق يستعمل للعيون :
Callyre Sec, Topique dur, devant étre appliqué Sur les Yeux

| Suppositoire والشياف أيضاً : الدواء الذى يجعل قمعاً أو تابيسةأوفزرجة لمعالجة مرضى المستقيم « Annus »(٢) .

واتصالا بهذا يأتى « القولنج » ، جاء النص الآتى : « ومات فى ثمانى جمادى الأولى بقولنج »(٣) . والقولنج مرض معوى مؤلم يكون فى المعى الغليظة ، وهو معرب اللفظ اليونانى « كوليكوش »(٤) .

وهكذا أدى الدخيل دوره المرسوم وأحسنوا القياس الإبداعى ليسدوا به حاجة اللغة فى هذا الصدد فمثلا جاء النص الآتى : « ورتب فيه الحكماء الطبائعية ، والكحالين ، والجرائحية والمجبرين »(٥) .

« ويقصد بالطبائعى » ما نطلق عليه اليوم اسم (طبيب باطنى) ، وهم فى هذا أكثر صواباً منا وأبرع فى استخدام اللغة فقد أنقصوا عدد الوحدات اللغوية المستعملة ، وأحسنوا الدلالة . فالطبائعى تقابل « Phyicien » وهو ما يعرف باسم طبيب الأمراض الباطنية .

وكذلك « الكحالون » ومفردها « كحال » وهو طبيب العيون Oculiste و « الجرائحية » ومفرده « جرائحى » و « جارحى » ونقول اليوم طبيب جراح وهو « chirurgien » ، .

---

(١) أنظر : محيط المحيط ، وانظر دوزى السابق :
Dozy : Supp. dlct. Arab.

(٢) أنظر دوزى (السابق) ، ومحيط المحيط .

(٣) السلوك ، ص ٨٧٠ .

(٤) أنظر : محيط المحيط .

(٥) السلوك للمقريزى ، ص ٩٩٧ . د. زيادة .
انظر : Dozy : Supp. dict Arab

والمجبرون » مفرده « مجبر » : «Otrhopediste» ونقول اليوم مجبراتى .

نموذج (١٥)

« **مدام** Madame » ، « **داما – دامات** » . جاء النص الآتى :

« فلو رأيت خيالتك وهم صرعى تحت أرجل الخيول ، وأموالك وهى توزن بالقنطار ، وداماتك وكل أربع منهن تباع فتشترى من مالك بدينار »(٢) .

ومن يقرأ التراث ويتمعنه يجد أن العرب منذ المائة الأولى فى الصراع قد عربوا « Madame » داما ، ونصوا على ذلك صراحة . فقد قال أسامة فى معرض حديث له عن رجل صليبى طلب إحضار زوجته لأسامة : « وقال لخادمه : اذهب وأحضر الداما » ، ثم أردف مفسراً بقوله : « والست عندهم داما »(٣) . وليس فى ذلك قدر كبير من التجاوزات الصوتية فالمفرد « Dame » وهى تجمع عندهم « Dames » أى النساء .

ومع ذلك نجد كاترمر يترجم لفظ الدامات « Joyaux »(١) ، أى الجواهر الثمينة . ولكن مؤرخاً محققاً رفض هذا الرأى معلقاً بقوله : « ولعله مخطيء هنا إذ ليس من المعقول أن تباع الجواهر الثمينة أربعة بدينار » ويرى أن المقصود إما النساء وإما الدميات(٢) ، ومن هنا تظهر أهمية الإطلاع على تراث ذلك العصر مجتمعاً كما تتبين أهمية دراسة حركة اللغة فى تلك الفترة ككل من بداية الصراع حتى نهايته .. فلو اطلعا على التراث لعرفا معاً حقيقة المقصود وهو واضح على نحو ما رأينا .

وكما استفادوا من الدخيل فى هذا الصدد استفادوا من المقيس ، فقد

---

(١) السلوك ، ج ١ ، ص ٩٦٨ ، قسم ٣ – ملحق (٢) من كتاب الظاهر بيبرس إلى بوهمند السادس .

(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ .

(٣) Ouatremere : Op. Cit. 1. 2. P 193

(٤) حاشية د. مصطفى زيادة ، هامش «٢» ، ص ٩٦٨ .

استعملوا كلمة « **خواطي** » جمع «**خاطية**» أو« **مُخطية** » و«**مُخطيات**» . فقد جاء النص الآتي : « وفى يوم الخميس ثامنه جلس السلطان بدار العدل وأمر بتطهير الثغر من الخواطي الفرنجيات »(١) — الخواطى من الخطيئة .

وجاء أيضاً فى السلوك : « وفيها اشتد إنكار السلطان للمنكر ، وأراق الخمور ، وعفى آثار المنكرات ، ومنع الخانات والخواطى بجميع أقطار مملكته »(٢) . وتفسير دوزى للخانات يؤكد دلالة الخواطى عندهم : فقد فسرها : الخانات مفردها خانة وهى أماكن العبث والاستهتار(٣) وترجمها كاترمر« Les Cabarets les lieux de debauche »(٤) .

نموذج (١٦)

« **هنّاب**» جاء النص الآتى : « ثم استدعاه وشرب معه — **القمز** — وقد حضر أكابر الأمراء لذلك فلما ناوله السلطان الهناب — بيده وهو مملوء قال عز الدين : (يا خوند قد شبنا وشاب نبيذنا) »(٥) .

والمقصود هنا بـ « الهناب » قدح الشراب وهو دخيل ، وموجود فى معظم لغات الصراع فى ذلك الحين ، فهو فى الفرنسية « Hanap » ، وهو فى الإيطالية « Anappo » ، وهو فى الألمانية « Napf » (٦) وفى مصريتنا المعاصرة تستعمل اليوم « الكأس » وهى معربة عن الفرنسية .

---

(١) السلوك للمقريزى .

(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٥٣ .

(٣) أنظر حاشية د. زيادة ، نفس الصفحة .

وانظر : Dozy : Supp. dict. Arab

(٤) Quatremere : Op, Cit. 1. 2. P 36

(٥) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٦٠٥ .

(٦) انظر : Dozy : Supp. dict. Arab. وانظر مراجعه .

وانظر : د. زيادة ، هامش ، ص ٥٠٦ .

أما « القِمِز » فلفظة تترية الأصل ، وهو نبيذ يعمل من لبن الخيل ، وقد كان السلطان بيبرس شغفاً بهذا النوع من الشراب(١) .

اتصالا بما نحن بصدده جاء استعمالهم لفظ « الشرابى » عن طريق القياس الإبداعى . جاء : « وجعل الطواشى بهاء الدين صندل الشرابى الصالحى شرابياً بخمسمائة فارس »(٢) .

« الشرابى » ، جاء فى صبح الأعشى : « الشربدار ، وهو لقب على الذى يتصدى للخدمة بالشراب خاناه »(٣) . ويقول مؤرخ محقق أن الشرابى فى الغالب هو الذى يصنع الأشربة والأدوية (٤) .

« وصانع الأدوية يسمى شرابى وشرباتى »(٥) . (وفى الدارجة المصرية يقال الشرباتلى أى بائع الأشربة) .

وقد ترجم « Blochet » ناشر كتاب النهج السديد لابن أبى الفضائل ص ٣٨ كلمة شرابى « echanson » ويقابله مصطلح الساقى فى ذلك الحين .

وقد جاء فى المواعظ والاعتبار للمقريزى وهو يتحدث عن حارة تسمى (حارة الشرابية) بقوله : « وقد عرفت بذلك لأنها كانت موضع سكن الغلمان الشرابية وهم إحدى طوائف العسكر »(٦) .

---

(١) انظر : Dozy : Supp. dict Arab وانظر ما به من مراجع .
وانظر أيضاً : Lane pool ; A Hist of Egypt P 273
(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٥٨ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ .
(٤) د. مصطفى زيادة ، ص ٤٥٨ .
(٥) النهج السديد ، ص ٣٨ .
انظر : Dozy : Supp, dict Arab
واقرأ : د. زيادة (السابق) .
(٦) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٦ .
فقيل الغلمان الشرابية — أى فرقة الفرسان الشرابية وسمى باسمهم حى الشرابية مثلما نقول اليوم (مدينة الضباط) .

ومن يربط بين الأحداث فى تمعن يرى أن طائفة الغلمان الشرابية هى تعريب طائفة « Angulani » التى تطلق عليها زمن ابن القلانسى طائفة الغلمان عن طريق التحريف الصوتى وبتطور الزمن وصفت بالشرابية تميزاً لها وتوضيحاً لدلالتها .

ومازال بالقاهرة حتى اليوم حى معروف بحى الشرابية ولكن طريقة النطق قد يصيبها يسير من التطور الصوتى . على نحو ما نلاحظه فى نطق لهجتنا الدارجة .

الفصل الثالث

دراسات فى تطور دلالة الدخيل
من لغات معسكر المسلمين

موقف العربية من الدخيل من لغات المعسكر الإسلامى هو عين موقفها من لغات المعسكر الصليبى غير أنها كانت تنسق بين الدخيل من المعسكرين فى براعة تسد بها حاجتها .

وكل ما نتج عن هذا أو ذاك من ظواهر متعددة فى هذا الميدان لا يمكن الفصل بينها ، والاستعمال اللغوى لا يميز بين هذه وتلك على نحو ما رأينا فى الفصل السابق عند إجراء بعض الدراسات التى تتعلق بدلالة الدخيل ، فلقد كان من الصعب أن نضع حداً فاصلا تقف عنده هذه وتبدأ تلك ، ولكن منهجية البحث اقتضت هذا التقسيم .

وعلى نحو ما مر فى الفصل السابق سيكون منهجنا فى هذا الفصل حيث نتناول نماذج من الدخيل تجرى عليها بعض التحليلات والدراسات الدلالية .

نموذج (١)

« أتابك » – « أتابكية »(١) والجمع « أتابكة »

« **أتابك** » : لقب تركى فارسى ، معناه الحرفى : والد الأمير ، فهو يتكون فى الأصل من لفظين تركيين « أطا » بمعنى (أب) و« بك » بمعنى (أمير) . وتسمى تلك الوظيفة « الأتابكية » ، ويعبر عن صاحبها بأتابك العسكر(٢) . وقال القلقشندى : « قال السلطان عماد الدين فى تاريخه وأصله أطابق ومعناه الولد الأمير ، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة ، ولقب بألقاب منها هذا »(٣) .

وقيل « **أطابك** » معناه (**أمير أب**) ، **والمراد أبو الأمراء** ، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الأول ، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٨ .
(٢) اقرأ فى صبح الأعشى أرباب الوظائف من أرباب السيوف ، ج ٤ ، ص ١٦ .
(٣) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ .

وأمر ونهى ، وغايته رفعة المحل وعلو المقام(١) ، ولعل ذلك سبب ما أصاب دلالتها من تطور . فقد كان ملوك السلاجقة يطلقون هذا اللقب على قواد جيوشهم الذين يولونهم الوصاية على أبنائهم القاصرين ، وكثيراً ما كان الأتابك يتزوج أم الطفل الموصى به وبذلك تصبح العلاقة بينه وبين هذا السلطان القاصر علاقة شبه أبوية ، وهكذا أسهمت اعتبارات كثيرة فى تشكيل دلالة الكلمة ودفعت بها فى مجال التطور ، فرأينا اللقب يطلق على أمير الجيوش ، ورأيناه يطلق على أمير الإقليم ، فقيل « عماد الدين زنكى أتابك الموصل »(٢) ورأيناه يطلق ويراد به الخازن العام فى بلاد الدولة : «كان زنكى أتابكاً أى خازناً عاماً فى بلاط السلاجقة »(٣) . ويطلق لقب الأتابك على القائد العام للجيوش(٤) .

ونعرض نموذجاً لاستعمالاتها : جاء فى مفرج الكروب : « وولاه البلاد كلها ، وكتب منشور بذلك وضم إليه ولده الملك ألب أرسلان — المعروف بالخفاجى — وجعله أتابكة ، **فمن ثم قيل لزنكى أتابك ، فسار أتابك زنكى**(٥) »

وجاء فى موضع آخر : « وكان أتابكه والقيم بأمره معين الدين أنر مملوك جده طغتكين »(٦) . ونسب إلى هذا الاسم وجاء : « ذكر ابتداء الدولة الأتابكة »(٧) .

---

(١) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ .
أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة (أتابك) .
اقرأ فى تلك المادة المعاجم الفارسية الآتية : فرهنك جديد ، فرهنك فارسى نكليسى ، برهان قاطع ، القاموس الفريد ، المعجم فى اللغة الفارسية .

(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ١ .

(٣) السير وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ص ١٤ .

(٤) الحركة الفكرية فى مصر ، ص ٥١ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٣ .
وانظر حاشية د. الشيال ، واقرأ ما به من مراجع .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٩ .

(٧) السابق ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١ .

وقد كان للألقاب فى ذلك العصر نظام دقيق عرفه وحذفه كتاب ديوان الإنشاء فى أكثر من جزء من كتاب صبح الأعشى حديث مفصل عن هذه الألقاب(١) .

والواقع أن عوامل الصراع وظروف الاختلاط والحركة الاجتماعية ، ومقتضيات الاستجابة لروح ذلك العصر فرضت على اللغة فى هذا المجال أخلاطاً وأمشاجاً من هذا الدخيل . ونحن نعلم أن المجتمع الإسلامى لا يعرف الطبقات ، والألقاب فيه محصورة بين الخليفة أو الأمير (أمير المؤمنين) والوالى والعامل (عامل على الخراج مثلا) ؛ فلم يكن أمام العربية إزاء اختلاطها بهذه الحشود الضخمة ذات الطبقات والألقاب المتنوعة خاصة فى مجتمعات المعسكر الإسلامى إلا الاستجابة ففتحت الباب للدخيل فى هذا المجال . ونوعت بين دلالاته وطورتها وإليك أمثلة فى استعمالاتها اللغوية .

جاء فى السلوك النص الآتى : « إذا وقفت على كتابى هذا فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه روى زمين ، تأمن شره وتنل خيره ، وقد أبلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحريمهم إلى — كروان سراى — فان كانوا فى الجبال نسفناها وإن كانوا فى الأرض خسفناها »(٢) .

« **شاهنشاه روى زمين** » وفى نسخة « **روازمين** » وفى الغالب أنه فرق لهجى مبعثه الإمالة .

ومعنى **شاهنشاه روى زمين** : ملك الملوك على وجه الأرض (٣) .

---

(١) فى الجزء السادس ابتداء من ص ١٣٠ تحدث عن نظام الألقاب الإسلامية وقسمه خمس درجات . وفى الجزء الرابع ابتداء من ص ١٦ تحدث عن أرباب الوظائف من أرباب السيوف الخ .

(٢) السلوك ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤١٥ . واقرأ حاشية د. زيادة على نفس الصفحة .

(٣) Qutremere : Op. cit. 1 1. P 64 N 115 .

واقرأ مراجعه ، وانظر حاشية د. زيادة أيضاً وما بها من مراجع .

ونرى أن اقتباس كلمة « **شاهنشاه** » له ما يبرره فليس فى العربية ملك للملوك إلا الله ، ولذلك اقتبس التعبير متكاملا فهو صفة لشخص« شاهنشاه روى زمين) وليحمل أى دلالة فى لغته .

واتصالا بهذا استعملت فى اللغة العربية فى ذلك العصر « **شاهنشاه** » ومعناها « ملك الملوك »(١) . واستعملت فى اللغة العربية أيضاً كلمة « **شاه** » ومعناها « ملك »(٢) . كما استخدمت العربية كذلك « **بادشا** » ومعناها « ملك أيضاً وتطورت إلى « **باشا** »(٣) .

واتصالا بهذا أيضاً استخدمت « **شاهانى** » و« **شاهى** » نسبة إلى الشاه ومعناها ما يختص بالشاه(٤) . واستخدمت كذلك كلمة « شاهانه » بمعنى « ملكى فاخر »(٥) .

ونجد عالماً لغوياً يربط بين شاهين التى تجمع على شواهين ويرى أن فيها إشارة إلى كلمة « شاه » وذلك لكون « الشاهين » من ملوك الطيور(٦) . ومن استعمالات ذلك العصر « الشواهين الكوهية » ، فهى تطلق على نوع من النسور ، والشواهين الكوهية يعنى شواهين الجبال .

وقد جاء فى النص السابق كلمة « **كروان سراى** » ومعناها « مصر » وأرى أن هذا الاقتباس لم يكن له ما يبرره اللهم إلا إظهار البراعة أو حب الاستغراب بدليل أن المقريزى كتب فى الأصل بخطه يعنى مصر(٧) . فالكلمة

---

(١) غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخلة اليسوعى ، ص ٢١٦ .
وانظر معجم فرهنك جديد ، برهان قاطع ، القاموس الفريد فى العصر الجديد .
(٢) السابق ، ص ٣٣٥ غرائب اللغة العربية .
(٤) السابق ، ص ٢١٨ ، غرائب اللغة العربية .
(٤) السابق ، غرائب اللغة العربية ، ص ٢٣٥ .
(٥) السابق ، ص ٢٣٥ .
(٦) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٣٦ .
(٧) زيادة ، هامش السلوك ، ص ٤١٥ .

لم تكن مشهورة فى عصره وقد ترجمها كاترمر « Karavanserai »(١) . أى نقلها حرفياً لغموضها عليه ، ولكنها مع ذلك تحوى دلالة هامة تشير إلى مركز مصر ومكانتها فى نظر التتر . فعنى « كروان سراى » عندهم محطة الرجال وفندق المسافرين . ويقول مؤرخ محقق « وربما نشأت تلك التسمية من انتهاء معظم الطرق التجارية إليها من سائر جهات الشرق والغرب فى القرون الوسطى .

واستجابت العربية لإدخال لقب « خان الخان » و« الخاقان » .

جاء النص الآتى : « وصل رسول التتار من ملكهم خاقان إلى الملك المظفر شهاب الدين غازى بن العادل »(٢) .

« خاقان » تلك هى الصورة الصوتية العربية للقب التركى « Kaghan » . الذى كان يطلق ومعناه رئيس الرؤساء . وقد استعملوا لقب « قان — أو خان » بمعنى « قاغان » وربما كان اختصاراً له . ولبث هذا الاستعمال بين الترك حتى أيام ملوك المغول فصارت « قاغان » أو « قان » ، تطلق على ملك المغول الأعظم ، وقصر لفظ « خان » على الملوك الذين يتولون جزءاً من الامبراطورية المغولية (٣) .

ومن يتابع التاريخ الإسلامى آنذاك يجد شيئاً شبيهاً بهذا ولكنه استمد دلالته من شخصية صانعيه فقد تولى صلاح الدين الوزارة للخليفة الفاطمى ولقب

---

(١) Quatremere : Op. Cit. 1. 1. P 48

بادشا : فى اللهجة المصرية المعاصرة كلمة « باشا » ذات دلالة طبقية ارتبطت بنظام اجتماعى ، ألغيت معه الألقاب ولكن بقيت فى الاستعمال المصرى الدارج تستعمل للمغازلة والمداعبة .

أما كلمة « باش »فمازالت تستعمل كسابقة منحدرة من عهود سابقة تعبر عن نوع من الرئاسة ففى مصر نقول : باشمهندس — باشتمرجى — باشمحضر — باشكاتب .. وهكذا .

(٢) د. مصطفى زيادة السلوك ، ص ٤١٥ .

(٣) السلوك ، ص ٣٠٧ .

بالسلطان وعندما صار الأمر له لم يغير من لقبه وأطلق لقب ملك أو شاه على من يتولى من أبناء بيته .

وبذلك صارت دلالة السلطان تساوى الملك الأعظم والملك هو أحد ولاة السلطان من أبناء بيته فقد حدث إذن للفظة نوع من رقى الدلالة .

ولقب «القان»(١) وكان لتلك الاستجابة ما يبررها ، فلقب « خان الخان » مثل « شاهنشاه » ، والقان هو الخان التابع ، أما لقب القان ومعناه « الخان التابع ».

« القان » ومن استعمالاته النص الآتى : « وفيها هلك القان هولاكو ابن طولوخان بن جنكيزخان فى تاسع عشر شهر ربيع أول بالقرب من كورة مراغة بالصرع عن نيف وستين سنة ، منها مدة سلطنته عشر سنين ، وقام من بعده ابنه أباغا »(٢) .

« القان » معناها « الخان التابع » وصيغتها الصحيحة أن يكتب « إيلخان » « Ilkhan » وهو تابع لأخيه « قوبيلاى » خان الخان الأعظم على جميع الممالك المغولية بآسيا .

وارتبط هذا اللقب « القان » بهولاكو وسلالته وأطلق اسم دولة إيلخانات على البلاد التى حكموها(٣) .

وقد يكون للقب « نوين » ما يبرر اقتباسه أيضاً : « كتبغانوين » . قال المقريزى : « وفى سادس عشر شهر ربيع الأول وصل نواب هولاكو فى جمع من التتر صحبة كتبغانوين فقرىء فرمان بالأمان »(٤) .

وكلمة « نوين » هى اللقب الفارسى وهى كثيرة الورود مقرونة بأسماء

---

(١) Inc. Isl Arts Khakan Khan

(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٥٤١ واقرأ د. مصطفى زيادة وانظر مراجعه

(٣) د. مصطفى زيادة ، السلوك ، ص ٥٤١ وانظر مراجعه .

(٤) السلوك ، للمقريزى ، ص ٣٣٤ .

قواد التتر ومعناها مقدم ألف . وقد تحدث القلقشندى عن هذا اللقب(١) وقال : إنه من ألقاب كفال الممالك بالممالك القانية (نسبة إلى القان) كنائب السلطنة ، وأمراء الألوف ، والوزير .. ونحوهم .

وفى كثير من الحالات ترد « نوينى » والنسبة للمبالغة ، وهذا اللقب بمثابة الكافلى فى ألقاب النواب(٢) . وبهذا فإن لقب « نوين » من المشترك اللفظى الذى يحمل دلالات متعددة .

أما « **كتبغا** » الواردة فى النص فهو اسم القائد ، وقد كان صهر هولاكو ويرد بصور صوتية متعددة منها : (كتبوغا ، وكتبوقا ، وكيتبوقا ، وكيتوبوقا)

أما لقب « **برلى** » فهو مثل لقب «**نوين** » من ناحية ، وهو من التركية وأصله « **برنولو** » ومعناها : ذو الألف الكبير ، ومن نماذج استعمالاتها : « الأمير شمس الدين أقوش البرلى »(٣) .

وقد يكون لقب « نوين » مرادفاً للقب « البرلى » ولكن من ناحية ، وليس من كل النواحى على نحو ما وضح ، وقد يرد تساؤل : ولم لم يقل الألفى ؟ .

وذلك لأن الذى فى الواقع أن لقب الألفى يطلق على المملوك الذى اشترى بألف بياناً لغلو ثمنه .

ومما له صلة أيضاً بما نحن بصدده لقب « **اللزدارية** » ولقب « **الشحنة** » و« **اللزدارية** » و« **الشحنكية** » معنى كل واحدة منهما « المستحفظ »(٤)

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٣ .

(٢) د. زيادة ، ص ٢٤٢ .

(٣) السابق ، ص ٤٢٤ .

وانظر : Quatremere : Op. Cit. 1. 1. P 79 N 199

(٤) السلوك للمقريزى ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

وانظر : د. زيادة (السابق) ص ٤٣٣ - وانظر مراجعه .

وانظر المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ، ص ١١٤ - ١٤٦ - ١٤٨ .

ومع ذلك ليس بينهما ترادف تام ، دليل ذلك النصوص والاستعمالات اللغوية فى كتب التاريخ آنذاك ومنها : « فوض مجاهد الدين إلى نجم الدين أيوب دزدارية تكريت » (١) . « ثم جرى لنجم الدين أيوب ما أوجب صرفه عن ولاية تكريت »(٢) أى أن الدزدارية هنا تعنى الولاية .

أما لفظة « **شحنكية** » التى تطورت إلى « **شحنة** » فبالإضافة إلى أنها تعنى المستحفظ (محافظ الولاية أو المدينة) ، فإن من معانيها أيضاً طبقاً لاستعمالاتها اللغوية « رياسة الشرطة »(٣) .

يؤكد ذلك ويوضحه النص التالى : « وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحانى بالأطراف التعرض إلى أحد بالأذى »(٤) . وقد شرح دوزى الشحانى ومفردها شحنة بالآتى :

(Un gouverneur, celui qui est chargé, de maintenir la police dans un ville, un chef, un preposé).

والمعنى « رئيس الشرطة والموكل بالأمن فى بلد من البلاد » . ومن هنا فقد يكون هناك المبرر لاستخدام الدخيل المتقارب المعانى .

أما « **القراغولات** » الواردة فى النص السابق ، ومفردها « **قراغول** » فدلالتها عند المغول جماعة من العسكر كان يناط بهم حراسة الطرق . عرفهم دوزى(٦) (Ceux qui étaient preposes a la gard des routes).

---

(١) أنظر ص من هذه الرسالة .

(٢) مفرج الكروب لابن واصل ، ج ١ ، ص ٨ .

(٣) السابق ج ١ ، ص ٨ .

(٤) اقرأ النصوص فى المقريزى :- السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٩٧٩ ، ٩٨٢ . د. زيادة . وانظر أيضاً "Dozy : Supp. dict. Arab" .

(٥) النص جزء من نسخة جواب السلطان ، ملحق ٧ ، بالسلوك ، ج ١ ، ص ٩٨٠ قسم ٣ وانظر حاشية ، د. زيادة نفس الصفحة واقرأ مراجعه .

(٦) Dozy : Supp Dict Arab

وقد تطور هذا اللفظ أصواتياً وصار « قاراقون » و« كراكون »(١) .
وهي في اللهجة المصرية المعاصرة يطلق على ما يعرف « بقسم الشرطة » الآن .
واتصالا بهذا يأتي مصطلح « الدرك » .

جاء النص الآتي : « وأحضر السلطان أمراء العربان وأعطاهم وأقطعهم الإقطاعات وسلمهم درك البلاد وألزمهم حفظ الدروب إلى حدود العراق(٢)

والدرك معناه التبعة «دَرّك أي جعلها تحت دركهم وتبعتهم وخفارتهم . وهو فعل مولد »(٣) .

وفي اللهجة المصرية حتى اليوم مازالت كلمة « الدرك » تستعمل بدلالة واضحة ، ومعناها : المكان المنوط بالحراسة والخفارة .

نموذج (٢)

« **بندق** » والواحدة « **بندقة** » والجمع « **بنادق** » :

جاء في مفرج الكروب النص الآتي : « فانتسب الملوك إليه في رمي البندق وجعلوه قدوتهم فيه »(٤) .

وجاء في محيط المحيط « البندق معرب فندق بالفارسية طين مدور يرمى به يقال له الجُلاهق ، وكل ما يرمى ، والواحدة بندقة والجمع بنادق »(٥) .

---

(١) في دوزي نص يؤكد أن هذا التطور الأصواتي قديم منه . وربما قالوا قراقون وكراكون أيضاً » . وفي السلوك أيضاً ، ج ١ ، قسم ١ ص ٧٥ للدكتور زيادة ما يؤكد هذا أيضاً . وأن اللفظ منذ الدولة الأيوبية ومن مصطلحاتها .

(٢) المقريزي : السلوك ، ص ٤٦٥ .

(٣) أنظر : محيط المحيط للبستاني ، وأنظر دوزي أيضاً :

Dozy : Supp Dict. Arab

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ، ص ٢٠٧ . وانظر د. الشيال ، نفس الصفحة وما بها من مراجع .

(٥) محيط المحيط ، بطرس البستاني ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

« والبندق تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها وهى فارسية بلفظها واستعمالها ويسمونها أيضاً الجلاهقات جمع جلاهق وكان الفرس يرمون هذا البندق عن الأقواس ، كما يرمون النبال واقتبس العرب هذه اللعبة عنهم »(١) .

وفى عصر الحروب الصليبية كان لرمى البندق شأن كبير وكان يصحب الأمير أو السلطان تابع يسمى البندقدار (معناه حامل جراوة البندق) .

ثم تفننوا فى رمى البندق بالمزاريق التى كان يرمى بها النفط فى الحروب وتسمى الزراقة بضغط الهواء من مؤخر الأنبوبة (وكان هناك ما يسمى بمدفع النفط بعضها يرمى عنه ببندق من حديد(٢) ولما اخترع البارود صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب ، وسميت الآلة الحديثة باسم البندقية نسبة إليه .

جاء فى محيط المحيط : « والبندقية البارودة نسبة إلى البندق الذى يرمى بها وهو الرصاص المسبوك كروياً »(٣) .

« البندقية » وأطلق الاسم البدائى على المخترع الحديث الذى يضيف إليه التقدم العلمى كل يوم جديداً وهو نوع من « التغيير الدلالى الذى يشير إلى الماضى الحضارى ويكشف عنه » .

وانبثاقاً عن هذا واتصالا به يأتى الحديث عن :

« تركش » و« تركاش » والجمع « تراكيش » والمثنى « تركشان »

جاء النص الآتى فى مفرج الكروب : « وكان إذا حضر الحرب أخذ قوسين وتركشين »(٤) .

---

(١) اقرأ جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، ج ٥ ، ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٢) صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

(٣) محيط المحيط ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .
واقرأ : د. الشيال نفس الصفحة .
وانظر السلوك للمقريزى ، ج ١ ، ص ٣٧١ .
واقرأ د. مصطفى زيادة ، نفس الصفحة .
وانظر : Dozy : Supp Dict Arab

و « التركش » لفظ فارسى معناه الجعبة أو الكنانة التى توضع فيها النشاب أو القسى . وأحسنت عبقرية العربية الاستفادة من المرادف الجديد للجعبة والكنانة وهو « التركش » . كما استفادت به على مستوى التراكيب ، فقد جاء فى الاستعمال : « جنود متركشة »(١) أو « متركشون » أى يحملون جعبات النشاب .

« قبق » أو « قباق » لفظ تركى معناه لغة القرعة العسلية Une Courgette وتطورت دلالتها وأطلقت على الهدف الذى كان يستعمل فى اللعبة وأطلقت على اللعبة نفسها « لعبة القبق » .

جاء فى مفرج الكروب : « وفى يوم العيد ، وهو يوم الأحد ركب نور الدين على الرسم المعتاد إلى الميدان الأخضر الشمالى بدمشق لطعن الحلق ورمى القبق »(٢) . فهذه الكلمة من المشترك اللفظى لها معنيان فى آن واحد معنى لغوى ومعنى اصطلاحى .

وجاء فى السلوك : « وشرط لكل أمير يصيب القبق فرساً من الجنائب بما عليه التشاهير ، وخلعه لكل مفردى أو مملوك أو جندى »(٣) .

وطريقة لعبة القبق أن ينصب صار طويل من خشب يكون فى رأسه شكل

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٦١ .
وانظر : د. الشيال ، ص ٢٦٠ — ٢٦٥١ .
واقرأ دوزى فى وصف طريقة اللعب بالقبق : "
Dozy : Supp dict Arab

(٣) السلوك للمقريزى ، ج ٢ ، قسم ٢ ، ص ٥١٨ واقرأ د. زيادة نفس الصفحة .
وانظر : Quatremere Op. Cit. 1. 1. P. 243
وانظر المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ففيه وصف اللعبة وميدان اللعب وموقعه .

قرعة من ذهب أو فضة بمثابة هدف ويكون فى القرعة طير حمام ، ثم يأتى اللاعبون للمباراة فى رمى الهدف بالنشاب أو السهام وهم على ظهور الخيل فمن أصاب منهم القرعة وأطار الحمام حاز السباق وأخذ القرعة المعدنية نفسها مكافأة .

وأطلق اسم « القبق » على الميدان الذى كان به لعبة القبق وكان موضعه : « فيما بين النقرة التى ينزل من قلعة الجبل إليها ، وبين قبة النصر التى تحت الجبل الأحمر »(١) .

« **الأكرة** » ، جاء فى الحديث عن الظاهر بيبرس : « تابع الركوب إلى اللعب بالأكرة ، وكتب إلى ملوك الغرب واليمن والشام والثغور بقيامه فى سلطنة مصر والشام »(٢) .

« **الأكرة** » : جاء فى محيط المحيط « الأكرة لُغَيَّةٌ فى الكرة . وتسمى أيضاً لعبة « الكرة » ووصف القلقشندى الهيئة التى يكون السلطان عليها عند الركوب للعب الكرة بالميدان الأكبر ، ومما قاله : « ويصير إلى الميدان وينزل فى قصوره ، وينزل الأمراء منازلهم على قدر طبقاتهم ثم يركب للعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه . ثم ينزل فيستريح ويستمر الأمراء فى لعب الكرة إلى آذان العصر »(٣) . فاللعبة يقال لها الأكرة والكرة معاً . وهى تشبه اللعبة المعروفة الآن باسم « Polo » . فقد «كان يرافق السلطان فيها جوكندار يحمل جوكان السلطان أثناء لعبة الكرة والصوالجة ، والجوكان المحجن الذى تضرب به الكرة ، ويعبر عنه بالصولجان أيضاً » ، وجمع « جوكاندار »

---

(١) المواعظ والاعتبار للمقريزى ، ج ٢ ، ص ١١١ .

(٢) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٤٤ . واقرأ د. زيادة نفس الصفحة .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٧ .

و« جوكاندارية » ، و« العامة تقول جكندار بحذف الواو بعد الجيم والألف بعد الكاف »(١) .

واتصالا بما سبق يأتى الحديث عن **الأوشاقى** :

« **أوشاقى** » والجمع « **أوشاقية** » . جاء فى السلوك : « وثار عدة من الأوشاقية مماليك السلطان »(٢) . وقال القلقشندى : « وهو الأوجاقى ، وهو لقب على الذى يتولى ركوب الخيول لتيسير والرياضة »(٣) .

واتصالا به يأتى الحديث عن « **الركبدارية** » :

جاء فى السلوك : « ثار جماعة من السودان والركبدارية »(٤) . .

و« **الركبدارية** » هم الذين يحملون الغاشية بين يدى السلطان عند ركوبه فى المواكب الحفلة(٥) ، وهم تابعون للركاب خاناه ومعناها بيت الركاب وتشتمل على عُدد الخيل من السروج واللُّجم والكنابيش وعى المراكيب العي الاصطبليات والأجلال والمخالى ... إلخ . ولها مهتار متسلم لحواصلها يعبر عنه بمهتار الركاب خاناه ، وتحت يده رجل لمعاضدته على ذلك(٦) .

و« **المهتار** » تعنى الموظف المسئول ، واتصالا بما نحن بصدده يأتى الحديث عن « **الجمقدار** » .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٥٨ .
والجوكان عصا مدهونة طولها حوالى أربعة أذرع وبرأسها خشبة مخروطة معقوفة نصف ذراع
أنظر د. زيادة ، ص ٤٣٥ السلوك .
وانظر : Quatremere Op. Cit. 1. 1. P. 122
(٢) السلوك ، المقريزى ، ج ١ ، ص ٤٣٣ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .
(٤) السلوك ، المقريزى ، ج ١ ، ص ٤٤٠ .
(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧ .
(٦) القلقشندى : صبح الأعى ، ٤ ، ص ١٢ .

« الجمقدار :

جاء فى السلوك : « فتوجه الأمير شمس الدين نبا الجمقدار بن الجمقدار فى حادى عشريه لهدم صور »(١) .

و« الجمقدار » هو الذى يمشى فى المواكب السلطانية عن يمين السلطان ، ويحمل دبوساً « Massue » له رأس ضخم مذهب . ولفظ « الجمقدار » مركب من كلمتين « جمق » وهى كلمة تركية ومعناها الدبوس « Massue » و« دار » اللاحقة المعروفة ومعناها الممسك أو الحافظ ، فيكون معنى الجمقدار « حامل الدبوس »(٢) .

واتصالا بما سبق يأتى الحديث عن « النوبة » :

« النوبة »

جاء فى السلوك النص الآتى : « وكان السلطان لما نزل بالبركة خارج القاهرة قد جهز إليهم خيل النوبة والعصائب والجمدارية والخلع وكتب لهم تقاليد ببلادهم »(٣) .

« خيل النوبة » : هى التى تربط قرب قصر السلطان ليركب منها حين يريد الركوب وتسمى أيضاً « فرس النوبة » .

ولفظ « النوبة » من المشترك اللفظى حيث أنه يحمل عدة دلالات متنوعة فى آن واحد ، هذه واحدة .

والثانية : تطلق النوبة على فرق الجند التى تتناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان وهى خمس نوبات ويكون تغييرها فى وقت الظهر والعصر والعشاء ونصف الليل وعند الصباح .

---

(١) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٧٦٦ .
(٢) اقرأ دكتور مصطفى زيادة ، السلوك ، ص ٧٦٦ .
وانظر : Dozy, Supp, Dict. Arab
(٣) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٦١ .

و« النوبة » عند المغنين اسم لآلات الطرب إذا أخذت معاً (١)وربما أطلقت على المطربين بها إذا اجتمعوا ، ويقال لهم النوبتجية عند الأتراك .

ويقال أيضاً : « ضربت النوبة بمعنى صدر الأمر العسكرى بالتقهقر » والنوبة أيضاً هى الوقعة الحربية(٢) .

وإلى اليوم ما زلنا نستعمل فى لهجتنا المصرية كلمة « النوبتجية » ويقولها « نبطشية » ونطلقها على الدلالة الثانية وهى تناوب الحراسة . وغالباً هى منحدرة من استعمالات ذلك العصر .

نموذج (٣)

« ترك » و« وتركمان» و« كرج »

جاء فى محيط المحيط : « الترك : جيل من التتر ، الواحد تركى ، والجمع أتراك »(٣) .

وجاء فى محيط المحيط أيضاً : « التركمان : جيل من الناس الواحد تركمانى(٤)

ويقول الأب رفائيل نخلة : « التركمان اسم شعب رحَّال من أصل تركى أو تترى »(٥) .

ومعلوم من التحليل اللغوى أن « التركمان » كلمة فارسية مركبة من ترك ،

---

(١) يقابلها فى الفرنسية (Aubade, Concert, Fanfares, musique Symphonié orchestre) .

وانظر : Dozy : Supp. dict. Arab

وانظر : د. مصطفى زيادة (السابق) ص ٤٦١ .

(٢) أنظر محيط المحيط لبطرس البستانى .

(٣) محيط المحيط ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٤) السابق ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٥) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ١٧٢

و« مان » لاحقة بمعنى شبيه ، والمعنى شبيه الترك أو الأتراك ، أى التركمان شعب شبيه بالأتراك وليس تركياً أى شعب مستترك كما نقول عربى ومستعرب .

وأطلق على نوع من الجنود كانوا ينتمون إلى جيش صلاح الدين : التركمان ويسمى هذا تطور نحو تخصيص الدلالة .

أما « الكُرْج » . فقد جاء فى مفرج الكروب النص الآتى : « وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها »(١) .

و« الكرج » : أمة من المسيحيين كانت مساكنها بجبال القوقاز المجاورة لتفليس ، ثم استولى على تفليس من المسلمين سنة ٥١٥ هـ ، ولم يزالوا متملكين لها إلى أن استردها جلال الدين خوارزمشاه سنة ٦٢١ هـ(٢) .

وجاء فى محيط المحيط : « الكُرْج جيل من الناس ، ولعبة فارسية »(٣) . واللفظة بهاتين الدلالتين من المشترك اللفظى .

واتصالا بما نحن بصدد الحديث عنه تأتى كلمة : « القبجاق » .

القبجاق :

جاء فى السلوك النص الآتى : « السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الألفى الصالحى النجمى العلائى كان من جنس القبجاق ومن قبيلة برج »(٤) .

وجاء فى القلقشندى : « القبجاق بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ، وفتح الجيم وألف بعدها ثم قاف — وهم جنس من الترك يسكنون هذه الصحارى ، أهل حل وترحال على عادة البدو »(٥) . ومساكنهم الأصلية

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٩٢ .
(٢) أنظر د. الشيال نفس الصفحة ١٩٢ ج ١ .
(٣) محيط المحيط بطرس البستانى ، ج ٢ ، ص ١٨٠٣ .
(٤) السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٦٦٣ . وانظر د. زيادة ، نفس الصفحة .
(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ، ص ٤٥٦ . وانظر أيضاً ص ٤٥١ ، ٤٦٨ ج ٤ أيضاً .

حول نهر أرتش وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر آتل « الفلجا » فى جنوب الروسيا الحالية فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق (١) .

واتصالا بهذا يأتى الحديث عن :

التازيك :

جاء فى فرمان إيلخان غازان لتأمين أهل دمشق قبيل دخوله بعساكره إليها

« بقوة الله تعالى ليعلم أمراء التومان والألوف والمائة وعموم عساكرنا المنصورة من المغول والتازيك والأرمن والكرك وغيرهم ممن هو داخل تحت ربقة طاعتنا »(٢) .

كان يطلق لفظ « التازيك » فى الأصل على العرب والمسلمين عامة ، ثم استعمله المغول للدلالة على أهل فارس فقط وهى المعنى المقصود هنا(٣) . ومثل هذا يسمى تطور نحو تخصص الدلالة .

السلاجقة :

اشتق اسمهم من زعيم جاء من التركستان يحمل اسم « سلجوق » وهم فى أصلهم يرجعون إلى التركستان ، وهم فرع من الأتراك الغز الذين كان يطلق عليهم الكتاب البيزنطيون لقب (الأغوز) — أوزس « Uses »(٤) ، فهو تطور نحو تعميم الدلالة من ناحية حيث أطلق اسم الواحد على الجنس ثم هو تطور نحو تخصيص الدلالة من ناحية ثانية حيث خص بهذا الاسم فرع من الأتراك « الغز » .

---

(١) انظر أيضاً : Inc Isl. Art. Kipeak

وانظر أيضاً كاترمر : Quatremere : Op Cit 11. 1. p. 2.

(٢) السلوك ص ١٠١١ — ملحق رقم ١٢ . واقرأ المصادر والأصول التى نقل عنها بنفس الصفحة .

(٣) أنظر د. زيادة ، نفس الصفحة ، من السلوك ١٠١١ .

وانظر أيضاً : Quatremere : Op. Cit. 11. 2. P. 164.

(٤) د. محمد مبروك نافع : كتاب السلاجقة : مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة ١٩٥٢ .

نموذج (٤)

« **الجامكية** » والجمع « **جامكيات** » و« **جوامك** » ومعناها « **الراتب** » .

جاء فى مفرج الكروب النص الآتى : « والله لئن عدنا إلى نور الدين من غير غلبة وبلاء نعذر فيه ليأخذن أموالنا وما معنا من الأقطاع والجامكية»(١)

و« **الجامكية** » هى الأجر الذى يتقاضاه عمال الدولة ، وكان يسمى أيضاً الراتب .

« **الإقطاع** » ، « **الأخباز** » ومفردها « **خبز** » .

أما « الإقطاع » وكان يسمى أيضاً « الخبز » ويجمع على « أخباز »(٢) ولكى يكون الإقطاع شرعياً بيد المقطع الجديد كان لابد له من وثائق تقرره . وهذه الوثائق كانت تسمى « المثالات » .

« **المثالات** » جمع « **مثال** » :

وهو أول ما يكتب من الوثائق اللازمة لتقرير إقطاع لشخص جديد على الإقطاع ، يكتبه ناظر الجيش بقلم خاص وأسلوب معين .

جاء فى السلوك : « فلما انتهى الروك فى ثامن رجب فرقت مثالات الأمراء ، وفى تاسعه فرقت مثالات مقدمى الحلقة ، وفى عاشره فرقت مثالات أجناد الحلقة ، وأقطعت البلاد للأمراء والأجناد دَرْبَستًا »(٣) .

الروك :

جاء فى النص السابق كلمة « **الروك** » ومعناها فى الأصل : مسح أرض

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٠٩ (ط . الشيال) .
وانظر : Dozy : Supp. dict Arab
(٢) اقرأ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٥٣ — ١٥٨ .
(٣) السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٨٤٤ .

الزراعة فى بلد من البلاد لتقرير الخراج المستحق عليه لبيت المال . وتطورت دلالتها لتشير إلى مسح الأرض الزراعية بصفة عامة . وهذا تطور نحو تعميم الدلالة . وذلك لأنها فى الأصل من الفعل الثلاثى راك ؛ ومصدره روك .

جاء فى السلوك النص الآتى « فندب لروك أراضى مصر الأمير بدر الدين بيليك الفارسى »(١) .

أما كلمة « **دربستا** » الواردة سابقاً فهى فارسية الأصل ومعناها كاملا(٢). ومعناها باللهجة المصرية « خالص » ، « تمام » ، « على الآخر » .

واتصالا بما نتحدث عنه نذكر « **الجريب** » .

« **الجريب** » وجمعه « **أجوبه** » و« **جربان** »

جاء فى مفرج الكروب : « ولها بساتين كثيرة ، بعضها يمسح فيؤخذ منه عن كل جريب شىء معلوم »(٣)

« **الجريب**» : مقياس للأرض — ومقداره عشر قصبات فى عشر قصبات وقد يختلف باختلاف المكان والزمان . و« الجريب » فى الأصل مكيال وسعته ما يكفى من الحب لبذر مساحة معينة ومن هنا سميت تلك المساحة باسم « الجريب » (٤) ، وهذا نوع من أنواع تطور الدلالة وسبب من أسبابها .

وفى محيط المحيط : الجريب المزرعة ، والوادى ، ومكيال قدر أربعة

---

(١) السلوك للمقريزى ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٨٤٢ .

(٢) وردت فى السلوك ص ٧٧٠ ، ص ٨٤٤ وفى نهاية الأرب للنويرى ج ٢٩ ص ٣١٨ أ أنظر حاشية د. زيادة ، السلوك ، ص ٨٤٤ .

وانظر : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٥٦ شرح لفظ : دربستا = دربسته .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٩ ، ط د. الشيال .

(٤) أنظر المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٥١ ، ٦٣ ؛ محيط المحيط ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

وانظر : الماوردى ، الأحكام السلطانية .

وأنظر : دائرة المعارف الإسلامية "Inc. Isl Art: Djarib" وما بها من مراجع .

أقفرة. وجمعه **أجربة وجربان** ، **والجريب** عند المحاسبين والفقهاء مقــدار معلوم من الأرض .

وبذلك فالجريب من المشترك اللفظي » .

ومن الحديث عن « الجريب ننتقل للحديث عن « المكوك » .

« المكوك » وجمعه « مكاكيك »

جاء في السلوك : « وارتفعت الأسعار بدمشق وحلب وأرض مصر ، وأبيع المكوك القمح بحلب بمائة درهم »(١) .

وجاء في محيط المحيط : « المكوك وجمعه مكاكيك : مكيال للحبوب يسع صاعاً ونصفاً . والصاع قدر نصف ويبة والويبة ثلاث كيلات »(٢) .

واتصالا بما نحن بصدده نتحدث عن « **السياقة** » .

« السياقة » معربة عن الفارسية بمعنى « الحساب » :

جاء في مفرج الكروب : « وذكر أنه حوسب صاحب ديوانه فكانت سياقة الحساب عليه سبعين ألف دينار باقية عليه فما طلبها ولا ذكرها »(٣) .

وفي بادىء الأمر خصصت دلالة السياقة بحساب المستعربين من جزية وخراج ثم اتسعت دلالتها بعد ذلك وأطلقت على حساب الدولة بصفة عامة(٤) وهو تطوير نحو تعميم الدلالة وبذلك أسهمت في إثراء ظاهرة الترادف حيث أصبح لفظ السياقة يرادف لفظ الحساب الختامي .

التصقيع والتقويم

جاء في السلوك النص الآتي : « وقرر على التجار وعلى أصحاب العقار

---

(١) السلوك ص ٤٠٦ . وانظر د. زيادة ، نفس الصفحة .

(٢) محيط المحيط ، بطرس البستاني .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٢٨ .

(٤) أنظر د. الشيال (السابق) نفس الصفحة وانظر مراجعه .
وانظر نهاية الأرب للنويري ، ج ٨ ؛ ص ٢١٣ — ٢١٤ .
ابن طباطبا : الفخري ، ص ١١١ ؛ ص ٢٢ .

أموالا ورَتّبَ مكوساً وضمانات سماها : الحقوق السلطانية ، والمعاملات الديوانية وأخذ الحوالى من الذمة مضاعفة وأحدث الصقيع والتقويم وعدة أنواع من المظالم »(١) .

« التصقيع » من الصقع وهو هنا إحصاء البيوت والعقارات لأجل فرض ضريبة عليها(٢) .

و« التقويم » تقدير قيمة كل من البيوت المحصاة من أجل الغرض نفسه(٣) وقد وردت فى النص السابق كلمة « الحوالى » وكلمة « الذمة » .

« **الجوالى** » جمع « **جالية** » :

ودلالة لفظ « **جالية** » هنا يقصد بها أهل الذمة « وقد قيل لهم ذلك لأن عمر أجلاهم عن جزيرة العرب — ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة وإن لم يجلوا من أوطانهم »(٤) .

وتطورت دلالة الجالية فى الاستعمال اللغوى آنذاك لتصبح فى حكم الضريبة.

جاء فى السلوك : « وفيها كثر فساد العربان بالوجه القبلى وتعدد شرهم فى قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعايش بسيوط ومنفلوط فرائض جبوها شبه الجالية »(٥) .

وقد عرف دوزى(٦) « الجالية » هنا بأنها ما يفرضه العدو على بلد منهزم من المال والمحاصيل .

---

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٢) أنظر د. زيادة (السابق) ص ٣٨٤ .

وانظر كاترمر Quatremere: Op Cit. 1. 1. pp 37 et p 89 N 124

(٣) د. زيادة (السابق) .

وكاترمر السابق : Quatremere : Op. Cit P. 37 et 89 N 124

(٤) أنظر : محيط المحيط لبطرس البستانى ، وانظر أيضاً : د. زيادة (السابق) .

وانظر أيضاً كاترمر : Quatremere : Op. Cit. 1. 1. P. 132

(٥) السلوك : ص ٩٢٠ ؛ د. زيادة .

(٦) انظر : Dozy Supp. Dict Arab

وفى محيط المحيط : والعامة تطلق الحالية على نفس الجزية وجمعها جوال(١) .
وارتباطاً بما نحن بصدد الحديث عنه يأتى الحديث عن استعمال لفظة «**الحماية**»
« **الحماية**» وتجمع على « **الحمايات** » :

جاء النص الآتى : « وقويت شوكة البرجية بديار مصر وصارت لهم الحمايات الكبيرة »(٢) .

« **الحمايات** » جمع « **حماية** » : وهى « مكس » يفرضه الأمير أو السلطان أحياناً على بعض الأراضى والمتاجر والمراكب والأرزاق ، وقد أطلق عليها هذا الاسم لقيام الأمير بحماية الشخص الذى يدفع ذلك المكس المقرر(٣)»
« **شونة** » وجمعها « **شون** » وهى « **الأهراء** » :

جاء النص الآتى : « وكتب إلى الأهراء ببيع خمسمائة أردب كل يوم لضعفاء الناس »(٤) .

« **الأهراء السلطانية** » : هى الأماكن التى تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالسلطان .

« وكان لخاص السلطان أيضاً **شون** وهذه يوضع بها ما يستهلك طوال السنة من الغلال والأحطاب والأتبان .. وما أشبه ذلك »(٥) . ويقول القلقشندى : « الأهراء : هى شونة الغلال السلطانية » .

---

(١) أنظر : محيط المحيط .

(٢) السلوك ، ص ١٨٧٥ .

(٣) أنظر . د. زيادة ، ص ٨٧٥ . وانظر نص دوزى Supp dict. Arab .
وقد أورد كاترمر أمثلة متنوعة فى مرجعه على استعمال هذا اللفظ بهذه الدلالة . أنظر :
Quatremere : Op. Cit. 112 P. 129 N 2

(٤) السلوك ، ص ٥٠٧ . وانظر الحاشية . وإلى اليوم مازال مستعملا فى العامية المصرية شون وتشوين والشون .

(٥) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١٢٢ — ١٢٣ . وانظر المواعظ والاعتبار : ج ١ ، ص ٤٦٤ وصف الأهراء . وانظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

وهناك وظيفة « نظر الأهراء » وموضوعها التحدث فيما يصل إليها من النواحي من الغلال وغيرها ، وما يصرف منها على الاصطبلات الشريفة ، والمناخات السلطانية وغير ذلك(١) . وانحدرت إلى عربيتنا المعاصرة كلمة « الشون » فيقال مثلا « شون بنك التسليف » بينما اختفت كلمة « الأهراء » فى عربيتنا المعاصرة .

نموذج (٥)

« **الجنكى**» وجمعه « **جنك** » و« **جنكيات** »

جاء فى السلوك : « فطمع الناصر داود صاحب الكرك فى ملك مصر فسار إليها ومعه تقادم فاخرة ما بين جوارى جنكيات وعوديات ورقاصات وأوانى للشرب بديعة »(٢) .

و« **الجنكيات** » : الجوارى اللائى يلعبن على « الجنك » وهو من آلات الطرب ، واللفظ فارسى معرب(٣) .

و« **الجنكى** » بكسر الجيم : لاعب آلة **الجنك** أوغيرها من آلات الموسيقى ، وفى عصر المماليك أطلق لفظ **جنكى** أيضاً بمصر على رُقَّاص المنتديات والأفراح وجمعة جنك .

وكان أولئك الرقاصون من غلمان وشبان الأرمن واليهود واليونان والترك

---

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٢٧٥ ، د. زيادة — والمناخات ومفردها مناخ تستعمل فى العامية المصرية اليوم وهى خاصة بالجمال .

(٢) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ص ٢٧٥ .

(٣) محيط المحيط .

وانظر : Dozy : Supp. Dict. Arab

وانظر ترجمة : Blochet, Op. Cit. P. 438

وقد ترجم بلوشيت الجنكيات وما يليها بالعبارة الآتية :

(des jeunes esclaves joueuses de harpe et de Luth, et des danseuses).

وبعض ثيابهم من لبوس الرجال وبعضها من لبس النساء وكانوا يرسلون شعورهم ويضفرونها .

وفى عصر الحملة الفرنسية كان لفظ الخنك يطلق على بنات اليهود اللاتى احترفن تعليم الرقص ، وكن يخرجن فى زفاف العرس أحياناً راكبات ظهور الحمير ويلعبن على الرباب والدف .

ويطلق اللغويون على مثل هذا التغير الدلالى (الاعتبار التاريخى المتحرك) الذى يطور المعنى مرحلة بعد مرحلة .

وارتباطاً بهذا يأتى الحديث عن « **المساخر** » جمع « **مسخرة** » .

جاء النص الآتى فى السلوك أيضاً : « وكان الملك العادل قد شره فى اللعب وأكثر من تقديم الصبيان والمساخر وأهل اللهو »(١) .

« **المساخر** » جمع « **مسخرة** » : وهو الشخص الذى تسخر الناس منه ، أو البهلول الذى يلعب لإضحاك النظارة(٢) . وقد أتينا هنا بكلمة « المساخر » على الرغم من عربيتها وذلك لكونها فسرت بكلمة « البهلول » .

واتصالا بما سبق نذكر :

« **التوابى** » :

جاء النص الآتى : « استوحش الأمراء الأكابر من الملك العادل لتقريبه الشباب والتوابى ، وإعطائهم الأموال والإقطاعات والاقتداء بآرائهم .. »(٣).

و« التوابى » : هم الأطفال من أسرى الحرب . وأطلق عليهم لفظ التوابى

---

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٢٩٣ ، طبعة د. زيادة .

(٢) السلوك ، د. زيادة ص ٢٩٤ .

وانظر : "Dozy : Supp, dict. Arab" وترجمة دوزى هى :

Peros dont on ce moque dont on se joue marmouset peut garçon perit homme mal fait... buffon, baladin.

(٣) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٢٧٥ . د. زيادة . وانظر المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

منذ بداية الدولة الفاطمية بمصر وقد كان يدفع بهم « إلى الأستاذين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ويقال لهم الترابى — وفيهم من صار أميراً من صبيان خاص الخليفة »(١) .

« **الخاصكية** » و« **خاص** » و« **خاصكى** » والجمع « **خاصكية** » :

وهو قياس إبداعى فرضه الاستعمال والواقع الاجتماعى ليعبر عن ظاهرة دلالية مطلوبة .

فالخاصكية قسم من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صغاراً ويجعلهم حرسه الخاص .

وقد أورد كاترمر تعريفين **للخاصكية**(٢) :

« الخاصكية هم الذين يلازمون السلطان فى خلواته ويسوقون المحمل الشريف ويتعينون بكوامل الكفال ، ويجهزون فى المهمات الشريفة ، وهم المتعينون للإمرة والمتقربون فى المملكة . وقد جعل ذلك الاسم علماً عليهم لأنهم يحضرون على الملك فى أوقات خلواته وفراغه ، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المقدمين ، ويتوجهوا (كذا) فى المهمات الشريفة ويتأنقون فى مركوبهم وملبوسهم »(٣) .

نموذج (٦)

« **الجاليش** » : كلمة دخيلة ، فارسية الأصل معناها : الراية العظيمة فى رأسها خصلة من الشعر .

ثم تطورت دلالتها وأطلقت على مقدمة القلب من الجيش ، أو على الطليعة منه وبذلك فهى تسهم فى إثراء ظاهرة المترادفات اللغوية ، من ناحية وهى

---

(١) المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٢) Quatremere : Op. Cit. 1. 2. p. 152, n 3

نقل أول التعريفين من ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ .

ونقل الثانى من كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادى إلى صناعة الإنشا للخالدى

(٣) Quatremere : Op. Cit. 1. 2. p. 159

فى نفس الوقت من المشترك اللفظى حيث إنها تحمل فى آن واحد دلالتين أو أكثر ، ومن أمثلة استعمالاتها :

جاء فى السلوك «وقدم البريد من حلب بمسير جاليش غازان من الفرات»(١).

وجاء فى مفرج الكروب : « قال ابن الأثير : إنى وقفت على جريدة العرض وترتيب العسكر فى المصاف ، ميمنة وميسرة وجاليشية »(٢) . أى (وترتيبهم فى القلب) .

وتغير الدلالة هنا على هذه الصورة تطور نحو التسامى .

ومن معانيها كما جاء فى محيط المحيط : « الجاليش : الرماح ، وحامل البيرق أمام الجيش ، والخفير أعجمية . والعامة تقول : لحامل البيرق شاليش(٣)

واستطاعت العربية الاستفادة من كلمة معربة على شاكلتها وهى :

« اليزك » واليزك لفظ فارسى معناه طلائع الجيش :

ومن نماذج استعمالاتها ما جاء فى مفرج الكروب : « فأخرجوا اليزك ووجهوا من يكشف الأخبار »(٤) . وتصرفت العربية فى الكلمة الدخيلة واشتقت منها على نحو ما جاء فى النص الآتى : « وأصبح الملك العزيز راحلا بمن بقى معه من عساكره إلى الديار المصرية وسار إليها على تيقظ وتحفظ ويزكية»

فكما استخدم مصدر تيقظ وتحفظ ، استخدم مصدر يزكية ويقابل كلمة يزكية فى العربية قولهم بث طلائع الجيش .

---

(١) السلوك ، المقريزى ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٨٨٥ .

جاء فى السلوك ص ٢٦٨ « وتقدم الأمير سنقر الأشقر جاليشا فى عدة من العسكر » . وترجمها كاترمر بالطليعة قال "L'avant gard" أى الطليعة «.Quatremere : Op Cit. 1. 2. p. 140/

(٢) أنظر مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ، ص ٤١ وانظر المقريزى السلوك ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٣) محيط المحيط بطرس البستانى ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

وجاء فى محيط المحيط : البزك رئيس العسس ، ومن يراقب من مضى فيتبعه (فارسية) والنسبة إليه يزكى(١) . واستعملت العربية كذلك كلمة دخيلة من الفارسية شبيهة بـ « الحاليش » فى بعض دلالاتها هى « السنجق » وتجمع على « السناجق » :

جاء فى كتاب السلوك النص الآتى : « وطلعت العساكر بالسناجق السلطانية وأثخنوا فى مقاتلة الفرنجية »(٢) . و« السنجق » هو العلم و« السناجق » هى الأعلام السلطانية .

جاء فى محيط المحيط : السنجق اللواء والدائرة تحت لواء واحد فارسية جمعها (سناجق) ، والسناجق فى إصطلاح المصريين من أرباب الوظائف السياسية »(٣) . وبذلك فهى تدخل فى دائرة المشترك اللفظى .

وقد كانت هناك وظيفة تسمى « أمير علم » و(إمرة علم) ، جاء فى القلقشندى(٤) « أمير علم » وهو لقب على من يتولى أمر الأعلام السلطانية والطبلخاناه وما يجرى مجرى ذلك ، والعلم فى اللغة يطلق بإزاء معان أحدها الراية ، وهو المراد هنا(٥) . وفى هذا القول تعليل ضمنى لاقتباس الحاليش ، والسنجق ، وجاء أيضاً : **العلم دار** .

العلم دار : لقب الذى يحمل العلم مع السلطان فى المواكب(٦) . ومن أمثلة استعمالاتها اللغوية ما جاء فى النص الآتى : « وأحضر كتاب الجيش وأمر الأمير سيف الدين الزينى أمير علم أن يجلس مع كتاب الجيش لأجل كتابة المناشير وتجهيز الطبلخاناه »(٧) .

أما ما يطلق عليه اسم « **خزانة البنود** » .

---

(١) بطرس البستانى : محيط المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٣٠١ .
(٢) المقريزى : السلوك ، ص ١٠٠٤ .
(٣) محيط المحيط للبستانى ، ج ١ ، ص ١٠٠٧ .
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٢ — ج ٥ ، ص ٣٥٦ — ٤٦٣ .
(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٦ .
(٦) السابق : ج ٥ ، ص ٤٦٤ .
(٧) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٩٠ .

خزانة البنود : فقد كانت هذه الخزانة من منشآت الدولة الفاطمية بناها الخليفة الظاهر بين قصر الشوق وباب العبد لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام عدا أنواع السلاح والآلات الحربية — ثم احترقت تلك الخزانة بما فيها سنة ٦٤١ هـ . وجعلت هذا الحريق حبساً للأمراء والوزراء ثم جعلوها منازل للأسرى من الفرنج »(١) . ومن أمثلة استعمالاتها : « فسجنوا بخزانة البنود »(٢) .

ومما له صلة بما نحن بصدده « **الرنك** » .

« **الرنك** » وجمعه « **رنوك** » لفظ فارسى معناها « **اللون** »

وقد استعمل بمعنى « **الشعار** » الذى يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له علامة على وظيفة الإمارة التى يعين عليها ، فيكون رنك الدودار الدواة والمقلمة ، ويكون رنك الأمير آخور نعلة الفرس ، ويكون رنك السلاح دار القوس ، وكان رنك السلطان ما اتخذه لنفسه أيام سلطنته(٣) .

وقال القلقشندى : « ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه ما بين **هناب** أو **دواة** أو **بقجة** أو **فرنسيسية** ونحو ذلك ، بشطفة واحدة أو شطفتين بألوان مختلفة كل أمير بحسب ما يختاره ويؤثره من ذلك ويجعل ذلك دهاناً على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كمطابخ السكر وشون الغلال والأملاك والمراكب وغير ذلك ، وعلى قماش خيولهم من جوخ ملون مقصوص ثم على قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة تنقش على العبي والبلاسات ونحوها وربما جعلت على السيوف والأقواس والبركصطوانات للخيل وغيرها »(٤) .

ومما له صلة ما بما نتحدث عنه « **القلاع** » جمع « **قلعة** » : ومن أمثلة الاستعمال . جاء فى السلوك : « سار السلطان من دمشق

(١) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

(٢) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٧٩٥ .

(٣) د. مصطفى زيادة ، ص ٧٦٣ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦١ — ٦٢ .

وكتب إلى مصر بتجهيز الزينة ونصب القلاع ، وأن يتقدم إلى نواب الأمراء بالشروع فى تقسيم المواضع لقلاعهم والاهتمام بالزينة »(١) .

والقلاع جمع قلعة ويرجح أن المقصود قلاع خشبية زينت بها الطرقات احتفالا بمقدم السلطان(٢) ، ويرى دوزى أن القلاع وجمعه أقلع : قماش يغطى صحن الجامع(٣) « Piece de teile que couvre le « صحن » d,une mosque »

ومما له صلة ما بما نحن بصدده « **الغاشية** » .

الغاشية : هى السرج وأطلقت على غطاء السرج المزركش الذى يوضع على ظهر الفرس فوق البردعة . وكان يخرج أمراء الأتابكة وسلاطين الأيوبيين والمماليك فى المواكب الحافلة وبين أيديهم الغاشية « وهى غاشية سرج من أدم مخروزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين يديه عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الركابدارية رافعاً لها على يديه يلفها يميناً وشمالا وهى من خواص هذه المملكة »(٤) .

جاء فى مفرج الكروب : « وحملت السناجق على رأسه ومشى مجاهد الدين فى ركابه راجلا »(٥) .

وهناك من النصوص ما يشير إلى مراحل تطور استعمال السناجق والغاشية وغيرها إلى أن استقر أمر استعمالها . جاء فى مفرج الكروب : « وكان سيف الدين يحمل على رأسه السنجق ولم يكن يفعل ذلك أبوه ولا أحد من أصحاب الأطراف فلما فعل ذلك اقتدى به غيره ، وألزم الجند ألا يركب أحد إلا بالسيف فى وسطه والدبوس تحت ركبته »(٦) . وفى النهاية تحددت الصفة

---

(١) السلوك ، ج ١ ، ص ٧١٠ ، قسم ٣ .
(٢) د. زيادة السابق : ص ٧٠١ .
(٣) Dozy : Supp, Dict. Aarb
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧ .
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٥ .
وانظر : د. زيادة ، نفس صفحة ٢٥ .
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٧ .

واللون الذى يجب أن يكون عليه السنجق وغيره مما هو على شاكلته .

جاء فى صبح الأعشى : « الأعلام وهى عدة رايات منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه ، وتسمى العصابة وراية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ، ورايات صفر صغار تسمى السناجق »(١) .

نموذج (٧)

« **الجاويش** » أو « **الجاووش** » والجمع « **جاويشة** » أو « **الشاويش** » لفظ تركى . جاء فى مفرج الكروب : « ونادى الجاووش يا للإسلام »(٢). وجاء فى السلوك : « وتحدث الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى حديث نواب السلطنة وصار يركب بالعصائب والجاويش ، ويجلس بدار السعادة وترفع له القصص على هيئة النواب »(٣) .

يتضح من النص الأول أن الجاووش جندى مهمته النداء واستنفار الجند للقتال وظلت هذه وظيفته إلى نهاية العصر الأيوبى . أما فى العصر المملوكى فقدكان النظام يقضى بأن يسير أربعة من جنود الحلقة الشجعان أمام السلطان فى مواكبه للنداء وتنبيه المارة .

وتطورت دلالة اللفظ وصارت تطلق على جندى من رتبة بسيطة يكلفه مخدومه بحمل الرسائل وتبليغها(٤) .

ويسمى اللغويون مثل هذا النوع من التغيير الدلالى « التغيير الانحطاطى » أو الخافض « pejorative Change » وتصدق على الكلمات التى كانت

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٣) المقريزى : السلوك ، ص ٨٧٠ .

(٤) أنظر : "Dozy : Supp. dict. Arab" .

وانظر : د. الشيال ، المفرج ، الصفحة السابقة ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

وانظر أيضاً : د. زيادة صفحة السلوك السابقة ، ص ٨٧٠ .

دلالتها فى نظر الجماعة نبيلة نسبياً ثم تحولت فصارت دون ذلك مرتبة(١) .

ويقابل هذا النوع من التغير الدلالى التغير المتسامى « Meliorativ change » ويطلق على ما يصيب الكلمات التى كانت تشير إلى معان هينة أو ضعيفة نسبياً ثم صارت تدل فى نظر الجماعة اللغوية على معان أرفع . وخير مثل يصدق عليه ذلك استعمالهم لقب « البرواناه » .

« البرواناة : » لقب فارسى معناه فى الأصل الحاجب « chambellan » ثم سمت دلالته وصار يطلق على الوزير الأكبر « Le Primcipal ministre » ومن الأمثلة على ذلك :

« بروانه جلال الدين قيصر وزير كيقباد الأول منذ سنة ٦١٦ هـ » (٢) .

وتنطق « برواناه » و« بروانه » والجمع « بروانيون » .

وقد جاء فى السلوك النص الآتى : « مات السلطان ركن الدين قايج أرسلان بن كيخسرو بن ... وقام من بعده ابنه غياث الدين كيخسروا وعمره أربع سنين فقام بأمر المملكة معين سليمان البرواناه »(٣) .

ويعلق مؤرخ محقق بقوله : «كان الوزير معين الدين المذكور هذا متسلطاً فى الدولة السلجوقية »(٤) .

نموذج (٨)

« خشداش » والجمع خشداشية »

جاء فى السلوك : « ولا يبرم أمر إلا بحضور اقطاى لكثرة خشداشيته »(٥)

---

(١) د. السعران : علم اللغة مقدمة ، ص ٣٠٥/٣٠٨ .

(٢) Quatremere : Op. Cit. 1. 2 P 57, N 59
وأنظر : معجم الأنساب والأسر الحاكمة للمستشرق زامباور (البروانيون من ص ٢٢٢)

(٣) السلوك للمقريزى ، ص ٥٧١ – ٥٧٢ .

(٤) أنظر د. زيادة ، نفس الصفحة – وأيضاً ص ٤٠٨ كذلك من السلوك .

(٥) السلوك للمقريزى ، ص ٣٨٨ . وأنظر د. زيادة ، نفس الصفحة .

الخشداشية : جمع خشداش وهو معرب اللفظ الفارسى « خواجاتاش » أى الزميل فى الخدمة(١) .

« **الخشداشية** » أو « **الخوشداشية** » أو « **الخجداشية** » أو « **الخوجداشية**»(٢) فى إصطلاح ذلك العصر تعنى الأمراء الذين نشئوا مماليك عند سيد واحد ، فنشأت معهم رابطة الزمالة القديمة .

وقد ذكر كاترمر عبارات متعددة تؤكد هذا المعنى ، منها :

« منعته خشداشيته أن يخرج من عندهم » .

« الأجناد يموت الواحد منهم فيستولى خوشداشيته على موجوده » .

« وبينها حمية لشجر الدر لأنها خشداشتهم » .

« كان بين هذا السلطان خوجداشية أكيدة وصحبة » .

« كان يعد نفسه غريباً فى بيت السلطان لكونه لم يكن له خجداش »(٣) .

وواضح أن لرابطة الخوشداشية أثراً قوياً ، وقد كان لها دور فعال فى حوادث التاريخ فى ذلك العصر . ومثلها فى الأهمية علاقة السيد أو الأستاذ بمماليكه الذين اشتراهم لنفسه ويعلل لذلك مؤرخ محقق بأن ذلك راجع إلى قلة الروابط الأخرى بينهم فقد كانوا يجلبون من مختلف أسواق النخاسة ، وليس من رباط سوى ما استجد عليهم بمصر(٤) .

الأستاذ : كلمة دخيلة فارسية الأصل ، وفى ذلك العصر كانت تمثل نوعاً من الرابطة بين الحاكم أو السيد ومماليكه .

وأصلها « أصطاسرا » بمعنى أصطا كبير » ثم عربوه فقالوا : « أستاذ » ومعنى « سردار » الكبير كالسلطان ونحوه ، وقالوها « استادار » (٥) .

---

(١) Steingass, Pers, Eng, Dict

(٢) Quatremere : Op. Cit 1. 1. P 44-45

(٣) اقرأ هذه الأمثلة وغيرها فى كاترمر .

(٤) د. مصطفى زيادة ، هامش ص ٢٨٩ .

(٥) حاشية السلوك ، ص ٧٩٤ .

أما كلمة « الخواجة » أو « الخواجا » فمن دلالاتها فى ذلك الحين « المعلم » ومن معانيه أيضاً « الكاتب » و« التاجر »(١) ، ومن نماذج استعمالاتها :

« وفيها بنى هولاكو الرصد بمدينة مراغة بإشارة الخواجا نصير الدين محمد الطوشى »(٢) .

نموذج (٩)

الخانقاه وتجمع على خوانق

أصلها من الفارسية ، وهى تتركب من كلمتين : « خان » و« قاه » ، وخان مصدرها خاندن ، ومعناه : القراءة والذكر . وقاه : المكان والمعنى بالعربية مكان الذكر والقراءة .

أو « خان » بمعنى ملك ، و« كاه » لاحقه مكانية بمعنى بيت أى بيت الملك

وتطورت دلالتها وصارت تعنى المائدة أو المكان الذى يأكل فيه الملك . فقد أطلق لفظ الخانقاه على الدور الفخمة التى يقوم على إنشائها الملوك والأمراء المتحمسون للدين من أجل أغراض شتى منها إيواء الغرباء من المسلمين والسماح لهم ولأسرهم بالإقامة فى هذه الدور ثم القيام على معيشتهم وتثقيفهم كذلك(٣) .

وتطورت دلالة الخانقاه فيما بعد عند المصريين وصارت تطلق على الزاوية ، ثم أصبحت الخانقاه مأوى المتصوفة والدراويش(٤) .

ومثل هذا يسمى تطور الدلالة نحو الخافض . كما أطلقت على الأماكن التى ينشئها الملوك والحكام لعلاج المرضى ، وإلى اليوم مازالت تطلق فى مصر على مكان معروف (ضاحية) تسمى « الخنكة » وبها مستشفى لعلاج مرضى

---

(١) Dozy : Supp, dict. Arab

(٢) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٠ .

(٣) اقرأ خطط المقريزى ، ج ٤ ، ص ٢٧٤ .

(٤) خطط المقريزى ، ج ٤ ، ص ٢٧٤ .

وانظر الحركة التترية ، د. عبد اللطيف حمزة ، ص ١٠٤ .

العقل (وفى الاستعمال المصرى الدارج يقال : فلان خنكه ، فى حالة الاستخفاف أو السخرية) . وهى بهذا المعنى تدخل فى دائرة المشترك اللفظى من ناحية ، وتثرى ظاهرة الترادف من ناحية أخرى . ولها أثرها فى الاستعمال الدلالى وتطوره .

ومما له صلة بهذا « **السماط** » .

جاء النص الآتى فى السلوك : « وخرج الصاحب معين الدين الحسن ابن شيخ الشيوخ على العساكر من القاهرة ، ومعه الدهليز السلطانى والخزائن وأقامه السلطان مقام نفسه وأذن له أن يجلس على رأس السماط ، ويركب كما هى عادة الملوك وأن يقف الطواشى شهاب الدين رشيد استادار السلطان فى خدمته على السماط ، ويقف أمير جاندار والحجاب بين يديه »(١) .

السماط : هو المائدة السلطانية ، أو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين(٢) .

وجاء فى المواعظ والاعتبار(٣) : وصف الأسمطة السلطانية عصر الحروب الصليبية ومما قاله : « وكانت العادة أن يمد بالقصر فى طرفى النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الأمراء خلا البرانيين وقليلما هم . فبكرة يمد سماط أول لا يأكل منه السلطان ، ثم ثان بعده يسمى الخاص ، قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ، ثم ثالث بعده ويسمى الطارىء . ومنه مأكول السلطان ، وأما فى آخر النهار فيمتد سماطان الأول والثانى ، وهو المسمى بالخاص ، وفى كل هذه الأسمطة يؤكل ما عليها ويفرق نوالات ، ثم يسمى بعدها الأقساء المعمولة من السكر والأفاوية المطيبة بماء الورد المبردة »(٤) .

---

(١) السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣١٨ . وانظر د. زيادة نفس الصفحة .

(٢) أنظر محيط المحيط البستانى .

وانظر "Dozy : Supp, dict. Arab".

(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٤) السابق .

كلمة « نوالات » مأخوذة من ناول يناول بمعنى أعطى ومازالت تستعمل فى عامية مصر حتى اليوم ، فجذورها ممتدة إلى هذا التاريخ واشتق الاستعمال المصرى الدارج منها « ناولون » نقول اليوم مصطلح بمعنى مناولة أجر موصل البضائع بالسيارات. =

ومما له صلة بما نحن بصدد الحديث عنه :

« المرقدار » والجمع « المرقدارية »

ومن أمثلة استعمال تلك الكلمة جاء فى السلوك : « ومن عجيب الاتفاق أن مشرف المطبخ السلطانى بالقلعة ضرب بعض المرقدارية ، فبلغه ركوب كتبغا بشعار السلطنة فنهض المشرف وصبيان المطبخ لرؤية السلطان وفيهم المضروب وهو يقول : يا نهار الشوم إن هذا النهار نحس » فجرى هذا الكلام فى هذا اليوم على ألسنة جميع الناس »(١) .

وعرف القلقشندى المرقدار بقوله : « هو الذى يتصدى لخدمة ما يحوز المطبخ وحفظه ، سمى بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عند رفع الخوان ونحو ذلك »(٢) .

نموذج (١٠)

« خركاه » والجمع « خركاوات »

لفظ دخيل من الفارسية ومعناه الخيمة .

وعلى الرغم من ارتباط حياة العربى بالخيمة ، وحياة الخيام فقد وجدناهم يقتبسون ويعربون مفردات كثيرة تحمل فى دلالتها معنى الخيمة ، وقد أحسنت عبقرية العربية الاستفادة بهذه المفردات واستعملتها على الوجه الذى سدت به حاجة وأكملت نقصاً فى هذا الصدد .

فهى تطلق « الخركاه » على نوع معين من الخيام وصفه دوزى بأنه : « نوع يتكون من قطع الخشب معقود بينها على شكل قبة وتغطيها قطع من اللبد »(٣) .

= أما كلمة « معمول » بمعنى مصنوع ومشتقاتها فهى منحدرة للهجة المصرية المعاصرة من ذلك الحين ومازلنا نستعملها حتى اليوم وهى متغلغلة فى نواحى الاستعمال اللغوى المصرى ومن الأمثلة (قل لى عملك إيه قلبى) أغنية مصرية . كما توجد كلمة عملية وغير ذلك فى مختلف مجالات الاستعمال اللغوى .

(١) السلوك ، ص ٨٠٧ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ .

(٣) Dozy : Supp, dict Arab ونص قوله Cette espece de tente qui se Compose de morcoux de bois reunis en form de coupole, et sur Lesquels on etend des pieces. de feutre

ومن نماذج استعمالاتها ، جاء فى حديثهم عن الملك بركة خان : — « وألا يدخل أحد إلى خركاته بسيف ولا سكين ولا عدة ، ولا يدوس برجله عتبة الخركاة »(١) .

وتطلق « **الوطاق** » بدلالة مختلفة .

« **الوطاق** » وأصلها من التركية ، والجمع « **أوتاق** » و« **أوطاق** » .

وجاء فى محيط المحيط : « الوطاق الخيمة — تركية — والجمع وطاقات(٢)

وطورت عربية الحروب الصليبية دلالتها وأطلقتها على مجموعة الخيام ، وعلى الفرقة وعلى المعسكر ، جاء فى مفرج الكروب : « أمر السلطان أن ينادى فى الوطاقات والأسواق »(٣) .

وأما « **الدهليز** » فقد استعملتها بدلالة مخالفة ، ودفعت دلالتها دفعات متعددة .

« **الدهليز** » والجمع على « **دهاليز** » :

ومعنـــاه الخيمة غـــير أنها خصصت دلالتها ، وأطلقتها على الخيمة التى ترافق السلطان وينزل بها فى الأوقات التى تتخلل المعركة . ومن نماذج استعمالاتها : « ثم أمر السلطان فضرب له دهليز »(٤) . ونموذج ثان : « وخرج الصاحب ... ومعه الدهليز السلطانى والخزائن »(٥) . ونموذج آخر : « وضرب له دهليز السلطنة واجتمع عليه مماليكه وأصحابه »(٦) واستعمال آخر : « فانزعج وأمر بخروج الدهليز السلطانى والعساكر »(٧) .

---

(١) السلوك للمقريزى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥١٤ .
وانظر كتاب النهج السديد لابن أبى الفضائل ، ص ١١٦ — ١١٧
(٢) محيط المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٢٦٤ .
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .
(٤) السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .
(٥) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ص ٣١٨ .
(٦) السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ص ٢٩٣ .
(٧) السابق ، ص ٢٩٤ .

وتطورت دلالتها وكانت تطلق فى نفس العصر على الجزء من الدار ، قال أسامة : « وجلست فى صفة دهليز دارى »(١) . ونالت دفعة أخرى فى مجال التطور وأطلقت على الممر الفسيح فى القصور .

وجاء فى محيط المحيط : « الدهليز : ما بين الباب والدار والحنية ، والجمع دهاليز وعند العامة هو المسلك الطويل الضيق ، وأبناء الدهاليز الأطفال التى تلتقط »(٢) .

وهى باعتبار الدلالات السابقة من المشترك اللفظى ، وهى فى نفس الوقت إثراء لظاهرة الترادف وإسهام فى التعليل لنموها .

ومثل الدهليزمن بعض جوانب دلالتها « الدركاه » .

« **الدركاه** » بالهاء ، والجمع « **دركاوات** » :

« **الدركاه** » من أصل فارسى ومعناها الخيمةأيضاً . ومن أمثلة استعمالاتها فى اللغة جاء : « وقعد فى عدة من البرجية بدركاة القلعة ينتظر ما يكون »(٣) . وجاء أيضاً : « وكان له فى دركاة السلطان من يطالعه ويكتب إليه بكل ما يفعله السلطان فى ليله ونهاره »(٤) .

وللدركاه دلالة ثانية عرفها دوزى بأنها لفظ فارسى معناه المساحة أوالفناء المؤدى إلى بناء كبير مثل قصر السلطان أو قلعة الجبل إلى آخره(٥) .

وهى بهذا تدخل فى دائرة المشترك اللفظى من ناحية ، وهى أيضاً إثراءاً لظاهرة الترادف .

---

(١) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١٠ .

(٢) محيط المحيط ، ج ١ ، ص ٦٩٠ .

(٣) السلوك ، ص ٨٥٧ .

(٤) مفرج الكروب ج ١ ، ص ١٠٢ ، ط. د. جمال الدين الشيال .

(٥) أنظر : "Dozy : Supp dict Arab" نص قول دوزى . "Cour devant un palais vestibule, Portique, Porte, etc

واقتبست العربية كذلك لفظة « **الخربشتة** » أو **الخربشت** » :

و« **الخربشته** » لفظ فارسي معناه الخيمة(١) ، ومن أمثلة استعمالاتها : « ودخل الخربشته لقضاء الحاجة وخرج من ظهر الخربشته وركب فرساً وساق إلى القلعة »(٢) .

ويبدو أن الاستعمال اللغوى فى ذلك الحين خصص كلمة « الخربشتة » لقضاء الحاجة بما يساوى فى استعمالنا اليوم « المرحاض » أو « دورة المياه » . ويبدو أن الجماعة اللغوية اكتفت من الناحية الصوتية بالمقطع الأول لنفس الدلالة ثم أصابته دفعة من التطور الدلالى وهو ما انحدر إلى لهجتنا الدارجة بمعنى « الغائط » فليس فى القاموس هذه الكلمة بهذه الدلالة وكذلك لم أعثر على الخربشتة فى القواميس .

واتصالا بما سبق اقتبست العربية كلمة « الطارمة » .

« **الطارمة** » والجمع « **طارمات** » :

ومن أمثلة استعمالها فى عربية الحروب الصليبية ، جاء فى السلوك : « فبنُيت بها الأدُرُ السلطانية ، والطارمة ، والقبة الزرقاء »(٣) .

والطارمة : بيت من خشب يبنى سقفه على هيئة قبة لجلوس السلطان ، وهى لفظة فارسية وجمعها « طارمات »(٤) .

ومما له صلة بما نحن بصدده يأتى الحديث عن « **الجوسق** » .

وقد كان مستعملا فى عربية الحروب الصليبية ومن أمثلة استعمالاته ما جاء فى السلوك : « ونزل خارج حماة **بالجوسق** »(٥) .

---

(١) د. زيادة ، السلوك ، ص ٢٨٤ . وانظر : "Steingass Pers Eng dict"

(٢) السلوك ، ص ٢٨٤ .

(٣) السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٧٧٥ ؛ وانظر د. زيادة ، نفس الصفحة .

(٤) محيط المحيط للبستانى .

وانظر "Dozy : Supp. dict Arap" .

واقرأ المواعظ والاعتبار للمقريزى ، ج ١ ، ص ٣٥ ؛ ج ٣ ، ص ٤٤٤ .

(٥) السلوك ، ص ٥٩٩ .

و« الجوسق » معرب اللفظ الفارسى « كوسك » ، ومعناه القصر . ويجمع على « جواسق » . ويجىء فى الشعر مجموعاً على « جواسيق أيضاً »(١) .

ويذكر الأب رفائيل نخلة اليسوعى أن من معانيه « كوشك أيضاً »(٢) . وفى لهجة مصر المعاصرة تختلف دلالة « كوشك » عن دلالة « قصر » اختلافاً بيناً .

ويدخل هذا النوع من التطور الدلالى تحت ما يسمى « بالتغير الانحطاطى » أو الخافض(٥) .

واتصالا بهذا الموضوع يأتى الحديث عن « الرستاق » .

« رستاق » والجمع « رساتيق » :

ومن أمثلة استعماله النص الآتى : « ثم عاد العسكر إلى حلب ، فغار الخوارزمية على رساتيق الوصول »(٣) .

و« الرساتيق » جمع « رستاق » ومن معانيه محلة العسكر ، والبلد التجارى والقرية ، ومنه « الرزداق » و« الرزداقات » و« الرزاديق » .

وهذه اللفظة بصورها الصوتية المتعددة ودلالاتها المختلفة تسهم فى ظاهرة المشترك اللفظى والترادف معاً . ومما هو متصل أيضاً بما نحن بصدده لفظة « الدربند » .

« الدربند » والجمع « دربندات » :

ومن أمثلة استعمالاتها فى عربية الحروب الصليبية ما جاء فى النص الآتى : « وأما الملك المنصور ومن معه فإنهم ساروا إلى حصن ديربساك ودخلوا

---

(١) أنظر : محيط المحيط .

(٢) غرائب اللغة العربية ، ص ٢٢٤ .

(٣) نقول فى لهجتنا الدارجة كشك سجاير وكشك الجرايد وتجمع على أكشاك وكشوك ، فهى لفظة ذات رحلة – وتطورت دلالتها نحو الخافض من « جوسق » بمعنى القصر – إلى كشك .

(٤) السلوك ، ص ٣١٠ ؛ وانظر د. زيادة ، نفس الصفحة .

وانظر محيط المحيط .

وانظر أيضاً "Steingass. Pers, Eng dict" .

الدربند »(١) .و« الدربند » : لفظ فارسى ومن معانيه « المضايق والطرقات » والمعابر الضيقة (٢) .

نموذج (١١)

« **دست** » وجمعه « **دسوت** » :

دست : معرب دشت الفارسية ومعناها الصحراء ، واللفظ متعدد الدلالات منها « الدست» صدر البيت وهو المعنى المقصود فى قول ابن واصل : « فأجلسوه فى الإيوان الشمالى من الدست والتخت الباقى من عهد تاج الدولة تُتُش السلجوقى »(٣) .

و« **التخت** » هنا هو سرير الملك أو العرش . أما صاحب الدست : فهو صاحب ديوان الإنشاء ، ومرت دلالة الكلمة بمراحل تطور متعددة :

فقد ظل صاحب ديوان الإنشاء يلقب بصاحب الدست الشريف منذ الفاطميين إلى عهد المماليك . ثم لقب بصاحب الدست ، وصاحب الدرج ، وفى أيام السلطان قلاوون لقب بصاحب الديوان (وهو يومئذ فتح الدين ابن عبد الظاهر ، وتلقب بلقب كاتب السر ، وبلقب صاحب ديوان الإنشاء وبلقب ناظر الإنشاء الشريف) .

وكان لصاحب ديوان الإنشاء مساعدون يلونه فى الرتبة وهم كتاب الدست كما كانت هناك طائفة أخرى من الكتاب هم كتاب الدرج ، مهمتهم الاطلاع على الملاحظات التى يبديها كاتب السر أو أحد كتاب الدست أو نائب السلطنة

---

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٥١ ، د. زيادة .

(٢) المقصود بالدربند هنا الطرقات المؤدية إلى بلدة سيس . أنظر : د. زيادة ، الصفحة السابقة ٥٥١ . واقرأ فى ابن أبى الفضائل كتاب النهج السديد ، ص ٢٣١ — ٢٣٢ وصف بابى الدربند الذى بسيس .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١ .

أو الوزير أو غيرهم ، ولا يجوز لأحد كتاب الدرج أن يتخذ لنفسه صفة الموقعين على الكتب الديوانية كما يفعل كتاب الدست(١) .

جاء فى محيط المحيط : الدست لفظ فارسى أخذته العرب وتصرفت به لمعان كثيرة وجمعه « دسوت » . ومن معانيه الصحراء ، واللباس ، والورق ، وصدر البيت ، والمجلس ، والدست أيضاً الحيلة والخديعة ، ويطلق أيضاً على خمسة عشر من العدد ، ومنه الدستة للحزمة من الملاعق ، وتطلق على الدزينة . وعند العامة « الدست » هو المرجل الكبير من النحاس ، والدستبند لعبة للمجوس يدورون وقد أمسك بعضهم بيد بعض كالرقص . والدستجة : الحزمة معرب دستة . والإناء الكبير من الزجاج والجمع « دساتج »(٢) .

« والدست » هو الموكب أو هو الحاشية . جاء فى السلوك : « ثم ركب منها بكرة بهيئته ودسته إلى داره »(٣) وفسر دوزى الدست هنا بأنه الحاشية التى تحيط بالسلطان أو الأمير (٤) .

وقال ومن معانيه أيضاً : الموكب الذى يرافق السلطان أو الأمير فى روحاته وغدواته(٥) .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٢) محيط المحيط للبستانى ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

وانظر الشهاب الخفاجى : شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ص ٩٧ — ٨٩ . فقد ذكر معانى الدست السابقة وغيرها .

(٣) السلوك ، ص ٧٩٧ .

بكرة — بنفس دلالتها هنا ما زالت إلى اليوم مستعملة فى اللهجة الليبية وفى ذلك دلالة على التأثير والتأثر الذى مازالت تشير إليه اللغة بانحدارها نحو اللهجات المختلفة .

(٤) ونص قوله : Les grands, les courtisans qui accompagnent un prince .

(٥) ونص قوله : " Le pompe, L,apareil qui accompagne le Souverain ou son ministre .

و « كتاب الدست » هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل فى المواكب على ترتيب منازلهم بالقدمة ويقرءون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم ، ويوقعون عليها كما يوقع عليها كاتب السر . وسموا كتاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابة بين يديه(١) .

وهذا معنى جديد من معانى الدست يكشف عنه القلقشندى . وبهذا فكلمة الدست تسهم فى ظاهرة المشترك اللفظى والترادف معاً .

وكلمة « القصة » التى ذكرها القلقشندى هنا ذات دلالة خاصة فى ذلك العصر تختلف عما تطورت إليه فى مفهومنا .

فالقصة هى الطلب أو الالتماس « requete, Placet » ويرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى حضرة السلطان عن طريق موظف خاص اسمه قصة دار — وقد تكون خاصة بطلب تجديد إقطاع انتهى عقده أو بارتجاع إقطاع انتقل عن صاحبه لسبب من الأسباب ، وفى مثل هذه الحالة تعرض القصة أولا على ناظر الجيش ليكشف عنها قبل عرضها على السلطان(٢)

أما « كتاب الدرج » فهم الطبقة الثانية وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو كتاب الدست أو إشارة النائب أو الوزير أو رسالة الدوادار ونحو ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات ونحو ذلك مما يجرى مجراه .

وسموا « كتاب الدرج » لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها فى درج الورق والمراد بالدروج فى العرف العام آنذاك الورق المستطيل المركب من عدة أوصال

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٢) السابق ، ج ١٣ ، ص ١٥٤ .

وفى الفارسية إلى اليوم ما زال استعمال « قصه دار » بهاء صامتة فى الفارسية تكسر ماقبلها . بهذا الغرض .

وانظر : " Dozy : Supp. Dict. Arab " .

وهو فى الأصل اسم للفعل أخذ من درجت الكتاب أدرجه درجاً إذا أسرعت طيه وأدرجته إدراجاً فهو مدرج إذا أعدته على مطاويه(١).

وتطورت كلمة « درج » فى المصرية لتطلق على المقعد الذى يجلس عليه طلاب العلم وأظنها منحدرة مع لهجتنا من ذلك العصر — فتطور الدلالة هنا تطور طبيعى لأنه فيما يبدو كان كتاب الدرج يجلسون على مقاعد سميت باسم الدرج وجمعت على أدراج — أو كانوا يضعون فيها أدراج الورق أى الورق المدرج فسميت باسمه — ثم تطورت الدلالة نحو التخصيص وأطلقت على الجزء فقيل « درج المكتب » واستقلت بدلالتها وصارت تطلق على درج الدولاب ودرج الحائط ... إلخ.

أما « **التخت** » وجمعه « **تخوت** » :

التخت : فى الفارسية سرير الملك أو العرش(٢) . وجاء فى محيط المحيط : « التخت معرب تختة بالفارسية ومعناه خشب وجمعه تخوت ».

وتخت الملك : سريره وعرشه ، وتخت الملك : عاصمة المملكة .

و« التخت » : وعاء من خشب أو نسيج يصان فيه الثياب ، و« التختخ » الخشب أو اللوح معرب تختة بالفارسية والجمع تخاتخ . والتخت روان : هودج يركب فيه ، فارسى مركب من تخت وذكر وروان ومعناه الذهاب والمجىء أو السفر .

وفى اللهجة المصرية المعاصرة « **تختة** » و« **تخت** » و« **وتخوت** » و« **تختات** ».

« التختة » مؤنثة وتجمع على «تختات » ، والتختة المقعد الذى يجلس عليه الدارسون . والسبورة التى يكتب عليها المدرس وهو تطور طبيعى — وأراها منحدرة من عربية ذلك العصر — وأتصورها أطلقت من قبل على مقاعد كتاب ديوان الإنشاء تعظيماً لقدورهم .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

(٢) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٢٢ .

أما تخت فى العامية المصرية ويجمع على تخوت فيطلق على المكان الذى تقف عليه « العالمة » (مغنية أو راقصة) وأراها منحدرة أيضاً من الاستعمال المصرى فى ذلك العصر فمازلنا إلى يومنا نقول : (فلان يحتل عرش الفن) ؛ (أى تخته) أو نقول : فلان أو فلانة (ملكة الطرب). وواضح ما بينها من ارتباط وتطور دلالى

أما كتاب ديوان الإنشاء وكبراؤه فقد نالوا دفعة من التطور الدلالى وانتهوا إلى إطلاق اسم « **الدواوين** » عليهم تعظيماً لمكانتهم ، وذلك من باب إطلاق اسم المكان على القائم بأعماله .

جاء فى السلوك : « فأحضر حينئذ الولاة والمشدين والنواب والدواوين (١) ويقول دوزى إنه كان يطلق على موظفى الدواوين الحكومية عامة دواوين « جمع « ديوان »(٢) . ويعلق د. زيادة على استعمال المقريزى لهذا اللفظ بقوله : إن استعماله لهذا اللفظ هنا يدل على أن الدواوين كانوا من كبار الموظفين كالولاة والنواب والمشدين(٣) .

وجاء فى ابن واصل : « أتانى كتاب من الديوان يأمرون بمساحة جميع

---

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، د. زيادة .

(٢) أنظر دوزى " Supp. dict. Arab " .

(٣) أنظر : د. زيادة (السابق) .

وبالبحث فى اللغة الفارسية يتبين (دو = أو دب).

– أصل كلمة بمعنى شيطان – فى اللغة البهلوية – وفى الفارسية الحديثة (ديو) دخلت من الأصل البهلوى فى كلمات فارسية كثيرة – ديو = شيطان . ديوستان : مدرسة ثانوية – وديو : كاتب وقيل (خديو = التى نقولها خديوى ، وتحليلها ، خد = ملك ، وديو = شيطان ، بمعنى الملك الذكى (وأما أصل إطلاق دواوين ويقصد بها كبار الموظفين فلذلك أصله فى الفارسية – حيث إن الديوان هو المكان الذى يجلس فيه الكاتب أو الشاعر . ومفهوم أن الكاتب والشاعر شيطانا) .

البساتين العقيمة »(١) . ومعنى ذلك أن لفظ الديوان كان يطلق على موظف الديوان ، وعلى موظفى الديوان مجتمعين(٢) .

ومما يتصل مما سبق : «**الطراحة**» و«**الكرسى**» و«**المسند**» .

جاء فى السلوك : « وجلس السلطان متأدباً معه بغير كرسى ولا طراحة ولا مسند »(٣) .

الكرسى : هو سرير الملك ويقال له تخت الملك وهو من الأمور العامة للملوك وهو فى هذه المملكة منبر من رخام بصدر إيوان السلطان الذى يجلس فيه ، وفى سائر الأيام يجلس على كرسى خشب مغشى بالحرير .. وفى داخل قصوره يجلس على كرسى صغير من حديد يحمل معه إلى حيث يجلس(٤) .

الطراحة : وجمعها طواريح مرتبة يفترشها السلطان إذا جلس(٥) .

المسند : وجمعه مساند وهو ما يتكىء عليه .

ومما له صلة بالسابق أيضاً : « الفرمان » .

« **الفرمان** » . جاء فى السلوك النص الآتى : « وقرأ بعض العجم الواصلين مع الأمير اسماعيل الفرمان بتأمين الكافة »(٦) .

الفرمان : لفظ فارسى قديم ، معناه الأصلى (الأمر) ، ثم اتسع استعماله فصار مرادفاً للمرسوم السلطانى « Letters Patent » أو للتقليد « Diploma »(٧) .

---

(١) المفرج ، ج ١ ص ١٨٩ .

(٢) ذهب إلى هذا دكتور جمال الدين الشيال ، الصفحة السابقة ، ج ١ ، ص ١٨٩ .

(٣) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٤٩ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥ — ٧ (بتصرف) .

(٥) أنظر : السلوك (نفس الصفحة) د. زيادة ؛ وابن واصل ، ج ٢ .

وانظر : " Dozy : Supp. dict. Arab " .

(٦) السلوك ، ص ٨٩٠ .

(٧) السابق ، د. مصطفى زيادة ، نفس الصفحة .

وانظر : Inc, Isl Art. Ferman

الدينار : استعمال العربية لكلمة « دينار » قديم . غير أن تنوع استعمالها في عصر الحروب الصليبية وما يمكن أن يجده الباحث حولها يدفعنا إلى أن نشير إليها إشارات هي من صميم الدرس اللغوى التاريخي .

الدينار : أصلها (دنّار) « Denarius » وكانت قيمته عند العرب عشرة دراهم وهي مأخوذة عن الرومان وتساوى قطعة نقود فضية ، كان الآس عشرها(١) . وهي في الإيطالية بأداة التعريف وهو تأثير وتأثر ، ولعلها دخلت العربية هكذا وذلك لأن أداة التعريف للمفرد المذكر في الإيطالية « il » (٢) . وفي عصر الحروب الصليبية أطلق على « **الدينار** » صفات مختلفة حددت نوعه ، فقيل دنانير مصرية ، ودنانير صورية ، ودنانير مشخصة . ومن أمثلة ذلك جاء في مفرج الكروب : « فباع ما كان يملكه من عقار بما مبلغه ثمانية آلاف دينار صورية »(٣) . والمقصود بالدنانير الصورية : الدنانير المصورة ؛ وقد عرفها القلقشندى بقوله : « وهي دنانير يؤتى بها من بلاد الإفرنج والروم » ، « وهذه الدنانير مشخصة على أحد وجهيها صورة الملك الذى تضرب في زمنه . وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحواريين » ، و« يعبر عنها بالإفرنتية جمع افرنتى ، وأصله فرنسى بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق نسبة إلى أفرنسة مدينة من مدنهم ، وربما قيل فيها إفرنجة ، وإليها تنسب طائفة الفرنج وهي مقر الفرنسيين ملكهم ، ويعبر عنه أيضاً بالدوكات . وهذا الاسم في الحقيقة لا يطلق عليه إلا إذا كان ضرب البندقية من الفرنجة ، وذلك أن الملك اسمه عندهم دوك . وكأن الألف والتاء في الآخر قائمان مقام ياء النسب » (٤) .

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٨ .

(٢) طه فوزى : مبادىء اللغة الإيطالية ، ص ١٥ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٦٩ .

اقرأ : د. جمال الدين الشيال (الصفحة السابقة) ج ١ ، ص ٣٦٩ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤١ " Frank = Duklat - " .

اقرأ عن الدنانير المسكوكة لما يضرب بالدينار المصرية إذ يأتى إليها من المسكوك في غيرها من الممالك ، من ص ٤٤٠ .

وجاء في محيط المحيط : الدينار ضرب من المعاملات القديمة وأصله دِنّار بالتشديد فأبدل من أحد حرفي تضعيفه ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال ككذاب ، واختلف فيه فقيل أصله فارسي ، وقيل عربي وكلاهما محتمل(١) هذا رأي الأب بطرس البستاني ، وقيمة البحث اللغوى التاريخي أنه رده إلى أصله الرومي .

نموذج (١٢)

« الجشار — الجشارات » : « الجشارى — الجشارية » :

ومن أمثلة استعمالاتها ، جاء في السلوك : « واستدعى من الجشارات بخمسمائة فرس لأجل الطبلخاناه وخيول الأمراء »(٢) .

الجشارات : جمع **جشار** — وهو مكان رعي الماشية وغيرها(٣) .

وفي دوزي مثل لتوضيح هذا المعنى : « وهجم على جشارهم . فأخذ منهم من الخيل أربعمائة رأس ومائة من البقر »(٤) . وفي الاعتبار لأسامة حديث عن الجشارية وواحدهم جشاري .

والجشار : يجمع على **جشارات وجشير** — ويقال **الدشار** أيضاً الخيل والأبقار التي تساق مع الجيش .

الأكاديش جمع **أكديش** : وهو لفظ فارسي الأصل : معناه الخليط الذى يكون أبوه من جنس وأمه من جنس آخر (يطلق على الإنسان والحيوان) وقد استعمله المؤرخون في العربية للدلالة على الرجل الذى لا ينتسب إلى أصل واحد ، وعلى الحصان غير الأصيل المستخدم غالباً في حمل الأثقال(٥) ، وكذلك كان يطلق على الصغير وعلى الحصان غير الجيد .

---

(١) محيط المحيط ، ج ١ ، ص ٦٨٥ .

(٢) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٩٠ .

(٣) أنظر د. زيادة (السابق) .

(٤) أنظر Dozy : Supp dict Arab

(٥) Quatremére : op. éit. 11. 1. p 48. N 37 =

ثم أصابه تطور دلالى نحو المعنى المضاد فأصبحت تعنى الخيول الجياد ، و« أصبح » يقال الأكاديش الجياد — ولعل ذلك يرجع لارتباطه بهدايا السلاطين حيث كان يطلق الأكاديش الجياد على ما يقدم من هدايا — مثل هدية صلاح الدين وغيرها من هدايا السلاطين المماليك ، جاء فى السلوك : « وجُهزت إليه الهدايا وتحفُ فيها قطعة زمرد وعدد من أكاديش التتار وشىء من عُددهم »(١) .

ومما له صلة ما بما سبق « المهمندار »(٢) .

المهمندار : صاحب وظيفة المهمندار وهو الذى يتصدى لتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ، ويتحدث فى القيام بأمرهم ، وهومُركب من لفظين فارسيين أحدهما « **مهمن** » بفتح الميمين ومعناه الضيف ، والثانى « دار » اللاحقة المعروفة . والمراد المتصدى لأمره(٣)

نموذج (١٣)

قراقوش : كلمة تركية معناها الطائر الأسود . وذكر ابن خلكان أن : معناها العقاب(٤) ، وهو اسم أطلق على بهاء الدين ولقب بقراقوش فى عهد صلاح الدين(٥) . جاء فى مفرج الكروب : « وكّل صلاح الدين بالقصر الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى وجعله زمام القصر مقام مؤتمن الخلافة(٦) »

— وانظر : Dozy : Supp Dict Arab ونص قوله Chaval de race mélangés qui n,est Point de race,Mazette mouvais petit cheval.

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٧٠٢ .

(٢) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٦٣٧ « سيف الدولة المهمندار » .

(٣) اقرأ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ .

(٤) ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

(٥) أنظر : حكم قراقوش ، عبد اللطيف حمزة .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، د. الشيال .

وانظر النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ .

والمقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢ — ٤ .

ويبدو أنه كان له من اسمه نصيب فإلى يومنا مازلنا نطلق قراقوش على كل طاغية مستبد فلعله كان أعتى من العقاب ، وأسود من الغراب . ولكن دلالة الاسم الأولى تنوسيت وبقى صاحبه أقوى من أى دلالة .

ومن يتدبر فى عربية الحروب الصليبية نجد هنا ظاهرة لغوية هامة وهى تسمية الأعلام بأسماء ذات معان تتصل إما بالحيوانات أو الطيور أو أى مظهر واضح من مظاهر الطبيعة ويؤتى بها من لغات الصراع المختلفة ، وقد نتساءل ولم لم يؤت بما يقابلها فى العربية فنجد لكل علة بعضها قد لا تذكر وبعضها قد تذكر .

على نحو ما كان من تسمية الملك الكامل لابنه حيث سماه « أطسيس » ومعناه (ما له اسم — لا اسم له) ، ويقال إنما سمى كذلك : « لأن الملك الكامل ما كان يعيش له ولد فلما ولد له المسعود قال بعض الحاضرين فى مجلسه من الأتراك فى بلادنا إذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه « أطسيس » فسماه (أطسيس) — والناس يقولون أقسيس بالقاف وصوابه بالطاء »(١) .

ومن أمثلة استعماله : « جاء فى مفرج الكروب « بعث الملك الكامل ولده الملك المسعود صلاح الدين يوسف المعروف بالأقسيس »(٢) . وجاء فى السلوك « ويقال له الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك المسعود يوسف .. »(٣) ،

وجاء فى صبح الأعشى : « فبعث إليه عمه الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر ابنه (الملك المسعود) أطسز المعروف بأقسيس فى جيش فملك اليمن(٤)

ونضرب أمثلة على تلك الظاهرة اللغوية وهى تسمية الأعلام بأسماء ذات معان مختلفة تتصل إما بمظهر واضح من مظاهر الطبيعة أو بطير أو حيوان إلخ .

---

(١) ابن خلكان : الوفيات ، ج ٤ ، ص ١٧٠ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .
وانظر د. الشيال ، ص ٢٢٧ .

(٣) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٠ .

فمن أمثلة ذلك : أيبك « الملك المعز عز الدين أيبك الخاشنكير »(١) .

« أيبك » : مركب من لفظين تركيين أولهما « أى » ومعناها (القمر) ، و « بك » أى (الأمير)(٢) .

قال الشاعر العربى :

إذا وصلت للرى سلم على حبيبتى
وانظرهما بعينى تنظرهما شمساً وأى

أى : شمساً وقمراً .

ومن أمثلة الأعلام التى تشير إلى أسماء أشياء أو حيوانات فى اللغات التركية والفارسية والتترية :

بيبرس : معناه الأمير فهد .
وقلاوون : معناه البطة .
وطوغان : معناه الصقر .
وبكتمر : معناه الأمير حديد .
وسلار : ومعناه الهاجم .
وإزبك : ومعناه النبيل(٣) .
والبواشقى : « الأمير شهاب الدين البواشقى »(٤) .

« البواشقى » نسبة إلى « البواشق » ، والبواشق : جمع باشق ، والباشق طائر حسن الصورة صغير الجثة تصاد به العصافير — وهو معرب اللفظ الفارسى (باشه) (٥) .

---

(١) اقرأ عنه فى السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٦٨ . د. زيادة .
(٢) Quatremere : op. cit. 1. 1. P. 1 N. 2.
(٣) السلوك ، د. زيادة ، ص ٣٦٨ .
وانظر : Lane poole : Saracenic Art. P. 4 Note
(٤) اقرأ عنه فى السلوك ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٢٨٨ .
(٥) أنظر : د. زيادة (الصفحة السابقة) .
وانظر : محيط المحيط لبطرس البستانى .

نموذج (١٤)

الطمغا : لفظ تترى الأصل ، ويقال له أيضاً « تمغا » .

ومن أمثلة استعمالاتها جاء فى السلوك : « وعندما عزم على اللحاق به استدعى منه طمغا البريد التى يركب بها الأمراء عندهم »(١) .

ويرى دوزى أن كلمة « طمغا » هنا معناها « الأمر الملكى »(٢) . « Royal edict diploma »

وكان أمراء المغول يحملون الطمغا فى أسفارهم الخاصة بشئون المملكة .

وفى حديث للنويرى فى نهاية الأرب عما وقع للأمير قبجاق عند وصوله ومن معه إلى ماردين تتضح قيمة دلالة الطمغا فيقال : « إنه أخرج إليهم كتاب الملك قازان إليه وهو فى « بالشت) ذهب فعند ذلك خضعوا له ومكنوه مما أراد »(٣) .

كما جاء أيضاً فى موضع آخر من السلوك « وصل إلى الملك الناصر من قبل القان ملك التتر طمغا صورة أمان ، فصار يحملها فى حياصته ، وسير إلى القان هدايا كثيرة (٤)» . وفى هذا النص أردف كلمة الطمغا بما يوضح دلالتها وهى قوله « طمغا — صورة أمان » ومعناها العفو أو البراءة أو الأمان أى ما يساوى « Diploma » أى براءة .

ومن دلالة الطمغا أيضاً أنها شعار الدولة أو الأمير أى « blazon » .

وهى بهذا تعد داخلة فى دائرة المشترك اللفظى من ناحية وأسهمت فى إثراء ظاهرة الترادف من ناحية ثانية .

---

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٨٧٢ . د. زيادة .

(٢) Dozy : Supp. dict. Arob

(٣) د. زيادة ، السلوك نفس الصفحة السابقة .

وانظر نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ، ج ٢٩ ، ص ٣١٩ ب .

(٤) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٧٩ .

وفى عربيتنا المعاصرة انحدرت إلينا تلك الكلمة من ذلك العصر بصورة صوتية قريبة من صورتها فى أصلها « تمغا » وقد نكتبها « دمغة » مما جعل بعض الذين يدفعهم التعصب من ناحية والنظرة السطحية من ناحية ثانية إلى القول بأن الدمغة من الفعل دمغ يدمغه أى يلزمه بحجته — وأنها عربية أصيلة ، وكأن ذلك ينقص أو يزيد فى شأن اللغة .

وقد انحدرت إلينا بدلالة ذات صلة ما بأصلها وإن كان واقع الحياة وظروف الاستعمال قد طورتها .

أما « **الطغراء** » فأصلها من التركية ، ومعناها الكتابة المشتبكة الحروف ، وتطورت وأطلقت على الفرامانات التركية(١) .

وتطورت عند شعراء المسلمين زمن الحروب الصليبية أصواتياً وصرفياً ودلالياً فمن حيث الأصوات صارت « **طرة** » وجمعت على « **طرر** » وتطورت دلالتها وصارت تطلق على الجباه الجميلة ، قال الشاعر المسلم متغزلا فى فتيات فرنجيات :

فيا عذولى فيهن دع كلفى   وانظر إلى الشمس هل لها طرر

كما أطلقت على وسط كل شىء وعلى الجميل منه . جاء فى اللسان : « صفة البيت طرته » وفى المصرية المعاصرة : «صرة البيت وصرة البلد» ، أى وسطه .

وجاء فى مفرج الكروب : « ويكتب نور الدين قبل علامته تعظيماً لنفسه ولا يفرده بالمكاتبة بل يكتب إليه : الأمير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية »(٢) .

والمقصود بالعلامة ما هو معروف فى ذلك العصر بـ « **الطغراء** »(٣) ،

---

(١) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٣ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

(٣) اقرأ الخطط للمقريزى ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ — ٣٦٨ .

حيث يكتب الخليفة أو السلطان علامته بيده ويتخذ لنفسه مصطلحاً خاصاً ليكون له علامة فقد يكون توقيعاً أو آية قرآنية أو قولا مأثوراً .

وقد ذكر المقريزى فى المواعظ والاعتبار أن لكل سلطان علامة وتوقيعاً وذكر صور كل منهما من عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى زمنه.

وذكر أنه « تمتاز المناشير المفتتح فيها بالحمد لله أول الخطبة أن تطغو بالسواد ، وتتضمن اسم السلطان وألقابه — وقد بطلت الطغراء فى وقتنا هذا »(١) .

وهكذا اشتق من « الطغراء » فعل « تطغر » ، « يتطغر » .

أما كلمة« اسفهسلار » ووظيفته يقال لها : « الاسفهلارية »(٢)

فهى مكونة من لفظين « أسفه » وهى فارسية ومعناها المقدم و« سلار » لفظ تركى ومعناه العسكر « الهاجم » . والمعنى مقدم العسكر . وقد استعمل هذا المصطلح فى مصر فى عهد الدولة الفاطمية ، وكان حامله صاحب وظيفة تلى صاحب الباب ، وهو على حد قول القلقشندى : « زمام كل زمام ، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم وفى خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم »(٣) .

وأصاب اللفظة تطور دلالى فأصبحت مما يختص به أمراء الطبلخاناه أو من هم فى مرتبتهم فى العصر المملوكى ، ويذكر القلقشندى أن الأمراء فى زمانه تركوا استعمال هذا اللقب لأن العامة اعتادوا أن يقولوا لبعض من يقف بباب السلطان من الأعوان « اسباسلار » فكره الأمراء مشاركة بعض الأعوان فيه فأضربوا عنه لذلك ، أو لم يفهموه معناه فتركوه »(٤) .. وهذا ما يعرف بانحطاط الدلالة وهو ما يفسر أيضاً سبب التخلى عن بعض الدخيل ، وقد علل

---

(١) المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٧ — ٨ .

القلقشندى من الواقع الاجتماعى حيث تتفاعل اللغة مع بقية الظواهر الاجتماعية فتؤثر وتتأثر .

ومما هو جدير بالذكر أنه كان للألقاب فى المجتمع الإسلامى آنذاك نظام دقيق عرفه ديوان الإنشاء وحذقه كتابه وقد فصل القول فيه القلقشندى(١) .
ومن هذه الألقاب :

المقام : كان من الألقاب الخاصة بالملوك والسلاطين ، وكان يستعمل فى المكاتبات السلطانية للكناية عن السلطان تعظيما له عن التفوه باسمه . فيقال المقام الأشرف أو المقام الشريف العالى أو المقام العالى ، وكان لفظ العالى فقط من الألقاب التى يشترك فيها أيضاً أرباب السيوف والأقلام .

المولوى : النسبة للمبالغة من كلمة مولى ، ويبدو أنه كان من الألقاب المتجنبة لأن لفظ المولى من المشترك اللفظى يقع على السيد ، وعلى المملوك وعلى العتيق .

السلطانى : فهو لقب السلطان وقد أدخلت عليه ياء النسب للمبالغة ، ومثله **الملكى** ، وقد كان لقب الملكى : من الألقاب المشتركة بين الملك وأتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن فى معناهم .

العزيز : لقب العزيز من ألقاب ديوان الخلافة خاصة فيقال الديوان العزيز ، وقد جرى المصطلح على عدم إضافة ياء النسب إلى هذا اللفظ(٢) .

الإمامى : هذا اللقب من ألقاب الخلفاء أنفسهم ، وكان يقع أيضاً فى ألقاب أكابر العلماء ، وقد تضاف إليه ياء النسب أحياناً للمبالغة(٣) .

ومن أمثلة الاستعمالات اللغوية لهذه الألقاب ما كتبه ابن واصل فى مقدمته لمصنفه :

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ١٣٠ وما بعدها .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٢٠ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٩ .

« وخدمت به خزانة الجناب الكريم المولوى الأميرى الكبيرى العضدى النصيرى الاسفهسلارى العالمى العادلى المظفرى المؤيدى ، ملك الأمراء ، مقدم الجيوش مبارز الدين ، سيد الغزاة والمجاهدين ، الملكى المنصورى ، أعز الله أنصاره »(١) .

ونموذج ثان للاستعمال ، جاء فى السلوك : « ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى شرفه الله وأعلاه ذكره الديوان العزيز النبوى الإمامى المستنصرى أعز الله سلطانه »(٢).

* * *

قرافة : « وقد مات الملك العادل بدر الدين سلامش وصبروه ، فدفن بقرافة مصر »(٣) .

القرافة : خطة من خطط الفسطاط الأولى كانت لبنى غصن بن يوسف ابن وائل من المعافر — وقرافة بطن من المعافر نزلوها عند الفتح فسميت بهم — قال ياقوت : « وهى اليوم مقبرة أهل مصر وبها أبنية جليلة ومحال واسعة وسوق قائمة ، ومشاهد للصالحين ، وترب(٤) الأكابر مثل ابن طولون والماذرائى وبها قبر الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى فى مدرسة للفقهاء الشافعية »(٤) .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١ ، ٢ .
وانظر د. الشيال ، ص ١ ، ٢ أيضا .
(٢) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٥٣ / ٤٥٤ .
وانظر د. زيادة ، ص ٤٥٣ — ٤٥٤ .
(٣) السلوك ، ص ٨٢٧ .
انحدرت مع اللهجة المصرية من ذلك العصر كلمة « صبروه » بمعنى « حنطوه » ومازلنا نستعملها حتى اليوم .
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٦٢ . واقرأ د. جمال الدين الشيال .

نموذج آخر للاستعمال : « وكان أسد الدين قد توجه لزيارة قبر الشافعى رحمة الله عليه بالقرافة »(١) .

وما زالت دلالة « القرافة » فى اللهجة المصرية حتى اليوم تعنى (القبر).

---

(١) انحدرت كلمة « تربة » مع اللهجة المصرية من ذلك العصر وما زلنا حتى اليوم نستعملها بمعنى « قبر » وتجمع على « ترب » .

الباب الرابع

دراسة

الخواص الصرفية والنحوية

الفصل الأول

فى الدراسات الصرفية لعربية الحروب الصليبية

نجحت اللغة العربية فى مجابهة ذلك الصراع اللغوى ، ونجت بخصائصها التركيبية ، وخرجت من التجربة لم يمسسها سوء ، وإنما تسرب إليها كثير من الدخيل على نحو ما رأينا فيما مر . بعضه خضع لبنية العربية واستجاب لقوليتها وبعضه استعصى عليها . غير أن هذا وذاك تفاعل مع خواصها التركيبية صرفياً ونحوياً على نحو ما تكشف عنه دراسات هذين الفصلين .. واتخذ ذلك ظواهر لغوية صرفية منها :

الظاهرة الأولى :

ظاهرة إنسال الصيغ التى يتطلبها الاستعمال اللغوى :

واتبعت فى ذلك طريقتين :

(أ) طريقة التحول الداخلى .

(ب) طريقة الإلصاق .

« فتبادل الحركات واللواصق نوعان متساويان من دوال النسبة »(١)

(أ) طريق التحول الداخلى :

واتبعت فى ذلك عملية التحول الداخلى بتغيير المصوتات التى تستخرج بها جميع الصور الممكنة(٢) التى يتطلبها الاستعمال اللغوى ، ومما يقرره عالم

---

(١) فندريس : اللغة ، ص ١٠٩ .
ومصطلح دال النسبة عند فندريس معناه المستنبر الصرفى .

(٢) اقرأ فى ذلك : د. عبد الصبور شاهين ، فى التطور اللغوى ، ص ٣٢-٣٣

لغوى فى هذا الصدد أن « اللغة العربية تتقدم على أخواتها بالقدرة على استغلال الجذور الثلاثية فى توليد صيغ جديدة ، بل إن ذلك من عبقريتها التى تكاد تنفرد بها(١) ويعد التبادل الصوتى –أو التحول الداخلى من العناصر الصرفية ذات الأهمية البارزة فى الدرس اللغوى الحديث (٢) ومما يراه فندريس فى هذا الصدد أن : « التبادل الصوتى عنصر صرفى ضرورى فى أقدم اللغات الهندية الأوروبية كالإغريقية والسنسكريتية ، ويمكننا أن نقول بأن القيمة الصرفية لكل كلمة فى الهندية الأوروبية كانت محددة تحديداً تاماً أو ما يقرب من التام بجرس حركة الأصل ، وكذلك الحال فى السامية ، كما تعطينا عنها العربية هذه الفكرة حتى يومنا هذا : حمار جمعها حمير وهذا على درجة من الحياة فى العربية جعلتها تطبقه على كلمات مستعارة منذ تاريخ حديث من الأسبانية أو الفرنسية : رسيبو « Resibo » (إيصال) والجمع رواسيب . « بابور » والجمع « بوابير » ، و« شمبيت » (حارس زيفى) والجمع « شوَمبيت » ... إلخ (٣) .

وإن اختلاف الصيغة النحوية يجعلها « تحمل فى نفسها علامة استعمالها والتعبير عن قيمتها الصرفية ، فهى على درجة من الامتلاء لا تحتاج معها إلى مزيد(٤) . أو هو يزيد فى دقة استعمالها ويوضحها : « فكلمة حصان لا يمكن أن تُعرف ما لم نعلم أنها فى بعض الأحوال تأخذ الصيغة أحصنة ، وكلمة جميل كذلك ما لم نعرف الصيغ جميلة وجميلان وجميلون وجميلات وكلمة « راح » ما لم نلاحظ التغييرات التى تطرأ عليها فى قولنا : يروح ورُح ... إلخ ، وكذلك الأمر فى اللغة اللاتينية فليست هناك كلمة « Pater »

---

(١) اقرأ فى ذلك : د. عبد الصبور شاهين ، فى التطور اللغوى ، ص ٣٤ .

(٢) أنظر فى ذلك : فندريس ، من ص ١٠٥ — ١١٠ ترجمة د. الدواخلى .

وانظر : أنطوان مييه من ص ٤٣٦ — ٤٣٩ ترجمة د. مندور .

وهنرى فليش : العربية الفصحى من ص ١٢٩ — ١٦٠ د. عبد الصبور شاهين .

(٣) فندريس : اللغة ، ص ١٠٨ .

(٤) السابق ، ص ١٢٤ .

أب ، وكلمة « Fater » حدّاد . وإنما هنالك من ناحية المجموعة « Patre » و« Patris » و « Pater » ... إلخ (الأبُ ، الأب ... إلخ) ، ومن الناحية الأخرى : « fabri، fabra، fabre » ... الخ (حدادٌ ، حدادٍ .. إلخ)(١) وعلى هذا الأساس جعلت العربية كل كلمة دخيلة فيها تمثل مجموعة قائمة تستمد منها ما تحتاجه فى تراكيبها — مثال ذلك من الاستعمال اللغوى : « فقامت الخواتين مع أرغون وسألن الملك تكدار أحمد فى الإفراج عنه وتوليته خراسان »(٢) ، وكلمة « خواتين » جمع كلمة « خاتون » الدخيلة . فالعربية جعلت كلمة « خاتون » تتفاعل مع خواصها التركيبية صرفياً ونحوياً . فجمعتها على « خواتين » مثل ما تصنع مع غيرها مما هو على شاكلتها (فاعول — فواعيل ، شاكوش ، شواكيش) ذلك مع الفارق . بالإضافة إلى أنه ترتب على هذا الجمع على مستوى التركيب إلحاق تاء التأنيث بالفعل (قام) ونون النسوة بالفعل (سألن) .

ونبدى هنا ملاحظة مؤداها أن عربية ذلك العصر كانت تؤثر فى استعمالها اللغوى هذه الصيغة من الجموع فى حالات ليست قليلة فى الدخيل والقياس الإبداعى على السواء ومن أمثلة القياس الإبداعى : سمّت آلة للتعذيب «معصرة» وجمعتها على « معاصير » .

وسمّت الأمر الذى يصدر من الجهة المختصة لعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة « ترسيم » وجمعه على « تراسيم » والأمر الذى يصدر بإقطاع « مشور » وجمعه على « مناشير » .

جاء فى الاستعمال اللغوى : « وعصره بالمعاصير بين يديه حتى حمل ما طلبه منه .. وباعوا موجودهم حتى أعطوه فى التراسيم »(٣) .

---

(١) انطوان ميه : علم اللسان ، ص ٤٣٦ .

(٢) السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٧١٤ .

والخاتون لقب (امرأة شريفة الأصل أو عالية المقام) من أصل تركى « ghatoun » .
أنظر : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٧٢ .

(٣) السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٧٤٠ .

«وشرع فى تجهيز جيش نجدة لصاحب الروم وأمر بكتابة المناشير»(١) .

ومثال آخر : «رساتيق جمع رستاق — دخيل من الفارسية» .

«فغار الخوارزمية على رساتيق الموصل»(٢) .

للاطلاع على مزيد من الأمثلة فى هذا الصدد يمكن النظر فى النماذج السابقة من بداية النموذج (١) فى الفصل الثانى : بركوس وبراكيس، وقراءة النماذج على امتداد الفصلين السابقين معاً . كما يمكن النظر إلى الجدول الآتى : وهو جدول لأنواع مختلفة من المفرد ونوع معين من الجمع .

وبقليل من التدبر يلاحظ أن معظم هذه الجموع مازال مستعملا حتى الآن فى اللهجة المصرية مما يؤكد أثر اللهجة المصرية على عربية ذلك العصر من ناحية ، وأن كثيراً من خصائص اللهجة المصرية المعاصرة له جذوره الممتدة حتى هذا التاريخ .

---

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٦٩ — ٤٧٠ .

(٢) السابق ، ص ٣١٠ .

هذا الجدول نموذج لأمثلة وليس حصراً لكل الأنواع

المفرد	الجمع	نموذج الاستعمال	الدلالة
ميسور	مياسر	« أموال التجار ومياسير الناس »(١) .	أى القادرين (فى عامية مصر الآن ميسور ومياسير)
مستور	مساتير	«أخذ من المساتير بالقاهرة»	المستورة الفقير التقى المنزوى عن الناس أو الغنى العفيف يفعل الخير سراً .
تشهيرة	تشاهير	«ولبسوا خيولهم التشاهير (٢)»	أشرطة توضع حول صدر الحصان .
المكوك	المكاكيك	«المكوك القمح بحلب بمائة درهم » .	مكيال للحبوب .
كنبوش	كنابيش	« وعليه كنبوش أسود »	البردعة تجعل تحت السرج
الطراحة	طراريح	«بغير كرسى ولا طراحة ولا مسند » .	مرتبة يفترشها السلطان إذا جلس .
حراقة	حراريق	« أمر بتجهيز زردخاناه وشوانى وحراريق إلى بحر القلزم » .	سفن تحمل أسلحة نارية .
أكديش	أكاديش	«وعدد من أكاديش التتار»	الخليط أبوه من جنس ، وامه من آخر .
دستور	دساتير	«فلم يخرج السلطان وأعطاهم دستوراً فتوجهوا إلى خيامهم » .	الدستور هو الإذن والمعنى أن السلطان أذن لهم بالتغيب عن مجلسه .

(١) السلوك ، ص ٨٩٨ .

(٢) السابق ، ص ٥١٨ .

المفرد	الجمع	نموذج الاستعمال	الدلالة
مملوك	مماليك	« التحدث مع المماليك السلطانية » .	الدلالة واضحة .
ديوان	دواوين	« أحضر المشدين والنواب والدواوين » .	يطلق على موظفى الدواوين الحكومية من باب إطلاق اسم المكان على القائم بأعماله .
أيوان	أواوين	«فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات(١)».	
محبوس	محابيس	« حتى أخرج من كان فيه من المحابيس ونقلهم إلى الأبراج وردمه »(٢) .	مسجونون .
خمارة	خمامير وخمارات	«فأمر بإدارة الخمارة»(٣) (قبجق) .	
فرمان	فرامين فرامنة فرامانات(٤)	« فصاد من التتار معهم فرمان له »(٥) .	مايصدره السلطان أو الملك من الكتب للولاة والوكلاء يعلن فيه تنصيبهم وأمور يتهم
منجوس	مناجيس	«البحرية قوم مناجيس(٦)»	ما زالت فى عامية مصر حتى اليوم .

(١) السلوك ، ص ٩٩٩ .

(٢) المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

(٣) السلوك ، ص ٨٩٦ ، وانظر د. زيادة.

(٤) محيط المحيط ، ودوزى .

(٥) السلوك ، ص ٤٧١ .

(٦) السابق ، ص ٣٩٣ .

(٧) السلوك ، ص ٩٩٩ .

أمثلة لصيغ من الجموع أنسلتها عربية الحروب الصليبية

وما زال كثير منها مستعملا فى اللهجة المصرية فهو تأثير من عامية المصريين فى عربية الحروب الصليبية وأثر وانحدار من عربية ذلك العصر إلى اللهجة المصرية المعاصرة .

المفرد	الجمع	نموذج الاستعمال	الدلالة
مُدِير	مُدَرَا(١)	«للديوان أعوان يسمون المدرا»(١)	جمع مدير شأنهم أخذ القصص ونحوها وإدارتها عن كاتب السرّ فمن دونه . (١)
البَاقِى	البوَاقِى	«وسامح ما تأخر من البوَاقِى بأرضِ مصر والشام»(٢)	ما تأخر من ضرائب وأموال الخراج (٢) السنوات السابقة .
حَرْفُوش	(١) الحَرَافِشَه (٢) الحَرَافِيش	« وقد لقوا من عامة المسلمين والحرافشة نكاية »	الحرافشة أتباع المعسكرات الذين لا ينتمون لفرقة معينة أو لقائد خاص(٣)
مُسْلِمَانِى أسلمى	(١) مسالمة (٢) أو مُسْلمة (٣) أسالمة	«وهى من مسالمة القبط وممن يشار إليه فى معرفة صناعة الكتابة»(٤)	لفظ يطلق على كل من دخل فى الإسلام حديثا من النصارى وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى بالبلاد الإسلامية(٥) وإلى عهد قريب كان يستعمل فى ريف مصر .

(١) صبح الأعشى جـ١ ص ١٣٩ وعلق الناشر فى الهامش بقوله « كذا فى الأصل والقواعد لا تساعد » . « نلاحظ أن هذا الجمع ما زال مستعملا فى كثير من البلاد العربية »

(٢) السلوك ص ٧٥٩ . (٢) المواعظ والاعتبار جـ١ ص ٨٢ .

(٣) السلوك ٣٤٨ د. زيادة نفس الصفحة (٤) السلوك ٨٤٣ .

(٥) Dozy : Supp. Dict Aarb

سوكرى	سواكره	«ففارفه السواكرة وهم الأمراء» (١)	وهم الأمراء ومفردها أمير أى سوكرى
تُرْبَة	تُرَب	«ومشـاهد الصالحين وترب الأكابر» (٢)	قبر — وقبور
حساب	حسابات حسبانات	«وما وصل إليهم من المال ويسوقونه إلى قابض أو متأخر — وترفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حسباناتهم مُسَاوَمَة ومُشَاهَرة ومُسَانَاة» (٣)	ما يتحاسبون عليه من المال وصافى المعاملة يسمى حساب - حسبانات — حسابات —
مسخرة	مساخر	«وأكثر من تقديم الصبيان والمساخر وأهل اللهو» (٤)	وهو الشخص الذى تسخر الناس منه أو يعمل على إضحاكهم — وانتقلت دلالتها عندنا إلى معنويات
طَاقِيَّة	طواقى	«وصاروا يلبسون الطاقية على رءوسهم بغير عمامة (٥) «ونوعوا هذه الطواقى ما بين أخضر وأحمر وأزرق» (٦)	واضحة الدلالة فى اللهجة المصرية
حَبْس	حُبُوس	«ومات فى حُبُوسه ماينيف على خمسة آلاف نفس» (٧)	سجن
مَعْلوم جِرَاية	مَعَالِيم جِرَايَات	«وكان يجرى على أهل العلم والصلاح التعاليم والجرايات» (٨)	المعلوم والجراية بالدلالة المقصودة منها مازالت مستعملة فى مصر إلى الآن ودلالتها واضحة

(١) السلوك ٧٥٢ (٢) مفرج الكروب جـ١ ص ١٦٢ هامش الشيال .
(٣) السلوك ص ١٠٠٠ . (٤) السلوك ٢٩٤ .
(٥) المواعظ والاعتبار المقريزى جـ٢ ص ٩٩ .
(٦) السلوك ٣٤١ . (٧) السلوك ٣٤١ . (٨) السابق .

		نموذج الاستعمال	الملاحظة
الأمَايِر	جمع أمارة	«فأحضر هيثوم كتاب سنقر إلى السلطان بأماير»(١)	أماييِر جمعُ أماره يعني علامة في العامية المصرية — وأمارة تجمع على أمارات .
الأمْريَّات	جمع إمَارة	«أعطى مماليكه الأمريَّات»	
الدَّرَبَنْدات	الدَّرَبَند	«فإنهم ساروا إلى حصن دَيْر بَسَّاك ودخلوا الدَّرَبَنْدَ»	معنى الدربند الطرقات والمعابر الضيقة ويستعمل الآن قليلا فى أحياء مصر القديمة .
السُّكُور قُنى السكور مكان موقعة انتصر فيها المصريون على الصليبيين وأسر فيها لويس وهى اليوم تبع محافظة دمياط وتسمى «فارسكور»	سَكْر قناه	«وما فى الوطاة من أنهار ومياه وعُيُون وبساتين وطَواحين وقُنُى مياه جَارِيةٍ وَسُكُور لهم بها عادَة قديمة تسقى أراضيهم» (٢) .	كلمة قُنُى جمع قَنَاة ممر للمياه موجودة بالعامية المصرية أما السكور فلا تسمع الآن . وفى القاموس القناة الرمح وتجمع قنوات وقنا وقنيات . والقنية بالكسر والضم ما اكتسب والجمع قُنى .
كُزَّازات	كُزَّاز	«فأحضر إليه الأيدمرى كُزَّازًا شرب منه»(٤)	الكُزَّاز معناه القارورة أو كوز ضيق والجمع كز ازات(٥) ويستعمل الكزاز لحفظ الماء صالحاً للشرب . وأصلُ اللَّفظ من لهجة العراق وقد انتقلت إلى آسبانيا حيث يقال Alcarraza(٦)

(١) السلوك ص ٥٩٩ . وانظر د . زيادة نفس الصفحة والسلوك ص ٣٤٠

(٢) السلوك ٩٨٩   (٣) القاموس المحيط ٣٨٠/٣٨١

(٤) السلوك ص ٥٧٧ أنظر د. زيادة نفس الصفحة   (٥) محيط المحيط

(٦) انظر دوزى Dozy, Supp. dict Arab

الخوارزمية	الخوارزى		جمع خوارزمى خوارزميون
الحاووشية جاويش	الحاووش جاويشية		فى اللهجة المصرية يجمع شاويش على شاويشية
جرائحية	جرائحى	«وجرائحية وحُكَماء»(١)	يستعمل الآن جراح= والمقصود بالجراحى الطبيب الذى يعالج الجراح(٢)
صَوَالِق	صَوْلَقى	«والله ما معى غير فروج واحد فى صولقى»(٣)	
الاستعْمَالات		«فوجد الوزير أن نواب بَيْشْدَرا قد استولوا على المتاجر والاستعمالات»(٤)	ترجمها كاترمر (٥) Fabriques أى الأقمشة ولا وجود لها فى القاموس ولا فى لهجة مصر الآن

(١) السلوك ٤٨٥
(٢) محيط المحيط
(٣) السلوك ص ٧٨٩
(٤) السلوك ص ٧٨٨
(٥) كاترمر Quatremère ; op . cit II. 1 P 151

المفرد	الجمع	نموذج الاستعمال	الدلالة – والملاحظة
دار	أدُر	« فبينت بها الأدر السلطانية والطارمة والقبة الزرقاء»(١)	دلالة الدار معروفة (جمع قلة)
قاع	قيعَاع	«وغير ذلك من القيعَاع والمغَازل»(٢)	جمع قاعة«قاعة البربرية برسم السرارى من القياع » (٢)
الترابى	الترابى	لتقريبه الشباب والترابى(٣)	الأطفال من أسرى الحروب
خُرْج	خرجة وأخْراج(٤) وخراج	«كان مبلغ ثمانين خُرْجاً»	كيس من الجلد أو الشعر ذو عدلين يوضع على ظهر الدابة (٤)
راتب	الرواتب	«ورواتب الأمراء والمماليك السلطانية وسائر الجند والمتعممين» (٥)	ما يستحقونه من أجر ومعاش ودلالتها واضحة فى عربية مصر المعاصرة
المعزل	المعازل	«وكان بها غير ذلك من القياع والمعازل والأماكن المتسعة مما يطول شرحه»(٦)	مكان العزل ؛ تستعمل فى عربية مصر الآن مكانها كلمة (عزل) وقد تجمع (عزل) على معازل فى لهجة مصر أيضا

(١) السلوك جـ١ قسم ٣ ص ٧٧٥ (٢) السلوك ص ٣٩٠ ود. زيادة نفس الصفحة

(٣) السابق ص ٢٧٥ (٤) محيط المحيط

(٥) صبح الأعشى جـ٤ ص ١٢

(٦) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ٢٧

أستاذ	أستاذون	«يدفع بهم إلى الأستاذين فبربوهم» (١)	الشائع الآن جمع أستاذ على أستاتذة
فدائى فداوى	فداويون فداويان	«فَسَيَّرُوا فِداويَّيْنِ قتلاه على باب الجامع»	المستعمل الآن فقط فدائى وفدائيون . وقواعد الفصحى تجيز استعمالهم
سكة شبحة	السكك الشبح	«وضرب عليها بعساكره وللوقت ألقى الناس أنفسهم فى خندقها وأخذوا السكك الحديد التى برسم الخيول مع المقاود والشبح وتعلقوا فيها من كل جانب» (٤)	السكك جمع سكه وهى الوتد الذى يربط به مقود الحصان (٢) . الشبح جمع شبحة وهى السلسلة التى يربط بها قدم الحصان فى أحد طرفيها عروة تزرر فى القدم وفى طرفها الآخر عروة تدق فى الأرض (٣)
جناية	جنايات	«وقرر عليهم أموالا سماها جنايات وألزمهم بحملها إلى بيت المال» (٥)	الجنايات جمع جناية ومعناها فى الاصطلاح التاريخى ما يفرضه السلطان من الضرائب والغرامات التأديبية على رعيته (٦) تطورت دلالتها الآن وتطلق على نوع من الجرائم

(١) المواعظ والاعتبار ج٢ ص ١٩٤ وحاشية السلوك ص ٢٧٥ .

(٢) محيط المحيط ودوزى . (٣) محيط المحيط ودوزى .

(٤) السلوك ص ٥٦٢ . (٥) السابق ص ٤٨٧ .

(٦) كاترمر مجلد ١ ج١ ص ١٩٩ رقم ٧٩ Quatremere : op. cit. 1.1 p 199 ودوزى . Dozy: Supp Dict. Arab.

العاثُور	المَعاثر	« فاذا الفرنج قد حفروا خندقا حول تل الفضول وجعلوا معاثر فى الطريق ووقفوا صفوفا على التل » (٢)	وهو ما يعد فى الأرض من حفرة ونحوها ليقع فيه أحد . وتأتى أيضا بمعنى المهلكة من الأرض وبمعنى البئر (١)
الطَّراحة طَرْحة	الطَّراريح طَرْحات	« وجلس السلطان متأدبا معه بغير كرسى ولا طرّاحة ولا مسند »	الطراحة مرتبة تُطرح ويجلس عليها السلطان الطَّرْحَة نوعٌ من اللباس يَلْبسها القُضَاة وخَاصةً الشّافعية تَستُر عِمامَةَ القاضى وتَنْسَدِلُ على ظَهْرِه (٣)
فَرْش نَطْع مخدة اللِّحاف المِلاَية	فُرُش أنطاع مَخاد مخدّات لحف ألْحِفة المِلاَوَات	وعُمِلَت التخْتُوت والفُرُشُ والطَّراريح والأنْطَاع والمِلاوَات لكل مريض فَرْشٌ كاملٌ (٤)	كلمة فرش مازالت مستعملة بكثرة فى عامية مصر بينما اختفت كلمة نطع وانطع وجمعها أنطاع من ميدان هذا الاستعمال ولعل ذلك يرجع لاختلاطها بدلالة غير مستحبة — كما بقى استعمال كلمة اللحاف وتجمع على ألحفة لا لُحُف وكذلك كلمة ملاية وتجمع على ملايات فى اللهجة المصرية الحاضرة لا ملاوات كما كان

(١) محيط المحيط (٢) السلوك ص ٤٤٨–٤٤٩

(٣) القلقشندى جـ٤ ص ٤١–٤٢ (٤) السلوك ص ٩٩٩

(ألْواح) نقول الآن الواحة	الواحَات	«واستقر فى جملة الأمراء المقدمين إلى جهة ألواح»(١)	المستعمل الآن فى المصرية المعاصرة الواحةوالواحات — أما كلمة ألواح فقط فغير مستعملة
الضامن	ضُمَّن ضُمَّناء ضُمَّان	«صرت أنت تأمر وتنهى يا ناصر الدين ولو طلعت رأسك إلى السماء كنت عندى ضامنا كسائر الضُمَّان»(٢)	دلالة الضامن فى اللهجة المصرية المعاصرة تطورت نحو التسامى ولم تعد تقبل معنى الاستخفاف
زوّادة	أزْوِدَة	«وجُهِّزت الشوّانى بالعُدَد والسلاح والنفطيّة والأزْوِدَة»(٣)	كلمة زواده فى المصرية المعاصره مستعملة بكثرة وتجمع على زوادات وزواويد واختفت صورة جمع أزودة فى المصرية المعاصرة
نفر نفران	أنفار	«على اختلاف أجناسهم وأنفارهم»(٤)	نفران المُثَنَّى = قدم رسول بهديه ومعه نفران من البحرية(٥)
ريف	أرياف	«كان بمصر وأريافها وباء هلك فيه خلق كثير»(٦)	ونلاحظ أن كلمة نفر وريف بقائمة كل منهما مستعملة فى اللغة المصرية المعاصرة بنفس الدلالة بكثرة

(١) السلوك ص ٢٢٠ (٢) المصدر السابق ص ٩٥٣

(٣) المواعظ والاعتبار ص ١٩٥ ج٢ والسلوك ص ٣٠٦

(٤) السلوك ص ٩٨٨ (٥) السلوك ٤٦٩

(٦) السابق ص ٦١٢

أما الطريقة الثانية وهى :

(ب) الاستفادة من عملية الإلصاق :

تلك التى تعتمد على مجموعة من اللواحق والسوابق والدواخل تلصق بالجذر لتمنحه مزيداً من الخصوبة والقدرة على إنسال الصيغ(١) .

ويربط فندريس بين الطريقتين بقوله : « ويشير المصطلح (إعراب داخلى) بوضوح إلى أن تبادل الحركة يلعب نفس الدور الذى يعلبه العنصر الإعرابى الذى يمكن أن يضاف للكلمة ، والواقع أن علامة الجمع فى الأسماء تكون فى الإنجليزية والغالية على وجه العموم بإضافة لاصقة خاصة :

فى الإنجليزية « boot » حذاء ، وجمعها « boots » ، « Loss » خسارة ، وجمعها « Losses » .

وفى الغالية « Penn » رأس ، وجمعها « Pennou » و « coad » خشب ، والجمع « Coadydd » ... إلخ.

وفى العربية تجمع الكلمات المؤنثة كلها باضافة زائدة كذلك » وينتهى فى ذلك إلى أن « تبادل الحركات واللواحق نوعان متساويان من دوال النسبة »(٢) .

وللعربية فى هذا المجال مع الدخيل والمقيس الإبداعى دور متعدد الأبعاد : ومن أمثلته اقتبست « جشار » وهو مكان رعى الماشية من خيل وغيرها والاسم المقتبس ليس فيه علامة تأنيث ــ وما يدل عليه مكان وهو فى العربية مذكر ولكنا نجدها فى بعض الاستعمالات جمعته جمع مؤنث فقد جاء فى بعض استعمالات العربية : « وهجم على جشارهم فأخذ منهم من الخيل أربعمائة ومائة من البقر »(٣) .

وفى استعمال آخر نجد العربية جمعته على « جشارات » ، جاء : ــ « واستدعى من الجشارات بخمسمائة فرس »(٤) .

---

(١) أنظر : د. عبد الصبور شاهين : فى التطور اللغوى ، ص ٣٤ .

(٢) فندريس : اللغة ، ص ١٠٩ ومصطلح دال النسبة عند فندريس معناه الوحدة الصرفية .

(٣) اقرأ هذا الاستعمال فى دوزى .

(٤) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٩٠ .

وهكذا جعلت هذه الكلمة الدخيلة تمثل مجموعة قائمة تستمد منها ما تحتاجه في تراكيبها :

فأطلقت كلمة « الحشار » على الماشية ترعى ليلا ولا ترجع إلى مزاربها(١) ونسب إليها ليشتق منها اسم القائم على أمرها فقالوا « الحشارى » ، وجمع على « الحشارية » .

ومن نماذج استعمالهم قال أسامة : « قام الحشارية مدوا له الحبل وقبضوه كما يقبض الوحش »(٢) .

وكان لهذه الصيغة أثرها على مستوى التركيب فجاءت المطابقة (الحشارية مدوا ... وقبضوه ...) .

مثال ثان « سراكوج » وهى دخيلة = قلنسوة ، تترية وتجمع سراكوجات

ومثال آخر « داما » وهى دخيلة من الفرنسية « Dame » وجمعت على « دامات » .

والأمثلة على امتداد الفصلين السابقين من بداية النموذج الأول :

بطسه	بطس	وبطسات
وبارجة	بوارج	بارجات

ويلاحظ الدارس أن لاختيار شكل القالب الذى تصب فيه الصيغة الدخيلة أثره الصرفى المميز فى فصائل الجنس والعدد وما إليها من العلامات الشكلية التى يتطلبها « مظاهر التوافق السياقى »(٣) .

فقد ترتب على اختيار شكل القالب أن نحدد نوع الكلمة من حيث التذكير والتأنيث وترتب عليه صيغ الجمع ما بين جمع سالم أو تكسير وجموع كثرة أو قلة ، وقابليته لأداة التعريف أو عدم قابليته لها .

ومن الأمثلة على ذلك : استخدمت العربية كلمة « باشورة » واختارت لها هذا القالب وأصلها فى الفرنسية « Bastion » ومعناها الحائط الظاهرى من الحصن يختفى وراءه الجند عند القتال(٤) .

(١) الاعتبار ، ص ٢١٥ . د. فيليب حتى .

(٢) الاعتبار ، ص ٢١٥ .

(٣) اقرأ حول هذا المصطلح مناهج البحث فى اللغة من ص ٢١٥ .

(٤) اقرأ أمثلة من استعمالات هذه الكلمة فى مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧١ .
وانظر : د. جمال الدين الشيال .

وصبُّ الكلمة فى هذا القالب جعلها تأخذ صيغة التأنيث بوجود التاء فى نهايتها علماً بأنها لا وجود لها فى الأصل المعرّب . ولا وجود لها فى الكلمة العربية التى تحمل دلالتها (الحائط) أو (الساتر) .

وترتب على اختيار هذا القالب صور جمع متعددة :

بواشير ، وباشورات (أخضعتها لبنيتها وطبقت عليها ما تصنعه مع شبيهاتها)

قارورة ، قوارير ، قارورات .

باكورة ، بواكير ، باكورات .

جاء : « فلكوا الباشورة(١) — باشورة الحصن »(٢) .

ومثل باشورة جاءت صيغة « صابورة » وهى ما يوضع من الثقل فى قعر السفينة لئلا يميل أحد جانبيها ، وأصلها من الإيطالية « Zavorra » وأخذتها التركية « Sabourra »(٣) غير أن هذه قد يكون فى نطقها ما يوحى بتأنيثها فوجود الألف المقصورة ساعد على تأنيثها — وتحولت الألف المقصورة إلى تاء تأنيث .

وكما كان اختيار الصيغة من عوامل التطور الأصواتى والدلالى ، وجدناه هنا أيضاً من عوامل الخلط وتعدد أشكال الجموع والمثل على ذلك :

«سُرْبة» وهى الفرقة من الخيالة. عرفوها وجمعوها على سرابات وسُرَب

وكلمة « أسطول » وهى معربة من اليونانية جعلوها تدل على المفرد والجمع معاً . تدل على السفن الحربية مجتمعة وتدل على السفينة الواحدة(٤) .

وشكل القالب هو الذى أعطى الإيحاء بالدلالة على المفرد والجمع معاً . كما أوحى بالدلالة على المذكر ، علماً بأن دلالة حقيقتها الأصلية تشير إلى المفردة المؤنثة وهى السفينة ، ولكن الاستعمال فى العربية أخضعها لبنيته وجعلها ضمن مجموعة قائمة خاصة بها يستمد منها ما يحتاجه فى تراكيبه .

---

(١) مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٨١ .

(٢) مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٨١ .

(٣) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٨٢ .

(٤) اقرأ أمثلة الاستعمال ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠١ (ط . الشيال) .

وانظر غرائب اللغة العربية : الأب رفائيل نخلة اليسوعى .

ونسب إليها فيقال للذى يعمل على الأسطول « أسطولى »(١) .

وعلى العموم فمن المسلم به فى هذا الميدان لدى اللغويين أن المعانى الصرفية تستفاد من الهيئات أو الصيغ أو الأوزان كما تستفاد من العناصر الالتصاقية إعرابية وبنائية ومن العلاقة العدمية أيضاً . أو « دوال النسبة الصفرية » فإن عدم وجود لاصقة يكفى فى مقابل اللواصق المتنوعة التى تتمتع بها الحالات الأخرى(٢)

ويُعَدُّ تحديد تلك المعانى الصرفية المعتمد على الشكل الخاص بالبنية جزءاً من وصف نظام أى لغة من اللغات (٣) وهو يندرج تحت ما يطلق عليه اسم القرائن اللفظية ، تلك المبانى المادية التى يهديها علم الصرف لخدمة النحو إذ أن النحو نظام من المعانى والعلاقات التى لا تجد تعبيراً شكلياً عنها إلا فيما يقدمه الصرف لها من المبانى والقرائن اللفظية(٤) . فإن « السياق كالطريق لابد له من معالم توضحه ولا شك أن مبانى التقسيم وما يبدو منه من لواصق مختلفة تقدم قرائن مفيدة جداً فى توضيح منحنيات هذا الطريق ، ولكن السياق حتى مع وضوح الصيغ واللواصق يظل بحاجة إلى الكثير من القرائن الأخرى التى تتضح بها العلاقات العضوية فى السياق بين الكلمات .

فمن هذه المبانى ما تتضح به الأبواب من حركات إعرابية أو رتبة أو مطابقة فى مبنى تصريفى ما ، أو ربط بصورة من الصور التى تترابط بها الكلمات ، أو همز أو تضعيف يفيد معنى التعدية ، أو غير ذلك من المبانى المعبرة عن العلاقات(٥) .

وإلى مثل هذا يشير فندريس بقوله : هناك فصيلة من دوال النسبة تتكون من طبيعة العناصر الصوتية الدالة عن الماهية أو من ترتيبها . ونجد فى تبادل الحركات فى اللغات الهندية الأوروبية أو فى العامية خير الأمثلة لتوضيح هذه الفصيلة(٦) .

---

(١) السابق .
وانظر د. الشيال ، (نفس الصفحة) .
وانظر كتاب غرائب اللغة العربية للأب رفائيل نخلة اليسوعى .

(٢) اقرأ : فندريس من ص ١٠٥ إلى ص ١١١ .
وانظر دوال النسبة الصفرية ص ١١٠ ومعناها عنده .

(٣) أنظر علم اللغة مقدمة ، د. السعران ، ص ٢١٥ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، ص ١٣٥ .

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، ص ١٣٤ .

(٦) اللغة ، فندريس ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

الظاهرة الثانية

استعمال كلمات ذوات لواحق دخيلة في عربية الحروب الصليبية

يجد الباحث أن عربية الحروب الصليبية تستخدم بصورة ملحوظة الكلمات ذوات اللواحق الدخيلة من اللغات المتصارعة معها .

ومن يتمعن يجد أن ذلك حقق أهدافاً لغوية متعددة ؛ وسار وفق قواعد مرسومة .

واللواحق بكل أنواعها من مادة الصرف – فهي تحقق قيماً نحوية على مستوى التركيب . ومن المعلوم لدى اللغويين أن اللغة العربية تختلف عن اللغات المتصارعة معها في استخدامها للواحق وهي على نحو ما مر تستفيد من طريقة التحول الداخلي ومن طريقة الإلصاق معاً وعن طريقهما يتم إنسال كل الصيغ التي تتطلبها اللغة فتعمل طريقة التحول الداخلي على تغيير المصوتات(الحركات) من أجل استخراج جميع الصور الممكنة دون أن يتغير أي صامت من صوامت الجذور الثلاثة (فعل) لا في طبيعته ولا في موقعه وإن كان من المحتمل أن تزداد كميته بالتضعيف كما في صيغة المضعف الثلاثي (فَعَّلَ) كما تعمل طريقة الإلصاق التي تعتمد على مجموعة من اللواحق والسوابق والدواخل تلصق بالجذر لتمنحه مزيداً من الخصوبة والقدرة على إنسال صيغ ، وبالطريقتين معاً يمكن الحصول على صيغ الزوائد مثل :- افتعل ، انفعل ، استفعل ، تفاعل ، مفعل ، مفعول ، مستفعل ... إلخ(١) .

فالعربية في هذا على سبيل المثال تختلف عن التركية ، فالتركية مثلا : « مؤلفة من أصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقاً ؛ وإنما يتم الاشتقاق منها بإلحاق أدوات لا معنى لها في نفسها على آخر تلك الأصول »(٢) .

واللغات الهندية الأوروبية تعتمد على ما يسمى « Radical » ي

(١) اقرأ : في التطور اللغوي ، د. عبد الصبور شاهين ، ص ٣٤ (بتصرف) .

(٢) د. عبد الصبور شاهين ، في التطور اللغوي ، ص ٩٢ .

الثابت وهو عبارة عن مجموعة من الأصوات خليط من الصوامت ومن المصوتات تعتبر كتلة صماء لا يقتحمها غالباً أى تغير أو تحويل ، ويجرى إستخراج الصيغ المختلفة من هذا الثابت بواسطة السوابق واللواحق الدالة على معانى الصيغ (١) .

كما أن العناصر الصرفية فى اللغة العربية ذات وظائف دقيقة على مستوى التراكيب (نحوياً وصرفياً) وعلى مستوى الدلالة (٢) معاً . بينما هى فى التركية مثلا مخلخلة على حد تعبير فندريس(٣) .

وخلاصة القول أن العربية تختلف عن غيرها من اللغات الداخلة معها فى الصراع فى طريقة إنسالها وفى لواحقها ، وهى ليست فى حاجة لتعريب اللواحق التى توجد فى اللغات الداخلة معها فى الصراع ، ومع ذلك يجد الباحث أمامه ظاهرة اللواحق المتعددة الأشكال التى انتقلت إلى العربية فى تلك الأثناء .

ويجد لواحق تؤدى فى العربية وظائفها فى نطاق الكلمات المعربة بها .
ويجد بعض اللواحق التى أصابها تطور صوتى .
ويجد منها ما أصبح يمثل جزءاً من بنية الكلمة .
ويجد لواحق دخلت على لواحق .
ويجد أن منها ما قد أثر على العلامات الشكلية التى تُحَدِّد جهات الإسناد .

ومن اللواحق التى أصبحت تمثل جزءاً من بنية الكلمة وتنوسى كونها لاحقة . اللاحقة « جه » « Tcheh » وهى لاحقة تدل على التصغير .

ومن أمثلة كلماتها الدخيلة :-

نَمْجَة : تصغير سيف. عربت من الفارسية وأطلقت على خنجر مقوس

---

(١) السابق ، ص ٣٤ ، واقرأ ص ٤٧ .
التمييز بين " Radical " الأصل وبين " Racine " الأرومة ، اقرأ اللغة لفندريس من ص ١١٤ وما بعدها .

(٢) أوضح ما يكون ذلك فى منهج عبد القاهر . أنظر عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، مخطوط بمكتبة دار العلوم ومكتبة جامعة القاهرة (د. البدراوى زهران) .

(٣) أنظر : اللغة لفندريس ؛ واقرأ من ص ١١٩ — ١٢٠ .

يشبه السيف الصغير (١) « سُيَيْف » .

والعربية أدخلت الكلمة مجتمعة دون تفصيل ، ولهذا أصابها تطور أصواتى ودخل على اللاحقة أصوات أخرى فقيل (نَمْجانَ ونَدشان) وتُصَغَّر فيقال (نُمَيْجة ، ونُمَيْجان (وتتفاعل مع بقية مجموعة القائمة بها الخاصة بالاستعمال اللغوى العرفى .

ومَثَلُها فى ذلك مَثَلُ كلمة :

ديباجة : مصغر « ديبا »(٢) .

فقد اعتبرت أصلا وقيل « ديباج » وأطلقت على أكثر من دلالة : أطلقت على الحرير الديباج .

وأطلقت على مقدمة الكتاب (الديباجة) .

واشتق منها فقيل « دبَّجَه » ، وقيل « مُدَبَّج » و « تدبيج » .

وجمعت على ديباجات . وقيل « ديباجتان » .. وهكذا إلى آخر بقية المجموعة القائمة الخاصة بها فى الاستعمال اللغوى العرفى . وهكذا تنوسيت اللاحقة الدخيلة وعوملت معاملة الأصل .

وسوف نجد هذا القانون يطبق فى حالات أخرى أكثر خطراً من هذا حيث يستفاد باللاحقة فى أداء الوظيفة الصرفية من ناحية ، وفى اعتبارها أصلا من ناحية ثانية .

وعلى نحو ما عوملت اللاحقة « جه » فى الكلمات الدخيلة معها إلى العربية عوملت اللاحقة « كان » وهى لاحقة فى الفارسية تدل على شىء من المميزات (٣)

ومن أمثلتها « بنكان » وصارت « فنجان » وتطورت إلى « فنجال » واشتق منها فقيل « مفنجل » ، وتفنجل ، وعيون مفنجلة ، وفناجيل ، وفنجالان .. وهكذا صارت اللاحقة أصلا .

ومن اللواحق الفارسية التى دخلت مع كلماتها وتوجد أحياناً كثيرة فى

---

(١) من أمثلة استعمالاتها اقرأ : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٢) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٢٩ .

(٣) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : السابق ، ص ٢١٤ .

الاستعمال العربى بالإضافة لهاتين اللاحقتين أنواع أخرى تتبع الأب رفائيل نخلة عدة لواحق وجمعها منها :

« بان » أو « وان » تدل على الحفظ أو الحراسة .

« دار » أو « ور » تدل على صاحب شيء .

« دان » تدل على الاحتواء .

« ستان » تدل على مكان شيء .

و« الهاء » تضاف أحياناً فى آخر الكلمات المركبة من لفظتين .

و« كسرة » تكون فى آخر الكلمات العربية (علامة المضاف فى الفارسية كسرة ينتهى بها)(١) .

أما اللاحقة « خانة » فهى بمعنى البيت ، ودخلت إلى العربية من التركية والفارسية كلمات كثيرة مختلفة بتلك اللاحقة منها :

« **الزردخاناه** » و« السلاح خاناه » ومعناها بيت الزرد أو بيت السلاح(٢) وتطلق على خزانة السلاح بوجه عام . والزرد هو الدرع فى الفارسية القديمة(٣)

« **الجبخانة** : وتطلق على مخزن مواد السلاح ، « جبه » : درع ، و« خانة » اللاحقة بمعنى بيت(٤) .

و« **أجزاخانة** » : ونحتل مكانها الآن كلمة « صيدلية » .

و« **الطشت خاناه** — الطشتخاناه » : بيت الطشت ، سميت بذلك لأنه يكون فيها الطشت الذى تُغسل فيه الأيدى ، والطشت الذى يغسل فيه القماش السلطانى ، وفيه ما يلبسه السلطان من الكلوته والأقبية وسائر الثياب ، والسيف والخف والسرموذة(٥) .

---

(١) اقرأ ص ٢١٤ — ٢١٥ غرائب اللغة العربية — الأب رفائيل نخلة اليسوعى هو صاحب الجهد فى تتبع هذه اللواحق وجمعها .

وانظر اللغة الفارسية وقواعدها ، د. محمد التونجى .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١١ — ١٢ .

(٣) الأب رفائيل نخلة اليسوعى : غرائب اللغة العربية . ص ٢٣١ .

(٤) غرائب اللغة العربية — الأب رفائيل نخلة اليسوعى .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٠ — ١١ ؛ ج ٥ ، ص ٤٦٩ .

و« الركاب خاناه » وتشمل على السروج واللُّجُم والكنابيش ، وعِبِيّ المراكيب والعِبِيّ الإصْطبَنْلِيات والأجْلال والمخالى، ولها مهتار يعبر عنه « بمهتار الركاب خاناه »(١) .

و« الحوائج خاناه » ومعناها بيت الحوائج وليست لها هيئة البيوت المتقدمة مشتملة على حاصل معين وإنما لها جهة تحت يد الوزير منها يصرف اللحم الراتب للمطبخ السلطانى والدور السلطانية ورواتب الأمراء وسائر الجند والمتعممين وغيرهم من أرباب الرواتب(٢) .

« الطبلخاناه » ومعناه بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات ، ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم ، ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخاناه ، وله رجال تحت يده مابين « دِبِنْدار » وهو الذى يضرب على الطبل ، و« مُنَفِّر »وهو الذى يضرب بالبوق، و« كُوسِيٌّ » وهو الذى يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض »(٣) .

من الأمثلة السابقة يتبين لنا أن اللاحقة « خانة » تؤدى فى العربية وظيفتها الصرفية التى تؤديها فى لغتها الأصلية ، وأن العربية هنا تنازلت عن واحدة من خصائصها الصرفية وهى خاصة الإضافة فيها حيث إن المضاف يسبق المضاف إليه دائماً . وطبقاً لقواعد الفصحى كان المفروض أن يقال :

« بيت الزرد وبيت الطشت وبيت الحوائج وبيت الطبل » .

والعربية بهذا حققت هدفين : أولهما صرفى ، والثانى دلالى وهما مرتبطان معاً ولا يمكن الفصل بينهما ، فقد انْتَقَصَتَ عدد الوحدات اللغوية الداخلة فى التركيب بشكل ملحوظ ، وأحكمت الدلالة فى دقة .

أما اللاحقة « ستان » فهى تتفق مع تلك من ناحية وتختلف من أخرى،

---

(١) القلقشندى (السابق) ، ج ٤ ، ص ١٢ « العبى » جمع « عباية » .
(٢) القلقشندى : السابق ، ج ٤ ، ص ١٢ .
(٣) السابق ، ج ٤ ، ص ١٢ .

ومن أمثلتها فى العربية : **بيمارستان** ، فـ « **بيمار** » : معناها المريض ، و« ستان » لاحقة تدل على المكان (مكان معالجة المرضى) .

ومثلها « **بوستان** » ، فـ « بو » معناها رائحة ، و« ستان » لاحقة تدل على المكان غير أن اللاحقة تنوسيت وعوملت معاملة الأصل ، وعلى الرغم من أنها قد أدت دوراً صرفياً نجد أنها قد جمعت وثنيت ونسب إليها وصارت لها قائمة خاصة بها فى الاستعمال اللغوى .

جاء فى مفرج الكروب مثلا : « وبنى بدمشق وحلب بيمارستانين فى غاية الحسن »(١) .

وقال ابن شداد : « وأمرنى بالمقام فى القدس الشريف لعمارة بيمارستان أنشأه فيه »(٢) .

وكذلك قيل : بساتين ، وبستانان ، وبستانى .... إلخ .

أما اللاحقة « **دار** » واللاحقة « **يار** » فكان لهما بعد من نوع آخر . ومن الأمثلة على ذلك :

« البازدار » : وهو القائم على العناية بالبزاة المعدة للصيد .

و« البازيار » : هو الصائد بالباز .

فكل من اللاحقتين أدت دوراً صرفياً ودوراً دلالياً — فالأولى تطلق على القائم على جنس البزاة — والثانية تطلق على الصائد بالبزاة — واقتبست العربية الصيغة بدلالتها وجمعت الأولى على البازدراية وجمعت الثانية على البازيارية . وأصبحت هذه تمثل ظاهرة الجموع ، للعربيه منها موقف .

ومن أمثلة استعمالاتها آنذاك : « مع بعض البازيارية باز » .

وجاء أيضاً « كان لنا بازيارية وغلمان يصلحونها ويتصيدون بها قدامنا »(٣)

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١٩٥ .

(٣) السابق ، ص ١٩٨ .

« وو راءهم الشواهين الكوهية على أيدى البازيارية »(١) .

ونلاحظ أنه جمع شاهين وهى كلمة فارسية تعنى طائراً مثل الباز على شواهين ، ووصفها بكلمة معربة من الفارسية ، فالكوهية من « كوة » الفارسية بمعنى (الجبل) .

وواضح هنا أنه استعمل « يـّه » لاحقة وعلامة على جمع العاقلين ، كما استعمل العلامة نفسها لجمع غير العاقل أيضاً « يـّة » « الشواهين » ، « الكوهية » وهذا ميل للسهولة .

فقد كان الاستعمال اللغوى يجنح إلى السهولة واليسر آنذاك وهو أثر من آثار العاميات نجده إلى اليوم فى اللهجة المصرية ، بالإضافة إلى أنه يتجنب ما يتعلق بأحكام جمع المذكر السالم فحكمه فى الرفع غير حكمه فى الجر والنصب ومعلوم أن طريقة الجمع هذه باستعمال ياء النسب وتاء النقل لا تحتاج لكثير عناء أو تفكير .

وهذه اللاحقة مستعملة فى العربية من قديم ومستخدمة بدلالات مختلفة ، وهى موجودة ومستخدمة فى أقوال العلماء وفى القياس العربى ، وهو اطراد النسب بالياء إلى كل لفظ ، مصدراً كان أو مشتقاً أو اسم عين أو حرفاً من أدوات الكلام اطراداً قياسياً لا نزاع فيه ، وأن زيادة تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية جائزة كما يستفاد من كلام أبى البقاء(٣) .

غير أن عربية الحروب الصليبية صارت تطلق هاتين اللاحقتين ياء النسب وتاء النقل لتشير بهما على الجمع ، وهذا تطوير فى الاستعمال ، وكأن علامة الجمع هى علامة المفردة المؤنثة(٤) .

---

(١) السابق ، ص ١٩٢ .

(٢) صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٨ – ٤٦٩ .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

(٤) كما كانوا يستخدمونها للتعظيم : جاء فى السلوك ص ٨٠٦ « وقام إليه الفرس النوبة بالرقبة الملوكية » .

أمثلة لجمع العاقلين واستعمل فيها المفرد مع إضافة لاحقة « يّه »
بالإضافة للاحقة الدخيلة « دار » مع الوعي باستعمالها وجعل ذلك قاعدة

المفردات كلمات ذات لواحق دخيلة	الجمع	نموذج الاستعمال	الملاحظات
الجمدار	الجمدارية	جهزانهم خيل النوبة(١) والعصائب والجمدارية	
طبردار	الطبردارية	وجرائحية وحكماء(٢)	جرّاح جرّاحى وهو الطبيب الذى يعالج الجراح(٣) .
الشرابى	الشرابية	« حارة تسمى بحارة الشرابية »(٤) .	لأنها موضع سكن الغلمان الشرابية (جند)
شراب دار(٦) وصانع الأدوية يسمى شرابى وشرباتى(٧) .	شربدارية		والشرابى أحد رجال الشراب خاناه مثل : الشراب دار(٥) . ونلاحظ أنه جمع = (أ) الشراب خاناه. (ب) الشرابى . (ج) الشراب دار . صيغة الجمع واحدة وكل منها ذات لاحقة دخيلة مختلفة .

(١) السلوك ، ص ٤٦١ . (٢) السابق .
(٣) السلوك ص ٤٥٨ ومحيط المحيط . (٤) المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ١٦ .
(٥) القلقشندى : الصبح ، ج ٥ ص ٤٦٩ (٦) صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ .
(٧) المواعظ والاعتبار ، ح ٢ ، ص ١٦ .
وانظر : "Dozy: Supp. dict Arab."

سلاح دار	سلاح دارية	« ورتبهم سلاح دارية وجامدارية »(١) .	
مهتار الطشت دار الرخوان	مهتارية الطشت دارية الرخوانية(٢)	« ولها مهتار من كبار المهتارية وتحت يده عدة غلمان بعضهم يعرفون بالطشت دارية وبعضهم بالرخوانية(٣)	
المرقدار	المرقدارية	« مشرف المطبخ السلطانى بالقلعة ضرب بعض المرقدارية »(٤)	
الركابدار الركاب خاناه	الركابدارية الركبدارية	« الركابدارية يحملون الغاشية بين يدى السلطان فى المواكب» (٥) .	
بزدار برددار	بزدارية برددارية	« ولم يترك أحداً من خواصه ولا بزداريته وبرددداريته وسائر حواشيه »(٦) .	البردداز : هو الذى يكون فى خدمة مباشرى الديوان وأصله فردادار « فردا » : ستارة(٦) ومعناه ممسك الستارة .

(١) السلوك ص ٣٥٧ — ٤٥٨ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ .

(٣) السلوك ، ص ٨٠٧ . القلقشندى ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧ — ١٢ .

(٥) السلوك ، ص ٣٤ه ؛ والسلوك ص ٤٣٩ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٨ — ٤٦٩ .

ظاهرة النسب فى عربية الحروب الصليبية

يرى الدارس فى عربية الحروب الصليبية إسرافاً فى استعمال النسب بمختلف أنواعه ولأغراض متنوعة .

فإن كان من المقرر لدى النحويين أن ياء النسب قد تستعمل للمبالغة(١) فقد رأيناهم يسرفون فى استعمالها للمبالغة والتعظيم وإليك المثالى الآتى : قال ابن واصل فى مقدمته لمفرج الكروب : « وخدمت به خزانة الجناب الكريم المولوىّ الأميرىّ الكبيرىّ العضدىّ النصيرىّ الاسفهسلارى العالمىّ العادلىّ المظفرىّ المؤيدى ملك الأمراء ومقدم الجيوش مبازز الدين سيد الغزاه والمجاهدين الملكىّ المنصورىّ أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره »(٢) .

ونص آخر على شاكلته : « ضاعف الله مسار الجناب العالىّ المولى القضائىّ الإمامىّ العالمىّ الزاهدى العابدى الورعى الشهابى ضياء الإسلام شمس الشريعة قاضى القضاة »(٣) .

وإن كان هنرى فليش يقول أن اللاحقة « آن : An » استخدمت فى اللغة الانفعالية فى تصغير التحقير مثل (أنبخان عجين فاسد حامض ، وأُنْعُبان لاعب)(٤) . فقد رأيناهم يسرفون فى استخدام ياء النسب فى التحقير والاستهزاء ومن أمثلة ذلك : صيغة (الحرياطى — والحشوى)(٥)(قال كتبغا فى معرض حديث ساخراً من بيبرس « وهذا يصلح لذاك الحرياطى »(٦) .

وجاء فى السلوك : « فتسلط شعيب عليه وادعى أنه حشوى وأنه يقدح(٧)

---

(١) أنظر مثلا محمود العالم المنزلى ، الأصول الوافية المرسومة بأنوار الربيع ، ص ٣٤ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١ — ٢ .

(٣) السلوك ، ص ١٠٠٧ .

(٤) العربية الفصحى نحو بناء لغوى — تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين ص ١١٦ إلى ص ١١٨ .

(٥) طائفة الحشوية من الفرق الكلامية وأطلق عليها هذا الإسم عدد من العلماء مثل الحسن البصرى والكوثرى — وأصلها طائفة ممن أسلموا من أحبار اليهود وكهنة المجوس مضوا يبثون ما عندهم من أساطير وبخاصة حول ذات الله التى لا تقبل التجسيم أو التشبيه .

(٦) السلوك ، ص ٨٩٧ .

(٧) ما زالت إلى اليوم تستعمل كلمة «يقدح» ومشتقاتها بمعنى« يذم » فى اللهجة المصرية (فلان بيقدح فى حق فلان).

فى السلطان » ويحتار المحققون والمترجمون فى فهم أمثال هذه الصيغ ، (خرياطى وحشوى) على سبيل المثال. (وينتهى كاترمر إلى أن الحشوى شخص معدوم القيمة أو المنفعة (١) ، والواقع أنه نوع من الاستعمال المقصود به السخرية والتحقير مبعثه اللهجة الدارجة آنذاك ومن يربط الصيغ بالسياق يجد ذلك واضحاً .

ومثاله عندهم أيضاً « خلَفىّ » نسبة إلى « خليفة » وإن كانت القواعد تجيزه إلا أنهم استعملوه للتحقير .

كما وجدناهم يستخدمون النسب كرمز يشيرون به إلى نوع من الدلالة المتعارف عليها بينهم ومن أمثلة ذلك : « السيفىّ » يقول مورخ محقق إن هذه النسبة كثيرة الورود فى أسماء أمراء المماليك فى كتب التاريخ آنذاك ولاستعمالها وترتيبها فى الاسم دلالة على معان اصطلاحية مختلفة .

فإذا أتت فى أول الاسم : « كالسيفى يلبغا » مثلا كان معناها أن لقب هذا الأمير : « سيف الدين » .

وإذا أتت بين إسمين مثل : « أرغون السيفى دمرداش » كان معناها أن صاحب هذا الاسم من مماليك الأمير الدمرداش . وإذا جاءت فى آخر الاسم مثل : « وكتب إلى عز الدين ايدمر السيفى السلاح دار متولى قوص » كان معناها أن صاحب ذلك الاسم قد مات عنه سيده وأستاذه ونقل إلى ديوان السلطان — لهذا كان من بين مماليك السلطان فرقة اسمها السيفية تمييزاً لها من فرقة المماليك السلطانية المكونة من مماليك السلاطين السابقين وفرقة المشتريات أو الجلبان أو الأجلاب التى كان السلطان يشترى مماليكها لنفسه(٢) .

ووجدناهم فى بعض الحالات يستعملون قبل ياء النسب (كافاً زائدة) لتعطى نوعاً من الدلالة أيضاً على نحو ما نسبوا إلى الخاصة فقالوا : الخاصكى قسم من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صغاراً ويجعلهم حرسه الخاص ، ومن أمثلة استعمالاتهم :

« آقسنقر على خاصية السلطان »(٣).

---

(١) Quatremere: Op. Cit. II. 2,
ولكن للحشوى دلالة معلومة فى التراث على نحو ما أوضحنا .

(٢) د. محمد مصطفى زيادة ، حاشية السلوك ص ٧٣٦ وانظر مراجعه .

(٣) السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٦٤٤ . وانظر نفس الصفحة : ومراجعه وتعريفاته .

وعلى الجانب الآخر وجدناهم يستخدمون الصيغ المنسوب إليها بلا مبرر وكأنها الصيغة الخفيفة على ألسنتهم المحببة إلى نفوسهم .

فمثلا وجدناهم يقولون « الأشكرى » .

والأمير شهاب الدين البواشيقى ، والأمير شمس الدين أقوش البرلى .. (محرف من برنولو التركى) .

انبرطور .... مالك اللمانية « Allemania » .

والإنبردية « Lambardy » .

وأثخنوا فى مقاتلة الفرنجية .

و« المماليك السلطانية » ، و« المراسم الحربية »

و« الاسبتارية » و« الداوية » .

« العساكر المصرية والشامية والعراقية والحلبية » .

كما نسبوا إلى « نُوَيْن »وهو لفظ فارسى يأتى مقروناً بأسماءقواد التتر — « وصل نواب هولاكو فى جمع من التتر صحبة كتبغا نوين » . فوجدناهم ينسبون إليه ويقولون نُوَيْنى : نسبة للمبالغة ، كما قالوا :الكافلى فى ألقاب النواب(١) للمبالغة أيضاً . « ذكر ابتداء الدولة الأتابكية »(٢).

وكذلك وجدناهم يستعملون ياء النسب وهاء الإضافة عند الحديث عن أيام الشهر بصفة مطردة ، فمثلا يقولون : فى رابع عشريه أمر السلطان بكذا.. « وفى خامس عشريه نزل خمس نفر فى الليل من الطاقات الزجاج إلى المشهد النفيسى »(٣) . « وخرج السلطان إلى مصر فوصل قلعة الجبل فى خامس عشريه ، وأفرج عن الأمير عز الدين الدمياطى »(٤) ، « فتوجه الأمير شمس الدين الجمقدار بن الجمقدار فى حادى عشريه لهدم صور »(٥) ، « ثم رحل السلطان من حصن الأكراد إلى دمشق فدخلها فى ثامن عشريه »(٦) « وفى حادى عشريه هلك الملك المجبر هيثوم بن قسطنطين »(٧) .

---

(١) السلوك ، ص ٤٢٤ .

(٢) مفرج الكروب ج ١ ص١١.

(٣) وانظر د. زيادة نفس الصفحة .

(٤) السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٦.

(٥) السابق ، ص ٦٠٧.

(٦) السابق ، ص ٧٦٦ .

(٦) السابق ، ص ٥٨٧ .

(٧) السابق ، ص ٥٩٠ .

وكذلك وجدناهم ينسبون إلى اليوم« فبدل أن يقولوا كتب القاضي الفاضل مذكراته اليومية على نحو ما هو متبع عندهم آنذاك — وجدناهم يقولون : مياومة(١)، ومشاهرة ، ومسأناة ... نسبة إلى اليوم وإلى الشهر وإلى السنة، أى يوماً بيوم وشهراً بشهر وسنة بسنة .

جدول لبعض استعمالات أنواع من النسب
مما جاء فى عربية العصور الوسطى

الصيغة	المنسوب إليه	الاستعمال اللغوى والملاحظة
التكارِرَة	أهل بلاد التكرور (إقليم أفريقى)	« وعمل للتكاررة والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير »(٢) .
المفاردة	جمع مفردى نوع من عساكر حلقة السلطان نسبة لديوان المفرد .	« وجمعت الأمراء والمفاردة وغيرهم »(٣) . نلاحظ أنه أنث الفعل مع أن الفاعل جمع عقلاء ، وهذه من خصائص عربية ذلك العصر على نحو ما سيأتى
البغادَدة	« وشهد العربان وخادم من البغاددة »(٤) أى من بغداد	النسبة إلى بغداد .
الفهادة	الفهّادة هم الأشخاص الموكول إليهم حراسة الفهود .	« البزدارية والفهادة »(٥)

(١) مازال هذا الاستعمال اللغوى موجودا الى اليوم بين الحرفيين سمعت بعضهم يقول عن مساعد له انه يعمل معى (مياومة) .

(٢) السلوك ، ص ٦٤٨ ، وانظر د. زيادة .
وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٦١ : والقلقشندى : الصبح ج ٥ ص ٢٨٦ — ٢٨٧

(٣) السلوك ص ٤٣٨ . (٤) السابق ، ص ٤٤٩ (٥) السابق ص ٤٩٣

ونريد أن نوضح أن هذا النوع من النسب ليس بجديد فى عربية العصور الوسطى وإنما هو منحدر إليها من الأعصر السابقة عليها جاء فى سيبويه (٢/٢٠١) وقالوا : البرابرة والسيابجة فاجتمع فيها الأعجمية وأنها من الإضافة (ومصطلح الإضافة يعنى مصطلح النسب) . إنما يعنى « البربريين والسبجيين » .

وقال المبرد فى المذكر والمؤنث ص ٨٨ . ن ذلك ما يراد به النسب نحو ما ذكرنا من الأشاعثة يريد بنى الأشعث وكذلك المهالبة والمناذرة . وأردت أن أقول إن هذا النوع من النسب كان ما زال مستعملا فى عربية العصر الوسطى على هذه الصورة الملفتة .

الكشافة الكسابة التجار السفار	كساب من كسب : جاء : « والكسابة فيها تجول »(١) « والمترددين إليها من جميع بلاد الفرنجية والتجار والسفار	جاء فى الأصول الوافية : « ويصوغ فعّال مقصوداً به الاحتراف نحو بزّاز وعطّار » وعلى نحو ما نسب بصوغ فعال فى بزار وعطار — فُعّال مع تجار وسفار بضم الأول علامة على الجمع وقد يكون جمع تاجر ومسافر ولكنه على العموم فيه تجاوز للقواعد التقليدية مبعثه الميل للسهولة »
القبّارى	نسبة إلى قبر ، ويطلق على الرجل الذى يتولى حفر القبور ودفن الأموات(٣) .	« وركب لزيارة الشيخ المعتقد محمد ابن منصور القبارى(٢)
القُشّار	وهم عمال الصيد الذين يجتمعون لجر ما فى الشباك من صيد(٤) .	
الأنبرية	الإمبراطور	ألف ابن واصل كتاب نخبة الفكر فى المنطق وسماه الأنبروية إشارة إلى تأليفه بصقلية حيث أقام لدى الإمبراطور(٥) .
فراشون	فراش (مهتار الفراش خاناه)	« مهتار الفراش خاناه وتحت يده جماعة من الغلمان يعبر عنهم بالفراشين » . وهذه ما زالت مستعملة فى عامية مصر حتى اليوم .

(١) السلوك ، ص ٦٩٨ .

(٢) الأصول الوافية ، ص ٣٤ .

(٣) السلوك ، ص ٤٩٩ . وانظر : د. زيادة وانظر دوزى .

(٤) محيط المحيط .

(٥) السلوك ص ٥٦١ — ٨ د. زيادة وما بها من مراجع .

البنّاءون النجّارون النشّارون العتّالون وشع بينهم	عتال (عتل)	« وفيها جهز السلطان فى البحر جماعة من البنائين والنجارين والنشارين والعتالين وعدة أخشاب وغيرها من الآلات برسم عمارة الحرم النبوى »(١). والمقصود الإشارة إلى قوله العتالين تلك المستعملة فى العامية المصرية حتّى اليوم .
خليفتى	الخليفة ثم ركب السلطان بالتشريف الخليفتى فكان يوماً مشهوداً(٢)	« وكانت الخلع الخليفية قد وصلت إلى القاهرة فلبسها الملك الصالح »(٣) . والخليفتى نسبة إلى الخليفة خطأ وصوابه خلفى(٤) . وجاء النص الآتى أيضاً « واستحضرنا خليفها وسألناه عن كلمات ، فكذب فواقعه الندم واستوجب العدم »(٥) وهو هنا يقصد تحقير الخليفة ، فإن كانت هذه صيغة تصغير فهى على غير القاعدة والقياس : خُلَيْفَتُهَا
حرامية حرامى	(سارق — سرق) (لص البحر)	« أنهم لا يمكنون حرامية البحر من الزوادة من عندهم »(٦).

(١) السلوك ، ص ٥٠٢ .

(٢) السلوك ، ص ٣٢٣ .

(٣) السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٤) الأصول الوافية ، ص ٣٢ .

(٥) السلوك ، ص ٤١٥ .

(٦) السابق ، ص ٩٩٣ .

صنائعية	المفرد صنائعي (صنائع)	« ونودي بحضور الأجناد البطالين فحضر خلق كثير من الصنائعية»(١) . (صنائعية وصنايعي باللهجة المصرية المعاصرة) .
نَشَوى	نقجوان	وهي بلدة من نواحي أران ، وتسمى أيضاً نخجوان ويذكر ياقوت(٢) أن النسبة من نقجوان « نشوى » وقد سأل في أذربيجان عن سبب ذلك الاشتقاق الغريب فلم يستطع أحد أن يخبره بعلته .
الخاصكيّة	الخاص . « خاصكية السلطان »	الخاصكية قسم من المماليك السلطانية يلازمون السلطان في خلواته ويلازمون المحمل(٣)
عكاوية	عــكا	« وتكون جميع هذه البلاد العكاوية »(٤) .
الفرنجية	فرنجة	« المترددين إليها من جميع بلاد الفرنجيّة والتّجار والسفّار »(٥) .
جيَشية	جيش	« إن أكابر الأمراء يبلغ إقطاع الواحد منهم مائتي ألف دينار جيشيّة وربما زاد على ذلك»(٥)

(١) السابق ، ص ٨٩٧ .
كلمة « بطال » في اللهجة المصرية المعاصرة وتجمع على « بطالين » لها دلالتان :
١ – بطال أي لا عمل له في – عطلة – ولها قائمتها .
٢ – بطال أي ردىء شخص بطال – شيء بطال وناس بطالين ولها أيضاً قائمتها .
(٢) معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، ج ٤ ، ص ٨٠٢ .
(٣) السلوك ، ص ٦٤٤ .
ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، من ص ١١٥ .
القلقشندي ، ج ٤ ، ص ٢٢ ؛ ودوزي .
(٤) السلوك ، ص ٩٨٩ .
(٥) السابق ، ص ٩٨٩ .

الشهرزورية	شهرزور وهي إحدى جهات كردستان(١)	« ومضى البحرية نحو الطور واتفقوا مع الشهرزورية من الشرق(٢) . ففر الشهرزورية من وجه التتر إلى الشام ومصر وتقدمت جيوشه نحو شهرزور
النوينى (النسبة للمبالغة والتعظيم)	نُوَيْن	نوين لفظ فارسي يأتى مقرونا بأسماء قواد التتر ومعناه مقدم ألف وهو حسبما جاء بالقلقشندى من ألقاب كفال الممالك كنائب السلطنة(٣) .
مياومة مشاهرة مساناة	يوماً بيوم ... ، ..	« وترفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حساباتهم مياومة ، ومشاهرة ومساناة إلى الناظر والمستوفى »(٤) . وللقاضي الفاضل مياوماته (وهي بمصطلحنا اليوم : مذكراته اليومية) .
الجرائحى	الجرائحية : جمع جرّاح ، وجراحيّ وهو الطبيب الذى يعالج الجراح(٦) .	وجرائحية وحكماء(٥) .

(١) Enc. Isl. Art Sharhrizut

(٢) السابق ، ص ٤١١ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٣٣ .

(٤) السلوك ، ص ١٠٠ .

(٥) السابق ، ص ٤٥٨ ؛ وانظر محيط المحيط .

(٦) محيط المحيط .

الظاهرة لثالثة

التأثر بموقعية بعض الدخيل فى عربية الحروب الصليبية

يرى فندريس أن هناك فصيلة من دوال النسبة تتكون فقط من المكان الذى تحتله فى الجملة كل واحدة من دوال الماهية(١) ويضرب على ذلك أمثلة مختلفة ويسوقها فى شرح مفصل ومن أقواله : أننا إذا قلنا باللاتينية (بيت الملك) « Regis domus » كانت علاقة الإضافة التى تجمع بين هاتين الكلمتين معبرة عنها بالصيغة الإعرابية . فاللواحق تشير إلى الدور الذى تلعبه كل كلمة من هاتين الكلمتين بالنسبة للأخرى — أما فى العبارة الفرنسية « La maison du roi » فإن العنصرين « du, la » يقومان بنفس الوظيفة التى تقوم بها اللواصق فى اللاتينية .

ويضيف فندريس أيضاً أنه توجد لغات لا يعبر فيها عن هذه العلاقة إلا بمكان كل من الكلمتين بالنسبة للأخرى فيقال فى الغالية مثلاً ti brenhin « ti » منزل و « brenhin » ملك ، مع وضع المالك دائماً بعد الشيء المملوك — وفى الصينية يقال « Wang tien » — Wang : ملك و « tien » بيت ، وضع الشيء المملوك قبل المالك . فهذه اللغة على عكس سابقتها ، وفى كلتا اللغتين لا يعبر عن علاقة التبعية بأية علامة خارجية ولا يشار إليها إلا بترتيب وضع الكلمات(٢) .

ومثل هذا موجود فى العربية فمن الرتب الثابتة المحفوظة فى النحو العربى أن يتقدم المضاف على المضاف إليه ، وأن يتقدم الموصوف على صفته ، وأن يتقدم الموصول على صلته ، وحرف الجر على مجروره ، والفعل على فاعله والمبدل على البدل ...

---

(١) فندريس : اللغة ، ص ١١٠ .

(٢) السابق ، ص ١١١ .

والرتبة صنو العلامة الإعرابية فهى عند نحاة العرب أبديل للعلامةالإعرابية عند خفائها .

ويرى عالم مُفْتَنّ في العربيةونحوها أن نقل أى صيغة من مكانها الذى تحتله فى الجملة يترتب عليه تغير فى الدلالة وأنه « لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه »(١) .

ونقل الصيغة من مكانها داخل الجملة لا يخرج عنده عن أحد احتمالين تتغير الدلالة فيهما بتغير البناء :

ـ تقديم على نية التأخير ويسمى الرتبة غير المحفوظة .

ـ تقديم لا على نية التأخير ويسمى الرتبة المحفوظة .وذلك أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعله باباً غير بابه وإعراباً غير إعرابه .

ونص قوله فى ذلك : « واعلم أن تقديم الشىء على وجهين :

ـ تقديم يقال إنه على نية التأخير . وذلك فى كل شىء أقررته مع التقديم على حكمه الذى كان عليه ، وفى جنسه الذى كان فيه ، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل ، كقولك : منطلق زيد ، وضرب عمراً زيدٌ .معلوم أن (منطلق) و« عمراً » لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ و مرفوعاً بذلك ، وكون ذلك مفعولا ومنصوباً من أجله كما يكون إذا أخرت .

ـ وتقديم لا على نية التأخير ، ولكن على أن تنقل الشىء عن حكم إلى حكم وتجعله باباً غير بابه وإعراباً غير إعرابه ، وذلك أن تجىء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا . ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق ، حيث تقول مرة : زيد المنطلق وأخرى المنطلق زيد ، فأنت فى هذا لم تقدم المنطلق

---

(١) عبد القاهر الجرجانى : الدلائل ، ص ٨٦ .
واقرأ ذلك مفصلا فى كتابنا عالم اللغة ، عبد القاهر الجرجانى .

على أن يكون متروكاً على حكمه الذى كان عليه من التأخير ، فيكون خبر مبتدأ كما كان ، بل على أن تنقله عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ ، وكذلك لم تؤخر زيداً على أن يكون مبتدأ كما كان بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبراً .

وأظهر من هذا قولنا : ضربت زيداً وزيداً ضربته ، لم تقدم زيداً على أن يكون مفعولا منصوباً بالفعل كما كان : ولكن على أن ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره وتجعله فى موضع الخبر له(١) .

وتطالعنا فى عربية العصور الوسطى تغيرات فى بعض الرتب المحفوظة تأثراً بالمنهج الصرفى لبعض اللغات الداخلة معها فى الصراع ومن أمثلة ذلك :

« بهروز » : قال ابن خلكان(٢) بعد أن ضبط اللفظ : إنه لفظ أعجمى معناه « يوم جيد » على التقديم والتأخير على عادة كلام العجم وذلك أن « به » معناها (جيد) و« روز » معناها (يوم) فقدمت الصفة هنا على الموصوف :

وقد يقال إن هذا نُقِل علىَّ أنه كتلة صوتيةولكنه يطالعك أنهم حفظوا الرتبة فى موقف آخر وفى إحدى لغات المعسكر الإسلامى أيضاً فمثلا نجدهم يقولون « ملك الكرج نارين داود » بينما اسمه الحقيقى « David Narin »(٣) حيث أن نارين صفة فى لغة المغول معناها الماهر والنقل هنا كان من الأولى أن يكون كتلة صوتية .

وأرى أن مثل هذا اللون من التأثر لو وقف عند هذا الحد فهو مجرد ملاحظة سجلها البحث إلا أن من يتبع يجد الأمر أبعد من هذا إنه أثَّر على نظام اللغة وبقى أثره فى العربية حتى اليوم بالإضافة لبعض اللهجات .

فقد كانوا يستعملون (لفظ الخراجا ، أو الخواجة) صفة تسبق الأسماء فى الفارسية وانتقلت هذه العادة اللغوية لعربية ذلك العصر ونجدها حتى اليوم .

---

(١) دلائل الإعجاز . ص ٨٢ – ٨٤ .

(٢) ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٤٧٢ .

(٣) اقرأ كتاب السلوك تجد أمثلة للاستعمال اللغوى ، ص ١٠٢٦ .

فمثلا : جاء فى الاستعمال آنذاك « بنى هولاكو الرصد بمدينة مراغة بإشارة الخواجا نصير »(١) وحتى اليوم مازال مثل هذا الاستعمال فى لغتنا، والذى ساعد على قبوله فى عرف الجماعة اللغوية أن نظام اللغة يستسيغه بطريقة ما .

وقد كان مستخدمى العربية على جانب كبير من الحس اللغوى إزاء ما يمس أى نظام من أنظمتها وسريعاً ما كانوا يعيدون الدخيل إلى جادة الصواب أو يحرفونه عن مواضعه ليتفق مع قواعدهم ،ومن الأمثلة على ذلك : زنّان دار ، واستدار والخزندار ... إلخ .

« زَنّان دار» : دخيلة من الفارسية ، « زنان » معناها النساء ، و« دار » اللاحقة المعروفة ومعناها « ممسك » . والمعنى مكتملا الموكل بحفظ الحريم(٢)

وفى بناء العبارة خروج على عرف العربية بالتقديم والتأخير ــ ولما حانت الفرصة حرفوها وقالوا : زَمّام الأدر ، وفيما قاله القلقشندى نستشف مراحل تطورها ، حيث قال : «إن العامة والخاصة قد قلبوا النونين ميمين فعبروا عنه بالزمام دار ظنا أن الدار على معناها العربى ، والزمام بمعنى القائد أخذاً من زمام البعير الذى يقادُ به »(٣) . ثم قالوا : زمام الأدر جامعين الدار على أدر . جاء فى السلوك : « وقد رتب مع زمام الأدر ألا يبيت إلا خلف باب السِّر ، فدقّ السلطان باب السِّر وذكر للزمّام العلائى »(٤) .

ومثال ثان :

«استَدار» : وهو الذى يتولى قبض مال السلطان ، ومركب من لفظين فارسيين ، « إستد » الأخذ ، واللاحقة « دار » المعروفة . قال القلقشندى : « والمتشدقون من الكتاب يضمون الهمزة فى أوله ويلحقون فيه ألفاً بعد التاء

---

(١) السلوك ، ص ٤٢٠ .

ومثلها فى الاستعمال آنذاك مثلا : قولهم « الطواشى شبل الدولة كافور لالا » ص ٤١٨ السلوك و« لالا » لفظ فارسى معناها الشخص المكلف بالعناية بالأطفال .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ — ٤٦٠ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٠ .

(٤) السلوك ، ص ٥٧٧ ؛ وانظر حاشية د. مصطفى زيادة (نفس الصفحة)

فيقولون « استادّار » ويقولون « أستاذ الدار » بإدخال الألف واللام على لفظ الدار ظناً منهم أن المراد حقيقة الدار فى اللفظ العربى ، وأن أستاذ بمعنى السيد أو الكبير ولذلك يقولون « أستادار العالية » أو « أستاذ الدار العالية وهو خطأ »(١) .

ومثال ثالث :

« الخِزَنْدار » : بكسر الخاء وفتح الزاى المعجمتين وهو لقب على الذى يتحدث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما ، وهو مركب من لفظين أحدهما عربى وهو خزانة، أو هو ما يخزن فيه المال . والثانى فارسى وهو دار ومعناه ممسك . كما تقدم وحذفت الألف والهاء من خزانة استثقالا فصارت « خزندار » ويكون المعنى « ممسك الخزانة » والمراد المتولى لأمرها .

« ومتشدقوا الكتاب يسقطون الألف والهاء من خزانة على ما تقدم ويلحقون بعد الخاء ألفاً فيتقلون لفظة خزانة إلى خازن فاعل من الخزن ويضيفونه إلى دار ظناً منهم أن الدار على معناها العربى »(٢) .

ونموذج من نوع آخر :

« أمير علم » ، « أمير مجلس » ، « أمير جاندار » ، « أمير حاجب »

« أمير علم » من نماذج الاستعمال النص الآتى : « وأحضر كتاب الجيش وأمر الأمير سيف الدين الزينى أمير علم أن يجلس مع كتاب الجيش »(٣) .

وأمير علم : هذا هو الذى يتولى أمر الأعلام السلطانية(٤) . ويقول القلقشندى أنه أيضاً اسمه « العلم دار » وهو مركب من لفظين « العلم » وهو عربى ، والثانى « دار » وهى اللاحقة الفارسية المعروفة ومعناها « ممسك » أى المتولى أمور العلم(٥) . وهكذا بعد أن كانت أمير علم صارت أمير العلم :

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٧ .

(٢) صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ — ٤٦٣ .

(٣) السلوك ، ص ٤٩٠ .

(٤) أنظر القلقشندى صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٢ ؛ ج ٥ ، ص ٤٥٦ .

(٥) السابق ، ج ٥ ، ص ٤٦٣ .

وفى هذا الصدد يعلق القلقشندى تعليقاً يفهم منه دور الحس اللغوى الذى يعيد العبارة الدخيلة لتتفق مع نظام الصرف العربى ... حيث يقول :

« أمير مجلس : وهو لقب من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير فى الترتيب وغيره ، ويجمع على أمراء ومعناه ظاهر ، والأحسن فيه أن يقال : أمير المجلس لتعريف المضاف إليه وتكون الألف واللام فيه للعهد الذهنى إمّا مجلس السلطان أو غيره »(١) .

وهكذا يتبين لنا أن الحس اللغوى لمستعملى العربية آنذاك كان يقظاً سواء من ناحية إدراك أمر الرتبة أو أمر التعريف والتنكير ، حتى فى اليسير من الأمور . وعلى الرغم من كل هذا وجدنا تأثر عربية الحروب الصليبية بموقعية بعض الدخيل — ومن الأمثلة على ذلك نسوق بعض استعمالات النموذج الأخير :

جاء فى السلوك : « كان فى الموكب سيف الدين برلغى أمير مجلس »(٢)

وجاء أيضاً : « وخلع على الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى ، وجُعل أمير جاندار ، وخلع على الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى واستقر أمير حاجب »(٣) .

ونعرض بعد ذلك نماذج يتضح فيها التأثر بموقعية بعض الدخيل بصورة أكثر جلاء .

فقد اقتبست عربية العصور الوسطى بعض الكلمات ذات المواقع المحدد بالنسبة للجملة من أمثلة ذلك كلمة « دوبستا » فهذه الكلمة فى حد ذاتها تمثل وحدة صرفية فى لغتها حيث إن لها مكاناً محدداً تحتله فى جملتها — فهى دائما تأتى فى نهاية القول — وبالإضافة لنماذج استعمالاتها نضيف قول القلقشندى عنها : « ثم يكتب فى وسط السطر الأخير من المثال فى الوسط ما صورته

(١) السابق ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ .

(٢) السلوك للمقريزى ، ص ٧٩٩ .

(٣) السلوك ، ص ٨٠٧ .

فى السنة كربستا »(١) . فعربية الحروب الصليبية استعملت وحدات صرفية دخيلة تحمل معها دلالتها وموقعها من الجملة ، وتلك الكلمة موقعها دائماً فى نهاية القول ، ونضيف مثالا لاستعمالاتها :

« وأقطعت البلاد للأمراء والأجناد دربستا »(٢) .

وقد استعملت عربية ذلك الحين كلمة مساوية لها نجدها فى بعض العاميات المعاصرة خاصة المصرية — وهى كلمة « سوا » ومن أمثلة استعمالاتها ما جاء فى النص الآتى : « وقرروا سلطنة الناصر محمد ، وأحضروه وعمره تسع سنين سوا »(٣) . غير أنها لم تكن مساوية لها تماماً فى الدلالة . وهذا فيه بعض التبرير لاقتباس تلك الكلمة التى لم نعد نجد لها استعمالا اليوم .

وقد وجدنا نموذجاً لنوع آخر من الاستعمالات الذى ما زلنا نجد مقابله فى العربية المعاصرة ، فقد استعملوا عصر الحروب الصليبية :

« مِهْتار » و« مِهْمَرْد » من الفارسية :

« مِهْتار » مكونة من كلمة «مه» بكسر الميم معناها بالفارسية (الكبير) ، و«تار » بمعنى أفعل التفضيل ، فيكون المهتار الأكبر(٤) .

و« مِهْمَرْد » : « مه » مثل السابقة ، و« مرد » معناها (الرجل) .

ولكن العربية تأثرت بنظام بعض اللغات المتصارعة معها غير أنها شكلتها طبقاً لمنهجها فى بناء التعابير وإلى اليوم ما زلنا نقول كبير القوم — كبير الأساتذة كما نقول هيئة كبار العلماء .

ونموذج آخر أكثر وضوحاً :

فقد تنازلت العربية عن بعض خصائصها فى رتبة الإضافة عن عمد ، وذلك عندما وجدت أن ثمن ذلك وضوح الدلالة — ولا يغيب عن البال

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٥٦ .
(٢) السلوك ، ص ٨٤٤ . لاحظ أثر التبادل الصوتى .
(٣) السلوك ، ج ١ ، ص ٧٩٤ ، قسم ٣ .
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ .

أننا نتكلم لنبين — وقد اضطرت العربية آنذاك لاقتباس ما لا مثيل له عندها — وكان لما اقتبسته دور صرفي له أثره على مستوى التركيب ومستوى الدلالة معاً فأبقت على مثل هذه اللواحق المقتبسة في مكانها من ترتيب العبارة حيث تؤدي دورها ومن أمثلة ذلك :

— كلمات بلواحق تؤثر على موقعية المضاف والمضاف إليه والصفة والموصوف ، ومنها اللاحقة (خانه) واللاحقة (دار) مع مضافاتها :

اللاحقة « خاناه » ومضافاتها :

يقول القلقشندي : حواصل السلطان على أربعة أنواع معبرة عنها بالبيوت وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ « خاناه » **كالطشت خاناه** ، **والشراب خاناه** .. ونحوهما :

و« خاناه » لفظ فارسي معناه البيت ، والمعنى بيت كذا إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم في ذلك(١) . وهذي ثمانية بيوت :

« **الشراب خاناه** » : ومعناها بيت الشراب ، وتشتمل على أنواع الأشربة المرصدة لخاص السلطان ولها مهتار يعرف **بمهتاو الشراب خاناه** .

« **الطست** خاناه » : ومعناه بيت الطشت .

« **الفراش** خاناه » : ومعناها بيت الفراش وتشتمل على أنواع **الفُرُش** من البسط والخيام ، ولها مهتار يعرف **بمهتار الفراش خاناه** ، وتحت يده جماعة من الغلمان يعبر عنهم بالفراشين .

« **السلاح** خاناه » : ومعناها بيت السلاح ، وربما قيل « **الزرد خاناه** » وفي هذا السلاح خاناه من الصناع المقيمين بها لإصلاح العدد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ويسمى صانع ذلك « **الزردكاش** » .

« **الركاب خاناه** » : ومعناها بيت الركاب وتشتمل على عدد الخيل ، ولها مهتار متسلم لحواصلها يعبر عنه **بمهتار الركاب خاناه** .

---

(١) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٩ — ١٠ .

« الحوائج خاناه » : ومعناها بيت الحوائج .

« الطبلخاناه » : ومعناه بيت الطبل ، ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخاناه(١) .

ونتساءل إذا كان القلقشندى فى تعريفه لِكُلٍّ واحدة يضطر لأن يضع المضاف قبل المضاف إليه وفق عرف العربية ؟ فلماذا لم يحافظوا على الرتبة وتوضع كل واحدة فى موقعيتها ؟ خاصة وأن الدرس اللغوى الحديث يطمئن إلى أن التغيرات اللغوية تتم بطريقة آلية مستقلة عن إرادة المتكلم بها بل بغير شعور منه ، وأن تطور اللغات بفعل تيارات اجتماعية مسيطرة(٢) .

والإجابة هنا واضحة إنه التأثر والتأثير الذى يحدث بين اللغات ولا مفر منه ، وقد يحدث عن غير وعى من مستعملى اللغة وقد يتم فى حالة وعى ، وعن علم وقد يكون أثره على نظام اللغة نحوها وصرفها وهو أخطر ما يكون ولكن هى سنة الاحتكاك اللغوى وثمرة الصراع « والتطور يتم بفعل تيارات اجتماعية مسيطرة »(٣) .

يؤيد ذلك أنهم كانوا يضيفون اللاحقة لمضاف إليه عربى (أى أن المضاف إليه عربى واللاحقة دخيلة) مثل إضافة الخاناه إلى السلاح والفراش والحوائج والركاب وكلها كلمات عربية .

وأوضح من هذا كله قول القلقشندى ففيه الحجة البالغة : « والمعنى بيت كذا إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم فى ذلك »(٤) .

ومثله قول ابن خلكان عن تقديم الصفة على الموصوف : « على التقديم والتأخير على عادة كلام العجم »(٥) .

---

(١) اقرأ صبح الأعشى ، ص ١٠ — ١٣ ، ج ٤ .

(٢) فندريس : اللغة ، ص ١٨٢ .

(٣) السابق ، ص ١٨٢ .

(٤) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٩ — ١٠ .

(٥) ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٤٧٣ .

وإلى الآن ليس منا من يقول غير «الأجزاخانة» وإلى عهد قريب لم يكن معروفاً غير « الأنتيكخانة » و« المهندسخانة» و« الكتبخانة » الخديوية »...

وهذا هو الأمر الطبيعى إنه التأثير والتأثر بين اللغات ، وإنها التيارات الاجتماعية المسيطرة .

ونموذج آخر على شاكلة هذا تكون الإضافة فيه إلى لفظة «دار » . ويقول عنها القلقشندى : « إنها (دار) لفظة فارسية معناها ممسك فاعل من الإمساك ، وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ دار فى ذلك عربى بمعنى المحلة كدار السلطان أو الأمير ونحو ذلك وهو خطأ »(١).

ومن الأمثلة على ذلك :

« الإستدار » : أستذ « الأخذ » ، والدار اللاحقة بمعنى «ممسك» ، (قابض مال السلطان) .

« الجوكاندار » ويجمع على جوكان دارية .

و« جوكان » هو المحجن الذى تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان أيضاً و« دار » معروفة ، والمعنى « ممسك الجوكان » .

« الطبر دار »وهو الذى يحمل الطبر حول السلطان عند ركوبه فى المواكب وغيرها ، و« طبر » معناه الفأس ، و« دار » اللاحقة بمعنى ممسك ، أى « ممسك الطبر » .

« السنجقدار » وهو الذى يحمل السنجق خلف السلطان « سنجق » تركى ومعناه الرمح وهو فى لغتهم مصدر طعن فعبر به عن الرمح الذى يطعن به ، والمراد العلم — لأنه لما كانت الراية إنما تجعل فى أعلى الرمح عبر بالرمح نفسه عنها ، و« دار » : ممسك ، والمعنى « ممسك السنجق » .

« البندقدار » وهو الذى يحمل جراوة البندق خلف الأمير .

« الجمدار » وهو الذى يتصدى لإلباس السلطان ،وهومركب من لفظين فارسيين « جاما » ومعناه الثوب ، و« دار » : ممسك ، والمعنى ممسك الثوب .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٧ .

« البشمقدار » وهو الذى يحمل نعل السلطان . وكلمة « البشمق » من التركية ومعناه النعل ، والثانى من الفارسية وهو « دار » .

على أن صاحب الأنوار « الضوية فى إظهار غلط الدرة المضية فى اللغة العربية والتركية » قد ذكر أن الصواب فى النعل (بصمق) فيكون صوابه على ما ذكر بصمقدار »(١) .

« المهمندار » مهمن بفتح الميم معناه الضيف،ودارمعناه ممسك ، أى ممسك الضيف ، والمراد المتصدى لأمره(٢) .

وأمثله هذا النموذج تؤكد الرأى الذى قلناه سابقاً ويعضدها أن شرح القلقشندى ومعاصريه يعيد ترتيب العبارة ويحدد موقعية كلماتها وفق عرف العربية ، وأنهم على إدراك واع لهذا . ولكنه التأثير والتأثر بين اللغات ويكفيك الدليل القاطع من واقع المصرية المعاصرة فنحن ما زلنا إلى اليوم نقول فلان « مسك » وظيفة ،أو مسك موقع ، أو مسك مدير ،أو ... إلخ . وواضح أن «مسك» انحدار من ترجمة دلالة دار السابقة . ولكن فى شىء من التأمل.

ونموذج ثالث على شاكلة السالفين ولكن الإضافة فيه لغير « خانه » ولغير دار :

« الخاشنكير » وهو الذى يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان . مركب من لفظين فارسيين « جاشنا » بجيم فى أوله قريبة فى اللفظ من الشين ومعناه (الذوق) . ولذلك يقولون على الذى يذوق الطعام والشراب الشيشنى (٣) .

(ونحن إلى اليوم فى مصريتنا المعاصرة نقول : « حنعمل ششنه على كذا »)
والثانى « كير » وهو بمعنى المتعاطى . ويكون المعنى « متعاطى الذوق » بتقديم المضاف إليه على المضاف أيضاً عن وعى وقصد وذلك لتحقيق قيم صرفية ، وإعطاء دقة دلالية .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ .
(٢) السابق ، ج ٥ ، ص ٤٥٧ — ٤٦٠ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٠ .

« السّراخور» من لفظين فارسيين « سرا » ومعناه (الكبير) و« خور ومعناه (العلف) ، والمراد « كبير الذين يتولون أمر علف الدواب .

ويقول القلقشندى : « والعامة تقولون سراخورى – والمتشدقون يقولون سلاخورى »(١) .

ونحن فى عاميتنا المصرية نقول « سلاخانة » وكأن خيالنا اللغوى يكمل النقص ويشكل الصورة الصوتية المطلوبة لتأتى مشابهة لما هو على شاكلتها . وهذا يؤكد حقيقة قضية التأثير والتأثر بين اللغات وكيف يمكن أن يتم بعضه عن وعى تام ، وبعضه عن غير وعى .

ومن النماذج التى عرضناها لهذه الظاهرة يتبين لنا مدى التأثر بموقيعة بعض الدخيل خاصة فى ظاهرة قلب الإضافة .

ولئن كان الفراء قد ذهب إلى أن من أساليب العربية قلب الإضافة مستشهدا بالآية القرآنية الكريمة « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار »(٢) . (يطبع الله على قلب كل متكبر جبار) ، فجعل المضاف إليه مضافاً : والمضاف مضافاً إليه(٣) .

إلا أننا نلاحظ أن فى توضيح الفراء ما يؤكد وجوب الاحتفاظ بالرتبة فعلى حد قول عبد القاهر إن التقديم تقديم لا على نية التأخير وإنما نقل الشىء من حكم إلى حكمه وجعله باباً غير بابه وإعراباً غير إعرابه . فقد جعل المضاف مضافاً إليه ، وجعل المضاف إليه مضافاً .

يضاف إلى ذلك أنه من المقرر لدى نحاه العربية أن المضاف إليه ينزل من المضاف منزلة جزئه ، فلا يفصل بين المتضايفين ولا يتقدمه(٤) . وإن فصل بينهما لضرورة شعرية فقد عده ابن جنى قبيحاً(٥) .

---

(١) السابق ، ج ٥ : ص ٤٦٠ .

(٢) سورة غافر : آية ٤٥ .

(٣) معانى القرآن للفراء ، ج ٣ ، ص ٧ – ٩ .

(٤) شرح التصريح ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٥) الخصائص ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

الظاهرة الرابعة

ظاهرة النقل والاشتقاق من الدخيل

يرى هنري فليش أن أصل الرباعى قد يكون تطوراً لأصل ثلاثى ، وقد يكون من أصل اسمى .

« والأفعال الاسمية تستلفت الملاحظة بخاصة ، فهى تحتفظ بأربعة صوامت من الاسم الأصلى ، ويمكن أن يقدم لنا أصلها الاشتقاقى نماذج مختلفة »(١) .

وقد قدمت لنا عربية الحروب الصليبية نماذج مختلفة لأفعال من أصول اسمية أخذتها عن الدخيل ، ومن الأمثلة على ذلك فعل :

« يركل ، يبركل ، مبركل ، بركيل ، وبراكيه ، وبربلك » .

و« **البركيل** » هو مرتاد البحار من التجار والمغامرين ويجمع على **براكيل، وبركية** .

و« البراكية » و« البريك » أنواع من السفن ، وفعل « بركل » معناه داخ من تلاطم الأمواج(٢) .

وجاء فى نص الهدنة : « والقتيل يكون العوض عنه بنظيره من جنسه فارس بفارس وبركيل ببركيل »(٣) .

وهكذا تصرفت العربية فى كلمة « barque » الفرنسية أو « barca » الإنجليزية ومعناها السفينة ، وفى اللاتينية « barica » .

وأخذت منهما مجموعة تمثل قائمة كاملة من الفعل بأزمانه ، والمصدر والمفرد والمثنى والجمع تستمد منها ما تحتاجه فى تراكيبها .

ومثل « **بركل** » يأتى « **قلفط** » ، « **جلفط** » .

---

(١) العربية الفصحى : تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين ، ص ١٥٧ .
واقرأ من ص ١٥٥ أصل الفعل الرباعى .

(٢) أنظر : محيط المحيط .
وانظر : Dozy : Supp. dict Arab

(٣) اقرأ السلوك ، ص ٩٩٠ — وانظر د. زيادة (نفس الصفحة) .

« قلفط ، يقلفط ، مقلفط ، من جلفناط وصارت جلفاط » .

و« الجلفناط » و« الجلفاط » : مواد من الخيوط والخرق والقير تستخدم لسد السفينة(١) . ومن الفعل « قلفط » أو « جلفط » أخذ الفعل الفرنسى Calafter » ومعناه (سد) (٢) .

ومن أمثلة استعمالاته : « ووجد سقف مقلفط فنقب فيه قدر مائة وعشرين ذراعاً »(٣) .

وعلى نحو ما صنعت العربية مع « قلفط » صنعت مع « دروز » .

« دروز ألواح السفينة بالخيوط أو بالخرق والقير » ، والمستعمل : « دروز ، يدروز ، مدروز ، دروزة » .

وكذلك « **برطل** » .

أصلها « **برتله** » Partaleh = (هدية) من الفارسية(٤) .

وأخذت منها عربية الحروب الصليبية « **برطل ، يبرطل ، برطلة ، برطيلا** »

جاء النص الآتى : « ولم يكن فيه من أخلاق المشايخ ما يمدح به ، بل أخذ نحو الثلاثين ألف دينار برطيلا »(٥) .

وكذلك كلمة « **حَوكٌ ، حُوك ، الحوك ، حوُكا** » .

جاء فى السلوك : « وفى صفر قدمت رسل الملك أبغا ورسل الروم فلم يحتفل بهم وأمر أن يضربوا حُوكاً قُدَّام نائب حلب ، وقدام صاحب حماه »(٦) .

« **الحُوك** » : لفظ تترى معناه الجلوس على الركبتين كعادة المغول فى

---

(١) محيط المحيط .

(٢) Quatremer: Op. Cit. 1. 2. P 34–N. 51.

(٣) السلوك ، ص ٥٦٠ .

(٤) غرائب اللغة العربية ، ص ٢١٩ .

(٥) السلوك ، ص ٨٩١ .

(٦) السلوك ، ٦٠٥ .

حضرة ملوكهم . والمعنى كما يراه كاترمر : « أمر أن يؤدوا لنائب حلب وصاحب حماه ما يؤدون لملوكهم من شعائر الاحترام والخشوع »(١) .

وكذلك « Comet » صارت « كنت » « كونت » ونسب إليها وصارت « كونتية » كونتية طرابلس، بمعنى ولاية أو إدارة — فثلا في الاستعمال آنذاك :— (جوسلين هو كونت طرابلس — والإمارة هى كونتية طرابلس ...) . وهكذا تصنع العربية لنفسها قائمة بمجموعة من التصريفات المختلفة لتستمد منها ما تحتاجه فى تراكيبها المتنوعة .

وطبيعة الاستعمال اللغوى ، وما يوحى به شكل الصيغة المأخوذ عنها الأفعال الاسمية هى التى تحدد ما إذا كان الفعل ثلاثياً أو رباعياً . والمثل على ذلك التصريف الأول من الأصل « bark » الصوامت ثلاث ومع ذلك جعل الفعل رباعياً ، بينما « باتكيون Patakion » يأتى الفعل الاسمى منها « بطق » أى ثلاثياً ، ولنقرأ النص الآتى : « فبطق العادل إلى من بقى معه من الأمراء الأكراد بمحاربة من خامر عليه ببلبيس »(٢) والمقصود أن العادل أرسل بطاقة .

« **بطق ، يبطق ، بطائق ، بطاقة** »(٣)

معربة من الكلمة اليونانية « Pittakion » ومعناها لوح رقيق للكتابة (٤). على حين الفعل الاسمى « خشدش » مأخوذ من كلمتين معاً « خواجاتاش » أى الزميل فى الخدمة .

« **خشدش ، تخشدش ، خشداش ، خشداشية** »(٥) .

---

(١) Quatremere: Op. Cit, 1. 2. P 106 N 132.

مازلنا إلى اليوم نقول فى عاميتنا المصرية يضرب سلام .

(٢) السلوك ، ج ١ قسم ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٣) أنظر : محيط المحيط .

والقلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٢٣١ .

(٤) أنظر : غرائب اللغة العربية ، ص ٢٥٥ .

(٥) أنظر : كاترمر . واقرأ نماذج استعمال وأمثلة مختلفة بالعربية وبالترجمة الفرنسية Quatremere : Op. Cit. 1. 1. P 43. 44. 45 N 61.

وقد جعلت العربية هذه كلمة واحدة ولا نحس فيها أثر تركيب (١) وأخذ منها فعل رباعي وتُصرّف فيها على نحو ما نرى وجعلت منها قائمة بمجموعة من الأفعال بأزمنتها المختلفة والأسماء بأعدادها (مفرد ومثنى وجمع ومصدر) لتستمد منها ما يتواءم مع تراكيبها فى استعمالاتها المختلفة .

بينما أخذ من « **الطمغا** » فعلا ثلاثياً « **طمغ ، وتمغ** » .

وأخذت من « **الطغراء** » فعلا رباعياً « **تطغر ، طغّر ، الطغرائى** » .

جاء فى المقريزى : « تمتاز المناشير المفتتح فيها بالحمد لله أو الخطبة أن تُطغّر بالسواد »(٢) .

من « **تركاش** » اسم جعبة : من الفارسية أخذ الفعل .

« **تركش ، يتركش ، متركش** » .

« وحضر فى عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل متركشة للخدمة(٣) »

وجاء فى الاستعمال اللغوى أيضاً : « جنود متركشة »(٤) ويجمع على تراكيش(٥) .

وباختصار وجد فى عربية الحروب الصليبية من الأفعال الاسمية ما يمثل للثلاثى والرباعى نماذج مختلفة .

وإذا كانت فكرة النقل موجودة عند نحاة العربية من قديم ، خاصة فيما يتصل بالنقل فى باب العلم حيث يقول الأشمونى : « ومعنى النقل أن يكون الاسم بإزاء حقيقة شاملة فتنقله إلى حقيقة أخرى خاصة وليس له أن يتسمى بها فى الأصل »(٦) .

---

(١) يرى أولمان أن الكلمات المركبة تنشأ كلما ضمت كلمتان مستقلتان بعضهما إلى بعض لتكوين كلمة جديدة . أنظر دور الكلمة فى اللغة ، ترجمة د. كمال بشر ، ص ١٣٨ .

(٢) المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ — ٣٦٨ .

(٣) السلوك ، ص ٦٣٣ .

(٤) دوزى : Dozy : Supp. dict. Arab

(٥) اقرأ أمثلة لنماذج الأفعال الاسمية الرباعية فى العربية الفصحى ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٦) أنظر شرح ابن عقيل من ص ٤٥ . واقرأ الأشمونى ، ج ١ ، ص ٢٩ .

ويقول ابن مالك فى تقسيم العلم إلى منقول ومرتجل :

ومنه منقول كفضل وأسد وذو ارتجال كسعاد وأدد

والمقصود بالمرتجل مالم يسبق له استعمال قبل العلمية فى غيرها كسعاد وأدد.

وأما المنقول فقد يكون منقولا عن اسم عين ، أو عن مصدر أو عن صفة فاعل أو مفعول أو صيغة مبالغة أو صفة مشبهة أو صفة تفضيل أو عن الفعل بأنواعه أو عن جملة فعلية ... إلخ (١) .

ويعنينا من هذا أننا وجدنا العربية تطبق منهج النقل على بعض الأعلام الدخيلة ، ومن أمثلة ذلك ينقلون اسم البلد الأفرنجى على حاكمها فيسمونه بها أياً كان اسمه ، فمثلا وجدناهم يقولون : « الانكتار » على ملك انجلترا (ريتشارد قلب الأسد) .

يقول القلقشندى : « جزيرة انكلترة وصاحبها يسمى الانكتار »(٢) وقد يكون الانكتار هذا هو « Edward » أو « Richard » . . . .

ووجدناهم كذلك يسمون ملك فرنسا (فرنسيس) ، وقد يكون فرنسيس هذا هو لويس التاسع أو غيره . ومن الجدير بالذكر أن هذا النقل يتسع ليشمل بيئة العالم الإسلامى كله آنذاك ، قال الشاعر التونسى مخاطباً لويس التاسع ملك فرنسا عندما اتجه إلى تونس بعد أن هُزِمَ فى مصر وأسره المصريون فى دار ابن لقمان :

يا فرنسيس هذه أخت مصر فتأهب لما إليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبرا وطواشيك منكر ونكير (٣)

يقول المقريزى فى هذا : « واتفق أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من أيدى المسلمين عزم على الحركة إلى تونس »(٤) .

---

(١) أنظر شرح ابن عقيل من ص ٤٥ . الأشمونى ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٢) القلقشندى ، ج ٥ ، ص ٣٧٥ .

(٣) الشاعر أحمد بن اسماعيل الزيات .

(٤) السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٦٤ .

ومما يؤكد حقيقة أن الاسم منقول نص المقريزى هذا : « فأتاه من الملوك ملك الانكتار ، وملك اسكوسنا »(١) .

فملك الانكتار يسمونه « الانكتار » وملك اللمانية « Allemania » هو الأمن أو اللمانية ، والأنبردية « Lambardy » وهكذا .

ولنقرأ النص الآتى أيضاً :

« وصلت مراكب الفرنج البحرية وفيها جموعهم العظيمة صحبة ريدافرنس ويقال له الفرنسيس واسمه لويس بن لويس ، وريدافرنس لقب بلغة الفرنج معناه ملك إفرنس »(٢) .

وقال ابن واصل : وكان هذا ريد افرنس من أعظم ملوك الفرنجية وأشدهم بأساً .

« وإفرنس هى أمة من الفرنج ومعنى ريد إفرنس ملك إفرنس فان ريدا فى لغتهم معناها الملك ، وكان متديناً بدين النصرانية مرتبطاً به فحدثته نفسه بأن يستعيد البيت المقدس »(٣) .

---

(١) السلوك ، ج ١ ، ص قسم ٢ ، ص ٣٦٤ .

(٢) المقريزى ، السلوك ، ص ٣٣٣ .

(٣) مفرج الكروب لابن واصل ٢ ج ، .

الصيغة

دراسة الصيغ أمر هام ، فلم ينس النحاة اعتبار الصيغة فى حديثهم عند أى باب نحوى — فهم مثلا يقولون : المبتدأ اسم صريح أو مؤول به « والحال هو الوصف المبين لهيئة صاحبه .. والمفعول لأجله هو المصدر القلبي ... إلى آخر ما ينبىء عن تحديد البنية الصرفية التى يكون عليها الباب النحوى .

فالصيغة قرينة هامة يعتمد عليها الباحث فى أمرين :

١ — تحديد أقسام الكلام ، فللأسماء صيغها ، وللأفعال صيغها ، وللصفات صيغ تختلف عن هذه وتلك ، أما الأدوات فليست لها صيغ وبتلك العلاقة العدمية تتميز عن أقسام الكلام الأخرى .

٢ — تحديد الباب النحوى أو وظيفة الكلمة فى الجملة .

فالصيغة قرينة لفظية على الباب ، فنحن لا نتوقع للفاعل ولا للمبتدأ ولا لنائب الفاعل أن يكون غير اسم ، ولو جاء فعل فى هذا الموقع لكان بالنقل اسماً محكياً .

على أن معانى الصيغ الصرفية لا تكون وثيقة الصلة بالعلاقات السياقية فنحن نعلم أن الفعل اللازم لا يصل إلى المفعول به بغير واسطة ونعلم أيضاً أن بعض الصيغ معناها اللزوم ، وذلك كالمطاوع والمبنى للمجهول من المعتدى لواحد وأفعال السجايا مثل فعل يفعل بضم العين وغير ذلك ، فمعنى الصيغة الصرفية ينبىء عن علاقتها السياقية(١) .

ويقول أنطوان مييه « اللفظة المفردة وعامل الصيغة ليسا دائماً منفصلين فى الكلام ، ففى بعض اللغات التى تسمى لغات إعراب « Langues « Flexionnelles » تجد اللفظة وعامل الصيغة متحدين اتحاداً وثيقاً بحيث يكونان كلا لا يتجزأ إلا بالتحليل .

---

(١) د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢١٠ — ٢١١ (بتصرف) .

وهذا ما سيتولى الفصل القادم الكشف عن أبعاده فبالتحاليل يلقى الضوء على كل من النظم وعامل الصيغة حيث يكونان كلا لا يتجزأ إلا بالتحليل .

يقول أنطوان مييه : « ونحن نسمى النوع الأول بعلم الصيغ Morphologie والنوع الثانى بعلم النظم « Syntaxe » ولكنهما فى النهاية يؤديان نفس الخدمات ومن ثم كان هناك مجال لجمعهما فى باب واحد من علم اللسان هو باب النحو « Grammaire »

فإلى الفصل الثانى ، فصل النحو .

الفصل الثانى

فى الدراسات النحوية لعربية الحروب الصليبية

فى النظم والخواص التركيبية :

« واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التى انتهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشىء منها »(١) .

« والدراسة النحوية الحديثة فى بناء الجملة تهتم بترتيب الوحدات الصرفية (الكلمات) فى الجملة وتراعى الإعراب وتغيره للتعبير عن المعانى المختلفة (٢)

« فالجملة وحدها هى الحقيقة المحسوسة التى ينصرف إليها جهد الباحث فى علم اللسان »(٣) .

ولغة الحروب الصليبية التى نحن بصدد دراستها مرحلة من مراحل اللغة العربية استجابت لمجموعة من الظروف التى مر بها المجتمع الإسلامى آنذاك ، وأحدث ذلك تغيرات فى كثير من جوانبها على نحو ما مر ، والحاجة ماسة إلى معرفة مسار هذا التطور فى الخواص التركيبية ، وذلك بإلقاء مزيد من الضوء تتضح معه أبعاد التطور وحركة التغيرات فى الخواص التركيبية التى تميز مرحلة موضوع دراستنا « وهى عربية العصور الوسطى » .

وعلى الرغم من أن اللغة العربية فى ذلك الحين كانت مشدودة بعوامل متعددة تعمل على ربطها بالفصحى(٤) ، والمحافظة على الصورة التى صورتها

---

(١) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ، ص ٦٤ .

وانظر : د. البدراوى زهران ، عالم اللغة . عبد القاهر الجرجانى .

(٢) د. محمد فهمى حجازى : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، ص ٧٢ .

ود. البدراوى زهران ، (السابق) : فصل الدراسات النحوية .

(٣) انطوان مييه : ترجمة د. مندور ، ص ٤٤٣ .

(٤) اقرأ الفصل الخاص بعوامل انتصار العربية فى هذا الكتاب .

عليها كتب اللغة إلا أن الباحث تطالعه ظواهر لغوية تركيبية متعددة تشير إلى نوع ما من التغير أو التطور .

وقد اتخذت تلك الظواهر اللغوية آنذاك أشكالا توضحها الدراسات والنماذج الآتية :

أما الإعراب فعلى الرغم من كونه من الخواص الشكلية التى تميز الفصحى إلا أن أى خروج على قواعده يعد خطأ يُنَبَّهُ إليه قل ذلك أم كثر ، وقد لوحظ أن الأخطاء الإعرابية ترتبط بثقافات الكاتبين على نحو ما سيتضح فيما هو آت والخطأ الإعرابى فى عمومه من الظواهر المتوسطة التردد .

ظواهر لغوية تركيبية عامة موجودة فى كل المصنفات وعلى طول العصر :

١ — ظاهرة حذف أداة الاستفهام « الهمزة أو هل »(١) :

ولهذا ومثله تفسيره فى علم اللغة الحديث حيث يضعه ضمن الأنماط التنغيمية والنماذج الموسيقية التى تؤدى فيها التغيرات الصوتية وظيفة نظمية « Syntactic funiction » وذلك موجود فى كل اللغات .

ففى الفرنسية مثلا تؤدى التغيرات الصوتية وظيفة نظمية فبتغير النغم تتحول الجملة من الدلالة على التقرير إلى الدلالة على الاستفهام فمثلا : « Il Vient » تنطق بنغمة هابطة تكون إخباراً وهى نفسها « Il Vient » تنطق بنغمة صاعدة تكون سؤالا (٢) .

ولا نذهب بعيداً ، ففى لغة مصر يقوم عنصر التنغيم بوظيفة نظمية فتغير النغم يحول الجملة الواحدة من استفهام إلى تقرير إلى استنكار إلى تعجب .

---

(١) من المعلوم أن للاستفهام إحدى عشرة أداة : الهمزة وهل وما ومن وأى وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان ، وهذه الأدوات على ثلاثة أقسام :

(أ) ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو الهمزة .

(ب) ما يطلب به التصديق فقط وهو هل .

(ج) ما يطلب به التصور فقط وهو بقية الأدوات .

أنظر دراسات تفصيلية لبلاغة عبد القاهرة ص ٢٤٤ .

(٢) اقرأ من ص ٢٠٦ إلى ص ٢١١ علم اللغة مقدمة .

كما أن فى الفصحى نماذج من العبارات تتحدد خواصها من حيث مكوناتها نصرفية ويتضح وجه الخلاف فى مراعاة طريقة نظمها وممزاتها الصوتية .

مثال ذلك :

اسم معرفة + إمكانية سكتة + صفة معرفة + نغمة هابطة = مبتدأ وخبر

اسم معرفة + استحالة سكتة + صفة معرفة + نغمة صاعدة = مبتدأو صفة

فالفيصل فى هذا التفريق هو إمكانية السكتة بين عنصرى العبارة مع انتهائها بنغمة هابطة وهى دليل الجملة التقريرية العادية ، أو عدم إمكانية السكتة بين عنصريها والانتهاء بنغمة صاعدة « Rising tone »(١) .

ومن هنا جعل علم اللغة الحديث دراسة التنغيمات « Intonation » والنبر « Stress » جزءاً لا يتجزأ من الدراسة النحوية (٢) . يقول فيرث : « وأما النحو فهو ناقص بدون دراسة الأنماط التنغيمية أو النماذج الموسيقية(٣) .

ويقول الدكتور كمال بشر : « ومن الخطأ أن يهمل النحاة الحقائق الصوتية فى إجراء بحوثهم وتحليل مادتها ، فهذه المادة تتألف من عناصر صوتية وأخرى صرفية »(٤) .

ومعلوم أن ذلك لا يتبين إلا من خلال نصب مسرح لغوى تظهر من خلاله وتتحدد به أبعاد الظاهرة النظمية التى نحن بصدد دراستها فى عربية الحروب الصليبية ، وهى ظاهرة حذف أداة الاستفهام «الهمزة أو هل »(٥) اعتماداً على سياق المقام وعنصر التغيرات الصوتية(٦) .

---

(١) د. كمال بشر : علم اللغة العامة الأصوات ، ص ٢٤٨ .

(٢) د. كمال بشر (السابق) ص ٢٤٤ .

(٣) السابق ، ص ٢٣٩ .

(٤) السابق ، ص ٢٤٢ .

(٥) اقرأ فى حالات الاستفهام بالهمزة وهل : السعد — والمنهاج الواضح لشرح السعد ، لحامد عونى من ص ٧٠ . واقرأ دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهرة ، لعبد الهادى العدل صفحة ٢٤٤ . وأقرأ علم المعانى للدكتور درويش الجندى من ص ٤٣ .

(٦) ويسمى ذلك فى علم اللغة الحديث بالتغييرات الصوتية ذات الوظيفة النظمية .

ونعطى نصوصاً متنوعة كأمثلة على هذه الظاهرة نشفعها بالدراسة التحليلية جاء النص الآتى : « لما قبض على الملك العادل لتبديده المال على الحاشية قال لهم : لأى شىء قبضتم على سلطانكم ؟ فقالوا : لأنه كان سفيهاً . فقال : يا قضاه .. السّفيه يجوز تصرفه فى بيت مال المسلمين ؟ .. قالوا : لا .. قال : أقسم بالله متى لم تحضروا ما أخذتم من المال كانت أرواحكم عوضه . فخرجوا وأحضروا »(١) .

حذفت هنا أداة الاستفهام — والمحذوف إما : « هل » ، وإما : « الهمزة» حيث إن الذى ولى أداة الاستفهام المسند إليه . وإذا بدىء بالفاعل فمعناه أنه ليس هناك شك فى الفعل كان أو لم يكن وإنما الشك فى نسبة التصرف إلى السفيه — فتكون الهمزة لطلب التصديق بالنسبة . ومثلها هل . فالمطلوب هنا ثبوت نسبة بين أمرين أو نفى هذه النسبة فيكون الجواب بنعم إن أريد الإثبات ، وبلا إن أريد النفى — ومن هنا كانت إجابتهم « لا » .

والتقدير إذن : « هل السفيه يجوز تصرفه فى بيت مال المسلمين .. ؟ » ، أو « أالسفيه يجوز تصرفه فى بيت مال المسلمين .. ؟ » .

ونصرف النظر موقتاً عما ورد فى هذا المثال ويحتاج إلى تعليق وتحليل من نحو قوله : « لما قبض على الملك » وقوله : « أقسم .. متى لم تحضروا ما أخذتم » فسوف يضم هذا مع شبيهه فيما بعد .

ونعرض مثالا ثانياً : « قال كرجى(٢) للسلطان : ما يصلى مولانا السلطان العشاء ؟ .. فقال : نعم ، وقعد فى عدة من البرجية بداركاة القلعة ينتظر ما يكون من كرجى .. فعندما رآه طغجى قال : قضيت الشغل .. ؟ قال : نعم وأعلمه الخبر »(٣) .

---

(١) السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٨ ؛ قسم ٢ .

(٢) من أمثلة الأعلام التى كانت مستعملة آنذاك : كرجى ، وطغجى .. وما هو على هذه الشاكلة . تأثر طبيعى بلغات معسكر المسلمين .

(٣) السلوك ، ص ٨٥٧ .

حذفت أداة الاستفهام هنا مرتين :

الأولى : « أما يصلى مولانا السلطان التشاء ؟ » ووفق القواعد فإن الرد بالإيجاب يقتضى « بلى » ولكنه قال « نعم » .

والثانية : « أقضيت الشغل ؟ » أو « هل قضيت الشغل ؟ » فإن المطلوب ثبوت النسبة بين أمرين أو نفيها فتكون أداة الاستفهام الهمزة أو هل ويكون الجواب « بنعم » أو « لا » .. وجاءت الإجابة بـ « نعم » .

ونصرف النظر مؤقتاً عما جاء فى هذا النص مما هو فى حاجة إلى تحليل أو تعليق من نحو قوله : « فعندما رآه طغجبى ... » .. إلخ فسوف يضم هذا إلى شبيهه أيضاً .

ثم نعرض مثالا آخر لهذه الظاهرة : « فحضرت عجوز كردية فقالت للملك الناطور : رأيت ابنى فلاناً ؟ قال : قُتل .. ضربته نشابة . قالت : فابنى فلان ؟ .. قال : وسطه الأمير(١) ، فصاحت وكشفت رأسها وشعرها كالقطنة المندوفة . قال لها الناطور : اسكتى لأجل الأمير .. قالت : وأى شىء قد بقى الأمير يعمل بى ، كان لى ولدان قتلهما .. فدفعوها »(٢).

ونصرف النظر الآن عن المخالفة الإعرابية فى قولها : رأيت ابنى فلان ؟ حيث إن الصواب «فلاناً» على مانحو ما صحح (٣) فسوف تعالج ظاهرة الأخطاء الإعرابية فيما بعد . فإن التقدير فى قول العجوز الكردية « أرأيت ابنى فلاناً ؟ » حيث المطلوب هنا التصور أى أن يعين لها مكانه ويدلها على ابنها فيكون الجواب هنا بالتعيين — وتسمى معرفة هذا تصوراً . والهمزة هى التى تصلح للتصور والتصديق معاً . أما هل فهى للتصديق فقط . ولذلك وجب هنا أن يكون تقدير المحذوف الهمزة .

---

(١) وسطه : أى ضربه بالسيف من وسطه ففصل أعلاه عن أسفله وتدلدلت أمعاؤه وهذا المصطلح يطلق على نوع من التعذيب والقتل كان يحدث فى ذلك العصر — وأنكى منه التعذيب والقتل بالتسمير — وقد تناوله وليم موير بالتعريض فى كتابه فى أكثر من موضع .

(٢) كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ١٥٨ — ١٥٩ .

(٣) أنظر ص ١٥٨ السابق . وانظر مخطوطة الاعتبار لأسامة بن منقذ .

ومثال آخر : « قال السلطان : أنا أمرته بذلك . . فكيف رددت أمرى ؟ قال : يا مولانا هذا المال أنا متسلمه ، وهذا الرجل لا أعرفه ، ولا يمكنني أن أسلمه لمن لا أعرفه ، ولا يتسلمه إلا من أعرف أنه موثوق بدينه وأمانته فإن كان السلطان يتسلمه منى أحضرته إليه . فقال السلطان : تنزعه من عنقك وتجعله فى عنقى ؟ .. قال : نعم »(١) .

التقدير فى قول السلطان : « أتنزعه من عنقك ؟ » .

ومثال غير ما سبق : « زيد الجرائحى يداوى جرحه ، وعلى رأسه غلام واقف فقال : يا زيد ما تبصر هذه الحصاة ؟ .. ما تزيلها من الجرح ؟ »(٢) .
التقدير : « أما تبصر هذه الحصاة ؟ » ، « أما تزيلها من الجرح ؟ » .
ومثال : « قال السلطان للقاضى : يا قاضى هكذا تكون القضاة ؟ » (٣) .
والتقدير : « أهكذا يكون القضاة ؟ » .

ومما تجدر ملاحظته أن عنصر المطابقة يستوجب أن يجىء قوله : « يكون القضاة » ــ لا « تكون القضاة » ــ حيث إن القضاة جمع قاض غير أن التاء المربوطة فى نهاية الصيغة أوحت لهم كأن الحديث عن مؤنث فجاء قوله : « تكون القضاة(٤) » مما يمكن أن تضطرب معه الدلالة .

ومثال آخر جاء على لسان ملك الفرنجة : « تغيرون شرعكم وذمتكم من أجلى ؟ فلو كنتم عندى فى بلادى هل كنت أبطل الناقوس من أجلكم .. ؟ الله .. الله .. لا تفعلوا .. هذا أول ما تنقصون عندنا »(٥) .

والتقدير : « أتغيرون شرعكم وذمتكم من أجلى ؟ .

(١) السلوك ، ص ٥٣٩ .
(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ ، ص ٤٢ .
(٣) السلوك ، ص ٥٣٨ .
(٤) وقد كانت تلك ظاهرة عامة حيث يعاملون جمع التكسير فى المطابقة معاملة المؤنث .
(٥) عقد الجمان للعينى ، قسم أول ، ص ٨٢ – ٨٣ .

والأمثلة على هذه الظاهرة متعددة فى كل المصنفات على طول العصر .

ومما تجدر الإشارة إليه أن لمثل هذه الظاهرة اللغوية جذورها فى العربية ولفتت نظر النحويين القدماء فقد أورد ابن هشام فى المغنى خلافاً بهذا الصدد من يقروءه يجل جهد السلف الصالح من علمائنا ، غير أن من يتمعن يرى أن مبعث خلافهم أنهم يحللون لغة مكتوبة عاجزة فى كثير من الحالات عن إعطاء المعانى الشكلية المطاوبة ، وتلك آفة الكتابة فى كل اللغات(١) .

فمما قاله ابن هشام فى هذا الصدد : « والألف أصل أدوات الاستفهام ولهذا خصت بأحكام أحدها جواز حذفها »(٢) .

واستشهد ابن هشام على ذلك بقول عمر بن أبى ربيعة :

فوالله ما أدرى وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان

أراد : أبسبع ؟(٣) .

وأنكر المبرد حذف همزة الاستفهام بلا دليل يدل على الحذف .. وقال فى قول عمر بن أبى ربيعة :

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت : بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

إنه إخبار لا استفهام ، والمعنى عنده : ثم قالوا : أنت تحبها(٤) .

واقرأ فى المغنى لابن هشام الخلاف مفصلا(٥) .

كما أجاز الفراء حذف « هل » إذا كان المستفهم عنه اسماً نكرة مجروراً بمن ، مستشهداً ببيت ابن أبى ربيعة :

من رسول إلى الثريا بأنى ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

---

(١) اقرأ فى ذلك فندريس : اللغة .

(٢) المغنى : لابن هشام ج ١ ص ١١

(يقصد بالألف همزة الاستفهام) .

(٣) ابن هشام : المغنى ، (السابق) .

(٤) الكامل للمبرد ، ج ٢ ص ٦١٠

(٥) المغنى لابن هشام ج ١ ص ١٢ .

والتقدير هنا : « هل من رسول ؟ »(١) .

وتحليل الفراء هنا مبني على المعاني الشكلية يتضح ذلك من تعليله الذي يكشف عنه قوله : « إذا كان المستفهم عنه اسماً نكرة مجروراً بمن .. » (ولا تستقيم الدلالة هنا إلا بهذا الحذف) .

ويجيز الفراء أيضاً حذف همزة الاستفهام في الكلام ـ فيصبح بلفظ الإخبار ويدل المعنى على الاستفهام(٢). ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى : « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن . قال : إني جاعلك للناس إماماً قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين »(٣) .

التقدير : أو من ذريتي ؟ .

وتابعه الأخفش(٤) فأوضح أن قوله تعالى : « وتلك نعمة تمنها علي »(٥) هو على تقدير الاستفهام أيضاً .

والدراسة النحوية الحديثة توفر هذا الجهد في التأويل والتحليل والتعليل ، وذلك عن طريق المنهج الوصفي « Adjective method » الذي تربط فيه البنيات الشكلية بالموقف وتعطي للتغيرات الصوتية وظيفتها النظمية وتتضح كل تلك الجوانب بنصب المسرح اللغوي حيث يربط النص بمسرحه وبمقام إستعماله «Contexte of Situation» الذي تتمثل فيه على الأقل الأبعاد الآتية

(أ) المتحدث .

(ب) المخاطب .

(جـ) المتحدث عنه .

---

(١) ابن هشام : المغني ، (السابق) .

(٢) معاني القرآن : للفراء ، ج ١ .

(٣) سورة البقرة آية ١٢٤ . كما جاء في معاني القرآن للفراء ج ٣ ص ٢٩ — ٣٠ ، سورة الزخرف آية ١٩ « أشهدوا خلقهم » رفعها أهل الحجاز على تأويل « اشهدوا » لأنه لم يسم فاعله ، قرءوا بغير همز يريدون الاستفهام .

(٤) معاني القرآن للأخفش ، ص ٣٠٩ .

(٥) سورة الشعراء ، آية ٢٢ .

(د) أشياء داخلة فى الحديث .

(ه) هيئة المتحدث وكل ما يصدر عنه من أشياء متصلة بالحديث أثناء الحديث وإن لم تكن حديثاً كالإيماءة والإشارة وغيرها .

(و) هيئة المخاطب والحالة التى يكون عليها وكل ما يصدر عنه من أشياء متصلة بالحديث وإن لم تكن حديثاً كإظهار الدهشة أو هزة الرأس أو مطة الشفة السفلى .. أو غير ذلك مما يعد استجابة للحديث .

وعندما نربط النصوص المقتبسة بمسرحها اللغوى ، وندخل فى الاعتبار أنها جزء من موقف تسهل التحليلات وتصدق المُعْطيات . وسوف نتناول بالتحليل بعض النصوص التى وردت فى عربية الحروب الصليبية . ولنبدأ بالنص الأخير الذى جاء على لسان ملك الفرنجة : « تغيرون شرعكم وذمتكم من أجلى ؟ فلو كنتم عندى فى بلادى هل كنت أبطل الناقوس من أجلكم ؟ الله .. الله .. لا تفعلوا .. هذا أول ما تنقصون عندنا » .

الجملة الأولى لا يمكن تحديد نوعها إلا بنغمة نطقها التى لا يصح أن تنفصل عن تحليلها النحوى . فمعطياتها الشكلية تقول إنها تصلح أن تكون :

— استفهامية تنقصها أداة الاستفهام مثل الهمزة أو هل .

— وهى نفسها تصلح أن تكون إخباراً .

غير أن الذى يحدد نوعها نغمة نطقها (١) . فهى بالنغمة الهابطة تكون إخباراً ، ولكن هذا لا يتفق مع سياق الحال والموقف . وهى نفسها أيضاً بالنغمة الصاعدة تكون استفهاماً وقد حدد الكاتب نوعها عن طريق وضع علامة الاستفهام .

غير أننا عندما نربط بين النص ومسرحه اللغوى نجد أن معطياتها تقول إنها للاستنكار ولنتمثل الموقف ونربطه بالتركيب التالى من نفس النص وهو : « فلو كنتم عندى فى بلادى هل كنت أبطل الناقوس من أجلكم ؟ » .

---

(١) ولن نتوصل إليه إلا باستحضار الموقف — والاستعانة بالسياق وبقية أجزاء النص . فليست النغمة الصاعدة ولا الهابطة وإنما لعوامل أخرى بالإضافة لأنواع من التنغيم مختلفة .

تركيب شرطى مرتبط بالسابق عليه ، وممتد عنه ، وقد صُبَّ فى قالب استفهامى أيضاً ، ولكن عندما نربط النص بمسرحه ونوائم بين معانى البنية الشكلية ونعطى للتغيرات الصوتية وظيفتها النظمية يصبح المعنى المحدد « النفى » فهو يعنى أن مثل هذا لا يمكن أن يحدث منه وإن لم يأت فى النص بأداة نفى حتى وإن صب جزء من قوله فى قالب شرطى وجزء آخر فى ثوب استفهامى » ويتضح أثر ربط النص بمسرحه فى بقية التركيب ولنتأمل قوله :

« الله الله لا تفعلوا هذا أول ما تنقصون عندنا » .

فبتمثل النطق وباستحضار الهيئة التى يمكن أن يكون عليها المتكلم عندما نربط بين بقية تراكيب النص وسياق الاستعمال نجد أن هذا التركيب للزجر والنهى يؤكده المضارع المسبوق بـ « لا » الناهية وهو هنا يفيد الحال والاستقبال معاً : « الله .. الله .. لا تفعلوا » يؤكد كل ذلك التركيب التالى له وهو الأخير فهو ممتد عن التركيبات السابقة ، ومقام استعماله يعطى معنى التعليل : « هذا أول ما تنقصون عندنا » ، ولو جاء وفق الصورة الشكلية المتبعة لكان: « لأن هذا أول ما ينقصكم عندنا » .

ثم نتناول بالتحليل قول العجوز الكردية من خلال نصب المسرح اللغوى الذى دار فيه الحوار ونطلق للخيال عنانه ليستحضر الهيئة التى حضرت عليها العجوز الكردية ، ولهفتها على ولدها عند قولها للناطور : رأيت ابنى فلاناً ؟ إنها تبحث عن ابنها وتسأل عنه . فالجملة استفهامية وإن خلت من أداة الاستفهام فاعتمادها على التلوين الموسيقى يكفى لإعطاء المطلوب فى هذا الموقف ، وهو جزء لا يتجزأ من النطق ومن الدراسة أيضاً الذى يوضحه السياق وملابسات الحال ويلقى الضوء عليه الحوار الذى دار بينها وبين الناطور . فقوله : « قتل .. ضربته نشابه » إجابة عينت المطلوب ، بل حددت لها نهاية ابنها والكيفية التى كانت عليها وما صار إليه . فلم تطلب مزيداً من التفصيل عنه وجاءت جملتها التالية «فابنى فلان ؟ » استفهام أيضاً وإن استُغْنِىَ فيه عن أداة الاستفهام ففى قولها طلب إجابة من الناطور فيتعين عليه أن يدلها عليه .

وقد جاء قوله جواباً شافياً لها فقد عرف لها نهايته والحالة التي آل أمره إليها : « وسطه الأمير » أي قطعه نصفين من وسطه . سألت فأجيبت بالجواب الكافي الذي أذهب عنها وعيها وجعلها تصبح ولا تدري ماذا يكون منها وكشفت عن رأسها وبدا شعرها كالقطنة المندوفة ..».

أما آخر جمل النص وهي قولها : « وأي شيء قد بقي الأمير يعمل بي » فقد أسقطت فيه وحدة لغوية بالإضافة لحذف مفعول(يعمل)اعتماداً أيضاً على التلوين الموسيقي للنطق ومقتضيات الحال وما يضيفه الموقف والعناصر الداخلة فيه . ولو أضيفت تلك الوحدة الساقطة وهي حرف جر لجاء قولها وفق الشكل المتبع على النحو الآتي : « وأي شيء قد بقي للأمير يعمله بي ؟ » . كان لي ولدان قتلهما .

* * *

أما تركيب : « زيد الجرائحي يداوي جرحه ، وعلى رأسه غلام واقف فقال : يا زيد ما تبصر هذه الحصاة ؟ .. ما تزيلها من الجرح ؟ .. »

فنحن نقول : إن الذي يحدد خواص التركيبين نوع « ما » ولا يبين نوعها إلا بطريقة نطقها وبالمميزات الصوتية التي تأتلف مع بنيات السياق ومقام الاستعمال .

وبناء على تمثلنا لهذا فإن « ما » في التركيب الأول تؤدي وظيفة الاستفهام المنفي . الذي لو جاء وفق الصورة الشكلية المتبعة لكان : « يا زيد أما تبصر هذه الحصاة ؟ » فالذي حذف في هذا التركيب هو همزة الاستفهام ، والدليل قوي على الحذف . ومثلها التركيب الممتد عنها الذي لو جاء وفق الصورة الشكلية المتبعة لكان : « أما تزيلها من الجرح ؟ » . فهذا التركيب أيضاً استفهام منفي ، غير أننا عندما ندرسه من خلال مسرحه اللغوي ونعطي بالنا للمميزات الصوتية التي تصاحب النطق نجد أن معطيات هذا الاستفهام المنفي هي الحض أو الرجاء : أما تبصر الحصاة ؟ .. أما تزيلها من الجرح ؟ » .

فالتلوين الموسيقى فى نطق التركيب الأول يعطى طابع الاستنكار ، والتلوين الموسيقى فى نطق التركيب الاستفهامى المنفى الثانى يعطى نبراً على مستوى السياق يوحى بالحض ، أو الطلب ، أو الرجاء ، وكأنه يريد أن يقول له : « أزلها » . يؤيد ذلك ما تستعمله اليوم فى لهجاتنا الدارجة المصرية حيث نستخدم مثل هذا التركيب « الاستفهام المنفى المحذوف الهمزة فى الحض والحث والأمر أو الطلب عامة » ، فنقول مثلاً :

« ما تقرأ الدرس ؟ » بمعنى : « أما تقرأ الدرس ؟ » ، « ما تذاكر ؟ » للأمر بمعنى « أما تذاكر ؟ » ، « ما تجى تشرفنا ؟ » بمعنى طلب زيارة من تحب : « أما تجىء ؟ » ... إلخ .

وفى هذا تبادل وتأثر وتأثير بين العامية والفصحى — فقد يكون هذا من عطاء العامية للفصحى آنذاك ، كما أنه قد يكون منحدراً من عصر الحروب الصليبية إلى عميتنا اليوم — وعندى أن هذا من عطاء العامية وتأثيرها على الفصحى ، لأنه يتضح فيه أثر لغة الحياة اليومية بأنماطها التنغيمية واعتمادها فى كثير من الوظائف التنظيمية على التغيرات الصوتية .

وهذا هو التفسير العلمى لما عرضناه من نصوص سابقة — ولكل ما نقرؤه فى مصنفات ذلك العصر ومؤلفاته — ونجد أنفسنا حياله أمام أمور نحار فيها ونقف إزاءها فى تساؤل وتأمل . والحل أن نعرضها على حسنا اللغوى وأن نردها لمسرحها ومقام استعمالها وأن نستحضر موقفها وكيفية نطقها بأنماطها التنغيمية وتلوينها الموسيقى الذى يعد عنصراً من بنائها النحوى وجزءاً من دلالتها .

المسرح اللغوى(١)

اتصالا عما نحن بصدده تحتم علينا الدقة الموضوعية أن نتناول المادة العلمية التى بين أيدينا بروح الدراسة الحديثة ، لذلك سنفرد سطوراً تحت عنوان « المسرح اللغوى » فالاستفادة بالمناهج الحديثة خير ما يعين على دراسة الخواص التركيبية لعربية الحروب الصليبية خاصة ما يتصل منها بظواهر نحوية مبعثها التغيرات الصوتية .

ومما تجدر الإشارة إليه ان المؤرخين فى ذلك العصر اعتمدوا على ما تحمله دلالات الألفاظ وإيحاءاتها فى إبراز الجوانب الدقيقة من الواقع ودفء الحياة وقوة تفاعل اللغة داخل مجتمعها وهم فى ذلك مدفوعين بأسباب منها :

— الرغبة فى الخروج على منهج الكتابة الفنية التى راجت سوقها فى ذلك العصر أيما رواج على يد القاضى الفاضل وزير صلاح الدين وصنوه العماد الأصفهانى ومن تلاهما ممن تربعوا على عرش ديوان الإنشاء وفرضوا على الكتابة منهجاً « متكلفاً » خطواته عصية الترسم إلا على القليل » . وهو بعيد عن واقع اللغة ذات الصلة الوثيقة بالمجتمع . ولا يحسن اتباعه إلا من تسلح بموهبة وطول تدريب ، وفوق أنه للخاصة .. هو بعيد عن قضايا العامة وتفهمهم وإفهامهم ، كما أنه من الصعب أن تسجل به وقائع الحياة السريعة الخطى المتلاحقة الأحداث .

— يضاف إلى ذلك رغبة المؤرخ فى تسجيل دقائق الحياة وتفصيلاتها من واقع التفاعل بالمجتمع .

— وقد يكون اختيار ذلك الأسلوب من وسائل تحايل بعض المؤرخين(٢)

---

(١) لابد من ربط هذا الكلام بسابقه فهو مكمل للظاهرة السابقة ومتصل بها .

(٢) ومن الأدلة الواضحة على ذلك المقريزى – فمثلا فى كتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » يتناول فيه تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر – ويقول عنه محققه د. الشيال « أراد أن يبين أن ما بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن مصالح العباد » . كذا يقول فى موضع آخر : « أنه يجرؤ أحياناً على الإدلاء بآرائه فى نظم الحكم وقواعده – بل يحاول أنه يعلل بعض الظواهر تعليلا عقلياً » .

فى ذلك الحين حيث يجد المؤرخ نفسه أمام عاملين متعارضين أولهما محاولة إرضاء الحاكم وعدم التعرض لشره وبطشه ،وثانيهما رغبته فى تسجيل أحداث عصره بأمانة الشاهد عليها ، ولعل فى اتباع هذا النمط من الكتابة بما يحمل من إيحاءات ألفاظه وصيغه وطريقة التنويع فى نطقه ما يحقق الهدفين المتعارضين.

ومما يجدر التنويه به هنا أن المادة العلمية التى بين أيدينا على الرغم من أنها لغة مكتوبة دونها أصحابها منذ بضعة مئات من السنين إلا أننا نحس منها وقع حياة ودفء واقع وقوة تفاعل وأكثر من ذلك أننا نلمس منها أن النبض من واقع حياتنا وما ذلك إلا لأمور منها :

– أن العربية عبر عصورها التاريخية سلسلة من الحلقات المتصلة .

– أن الصلة وثيقة بين لغة هؤلاء المؤلفين ولهجتنا المصرية على الرغم من اختلاف أوطانهم ، وتلك فى ذاتها لها معطيات منها : التأثير والتأثر المتبادل بين عربية ذلك العصر التى كانت مستخدمة فى شئون الحياة وفى تسجيل وقائعها اليومية وبين اللهجة المصرية المعاصرة لها .

– أن الصلة الوثيقة بين لغة هؤلاء المؤلفين وبين اللهجة المصرية يكشف عن مكانة مصر ودورها حيث هى العاصمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية مقر الحكم وملاذ العلماء .. كما يطلعنا على جانب آخر على الجذور العميقة التى تمتد إليها بعض خصائص لهجتنا المصرية المعاصرة كما أنه يرى الدارس أن عامل البقاء والتوحيد فى اللهجة ومثله فى اللغة أقوى من عامل التبديد والتفريق فاللهجة المصرية المعاصرة ما زالت تحتفظ بعدة ظواهر لغوية انحدرت إليها عبر قرون من عربية ذلك العصر .

وسوف نعرض بعض نصوص فى مناسبات مختلفة لأكثر من مؤلف يتبين للدارس من خلالها : كيف أنها تسهم فى إعطاء أبعاد مسرح لغوى ، وكيف أنها اعتمدت على التنغيم العالى العام سواء فى مواقف السرد أو فى مواقف الحوار أو فى الوصف والتحليل .

وهذا فى حد ذاته فيه إشارة إلى سابقة هامة ألا وهى : أن اللغة

المدونة يمكن أن تكون وعاءً لمسرح لغوى بمفهومه الحديث خاصة إذا كانت على صلة بلغة منطوقة .

— أن جهود اللغوى وأعماله تعد ناقصة ما دامت بمعزل عن تطبيق المناهج الحديثة ، تستوى فى ذلك اللغة المدونة أو المنطوقة .

— أن التحليل النحوى ناقص ما لم يعتمد على المعطيات المتنوعة للتغيرات الصوتية التى يستجيب لها التركيب ويوحى بها مسرح اللغة ومقتضيات الموقف وإيحاء اللفظ ولحن القول .

وما نأتى به هنا إن هو إلا شاهد على ما نذهب إليه وتمثيل له وليس استقصاءاً ولا تتبعاً شاملا وإنما هو جانب من جوانب الدراسة فرضته المادة اللغوية وروح البحث . فهذا هو جانب من التحليل النحوى له تفاعله بالجانب الدلالى .

وأوضح مثل على ذلك القول الذى جاء فى موقف سردى وصفى دار فيه الحوار معتمداً على التنغيم ونبر الكلام ولحن القول فاختفت معه أدوات الاستفهام وغيرها اكتفاءاً بما يحمله الوقف ومقتضيات الحال من تغيرات صوتية .

النص :

« قدم الراهب كرنانوس بكتاب الملك الأشكرى وكان الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى يكره قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ويضع من قدره ويحط عليه عند السلطان بسبب تشدده فى الأحكام وتوقفه فى القضايا التى لا توافق مذهبه ؛ فاتفق جلوس السلطان بدار العدل فى يوم الإثنين ثانى عشر ذى الحجة — فرفع إليه بنات الملك الناصر قصة(١) فيها أن ورثة الناصر اشتروا دار قاضى القضاة بدر الدين السنجارى فى حياته

(١) دلالة مصطلح « قصة » فى ذلك العصر تعنى شكاية أو شكوى وهذا تأثير وتأثر من الفارسية وبها .

فلما مات ذكر ورثته أنها وقف . فعندما قرئت أخذ الأمير ايدغدى يحط على الفقهاء وينقصهم .. فقال السلطان للقاضي تاج الدين : يا قاضي هكذا تكون القضاة ؟ ...

فقال تاج الدين : يا مولانا كل شاة معلقة بعرقوبها .

قال : كيف الحال فى هذا ؟

قال : إذا ثبت الوقف يعاد الثمن من الورثة .

قال السلطان : فاذا لم يكن مع الورثة شيء ؟

قال القاضي : يرجع الوقف إلى أصله ولا يستعاد الثمن .

فغضب السلطان من ذلك وما تم الكلام حتى تقدم رسول من المدينة النبوية وقال : يا مولانا السلطان .. سألت هذا القاضي أن يسلم إلىّ مبلغ ريع الوقف الذى تحت يده لينفقه صاحب المدينة فى فقراء أهلها .. فلم يفعل .

فسأل السلطان القاضي عما قاله .. فقال : نعم .

قال السلطان : أنا أمرته بذلك فكيف رددت أمرى ؟

قال : يا مولانا .. هذا المال أنا متسلمه وهذا الرجل لا أعرفه .. ولا يمكننى أن أسلمه لمن لا أعرفه ، ولا يتسلمه إلا من أعرف أنه موثوق بدينه وأمانته .. فإن كان السلطان يتسلمه منى أحضرته إليه .

فقال السلطان : تنزعه من عنقك وتجعله فى عنقي ؟ ..

قال القاضي : نعم ..

قال السلطان : لا تدفعه إلا لمن تختاره(١) » .

فيما سبق جمل استفهامية خلت من أداة الاستفهام وسجل المؤرخ بعدها علامة الاستفهام — غير أن الدرس الحديث يرى أن مسرح الكلام ومقتضيات الحال هى التى جعلتها استفهاماً اعتمد على نبر الكلام وتنغيم الجملة ولحن القول

(١) السلوك ، ص ١٣٨ .

وإن خلت من علامة الاستفهام .. بل إن بعض العلامات قد تكون مضللة .
وخير ما يبرز الدلالة لحن القول الذى يعد جزءاً لا يتجزأ من التحليل النحوى
ومن الدلالة معاً .

فإن فى ردّ تاج الدين على السلطان : « يا مولانا .. كل شاة معلقة بعرقوبها
يوحى بروح ونغمة سؤال السلطان التى تحمل الأسى والتحسر على ما وصل
إليه حال القضاة الذين هم مناط العدل فى الدولة وموضع ثقتها .

وفى إجابته تبرؤ وتنصل وتأكيد على أن هذا سلوك فردى فيجب على
السلطان فى أبسط الحالات ألا يفقد ثقته فيه وهو « كل شاة معلقة بعرقوبها »
(ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

ونشير هنا إلى حقيقة سجلها المؤرخ تؤكد للقارىء دائماً أنه يتابع مسرحاً
عليه الحركة فى تفاعل دائم فقد صور لنا السلطان فى مجلسه ويقدم عليه الراهب
كرتانونس بكتاب الملك الأشكرى ، ويدع هذا الموقف ولا يكمله حيث
تتداخل الأحداث ويستوجب عمل الكاتب تحليل أو وصف بعض الجوانب
التى تسهم بدورها فى إعطاء التصور والدلالة التى يريدها - فيلقى الضوء على
الأمير جمال الدين ايدغدى الذى يحلل لك طبيعة نفسه وحقيقة مشاعره إزاء
قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، وكيف أوغر هذا الأمير صدر
السلطان عليه .

وتتتابع الأحداث والحركة على مسرح الكلام وتتداخل المواقف لتعطى
إيحاءات القول وتنقلك معها إلى جو العصر وأحداثه .

ثمّ يدخل عنصر آخر إلى مسرح اللغة وهو القصة التى يرفعها بنات الملك
الناصر إلى السلطان ضد قاضى القضاة بدر الدين السنجارى .. فيجىء قول
السلطان منبثقاً عن هذا الجو العام من صدر أوغره الأمير جمال الدين ايدغدى :
« يا قاضى هكذا تكون القضاة » معتمداً على سياق الموقف وتنغيم الجمل
واللحن العام للكلام وأراه يهز رأسه . ويأتى رد القاضى منبثقاً عن هذا كله :
« يا مولانا .. كل شاة معلقة بعرقوبها » أى « علىّ نفسى » وتستمر الأحداث

فى التتابع داخل المسرح اللغوى الذى نكتفى فيه بهذا الجانب من الموقف التالى وهو قدوم رسول المدينة بشكاية فى حق هذا القاضى أيضاً الذى عُبِّىء القلب من حوله وتَتَابَعَتْ الأحداث ضِدَّه ، ويحاول الدفاع عن نفسه بذكاء المُحَنَّكِ الذى يجعل الموقف له لا عليه ... ويأتى قول السلطان منبثقاً عن طبيعة مسرح القول يحمل لحن الكلام بتنغيماته التى يوحى بها السياق : « تَنْزَعه من عنقك وتجعله فى عنقى ؟ .. » دون أداة استفهام انبثاقاً عن طبيعة المسرح وما يعطيه تَغَيُّرُ الصوت وإيحاء النطق والنغم .

وأتصوره وقد مط عنقه إلى الأمام وزاد فى اتساع عينيه وارتسمت على وجهه علامات الاستنكار والدهشة ، وأتصور القاضى وهو يجيب بنعم فى قوة وتأكيد حيث أنه أكد للسلطان أنه على حق فى موقفه ولا حق لرسول المدينة فى شكايته ..

لذلك لم يجب على رسول المدينة ولم يسجل رداً على الشكوى .

وانتقلت حركة المسرح اللغوى إلى جانب آخر من جوانبه ..

ونص آخر يعطينا بعداً جديداً من أبعاد المسرح اللغوى أيضاً وقد يخون فيها التعليل والتدليل الذى حدا بالمؤرخين لانتهاج هذا اللون فى تسجيل أحداث عصرهم ، وهو بطش الحاكمين وشرورهم التى يرغبون فى إتقائها ، حيث لا أمان لأحد على نفسه .

الملك الأشرفُ يَقْتلُ غيلقو يختفى مُغْتالاً ويُدَبِّرُ كلٌ منهما الوصول إلى الحكم وفى نفس اللحظة يحاول كل واحد منهما التخلص من صاحبه ، وخارج المسرح يد أخرى تعمل على التخلص منهما — ونعرض هنا نصاً لُغَوِيّاً داخل مسرح قوله كما سجله المؤرخ وكيف أنه استطاع أن ينقل القارىء معه إلى هذا الجو بما فيه من مؤامرات ودسائس وخِسَّةٍ وما يسيطر عليه من رعب وخوف فى جو اليقظة والمنام وكيف أن عابر الأحلام ومفسر الرؤى لا يأمن على نفسه إن فسر رؤية كما يتراءى له وإنما يتحايل ليخرج نفسه من تفسير أحلام هؤلاء فى مثل هذا الجو الذى تعلو فيه راية الغدر ويفعم

بالخيانة وخيبة الأمل ، ولم يقل المؤرخ شيئاً من هذا وإنما أوحى به مسرح قوله الذى رسم لحن كلامه ونبر مقاطعه وتنغيم جمله التى يحسُّها القارىء من جو المسرح العام وهاكُ جزْءاً من نصه :

« واتفق أن لاجين لما اختفى هو وقرا سنقر بعد قتل الملك الأشرف رأى سنقر رؤياً فبعث إلى لاجين ليحضر إليه بسببها وكان كل منهما يعرف موضع الآخر ، فجاء لاجين فى صندوق حمل إلى دار قرا سنقر بحارة بهاء الدين من القاهرة حيث كان مختفياً فتحادثا ، ثم قال له قرا سنقر :

يا شقير .. رأيت رؤيا ، أنا خائف أن أقصها فتطمع نفسك وتغير نيتك وتَغْدِر بىَ ، فحلف له أنه لا يخونه ، فقال قرا سنقر : رأيت كأنك قد ركبت وبين يديك خيول معقودة الأذناب ، مضفورة المعارف مُجلَّلة بالرقاب الذهب على عادة ركوب الملوك ، ثم نزلت وجلست على منبر وأنت لابس خلعة الخلافة واستدعيتنى وأجلستنى على ثالث درجة من المنبر وتحدثت معى قليلا ثم دفعتنى برجلك فسقطت من المنبر — وانْتَبَهْتُ عند سقوطى(١) — وهذا يدل على قربى منك ورميك لى وأنا والله يا شقير نحس قد خلفْتُك — وما أدرى هل تصدق أولا ؟ .. فضحك لاجين .

وكان كذلك فإنه استناب قرا سنقر لما تسلطن قليلا — ثم كان من أمره ما تقدم ذكره من سجنه له . فكان قرا سنقر كل قليل يبعث إليه برسول وهو سجين ، ويقول : يا أخى اجعل فى نظير بشارتى مما أتاك الله أن تفرج عنى وتنفينى حيث أردت فيبتسم لاجين للرسول ويقول : سلم عليه وقل له إن شاء الله بقى القليل ..

واتفق أن لاجين رأى فى المنام كأنه بباب القلة من القلعة وقد جلس فى موضع النائب والنائب قدامه قد وقف وشد فلما قام من مكانه صعد درجاً وإذا برجل وهو كرجى وقد طعنه برمح فصار كوم رماد .

---

(١) أى استيقظت من نومى.

فاستدعى لاجين علاء الدين بن الأنصارى عابر الرؤيا وقص رؤياه عليه فقال : تدل هذه الرؤيا على أن السلطان يستشهد على يد كرجى .

فقال لاجين : الله المستعان .. وأوصاه بكتمان ذلك وأعطاه خمسين ديناراً وانصرف ابن الأنصارى ، فإذا قاصد الأمير منكوتمر ينتظره فلما دخل عليه سأله عن رؤيا السلطان . فكتمها عنه وقال : شيء يتعلق بالحريم ...
فقال منكوتمر : قد رأيت أنا أيضاً كأنى خرجت من الخدمة(١) إلى دار النيابة فاذا بالدهليز عمود رخام فوقه قاعدة — فجذبت سيفى وضربت رأس العمود فإلقيته ، ففار من العمود دم عظيم ملأ الدهليز .

فعمى ابن الأنصارى عليه وقال : قد انقطع الكلام برؤية الدم خوفاً من شره .. وخرج متعجباً من اتفاق رؤيا المنامين .

فلما كان بعد أحد عشر يوماً من رؤياهما حضر إليه خادم بورقة فيها : أن امرأة السلطان وهى ابنة الملك الظاهر رأت السلطان جالساً ، وإذا بطائر كالعقاب انقض عليه واختطف فخذه الأيسر وطار إلى أعلى الدار فإذا غراب قد أشرف على الدار وصاح « كرجى » ثلاث مرات . فقال ابن الأنصارى : هذا منام لا يفسر حتى تمضى ثلاث جمع وأراد بذلك الدفع عن نفسه ، فقتل لاجين فى الجمعة الثانية من هذا المنام على يد كرجى .

واتفق أيضاً أن فى الليلة التى قتل فيها لاجين ظهر فى السماء نجم له ذنب يخيل لمن رآه أنه قد وصل إلى الأرض . فلما رآه لاجين تعجب منه وتمعر وجهه وقال لقاضى القضاة حسام الدين وهو معه : ترى ما يدل عليه هذاالنجم فقال : ما يكون إلا خيراً .. فسكت لاجين ثم قال : يا قاضى .. حديث كل قاتل مقتول صحيح ؟ .. وتغير تغيراً زائداً — فشرع الحسام يبسطه ويطيب خاطره ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . وجلس وكررها فقتل فى مجلسه ذلك » (٢) .

---

(١) الخدمة بمعنى العمل مازالت مستعملة فى اللهجة المصرية حتى اليوم « مد الخدمة » .
(٢) السلوك (السابق) .

ودون أن أعلق أكتفى أولا هنا بما أحدثه هذا الجزء اليسير من النص من صدى فى نفس قارئه فهو أولا انتقل إلى الساحة التى دارت عليها الأحداث وإلى العصر التى جرت فيه وقائع القول وعاش مع القاتلين المختفين ورأى كيف مهد قرا سنقر لتولى لاجين الحكم برؤياه وقنع بأن يكون نائبه وهو يعلم أنه نحس وأنه سيوضع فى السجن وكيف تأتى الرسل من قبله تستعطف لاجين الذى يضحك ويقول له سلم لى عليه ، وقل له بقى القليل . فمن خلال المسرح اللغوى الذى عرض فيه المؤرخ هذا الجانب أعطى نبض حياة وتدفق حركة وجواً معبئًا بكثير من روائح الغدر التى تزكم الأنوف وتنفر النفوس وتعطيك نبضات عصرها وأدق خلجاته دون أن يقول المؤرخ شيئاً من هذا يؤخذ عليه ، فقد أوحت (فونيات مافوق التركيب) كل ما يريد دون أن يقول وهذا عنصر هام من عناصر التحليل النحوى الذى هو فى النهاية جانب هام من الدلالة إذ هو إعراب بمفهوم عبد القاهر ، فما الإعراب إلا أن تعرب عما فى نفسك وتبينه وتكشف عما تريده . وهل هناك إبانه أبين بعد ذلك من أبعاد جميع شخصيات مسرح الكلام قد تحددت فى وضوح أمام القارىء وتحددت على ضوئها كيفية نطقها .

ولنأخذ شخصية علاء الدين بن الأنصارى عابر الرؤيا وموقفه من لاجين الذى فسر له منامه باستشهاد السلطان على يد كرجى وكيف أخذ مقابل تفسيره للرؤيا خمسين ديناراً ، وكيف كان وفيًّا بما وعد أميناً على كتمان الأمر فلما طلب الأمير منكوتمر معرفة رؤيا السلطان تخلص بقوله : شىء يتعلق بالحريم فقطع عليه كل سؤال آخر . وفى هذا الرد إيحاء وإشارة بالجو العام وطبيعة العصر وطبيعة السؤال فوق إيحائه بنبر الجواب نفسه وتنغيمه ، ثم موقفه من منكوتمر عندما قص عليه رؤياه ، وكيف أحسن التخلص منه بقوله انقطع الكلام برؤية الدم .

ومن هنا اتضحت أبعاد شخصية منكوتمر فهو يخفى عليه رؤيا السلطان ولا يفسر له رؤياه وإنما يعمى عليه خوفاً من شره .

ويوحي النص بنبر القول ونغمة نطقه وحركة عابر الرؤيا مما أقنع منكوتمر فلم يعد عليه السؤال فقد نجح في التعمية .

وشخصية أخرى تتضح أبعاد معالمها ويتحدد معها طريقة تصرفها وطبيعة العصر . إمرأة السلطان تبعث بورقة فيها رؤياها التي توقع مفسر الأحلام في مأزق آخر يعطيك الجو العام الذي يعيش فيه وترسم لك أبعاد سلوك كل شخصية ، فالغراب يصيح كرجي ثلاث مرات ، والعقاب ينقض على السلطان ويختطف فخذه الأيسر ويطير إلى أعلى .. فما شخصية كرجي هذا .. ؟؟ .

وانظر معي كيف ألقى عابر الرؤيا قوله الذي أقنع به منتظر التفسير مما جعله ينقله هو الآخر بنغم ونبر مقتنع ، « هذا منام لا يفسر حتى تمضي ثلاث جمع .. » وتدبر اختيار كلمة جمع .

وانظر إلى لاجين ليلة قتل وضميره يؤنبه ويحاسبه وقد اتخذ من ظاهرة عابرة في السماء وهي ظهور نجم بذنب شاهداً ومفسراً لما ينتظره من مستقبل مشئوم مظلم . فيأتي قوله بلحنه ونبره ونغمه : « ترى ما يدل عليه هذا النجم ؟ » ثم سكت ليسأل القاضي دون استخدام أداة استفهام :

« يا قاضي .. حديث « كل قاتل مقتول صحيح » ؟ ..

بأسلوب النداء الذي يعقبه قول يصلح أن يكون إخباراً واستفهاماً خلت منه الأداة ؛ ونبرة قوله تعطي أنه استفهام .. وهو إن كان استفهاماً ليس في حاجة إلى إجابة على سؤاله فقد كان في حالة ما يغني عن سؤاله .

« تغير تغيراً زائداً » .. فبدل أن يجيبه القاضي شرع يطيب خاطره ويقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

في هذا إشارة إلى وجود مسرح للأحداث دار عليه القول وندع للمتأمل سؤالا يجيب عنه — لقد شد هذا الجزء من نص المؤرخ عقله وسيطر على فكره وتراءت أمامه صور أيقظت خياله وحركته فأتم ما نقص من عناصره .. فما السر وراء كل ذلك .. ؟

* * *

ثم ينقلنا نص آخر إلى مسرح أحداث بعيدة عن القاهرة حيث تدور هناك فى صعيد مصر .

ودون أن نمهد أو نعلق نأتى بنص المؤلف وندع الأحداث فى المسرح اللغوى تكشف عن هدف كاتبها مع إطلاق العنان لخيال الدارس المتأمل حيث تحلق شخصياتها فى عالم وزمان مسرحها اللغوى .

وهاك النص :

« كَثُرَ فساد العرُبان بالوجه القبلى وتعدى شرهم فى قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعايش بسيُوط ومنْفلوط فرائض جَبَوْها شبْه الجالية ، واستخفوا بالولاة ومنعوا الخراج ..

وضرب الأمراء على الوجه القبلى حلقة كحلقة الصيد وقد عميت أخبارهم على أهل الصعيد فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها ، ووضعوا السيف من الجيزية بالبر الغربى ، والأطفيحية من الشرق فلم يتركوا أحداً حتى قتلوه ووسَّطوا نحو عشرة آلاف رجل وما فيهم إلا من أخذوا ماله وسبوا حريمه ، فإذا ادعى أحد أنه حضرى قيل له : قل دقيق .. فإن قال بقاف العرب قتل .

ووقع الرعب فى قلوب العربان حتى طبق عليهم الأمراء وأخذوهم من كل جهة فروا إليها وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا مَنْ بِجَانِبَيْ النيل إلى قوص ، وجافت الأرض بالقتلى واختفى كثير منهم بمغائر الجبال فأوقدت عليهم النيران حتى هلكوا من آخرهم ، وأسر منهم نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وزروع وحُصِّلَ من أموالهم شىء عظيم جداً . وصار لكثرة ما حُصِّلَ للأجناد والغلمان والفقراء الذين اتبعوا العسكر يباع الكبش السمين من ثلاثة دراهم إلى درهمين والمعز بدرهم الرأس ، والجزة الصوف بنصف درهم والكساء بخمسة دراهم ، والرطل السمن بربع درهم ، ولم يوجد من يشترى الغلال من كثرتها فإن البلاد طرقت وأهلها آمنون وقد كسروا الخراج »(١) .

---

(١) السلوك ، ص ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ .

أعطى لنا الكاتب وصفاً تصويرياً تحليلياً لمسرح دارت عليه أحداث امتدت من الشمال إلى الجنوب، ألقى الضوء منها على الأمن الذى عاشت فيه البلاد بعد ما أصابها من فساد واضطراب اختل معه الأمن فقطع العربان الطريق وتعدى شرهم كل حد وفى ذلك تعليل لما كان من الأمراء من وقفة متشددة ضدهم بَرَّزَ فيها توسيطهم وإيقاد النيران بمغائر الجبال عليهم وامتلاء الأرض بجيفهم .. وهذا كله من وجهة نظر تحليلية يعطينا الضوء الكافى على حال المستجوب عند نطقه بكلمة « دقيق » . ولا شك أن كثيرين منهم حاولوا أن ينطقوها بالقاف الصعيدية فكشف أمرهم ، فالعادات النطقية أقوى من أن تبدلها محاولة لخروج من موقف ذعر .

وهذا من ناحية ثانية يدعنا نعطى تعليقاً متصلا بما نحن بصدده وهو أمر القاف وكيف تنبه لها الأمراء الحاكمون وهم ليسوا عرباً والحقيقة أن الذى نبههم لها أنهم ليسوا عَرَباً ، فالقاف العربية من الأصوات الصعبة فى تكوين نطقها .. إنها تتكون بأن يحبس الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً بأن يرتفع أقصى اللسان حتى يلتقى بأقصى الحنك وأدنى الحلق بما فى ذلك الهاة ، ولا يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف وذلك بأن يرفع الحنك اللين ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم يطلق مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً مع تذبذب الوترين الصوتيين أثناء النطق . (عملية عضوية شاقة تدخل فيها أكثر من عضو ليؤدى كل دوره الدقيق المحكم) . فالقاف الفصيحة بتعبيرنا كما وصفها القدماء : صامت — مجهور — لهوى — انفجارى . ولصعوبة تكوين الصوت على الكيفية السابقة أصاب نطقه كثير من التطورات واختلف فى ألسنة الناطقين على نحو ما هو معلوم للدارسين . فقافنا الفصيحة الآن مهموسة : صامت مهموس لهوى انفجارى .

والمقابل المجهور لنطقنا اليوم ليس من جملة الأصوات العربية أيضاً وهو موجود فى بعض العاميات وفى اللغات الأجنبية « G » صامت مجهور لهوى

انفجارى . كما أننا نجد القاف اليوم فى بعض لهجاتنا المصرية (آفا) ، « ألم » بدل « قلم » ونجدها (جافاً) ، « جلم » بدل « قلم » .

ونجدها (كافاً) ، فى صعيد مصر يقولون « برتكان » بدل « برتقال » :

ونجدها (غافاً) ، فى السودان يقولون « الغاهرة » بدل « القاهرة » وهى كذلك فى الفارسية والتركية « الغرش » بدل « القرش » .

وأدع المتأمل لهذا المشهد أمام مسرحه اللغوى يعمل فيه خياله ويتابع ما يجرى عليه من أحداث بطلها الأول اللسان بين التعثر والتلعثم والفصاحة .

ظاهرة التراص والتوازى فى الجمل فى عربية الحروب الصليبية(١)

وخير ما يوضح هذه الظاهرة أمثلتها :

« وغضب السلطانُ عليه ، واعتقله ، وأوقع الحَوْطةَ على داره فى يوم الجمعة ثانى شعبان وسار السلطان إلى الشام ، وقاضى القضاة شمس الدين الحنبلى فى الاعتقال بمصر فتسلط شبيب عليهِ ، وادعى أنه حَشَوِىّ ، وأنه يقدح فى السلطان ، وكتب بذلك محضراً ، فأمر بدر الدين بيلك نائب السلطنة بعقد مجلس ، فعُقد فى يوم الإثنين حادى عشره وحضر الشهود ، فتكل بعضهم ، وأقام بعضهم على شهادته . فأخرق النائب بمن شهدوجَرّسهم ، وذلك أنه تبين له تحامل تقى الدين شبيب على القاضى ، واعتقل شبيب ، ووقعت الحوطة على موجوده وأعيد القاضى إلى اعتقاله بقلعة الجبل ، فأقام معتقلا سنين ، ولم يُوَلِّ السلطان بعده قضاء الحنابلة أحداً »(٢) .

وهكذا نرى الجمل تتراص ممتدة ترتبط كل واحدة منها بالأخرى بالواو أو بالفاء ، ونرى الواو تؤدى معانى متعددة وتقوم بوظائف متغايرة وهذا ما يعرف فى بناء الجمل بالتراص والامتداد ويقابله نوع آخر من بناء الجمل يعرف بالتركيب ، جمل بسيطة متراصة ، وجمل مركبة معقدة(٣) .

وتتميز عربية الحروب الصليبية بالجمل المتراصة المترابطة بحرف يصل بينها

---

(١) لبناء التراكيب اللغوية أنواع وأنماط ينبغى أن تختلف النظرة إليها من حيث المفهوم والتحليل فهناك مثلا التركيب الذى يمتد وتتراص فيه الجمل وتترابط بحرف يصل بينها ويطول الأمر على هذا الحال ، ولا يمكن الفصل بين أجزائه أو وضع حد إلا بتمامه لارتباط دلالته بموقفه . كما أن هناك الجمل المتوازية وهى تمثل نوعاً آخر يعطى توازناً وتوازياً مع ارتباط فى الدلالة ، وهناك أيضاً البناء المتداخل وهو نوع من الجمل تتداخل فيه أجزاء التركيب بعضها ببعض ويرتبط ثالث منها برابع بثان ... إلخ . انظر عالم اللغة عبد القاهر الجرجانى من ص ١٧٥ ط ٢

(٢) السلوك ، ج ١ ، ص ٦٠٣ ، قسم ٢ .

(٣) اقرأ اللغة لبلوفيلد ، الفصل الحادى عشر : Bloomfield : Language. chapter. 11. Sentence-Types p. 170, 184.

واقرأ التوازى والتركيب فى علم اللغة بين المناهج والتراث ، د. محمود فهمى حجازى ، ص ٧٢ — ٧٤ .

بطريق ما ويطول الأمر على هذا الحال صفحات وهذا هو ما يطلق عليه في علم التراكيب اسم « تراص الجمل » فالجمل تتراص متوازية والواو توشح عشرات المعاني وعلى العكس من هذا ما يعرف بالتركيب المعقد أو « الجمل التركيبية » ومما ساعد على هذا أن للواو في اللغة العربية أحد عشر قسماً :

١ — العاطفة : فتعطف الشيء على صاحبه — وعلى سابقه — وعلى لاحقه — ويجوز أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخ ، وذكر العلامة الأمير في حاشيته على متن المغني أن الواو تنفرد عن سائر أحرف العطف بخمسه عشر حكماً :

١ — احتمال معطوفها للمعاني الثلاثة السابقة .
٢ — واقترانها بـ « إما » .
٣ — واقترانها بـ « لا » إن سبقت بنفي ولم تقصد المعية .
٤ — واقترانها بـ « لكن » .
٥ — وعطف المفرد السببي على الأجنبي عند الاحتياج إلى الربط
٦ — وعطف العقد على النيف .
٧ — وعطف الصفات المفرقة مع اجتماع منعوتها .
٨ — وعطف ما حقه التثنية أو الجمع .
٩ — وعطف ما لا يستغنى عنه .
١٠ — وعطف العام على الخاص .
١١ — وعطف الخاص على العام .
١٢ — وعطف عامل حذف وبقي معموله على عامل آخر مذكور يجمعهما معنى واحد .
١٣ — وعطف الشيء على مرادفه .
١٤ — وعطف المقدم على متبوعه للضرورة .
١٥ — وعطف المخفوض على الجوار (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم) .

٢ — كما أن « الواو » قد تستعمل بمعنى « أو » .

(٣) وقد تأتى بمعنى التأخير ... إلخ الأقسام الأحد عشر(١) .

والشيء الذى نلاحظه أن بناء الجمل على هذه الشاكلة يعطى مجالا للسرد وتعانق الأفكار والمعانى فى يسر ، فهو أسلوب ميسر بعيد عن التعقيد والتكلف فبساطة الجمل تعبر عن بساطة الأفكار وعدم تعقدها ، يؤيد هذا ما يراه اللغويون من « أن الجملة تبدأ فى صورة بسيطة ثم تتعقد بعد هذا بارتقاء الفكر وتنوع إمكانيات التعبير تنوعاً يتيح التعبير عما تتطلبه الحضارة »(٢) .

كما يرى اللغويون أن هذا الأسلوب يمثل مرحلة من مراحل حياة اللغة المتقدمة ، فهو مثلا يوجد فى اللغات القديمة مثل عبرية العهد القديم وما يماثلها وباختصار هو يعبر عن نوع من الفكر بعيد عن التعقيد والعمق ميال للسهولة واليسر(٣) .

كما يرون أن بناء الجمل المتوازية يمثل لغة الحياة العامة ويكون ذلك فى اللهجة المحلية وفى لغة الحديث عند المثقفين(٤) . وهذا يؤكد التداخل بين هذه الظاهرة وسابقتها وهى غلبة خصائص اللهجة المحلية على عربية العصور الوسطى فى بناء جملها ، وفى إحلال بعض الوحدات اللغوية الفصيحة محل العامية .

ومما هو جدير بالذكر أن مثل هذا النوع من البناء اللغوى يعتبر عند عبد القاهر الجرجانى من مراحل النظم الأولى ، ولا يراه عبد القاهر أكثر من نوع من النظم تراعى فيه مجرد الصحة والصواب والبعد عن الخلل والفساد . « ولهذه المرحلة من مراحل النظم عند عبد القاهر شروط لم تطبق كلها » . وهو يدخل فى دائرة ما يقول عنه : « ومنه ما لا يحتاج إلى فكر وروية .. بل ترى سبيله إلى ضم بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآل فخرطها فى

---

(١) اقرأ حاشية العلامة الأمير على مغنى اللبيب للإمام ابن هشام الأنصارى من ص ٢٨ إلى ص ٣٥ ، ج ٢ حيث الأمثلة موضحة فى تفصيل .

(٢) علم اللغة بين التراث والمناهج ، د. محمود فهمى حجازى ، ص ٧٢ — ٧٣ .

(٣) السابق ص ٧٣ .

(٤) السابق ص ٧٤ .

مسالك لا يبغى أكثر من أن يمنعها التفرق(١) فالجمل فى مثل هذا النظم تأتى متراصة مترابطة » .. فهو : « كلام اطراد على الصواب وسلم من العيب وتحرز من اللحن وزيغ الإعراب »(٢) .

وعلى العموم فالعبرة بالإبانة عما فى النفس ووضوح الدلالة مع البعد عن الخلل والفساد .

وذلك بأن تنظر فى الجمل التى تسرد فتعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل وتعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم وموضع أو من موضع أم وموضع لكن من موضع بل ... وهكذا الشأن فى التصرف فى التعريف والتنكير والتقديم والتأخير فى الكلام كله وفى الحذف والتكرار والإظهار والإضمار ، فتضع كلا من ذلك فى مكانه ، وتستعمله على الصحة وعلى ما ينبغى له(٣) .

نظم لم يطبق أولى مراحل نظم الفصحى من وجوب مراعاة ما ينفرد به كل حرف بخصوصية فى موضعه ، وهو مع ذلك نظم مبين عما فى النفس مطرد على الصحة بعيد عن الخلل .

ومعناه أن عربية الحروب الصليبية انتهجت نهجاً من النظم خاصاً بها سواء فى الجمل المتوازية أو المركبة وسيتضح ذلك فى النوعين المتوازى والمركب وإن كانت النظرة السريعة فى النوع الأول تظهره ، فإن التحليل هو الذى يكشف عنه فى التراكيب .. أى فى الجمل المركبة التى ترمز إلى قضايا متعددة حيث تدخل فى هذه التراكيب ارتباط بعض ببعض ويبنى ثان منها على أول وذلك مثل الشرط والجزاء والقسم والنداء ...

ويقول عبد القاهر عن هذا النوع الأخير : « أنه نوع يدق فيه النظر ويغمض المسلك فى توخى المعانى التى عرفت ، وتتحد أجزاء الكلام ويدخل

---

(١) أنظر عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، ص ١٨٩ — ١٩٠ .

(٢) السابق ، ص ١٩٠ .

(٣) أنظر عبد القاهر الجرجانى لغويا ، ص ١٧٨ .

بعضها فى بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، ويكون حالك فيها حال البانى يضع بيمينه هنا فى حال ما يضع بيساره هناك ، نعم ، وفى حال ما يبصر مكاناً ثالثاً ورابعاً بعد الأولين ».

وليس لما شأنه أن يجىء على هذا الوصف حد يحصره أو قانون يحيط به ، فإنه يجىء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة(١) .

وعربية الحروب الصايبية اتبعت وجهاً من هذه الوجوه الشتى ونحواً من هذه الأنحاء المختلفة تكشف عن أبعاده التحليلات والدراسات الآتية :

(١) القسم

وأوضح ما يكشف عن هذه الظاهرة نماذجها ومن أمثلتها :

« والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله العظيم الطالب الغالب ، الضار النافع ، المدرك المهلك ، عالم ما بدا وما خفا ، عالم السر والعلانية ، الرحمن الرحيم ، وحق القرآن ومن أنزله ، ومن أنزل عليه وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقال فيه سورة سورة ، وآية آية ، وحق شهر رمضان أننى أفى بحفظ هذه الهدنة المباركة التى استقرت بينى وبين مملكة عكا .. » إلخ نص نسخة يمين الهدنة المباركة(٢) .

أما نص نسخة يمين الفرنج فى تلك الهدنة :

« والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، وحق المسيح وحق المسيح وحق المسيح ، وحق الصليب وحق الصليب وحق الصليب ، وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد المكنى بها عن الأب والابن والروح القدس إله واحد ، وحق اللاهوت المكرم الحال فى الناسوت المعظم ، وحق الإنجيل المطهر وما فيه ، وحق الأناجيل الأربعة التى نقلها متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحق صلواتهم وتقديساتهم وحق التلاميذ الإثنى عشر والاثنين وسبعين والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين بالبيعة ، وحق الصوت الذى نزل من السماء على نهر الأردن فزجره ، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم

---

(١) عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، ص ١٩٠ .

(٢) السلوك ص ٩٩٥ ملاحق ، اقرأ ملحق نسخة اليمين فى الهدنة التى حلف عليها الملك المنصور .

روح الله وكلمته ، وحق الست مارية أم النور مارت مريم ويوحنا المعمودين ومر ثمان ومر ثمانى وحق الصوم الكبير ، وحق دينى ومعبودى وما أعتقده من النصرانية ، وما تلقنته من الآباء والأقساء المعمودية أننى من وقتى هذا وساعتى هذه قد أخلصت نيتى وأصفيت طويتى فى الوفاء للسلطان المنصور ولولده الملك الصالح ولأولادهما بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة .. وإنى والله والله وحق المسيح وحق الصليب وحق دينى لا أتعرض إلى بلاد السلطان وولده .. وإنى والله وحق دينى ومعبودى أسلك فى هذه المعاهدة والمهادنة والمصافاة والمصادقة وحفظ الرعية الإسلامية .. » ... إلخ(١) .

وإذا صرفنا النظر عما يفصل بين جملة القسم وجملة الجواب — فقد أجاز الكوفيون أن يفصل بين جملة القسم وجملة الجواب بكلام كثير — فقد ذكروا أن جواب القسم فى الآية الأولى من سورة « ص » هو فى الآية الرابعة والستين(٢) فإنه يبقى أن اتحاد الأجزاء وارتباط ثان بأول ليس مما يدق فيه النظر أو يغمض المسلك وإنما هو مما لا يحتاج إلى فكر وروية وإنما هو نظم اطرد على الصحة وأبان عن المراد .

ولنقرأ القسم الآتى فى موضع آخر بعيدين عن نصوص المهادنة :

« وحق نعمة مولانا السلطان هؤلاء الأقباط أكلوا الأموال .. »(٣) .

« والله ما يأكل السلطان غيركم .. »(٤) .

نوع من البناء لا يحتاج إلى فكر ولا روية حقاً هناك جملة قسم وجملة جواب وبينهما ارتباط وهو ارتباط تركيب ولكن يُعَدُّ من أولى مراحله قريب من ارتباط التراص أو التوازى أو السرد ، فلا نجد اتحاد أجزاء جمل ودخول بعض فى بعض باشتداد ارتباط ثان بأول ... وهكذا .. نوع من النظم اختطته لنفسها عربية الحروب الصليبية متأثرة فى ذلك بلغة الخطاب فى اللهجات العامية وبخاصة اللهجة المصرية .

---

(١) السلوك ، ص ٩٩٦ — ٩٩٦ ملاحق نص يمين الهدنة .

(٢) مغنى اللبيب ، ج ٣ ، ص ٦٠٤ .

(٣) السلوك ، ص ٩٥٢ .

(٤) السابق ، ص ٩٥٢ .

(٢) الشرط والجزاء

إن الشرطية :

« إن تسلمتهم لآخذن منهم للسلطان ثلاثمائة ألف دينار وأكتب بها خطى »(١) .

ومثل آخر جاء فى نصوص المدنة :

« أنهم لا يمكنون حرامية البحر من الزوادة من عندهم ولا من حمل ماء ، وإن ظفروا بأحد منهم يمسكوه . وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كفيل المملكة »(٢) .

هذا التركيب فيه « أنّ » وحدة صرفية علقت بين أجزاء الجملة وترتب عليها وجود وحدتى شرط (إنْ .... وإنْ) .

« وعلى أن شوانى السلطان وولده إذا عمرت وخرجت لاتتعرض لأذية(٣) وهكذا نجد(أنّ) تقوم بدور الوحدة الصرفية المُمهِّدة لجملة الشرط سواء كانت أداة الشرط (إن) أو (إذا) .

« وعلى أنه متى تحرك أحد من ملوك الفرنجة وغيرهم من جوًّا البحر بقصد الحضور لمضرة السلطان وولده فى بلادهما المتعقد عليها هذه المدنة فيلزم نائب المملكة والمتقدمين بعكا أن يُعرِّفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم إلى البلاد الإسلامية الداخلة فى المدنة بمدة شهرين وإن وصلوا بعد انقضاء مدة شهرين فيكون كفيل المملكة بعكا والمتقدمين بريئين من عهدة اليمين »(٤) .

فوحدة(أنّ) فى هذا التركيب مهدت لوحدة الشرط وجاءت (متى) بعدها فى التركيب فى صدر الشرط .

---

(١) السابق .

(٢) السلوك ، ص ٩٩٣ .

(٣) السابق ، ص ٩٩٢ .

(٤) السابق ، ص ٩٩٢ .

ونتقل إلى نوع آخر من أدوات الربط فى الجمل التركيبية استخدمته عربية الحروب الصليبية وهو « لما » . متأثرة فيه على نحو ما مر بأساليب الحديث فى اللهجات العامة وخاصة اللهجة المصرية .

« فلما دخلوا على المملوك مالوا عليه بالسكاكين فقتلوه فخرج إليهم الأنبرور فذبحهم فى يده وسلخهم وحشا جلودهم تبناً وعلقهم على باب القصر »(١) .

« فبينما هو عازم على ذلك إذ ورد الخبر بأن ملك الانكتار وصل إلى عكا »(٢) .

« ولما أسر الفرنج الأمير شجاع الدين والى سَرْمين أبقى السلطان إقطاعه بيد إخوانه وغلمانه كل ذلك استجلابا للقلوب »(٣) .

فنجد الواو هنا مهدت لأداة الشرط «لمَّا» ونجد أن الفعل الذى تبعها جاء ماضياً ، بينما نجدها فى المثال الآتى ذات طبيعة مخالفة :

« فلما كان ذات يوم حضر إليه رجل من أجناد الأمير الصقيلي وأخبره أن أستاذه فَرَّقَ مالا على جماعة من المُعزِّيّة ، وقرر معهم قتل السلطان ، ومنهم الأمير علم الدين الغنمي ، والأمير بهادر المعزى ، والأمير شجاع الدين بكتوت فقبض على الجميع فى ثامن ربيع الأول(٤) » .

وهكذا تصرفت عربية الحروب الصليبية تصرفاً استفادت به من «لمَّا» فقد جعلتها وحدة صرفية تقوم بوظائف متعددة فى التراكيب الممتدة على مستوى الجمل المتوازية والجمل المركبة .

وعلى نحو ما استفادت عربية الحروب الصليبية من « لما » كوحدة صرفية ذات دور فعال فى بناء الجمل المركبة بكل طرق التعليق الممكنة نجدها أيضاً أحسنت استخدام الوحدة الصرفية (عندما) ببراعة مميزة على نحو ما يتضح

---

(١) السابق ص ٢٩٢ (استعمل حرف الجر فى غير موضعه — استعمل فى يده بدل بيده) .

(٢) عقد الجمان : العينى ، ص ٢٩٩ — ٣٠٠ ؛ والسلوك ، ص ٣٢٨ .

(٣) السلوك ، ص ٥٠٩ .

(٤) السلوك ، ص ٤٩٩ — فرق المال بمعنى وزعه مستعملة فى اللهجة المصرية إلى اليوم فهى ممتدة الجذور .

من هذا المثال وغيره من الأمثلة والنماذج المتعددة فقد رأيناها هنا مهدت لاستخدام وحدات صرفية أخرى مثل « الواو » و« الفاء » إلى جانب أنها ربطت بين طرفى جملة أدت فيها وظيفة الظرف وأداة الشرط معاً . واقتضى هذا أن تتبعها جمل أفعالها ماضية لفظاً ومعنى .

وهكذا وجدنا « لما » و« عندما » تستخدمان استخدام الأدوات الشرطية الظرفية .

فالجمل التركيبية فى عربية الحروب الصليبية ذات أنماط متعددة بتعدد أدوات الربط التركيبية ومنها أدوات شرط تتعدد الجمل بتعددها . وأدوات تعليل تتعدد الجمل بتعدد أنواعها ، وأدوات مصدرية وغير هذه وتلك من الأدوات التى يتحدد دورها الصرفى بوظيفتها فى الربط بين وحدات الجمل التركيبية .

وتوضيح ذلك :

تتكون جملة الشرط من : « أداة شرط ، جملة شرط ، جواب شرط »

يقول سيبويه : « واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء(١)» فكل أداة من أدوات الشرط وحدة صرفية تقوم بوظيفة الربط بين أجزاء الجملة التركيبية ومثلها فى ذلك الفاء فى جملتها .

و« إن » هى أم باب الشرط حسب ما يرى الخليل فيما نقله عنه سيبويه وتعليله أن حروف الجزاء قد يتصرفن فيكن استفهاماً ومنها ما يفارقه « ما » فلا يكون فيه الجزاء وهذه « إن » على حال واحدة لا تفارق المجازاة(٢) .

كما أن هناك أدوات منقولة وضعت للدلالة على الزمان ثم ضمنت معنى الشرط وهى « متى » و« أيان » .

وعربية الحروب الصليبية توسعت فى هذا المجال فاستخدمت « لما » و« عندما » و« بينما » .

---

(١) الكتاب لسيبويه ، ج ٣ ، ص ٦٣ (ط. هارون) .
(٢) السابق ، ج ٣ ، ص ٦٣ (ط. هارون) .

وهناك أدوات أخرى منقولة وضعت للدلالة على المكان ثم ضمنت معنى الشرط مثل « أين » و« أنى » و« حيثما » .

ففى : « إن تسلمتهم لآخذن منهم للسلطان ثلاثمائة ألف دينارا وأكتب بها خطى »(١) .

ومخالفة لنص سيبويه السابق حيث نص على أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء ، ويعتبر كثير من الباحثين أن مثل هذا الأسلوب خارج على أساليب العربية ومن ثم فهو أسلوب خاطىء . غير أن لجنة الألفاظ والأساليب بمجمع اللغة العربية انتهت بعد دراسة إلى صحة مثل هذا الأسلوب :

ونص قرارها : « يُخَطِّىءُ بعض النقاد هذين الأسلوبين ونحوهما مما تجىء فيه اللام بعد إن الشرطية على أساس أن القواعد النحوية لا تجيز اقتران جواب إن باللام . وقد درست اللجنة هذه المسألة وانتهت إلى تصحيح الأسلوبين وتوجيههما بأن اللام فيهما واقعة فى جواب لو محذوفة أو فى جواب قسم مقدر إذا كان الكلام يقتضى التوكيد هذا إلى أن مثل ذلك ورد فى شعر من يحتج بكلامه »(٢) .

والأسلوب الذى نحن بصدد تحليله فيه نون التوكيد قرينة واضحة ، فاللام واقعة فى جواب قسم مقدر .

أما التركيب الذى جاء فيه : « على أن شوانى السلطان وولده إذا عُمِّرَتْ وخرجت لا تُتعرض لأذية »(٣) .

فما تجدر ملاحظته أن اختيار « إذا » أداة لجملة الشرط هذه التى جاء فيها فعل الشرط وجوابه ماضيين لفظاً مستقبلين معنى لا يتحقق مضمون الشرط فيهما إلا إذا أدخلنا فى الاعتبار الوحدتين الصرفيتين « على » و« أن » الممهدتين والرابطتين لبقية وحدات التركيب . ومثلها فى ذلك تركيب : « على أنه متى تحرك أحد من ملوك الفرنجية وغيرهم فيلزم نائب المملكة والمقدمين بعكا

(١) السلوك ، ص ٩٥٢ .

(٢) محاضر جلسات المجلس دورة ٤٠ ، ص ٤٩٥ — ٤٩٦ .

(٣) السلوك ، ص ٩٩٢ ، أذية : تلك الصيغة بدلالتها مستعملة فى عربية مصر المعاصرة .

أن يعرّفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم » (١) .

فمن الاستقراء يتبين أن أساليب الشرط فى عربية الحروب الصليبية كان يمهد لها فى كثير من حالاتها بهاتين الوحدتين المتلازمتين (على أنه) أو (على أن) سواءاً كانت الأداة (إذا) أو (متى) أو (إن) .. سواء فى ذلك تصدرت أداة الشرط أسلوب الشرط أو تقدمتها بعض أجزاء أسلوب الشرط :

« على أن شوانى السلطان وولده إذا عمرت » .

« على أنه متى تحرك » .

« على أنه إن قصد البلاد » .

وذلك تأثر باللهجة العامية .

والجمل المركبة ذات طبيعة مخالفة فى بنائها : فالجملة المركبة جملة متداخلة الأطراف يطول بناؤها وتتكامل عناصرها اللغوية لتعبر عن فكرة احدة .

وقد كان عبد القاهر الجرجانى من أسبق علماء اللغة فى هذا الميدان ومن أبرعهم فى هذا الاتجاه تأصيلا نظرياً وتطبيقاً عملياً ، ونعرض بعضاً من آرائه تضىء جوانب هذا الاتجاه : يرى عبد القاهر : « أن للتأليف إمكانيات متعددة بطرق التعليق بين مكونات الجملة طبقاً لمعانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات »(٢) .

ومن مبادئه التى أرسى عليها اتجاهه .. الاهتمام بدراسة المعانى العامة للجمل من حيث التقرير والنفى والاستفهام والتأكيد والشرط والجزاء والنداء والتمنى والرجاء ... أو على حد تعبيره تعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفى والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه(٣) .

ومن أبعاد اتجاهات عبد القاهر دراسة الجملة المركبة التى ترمز إلى قضايا متعددة أن بيت شعر أو فصل نثر قد يكون قطعة واحدة أو كالحلقة المفرغة التى لا يدرى أين طرفاها ، وأنك قد لا تحصل على المعنى المراد منه كاملا

---

(١) السابق ، ص ٦٩٢ .

(٢) عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، ص ١٦٩ .

(٣) عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، ص ١٧١ .

إلا عند آخر حرف منه ويضرب على ذلك أمثلة متعددة من مشعور القول ومنثوره ، ومنها قوله :

وما حملت أم امرىء فى ضلوعها أعق من الجانى عليها هجائيا

فإن النكتة التى يجب أن تراعى فى هذا البيت وما هو على شاكلته أنك لا تتبين صورة المعنى الذى هو معنى الفرزدق إلا عند آخر حرف من البيت حتى أنك إن قطعت عنه قوله (هجائياً) بل الياء التى هى ضمير الفرزدق لم يكن الذى تعلقه مما أراده الفرزدق بسبيل(١) .

وهذا البناء اللغوى وما هو على شاكلته نوع قائم بذاته حيث يدخل فيه ارتباط بغضه ببعض ، ويوضع فى النفس وضعاً واحداً ، وصورته لا تبين إلا بالبناء مكتملا فوجب أن ينظر إلى الصورة اللغوية نظرة كلية واحدة فكل ما بنى على طرفى الجملة الأساسيين له قيمته ويعطى جديداً ويلتحم بغيره فيتغير ويغير أو على حد قوله : « إن معنى مثل هذه الجملة يصير بالبناء عليها شيئاً غير الذى كان ويتغير فى ذاته »(٢) .

وهذا النوع من الجمل يختلف عن نوع آخر لا يتأثر بالبناء عليه ولا يصير بانضمام شىء إليه شيئاً آخر ، ومثاله :

النشر مسك ، والوجوه دنانير ، وأطراف الأكف عنم

وذلك أنك ترى الذى تعلقه من قوله : « النشر مسك » لا يصير بانضمام قوله : « والوجوه دنانير » إليه شيئاً غير الذى كان بل تراه باقياً على حاله . كذلك ترى ما تعقله من قوله : « والوجوه دنانير » لا يلحقه تغيير بانضمام قوله : « وأطراف الأكف عنم » إليه(٣) .

وباختصار .. تلك هى نظرة اللغويين المحدثين عن الجمل المتراصة ، والمتوازية ، والمركبة ، والمتداخلة الأطراف الممتدة فى تكامل بين عناصر البناء اللغوى لتعبر عن فكرة واحدة .

---

(١) السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، ص ١٧٤ .

(٣) السابق ، ص ١٧٥ .

وهذه وتلك فى عمومها مخالفة لتقسيم ابن هشام فى المغنى :
الجملة إلى كبرى وصغرى . ولتقسيم الزمخشرى والسكاكى أيضاً ولا ذنب على عبد القاهر فى أن علماء العربية من بعده لم يفطنوا إلى ما فطن إليه ، ولم يهتدوا بآرائه فقد انطلق تصنيفهم للجمل من أعمال نحاة العربية التقليديين واقتصر على جهودهم فى نحو العربية .

« فالكبرى هى الاسمية التى خبرها جملة نحو : زيد قام أبوه ، وزيد أبوه قائم — والصغرى هى المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر بها فى المثالين . وقد تكون الجملة كبرى وصغرى باعتبارين نحو : زيد أبوه غلامه منطلق . فمجموع هذا الكلام جملة كبرى لا غير ، وغلامه منطلق صغرى لا غير لأنها خبر ، وأبوه غلامه منطلق كبرى باعتبار غلامه منطلق وصغرى باعتبار جملة الكلام ومثله : « لَـكِنَّا هو الله ربى »(١) إذ الأصل : « لكن أنا هو الله ربى » ففيها أيضاً ثلاث مبتدآت إذا لم يقدر هو ضميراً له سبحانه ولفظ الجلالة بدل منه أو عطف بيان عليه كما جزم به ابن الحاجب بل قدر ضمير الشأن وهو الظاهر ، ثم حذفت همزة أنا حذفاً اعتباطياً وقيل حذفاً قياسياً بأن نقلت حركتها ثم حذفت ثم أدغمت نون لكن فى نون أنا »(٢) . والجملة الكبرى كما تكون مصدرة بالمبتدأ تكون مصدرة بالفعل نحو : ظننت زيداً يقوم أبوه(٣) ، ويندرج تحت هذا التقسيم : انقسام الجملة الكبرى إلى ذات وجهين .. و« ذات الوجهين هى اسمية الصدر فعلية العجز نحو زيد يقوم أبوه كذا قالوا وينبغى أن يزاد عكس ذلك فى نحو ظننت زيداً أبوه قائم بناء على ما قدمنا نحو : ظننت زيداً يقوم أبوه »(٤) . ويندرج تحت هذا التقسيم أيضاً « انقسام الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية »(٥) . وزاد الزمخشرى وغيره الجملة الشرطية

---

(١) سورة الكهف .
(٢) ابن هشام : المغنى ، ج ٢ ، ص ١٤ .
(٣) السابق ، ج ٢ ، ص ٤١ .
(٤) السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢ .
(٥) اقرأ ابن هشام : المغنى ، ج ٢ ، ص ٣٩ — ٤٠ .

ورفضها ابن هشام قائلا : « والصواب أنها من قبيل الفعلية »(١) .

وقد يدهشك أن ابن هشام على الرغم من تفننه فى هذا التقسيم يقربه حسه اللغوى إلى شىء قريب مما يذهب إليه عبد القاهر ، ولكنه يظل أسير منهج النحو التقليدى مما يباعد بينه وبين ما يراه عبد القاهر مما انتهى إليه اللغويون المحدثون . من ذلك قوله تحت عنوان « شرح الجملة وبيان أن الكلام أخص منها لا مرادف لها »(٢) .

يقول ابن هشام : « الكلام هو القول المفيد بالقصد ، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد ، والمبتدأ وخبره : كزيد قائم .. وما كان بمنزلة أحدهما نحو : ضرب اللص ، وأقائم الزيدان — وكان زيد قائماً وظننته قائماً وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس وهو ظاهر قول صاحب المفصل فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال ويسمى جملة والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلا فها ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط ، جملة الجواب جملة الصلة ، وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام — وبهذا التقرير يتضح لك قول ابن مالك فى قوله تعالى : « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ، أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون »(٣) . إن الزمخشرى حكم بجواز الاعتراض بسبع جمل إذ زعم أن « أفأمن » معطوف على « فأخذناهم »(٤) .

ولو نظروا للقول القرآنى الكريم من خلال منهج عبد القاهر لرأوا الصواب

---

(١) السابق ، ص ٤٠ .

(٢) السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٣) سورة الأعراف ، الآيات من ٧٥ إلى ٩٧ .

(٤) ابن هشام : المغنى ، ج ٢ ، ص ٣٨ — ٣٩ .

ولما كان الخلاف الذى أورده ابن هشام(١) حيث يرى عبد القاهر أن مثل هذا النوع من النظم يدق فيه النظر ويغمض المسلك فى توخى معانى النحو فتتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها فى بعض ، ويشتد ثان مها بأول وتحتاج فى الجملة إلى أن تضعها فى النفس ، ضعاً واحداً وأن يكون حالك فيها حال البانى يضع بيمينه ها هنا فى حال ما يضع بيساره هناك — نعم وفى حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجىء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به فإنه يجىء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة(٢) ومن ذلك قول القائل :

لو أن ما أنتم فيـــه يدوم لكم	ظننت ما أنا فيـــه دائماً أبدا
لكن رأيت الليـــالى غير تاركة	ما سر من حادث أو ساء مطردا
فقد سكنت إلى أنى وأنـكم	سنستجد خلاف الحالتين غدا(٣)

ويعد عبد القاهر هذه الأبيات مجتمعة وحدة واحدة غمض فيها المسلك فى توخى معانى النحو ولكن اتحدت فيها أجزاء الكلام ودخل بعضها فى بعض وعلى الجملة احتجت إلى أن تضعها فى النفس وضعاً واحداً ، ومما تجدر الإشارة إليه أن فيما ساقه ابن هشام من خلاف أقوالا تقترب من رأى عبد القاهر وتسير فى منهجه . ومن ذلك قول ابن هشام : « وزعم أن من عند : ولو أن أهل القرى ... إلى الأرض جملة لأن الفائدة إنما تتم بمجموعه »(٤) .

وعندى أن أمثل تحليل لكثير من أساليب عربية الحروب الصليبية وبخاصة المركب منها يكون من خلال منهج ذلك العالم المفتن فى العربية ونحوها ...

فمن منهجه : أن بعض الجمل يربط بينها فتفرغ إفراغاً واحداً .

كما أنه يرى أن لشكل الجملة العام من حيث الإثبات والنفى ولنوع الأفعال الداخلة فيها من حيث المضى والمضارعة تأثيراً قوياً على بناء التراكيب .

---

(١) السابق ، ص ٣٩ ، اقرأ عقب النص المقتبس .

(٢) عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، ص ١٥٧ — ١٧٦ .

(٣) السابق ، وانظر دلائل الأعجاز ، ص ٧٥ .

(٤) ابن هشام ، المغنى ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

وعنده وجوب اعتبار حال المنظوم بعضه مع بعض حيث يتنوع الترتيب الخاص وفقاً لعرف اللغة، وطرائق أبنائها فى النظم والإعراب(١).

ولنأخذ على ذلك مثالا من عربية الحروب الصليبية وتطبق عليه منهج عبد القاهر والمحدثين معاً : «من كتاب إيلخان غازان إلى السلطان الناصر»(٢).

« ليعلم السلطان المعظم الملك الناصر أنه فى العام الماضى بعض عساكرهم المفسدة دخلوا أطراف بلادنا وأفسدوا فيها لعناد الله وعنادنا (كماردين ونواحيها) وجاهروا الله بالمعاصى فيمن ظفروا به من أهلها ، وأقدموا على أمور بديعة ، وارتكبوا آثاماً شنيعة من محاربة الله وخرق ناموس الشريعة فأنفنا من تهجمهم وغرنا من تقحمهم وأخذتنا الحمية الإسلامية فحدتنا على دخول بلادهم ومقاتلتهم على إفسادهم »(٣) :

وهذا النص وفقاً لمعانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات رتب فى النطق على موجب ترتيبه فى الفكر فجاء على الرغم من طول جمله وتعددها معنى واحداً لا عدة معان ويحتاج لأن تضعه فى النفس وضعاً واحداً ، ولا يمكن الفصل بين أجزائه فهى الكسر أذيبت وأخرج منها السوار — ومن حاول فصم الألفاظ عن بعضها كان كمن يكسر السوار ، ولا يبين عن ذلك إلا طرق التعليق بين معانى الألفاظ وفقاً لمعانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات.

وأول ما يطالعنا فى ذلك أنه مهد بوحدة صرفية وهى لام الأمر المكسورة التى تبعها مضارعها ، وترتب عليه بقية الوحدات اللغوية التالية له . ثم جاءت : « أن » ليصلح بها ضمير الشأن وترتبط بين التركيبين فتفرغهما إفراغاً واحداً .

---

(١) اقرأ عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، من ص ٢٤٨ — ٢٥٠ .

(٢) نص الكتاب وجواب السلطان عليه موجود — بيبرس المنصورى : زبدة الفكرة ج ٩ ص ٢٢٣ « ب » وملاحق كاترمر : النسخة الفرنسية وملاحق السلوك نسـ نقد. زيادة ، ج ١ قسم ٣ كما أنه موجود بالنويرى (نهاية الأرب) ج ٢٩ ، ص ٣٣ — أ . ويصبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٢٤٣ .

(٣) السلوك ، ص ١٠١٦ .

وجاء ترتيب الألفاظ فى النطق على موجب ترتيبها فى الفكر — فأتى بالجار والمجرور والصفة والمضاف والمضاف إليه قبل الفعل الذى كان من المفروض أن يبدأ به التركيب الثانى (بداية تقليدية) ، « ليعلم السلطان .. أنه فى العام الماضى دخل بعض عساكرهم » .. وبما يؤكد أن « أنّ » أفرغت التركيبين هنا إفراغاً واحداً أنه يمكن أن تُعد « أن واسمها وخبرها » فى محل نصب مفعول به جملة للفعل « يعلم » عند الكوفيين والبصريين على السواء).

فقد بيّن الكوفيون أن الجملة بعد الأفعال التى بمعنى القول فى محل نصب مفعول به لهذه الأفعال . أما البصريون فقد كانوا يعدونها مفعولا به لفعل القول المحذوف (١) .

وقد ذكر الكسائى والفراء أنها تُفتح بعد « لو » لأنها مع اسمها وخبرها فى تقدير فاعل لفعل محذوف (٢) .

كما ذكر السيوطى أن سيبويه كان يجعل « أنّ » مع اسمها وخبرها فى محل رفع مبتدأ حذف خبره (٣) .

كما أجاز الفراء تقديم « أنّ » المفتوحة الهمزة إذا كانت مع ما بعدها مبتدأ والجملة بعدها خبر نحو : أنك قائم يعجبنى (٤) .

فلا غضاضة إن اعتبرنا المصدر المؤول من أن ومعموليها فى محل النصب مفعول به ويكون التقدير : « ليعلم السلطان المعظم .. دخول بعض عساكرهم المفسدة أطراف بلادنا وإفسادهم فيها اعناد الله وعنادنا » ، وتكون أن على حد تعبير عبد القاهر هى الحاضنة لهذا ، والمترجم عنه ، والمتكفل بشأنه (٥) وتم بها إفراغ أكثر من تركيب إفراغاً واحداً ، وأذيبت بها الكسر التى أخرج منها السوار .

---

(١) أنظر شرح الكفاية ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

(٢) أنظر شرح الكفاية ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(٣) همع الهوامع ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

(٤) همع الهوامع ، ج ١ ، ص ١٣٥ .

(٥) اقرأ عبد القاهر الجرجانى لغوياً ، من ص ١٦٠ وما بعدها .

ثم تصل إلى قوله : « فأتفقنا من تهجمهم .. » وتأتى الفاء من هنا رابطاً ومفسراً حتى تنتهى إلى الفاء فى قوله : « فحدتنا على دخول بلادهم ومقاتلتهم على إفسادهم .. » فنجد الفاء هنا قامت بدور صرفى ، وعند عبد القاهر « الفاء » و« أن » يتبادلان الأثر والتأثير الصرفى الوظيفى(١) .

وقد أدى الربط السياقى هنا دوره بالإضافة لما أدته أدوات الربط التركيبية من وظائف . وبعد فيتبين للدارس من خلال تطبيق منهج عبد القاهر الذى هو فى الحقيقة تطبيق لنظرية اللغويين المحدثين أن هذا التعبير على الرغم من طوله وتعدد جمله بالمفهوم التقليدى معنى واحد والصلة قوية بين أجزائه عن طريق الوحدات الصرفية المختلفة وعن طريق الربط السياقى .

وننبه هنا إلى أن مثل هذا النوع من النظم نوع تصح به العبارة ولا تتعداه إلى مرتبة الحسن .

وقد يرى المتمعن فى التركيب أن قوله : « أنه فى العام الماضى بعض عساكرهم المفسدة دخلوا أطراف بلادنا ، وأفسدوا فيها لعناد الله وعنادنا » .. عليه مسحة بناء تراكيب العامية المصرية . وذلك لما يسبق إلى الحسن اللغوى من بعض خصائص اللهجة المصرية (من نحو تقديم الفاعل أو استعمال ظاهرة أكلونى البراغيث) .. (دخلوا وأفسدوا .. عساكرهم أو بعض عساكرهم دخلوا) وعلى العموم فهذا يشير من ناحية إلى سلطان اللهجة المصرية آنذاك . ولكن من يتمعن بناء التراكيب من ناحية أخرى يجدها جاءت هنا وفقاً لعرف العربية فى ترتيب كلماتها وبناء جملها .

أما قوله : « ليعلم السلطان .. بعض عساكرهم المفسدة » فنبدى هنا ملاحظتين :

١ — قواعد المطابقة توجب أن يقول : « ليعلم السلطان .. بعض عساكره

---

(١) اقرأ عبد القاهر الجرجانى لغوياً من ص ١٠٧ وما بعدها د. البدراوى زهران .

أو عساكرهم » ولكن يمكن أن يحمل ذلك على الالتفات وهو غرض بلاغي ، فعلى حين يخاطب السلطان يلتفت إلى ضمير الغائبين.

والثانية : قوله : « عساكرهم المفسدة » يصف جمع تكسير العقلاء بالمفرد المؤنث ويعامله معاملة المفرد المؤنث وتلك ظاهرة مطردة على مستوى التراكيب المختلفة .

• • •

نمط آخر من أنماط الجمل المركبة في عربية العصور الوسطى —

النص يتحدث عن تنصيب أول خليفة عباسي في مصر بعد سقوط بغداد وانتصار المصريين على التتار :

« فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره حضر قاضي القضاة ونواب الحكم وعلماء البلد وفقهاؤها وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية والأمراء ومقدموا العساكر والتجار ووجوه الناس وحضر أيضاً الشيخ عز الدين بن عبد السلام فمثلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد وجلس السلطان متأدباً معه بغير كرسي ولا طراحة ولا مسند ، وشهد العربان وخادم من البغاددة بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين بن الإمام الناصر أمير المؤمنين ، وشهد بالاستفاضة القاضي جمال الدين يحيي بن عبد المنعم بن حسن المعروف بالجمال يحيي نائب الحكم بمصر ، والفقيه علم الدين محمد ابن الحسين بن عيسى ابن عبد الله بن رشيق ، والقاضي صدر الدين موهوب الجزرى ونجيب الدين الحرانى وسديد الدين عثمان بن عبد الكريم بن أحمد بن خليفة وأبو عمرو ابن أبي محمد الصنهاجي الزرمتي أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر ، فقبل قاضي القضاء شهادات القوم ، وأسجل على نفسه بالثبوب ، وهو قائم على قدميه فى ذلك المحفل العظيم حتى تم الإسجال والحكم »(١) .

الشيء الذى لاشك فيه أن هذه العبارة تعطى معنى واحداً لا عدة معان وأنه لا يمكن الفصل بين أجزائها ، فهى من نوع الجملة المركبة المتداخلة الأطراف . يكشف عن ذلك التحليل اللغوى الآتى — الذى تسبقه بقول

(١) السلوك ص ٤٤٩ — ٤٥٠ .

الدكتور تمام حسان = الآتي : « إن دراسة النحو كانت ...
أي أنها كانت تعنى بمكونات التركيب أي بالأجزاء التحليلية ...
عنايتها بالتركيب نفسه، أقصد أنهم لم يُعْطُوا عناية كافية للجا...
دراسة النحو ، وهو الجانب الذي يشتمل على طائفة من المعـ...
والمباني التي تدل عليها »(١) .

وأول ما يطالعنا في النص الذي ندرسه قوله : « ف ... لما ... كان ... »
وهناك نماذج عديدة من الجمل التركيبية في هذا العصر تستخدم هذه الوحدات الصرفية ليتمهد بها للبناء اللغوي ولتقيم عليها تراكيبها الممتدة . وأما في البناء الفصيح التقليدي فيمكن الاستغناء عن هذه الوحدات ويبدأ النص بدونها هكذا :

« في يوم الإثنين ... » .

ولكن التركيب استخدم « لما » هنا لتقتضي جملتين كما تقتضي أن يليها فعل ماض لفظاً ومعنى . وذلك لأن « لما » عند ابن السراج وعند أبي علي الفارسي وابن جني ظرف مختص بالماضي وبالإضافة إلى الجملة(٢) .

ومن هنا فلا غضاضة أن اتبعوها بالوحدة الصرفية « كان » لتؤدي دورها الصرفي على مستوى التركيب الممتد الذي يتبعها .

أما كلمة « يوم » — الوحدة اللغوية التالية — فمما يقرره النحاة بشأنها أنها مما يضاف إلى الجمل : « والسلام على يوم ولدت »(٣) ، « وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب »(٤) . وأن إضافتها إلى الجملة لازمة(٥) وبناءاً عليه كان يمكن أن يكون بناء التركيب هكذا : « حضر قاضي القضاة و... يوم الاثنين »

---

(١) د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٦ .

(٢) السيوطي : همع الهوامع ، ج ١ ، ص ٢١٦ .
وشرح التصريح ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
وشرح الكفاية ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(٣) سورة مريم : آية ٣٣ .

(٤) سورة إبراهيم : آية ٤٤ .

(٥) المغني ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

غير أننا يجب أن نلاحظ أن التمهيد لبناء التركيب بـ (لما) وإرْدافها بـ (كان) ترتب عليه أنواع من التعليق بين الكلام وفقاً لمعانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات .

فالوحدة الصرفية «كان» يستتبع وجودها بقية وحدات تركيبها. وكذلك الوحدة الصرفية « يوم » يستتبع وجودها وحدات لغوية تتمم بناء تركيبها :

« يوم الإثنين ثالث عشر حضر قاضى القضاة ونواب ... » .

أما وحدة « فلما » فإن وجودها يقتضى جملتين ، فهى عند سيبويه وابن خروف أداة شرط ، وإنْ عدُّوها حرفاً ، وذلك لثبوت الثانى ، لثبوت الأول(١) .

وقد يليها فعل ماض ويأتى جوابها ماض أيضاً، وجَوَّزَ ابن عصفور كونه مضارعاً – وجوز ابن مالك كونه جملة اسمية مقرونة بالفاء أو « إذا » الفجائية(٢) .

ومن هنا فَكُلُّ ما نجده من استعمالات فى عربية الحروب الصليبية فى هذا الصدد اسمية أو فعلية مضارعة أو ماضية ، لها سندها من وجهة نظر نحاة العربية .

وبناء عليه فيمكن أن يكون التعليق بين الوحدات اللغوية داخل ذلك التركيب الممتد على النحو الآتى :

« فلما كان يوم الإثنين ثالث عشره حضر قاضى القضاة ونواب الحكم وعلماء البلد فقهاؤها وأكابر المشايخ ، وأعيان الصوفية والأمراء ومقدموا العساكر والتجار ووجوه الناس وحضر أيضاً الشيخ عز الدين بن عبد السلام

---

(١) أنظر شرح الكفاية ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
وهمع الهوامع ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .
(٢) شرح التصريح ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
همع الهوامع ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

فمثلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد وجلس السلطان متأدباً معه بغير كرسي ولا طراحة ولا مسند .. » .

والترابط واضح بين وحدات التركيب على الرغم من وجود الجمل المتراصة التي قامت فيها الواو بأدوار صرفية هامة في الربط – فإذا اعتبرنا « حضر » فعل شرط « لمّا » ، و« فمثلوا » جواب الشرط لها و« الفاء » رابطة واقعة في جواب « لما » .

وهذا إن كان مخالفاً للفصحى فإنه مطرد في عربية الحروب الصليبية أما « وجلس » فهو معطوف على جواب الشرط .

أما « متأدّباً » فهي تبين حالة ومن هنا نجد التركيب مترابط على الرغم من طوله وتداخل وحداته وتنوع عناصره اللغوية .

وتأتي بقية الوحدات لتعطي تمام الفائدة – ونجد الواو تقوم هنا بدورها الصرفي يتضح ذلك من إعادة رصف وحدات التركيب الأساسية التي تعد معالم على الترابط : « ... لما ... حضر قاضي القضاة ... فمثلوا كلهم ... وجلس السلطان .. وشهد العربان وخادم من البغاددة بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين بن الإمام الناصر أمير المؤمنين وشهد بالاستفاضة القاضي جمال الدين يحيي بن عبد المنعم بن حسن المعروف بالجمال يحيي نائب الحكم بمصر والفقيه علم الدين محمد بن الحسين بن عيسى بن عبد الله بن رشيق والقاضي صدر الدين موهوب الجزري ونجيب الدين الحراني وسديد الدين عثمان بن عبد الكريم بن أحمد بن خليفة وأبو عمرو بن أبي محمد الصنهاجي التزمنتي أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر فقبل قاضي القضاة شهادات القوم وأسجل على نفسه بالثبوت وهو قائم على قدميه في ذلك المحفل العظيم حتى تم الإسجال والحكم » .

وصلنا في التحليل السابق إلى « وشهد » ونجد من هنا الواو تربط الجملة السابقة لها بالجملة اللاحقة بها .

أما جملة « بأنّ الأمير أحمد » فهي تمام « شهد » ..

« شهد بأن .. » ومثلها : « وشهد بالاستفاضة » ، « أنه أحمد ابن الإمام الظاهر » .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أسلوب الشرط بركنيه فى نظر الدرس اللغوى الحديث جملة واحدة وهو عند عبد القاهر كذلك بصرف النظر عن كون كل من جزءيه يعد فى نظر النحاة فى الأصل جملة . « وإلا ما فارقت جملة الشرط وجوابه مجارى أحكام الجمل » .

أما جملة « وشهد العربان .. وشهد بالاستفاضة القاضى .. و ... و ... فللواو دور هام فى العطف سواء فى عطف المفرد أو الجملة .

أما قوله : « شهد .. بأنه » أو « شهد .. أنه » فنجد « أنّ » تفرغ التركيبين إفراغاً واحداً ويصلح بها ضمير الشأن – إلى أن نصل إلى قوله : « فقبل قاضى القضاة شهادات القوم .. » .. فنجدها تأتى تماماً لقوله : « شهد » والفاء رابطة بين جملتها وجملة شهد . يتضح ذلك عندما نعيد النظر « .. وشهد العربان ... وشهد ... أنه أحمد .. فقبل قاضى القضاة شهادات القوم » . « وأسجل .. » فهى معطوفة على جملة « فشهد » .

ثم ننتهى إلى : « وهو قائم على قدميه فى ذلك المحفل العظيم حتى تم الإسجال والحكم .. » فنجدها جملة (حالية) تبين الهيئة التى كان عليها قاضى القضاة فى ذلك المحفل العظيم . وهنا يظهر دور « الواو » وأثرها الصرفى فهى على حد قول ابن يعيش : « إذا وقعت الحال جملة فلابد مما يعلقها بما قبلها ويربطها به لئلا يتوهم أنها مستأنفة »(١) .

وهكذا يتبين من التحليل أنه لا يمكن الفصل بين المعانى التركيبية والمبانى التى تدل عليها ؛ وإلا ضاعت المنافع التى هى الدلالات على المقاصد .

ولا يغيب عن البال ما تؤديه وسائل الربط المتعددة ومنها :

١ – الحروف .

٢ – إعادة اللفظ .

---

(١) شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

٣ – إعادة المعنى .
٤ – اسم الإشارة .
٥ – الضمير العائد الذى تبدو فيه المطابقة كما يفهم منه الربط .
٦ – دخول أحد المترابطين فى عموم الآخر(١) .

والربط أحد القرائن اللفظية الهامة التى تصل بين المترابطين والتى بواسطتها تم من مجموع الوحدات اللغوية السابقة جملة تركيبية ذات بناء كبير متداخل .

أما قوله : « ثالث عشره » فالهاء مضافة إلى عشر وتدل على الشهر ، أى ثالث عشر الشهر ، وتلك ظاهرة مطردة فى عربية الحروب الصليبية أيضاً .

وقد تأتى على النحو الآتى :

« وفى رابع عشرىّ ذى الحجة قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الرومى »(٢) .

وقد تأتى :

« وفى سابع عشريه توجه السلطان فى جماعة من أمرائه إلى الشام »(٣) .

ومما هو قريب من النمط السابق لكونه من الجمل المركبة غير أن التراكيب فيه غير متداخلة على الصورة السابقة ، مما يمكن أن يعتبر معه من التراكيب المتراصة التى تؤدى فيها الواو وظائف صرفية مختلفة .

النماذج الآتية :

– « أمر السلطان ألا ينزل أحد فى زرع الفرنج ، ولا يسبب فرساً ، ولا يؤذى لهم ورقة خضراء ، ولا يتعرض إلى شىء من مواشيهم ، ولا إلى أحد من فلاحيهم »(٤) .

– « ولم يترك أحداً من أمير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردى ، ولا أحداً من خواصه ، ولا بزداريته ، ولا برداريته وسائر حواشيه حتى عم الجميع بالخلع ، وأحسن إلى رسل الملك بركة ، وكتب إلى اليمن وإلى الأنبرور

(١) اقرأ : د. تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢١٣ .
(٢) السلوك ، ص ٥٤٠ .
(٣) السلوك . ص ٥٥٨ .
(٤) السلوك ، ص ٤٨٤ .

بالبشارةوأخرج جملة من الدراهم والغلة والكساوى تصدق بها على الفقراء(١)

في النموذج الأول : استخدمت « لا .. ولا » في جملة مسبوقة بنفي ،

وجاءت بهدف الربط بين الجمل فهى هنا عاطفة جمل « والمراد بعطف الجملة ربط إحدى الجملتين بالأخرى »(٢) . ولأن الجمل لا تظهر عليها حركات لإعراب فهى مع ما بعدها في حكم ما قبلها .

و « لا » هنا تعد حرف معنى للنفي .

وكل الأدوات التى تقوم بوظيفة الربط بين الجمل يعدها النحاة حروف معان .

ومن الواضح في النموذجين اللذين سقناهما من عربية العصور الوسطى أن الاستعمال فيها متطور وأنه مخالف ما عليه العربية الفصحى . فقد ذكر ابن هشام أن « لا » يجب تكرارها إذا دخلت على مفرد خبر أو صفة أو حال(٣) . ولم يذكر ابن هشام غير هذه المواقع بينما الموجود في النموذج الأول والثانى مخالف لذلك .

ففى النموذج الأول نجد « لا » دخلت على فعل مضارع ، وقد جاء في نحو الفصحى التقليدى أنها إن دخلت على مضارع لا يجب تكرارها ، فقد جاء النص الآتى في المغنى لابن هشام : « وإن كان ما دخلت عليه فعلا مضارعاً لم يجب تكرارها ، نحو : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) (٤) ، و(قل لا أسألكم عليه أجراً)(٥) ، (٦) .

ولكنها هنا دخلت على مضارع وكررت ومعنى ذلك مخالفة الاستعمال

---

(١) السلوك ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٢) شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى ، ج ٨ ، ص ٩٠ .

(٣) ابن هشام : مغنى اللبيب ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ واقرأ الأمثلة التى ضربها

(٤) سورة النساء ، آية ١٤٨ .

(٥) سورة الشورى : آية ٢٣ .

(٦) ابن هشام : مغنى اللبيب ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

لقواعد الفصحى — فهذا متطور عن الاستعمال الفصيح — ومخالف لما يجب أن يكون عليه . وكذلك ما جاء فى النموذج الثانى مخالف لما عليه الاستعمال الفصيح ومتطور عنه :

ومن الجدير بالذكر أن ابن هشام رد على الذين يعتبرون « لا » زائدة و« الواو » هى العاطفة ، وأنها مقترنة بالعاطف بقوله :

« ويسمونها زائدة وليست بزائدة البتة ألا ترى أنه إذا قيل : ما جاء زيد وعمرو ، واحتمل أن المراد نفى مجىء كل منهما على كل حال ، وأن يراد نفى اجتماعهما فى وقت المجىء فإذا جاء بـ « لا » صار الكلام نصاً فى المعنى الأول »(١) .

ولا غرابة أن نرى كثيراً من مظاهر التطور فى عربية العصور الوسطى نرى ذلك فى الأساليب وفى استعمال الأدوات والحروف — ونراه كذلك فى قواعد الإعراب غير أن أكثره وضوحاً وأسرعه تصويباً قواعد الإعراب ، ويأتى بعدها ما يصيب استعمال بعض الأدوات من تطور ، وأما الذى يخفى أمره ولا يبين لغير الدارس المتخصص فهو تطور التراكيب والأساليب .

ومن الأمثلة التى توضح تطوراً فى استعمال بعض الأدوات فى عربية الحروب الصليبية استعمالهم « لا ، ولا » بطريقة مخالفة للاستعمال الفصيح على نحو ما مر .

واستعمالهم أدوات الربط فى جواب الشرط بأن تقترن الفاء بجواب شرط « لما » و« لو » وتقترن اللام بجواب الشرط « إن » . وقد علقنا على ذلك فى موضعه مما سبق بما أصدرته لجنة الألفاظ والأساليب فى مجمع اللغة العربية .

ونعطى أمثلة لنماذج مختلفة طورتها عربية العصور الوسطى .

---

(١) ابن هشام : مغنى اللبيب ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

أمثلة لاستعمالات بعض الأحرف فى غير ما وضعت له

والحرف عند سيبويه ومن حذا حذوه هو ما ليس باسم ولا بفعل ، والحروف من حيث التوزيع الموقعي لا تشغل مواقع الأسماء ولا الأفعال ، إنما تؤدى وظيفة الربط بين وحدات الجمل .

وعلى الرغم من أن أحرف الجر ينوب بعضها مناب بعض إلا أن هناك بعض الاستعمالات التى تشعرك فور سماعها بأن بها نوعاً من التطور ، ومن أمثلة ذلك :

« وأهانوا من امتنع من القيام للصليب »(١) .

ففور السماع تقول : لم لم يقل : « امتنع عن »

ومثله : « وسامح ما تأخر من البواقى بأرض مصر والشام »(٢) .

فور السماع تقول : لم نزع الخافض هنا ؟ وكيف عدت سامح بنفسها ؟ .. الصواب : « سامح فيما تأخر .. » .

ومثله : « فلما قاربوا معسكر بركة خان اتقاهم الوزير شرف الدين القزوينى وهو يتحدث بالعربية والتركية »(٣) .

تحس قلقاً هنا مبعثه حرف الجر ، فإما أن يقول : « والتقى بهم » . وإما أن يقول : « قابلهم الوزير » .

وأما نص : « وفى ثالث عشريه رسم بمسامحة بنات الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزى ، بما وجب للديوان فى تركة أبيهم »(٤) .

فاستعمل الباء محل (فى) : فيما وجب للديوان فى تركة أبيهم ، وقال : أبيهم والصواب : أبيهن .

ومثله فى استعمال حرف جر مكان آخر .

« وكان الأمير جمال الدين ... يكره قاضى القضاة ويضع من قدره

---

(١) السلوك ، ص ٤٢٥ .

(٢) السلوك ، ص ٧٥٩ .

سامح تعدى بنفسها ولكن المقصود التركيب هنا .

(٣) ابن أبى الفضائل ، كتاب النهج الجديد ، ص ١١٦ .

(٤) السلوك ، ص ٥٠٨ .

ويحط عليه عند السلطان »(١) . فالاستعمال الفصيح : « يحط من قدره » ، أما قوله : « يحط عليه » فهو من أثر الاستعمال الدارج .

ومنه : « وكان التكفور هيتوم ملك سيس لم يزل يسأل فى إطلاق ولده ليفون ويعرض فى فدائه الأموال والقلاع »(٢) . والصواب : « يسأل عن » .

ففي القرآن الكريم : « يسألونك عن .. »(٣) وقد يقال : سأله العطاء . (أما يسأل«من»أو«فى») فهو من الدارجة المصرية «ما بيسألش فى أيمانه» مثلا .

ومثله : « وسأل السلطان أن يحضر فامتنع من الحضور ما لم يحضر قاضى القضاة »(٤) .

الفصحى : « امتنع عن » ويأتى التركيب هكذا : « وامتنع عن الحضور إن لم يحضر ... » .

أنماط من الوحدات اللغوية الزائدة

التى تشعر السامع فور سماعها بأنها من أثر الاستعمال الدارج ومن أمثلتها :

« وليس للملك الناصر من السلطة إلا اسم الملك من غير زيادة على ذلك(٥)

فقوله : « من غير زيادة على ذلك » إضافة لم تزد جديداً للمعنى وهى من أثر اللهجة الدارجة على نحو ما نسمعها فى مصريتنا اليوم فهو نوع من التطور فى الاستعمال استعملت فيه الأحرف بطريقة اعتباطية .

ومثلها : «وبقيت الكتب إنما تردمن الملك الناصر وغيره إليه ، ولايقدر أحد يفتح كتاباً ولا يتكلم بشئ ولا يبرم أمراً إلا بحضور أقطاى لكثرة خشداشيته»(٦).

---

(١) السلوك ، ص ٥٣٨ .

(٢) السلوك ، ص ٥٦٨ .

(٣) من الأمثلة التى وردت فى القرآن الكريم : « يسألونك عن الأهلة » – « يسألونك عن الخمر والميسر » – « يسألونك عن المحيض » . كما جاء فى القرآن الكريم أيضاً : «يسألونك ماذا ينفقون» .

(٤) السلوك ، ص ٣٩٣ .

(٥) السلوك ، ص ٧٢٤ .

(٦) السلوك ، ص ٣٨٨ .

نحس على الفور أن « إنما » هنا زائدة ، والصواب : « وبقيت الكتب ترد من الملك » .

ومثلها : « واستعجل الأمير علم الدين البندقدارى وعمل ما لا كان ينبغى »(١) ، فوحدة « كان » زائدة فى التركيب من أثر الاستعمال العامى .

ومثله ما جاء وهو يصف نهاية توران شاه : « والتجأ إلى برج الخشب الذى نصب له بفارسكور وهو يصيح : من جرحنى ؟ .. قالوا : الحشيشة(٢) . فقال : لا والله إلا البحرية .. والله لا أبقيت منهم بقية . واستدعى المزين(٣) ليداوى يده .. فقال البحرية بعضهم لبعض : تمموه وإلا أبادكم »(٤) .

قوله : « والله إلا البحرية » ، نجد « إلا » زائدة . ويمكن أن تحذف ويصير الكلام : « والله البحرية » أى هم الذين جرحونى .. وهو على العموم تعبير عليه مسحة العامية .

كما جاء الاستعمال الآتى : « وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحانى بالأطراف التعرض إلى أحد بالأذى وإضفاء موارد الواردين ، والصادرين من شوائب القذى فمن حين بلغنا تقدمه بمثل ذلك تقدمنا أيضاً بمثله إلى سائر نوابنا »(٥) .

لم ترد « حين » فى الاستعمال الفصيح ولا فى القرآن الكريم مسبوقة « بمن » . وإنما وردت فى القرآن الكريم مضافة إلى مفرد ومضافة إلى جملة ، وفى المواضع التى وردت فيها مضافة إلى جملة وردت مضافة إلى جملة فعلها مضارع ، كما لم ترد متصدرة إلا فى آية واحدة : « ألا إنهم يثنون صدورهم

---

(١) السلوك ، ص ٧٩٩ .

(٢) الحشيشة : يقصد أحد الحشيشيين الباطنية — السلوك ، ص ٣٥٩ .

(٣) المزين : إلى عهد قريب كان المزين ويقصد بها حلاق يقوم بمهنة المداواة (حلاق الصحة)

(٤) السلوك ص ٣٥٩ .

(٥) السلوك ص ٩٧٧ .

ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون »(١) .

ونجد أن « حين » التي وردت فى نص الحروب الصليبية تصلح أن تكون شرطية : « حين بلغنا .. تقدمنا » وهى مسبوقة (بمن) وكل هذا تطور فى استعمالها مخالف ما عليه الفصحى وما جاء فى القرآن الكريم . فقد قال أبو حيان عن « أَلاَ إِنَّهُمْ يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون » . ألا إنهم يسرون العداوة ويتكتمون لها ليخفى فى ظنهم عن الله عز وجل وهو تعالى حين تغشيهم ثيابهم وإبلاغهم فى التستر يعلم ما يسرون . « فعلى هذا تكون حين معمولا لقوله : يعلم — وكذا قال الحوفى ، لا للمضمر الذى قدره الزمخشرى . وهو قوله : « ويريدون الاستخفاء حين تغشيهم ثيابهم ؟» وقال أبو البقاء العامل فى الظرف محذوف : « ألا حين يستغشون ثيابهم يستخفون » ويجوز أن يكون ظرفاً ليعلم (٢) .

بالإضافة إلى هذه توجد فى عربية العصور الوسطى ظواهر لغوية لم تأخذ مداها فى التطور فعلى الرغم من وجودها فى كل مصنفات ذلك العصر إلا أن عوامل كثيرة ساعدت على إيقاف نموها وحصر مداها . ومن أهم تلك العوامل أن هذه الظواهر تعد خروجاً صريحاً على القواعد الإعرابية لنحو الفصحى ، ومن خرج عن تلك القواعد رُدَّ بها إليها ، سواء رده الناقلون أو القارئون أو المحققون(٣) أو فطن هو نفسه وتدارك أن فى ذلك خروجاً على قواعد الإعراب فى العربية .. وهكذا يظهر أثر ذلك الجهد المشكور الذى قام به الدارسون فى مجال المحافظة على العربية .

ومن تلك الظواهر :

---

(١) سورة هود ، آية ٥ .

(٢) البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ .

(٣) يلاحظ الدارس أن بعض المحققين يشيرون إلى تلك الأخطاء فى حواشى كتبهم .

— ظاهرة حذف نون الأفعال الخمسة بغير ناصب ولا جازم :

هذه الظاهرة نجدها مبعثرة فى كل مصنفات ذلك العصر إلا أنها لم تاخذ مداها فتصبح ظاهرة عامة .. ومن الأمثلة عنها :

« يا أمير المسلمين .. لكم زمان تأكلوا أموال بيت المال . وأنتم للغزاة كارهون »(١) . فقد حذف نون « تأكلون » فى حالة الرفع . ومثلها قوله :
« فصار إليهم السلطان واختلط بهم فى السوق وهم لا يعرفوه »(٢) .
والصواب : « لا يعرفونه » فلم يتقدمها ناصب ولا جازم .. كما جاء :

« وصار يكتبان الأوراق للأعيان بطلب شىء من إحسانهم ويوصلوها إليهم »(٣) . وقواعد الفصحى يوصلونها إليهم ...

ومثلها : « كيف مسككما هذا بمفرده ، وأنتم لا تهابا رجالا كثيرة »(٤) . والصواب : « لا تهابان » .

وجاء أيضاً : « وكتبوا إلى الملك الصالح نجم الدين يستدعوه »(٥) .
وصوابه : « يستدعونه » ..

ومثلها : « وبعث يطلب تنقيص القطيعة التى حملوها لبيت المال بدلا مما كانوا يحملوه إلى الفرنج »(٦) . وصوابه : « يحملونه » ..

وجاء : « وجلس شيخ الشيوخ نظام الدين بالمدرسة العادلية وعتب الناس لعدم ترددهم إليه ، ووعد بالدخول فى صلح أمورهم مع غازان ، وطلب الأموال وتعاظم إلى الغاية واستخف بقبجق وقال : خمسمائة من قبجق ما يكونوا فى خاتمى »(٧) . وصوابه : « ما يكونون » .

---

(١) المقريزى : السلوك ، ص ٤٢٩ . والنص موجود فى الروضتين وفى مفرج الكروب .
(٢) السابق ، ص ٥٧٥ .
(٣) السابق ، ص ٦٧٣ .
(٤) السابق ، ص ٦٧٣ .
(٥) السابق ، ص ٥٩٦ .
(٦) السابق ، ص ٥٨٦ .
(٧) المقريزى ص ٨٩١ .

وجاء : « فتكاثرت الأمطار عليه فى مرج برغوث وزاد الأمر عن الوصف فكاد الناس يهلكون لعدم ما يستظلوا به »(١) . والصواب : «ما يستظلون به».

ومثلها فى ذلك جاء فى كتاب المعز إلى سلطان الروم :

« ... البحرية قوم مناجيس أطراف لا يقفون عند الأيمان ، ولا يرجعوا إلى كلام من هو أكبر منهم »(٢) . وصوابه : « ولا يرجعون إلى .. » .

ومثلها أيضاً قول ايدكن لشجرة الدر عند الحديث عن المعز :

« ... فلما عاتبناه تغير علينا وفعل بنا ما ترى »(٣) .. والصواب : « فعل بنا ما ترين » .

« وكانا يخافا جاولى »(٤) .. والصواب : « يخافان » .

وجاء أيضاً : « وقرر عليهم خمسين ألف دينار يحملوها إليه »(٥) ، والصواب : « يحملونها إليه » ... والأمثلة على ذلك موجودة بوفرة فى كتب تراث ذلك العصر .

ونعالجها من زاويتين .. أولاهما : أن هذا على الرغم من كثرته لا يمثل قاعدة مطردة ، وإنما يعد من باب الخطأ فى قواعد الفصحى أو الخروج عليها تلك القواعد التى رصدت العلماء أنفسهم لتدارسها والمحافظة عليها ، وقد باتت معروفة ، فهو خروج على قواعد مشهورة يتنبه لها القارىء ، وذلك على عكس ما نرى فى مخالفات بناء التراكيب أو تطور الدلالة أو بعض التغيرات فى الصيغ أو التطورات الصوتية . فعلى الرغم من خطورة كل تلك لا يفطن إلى أغلبها إلا المتخصصون ، وهذا سر التطور .

والزاوية الثانية : أن هذه الظاهرة ذات جذور بعيدة فى التراث فقد جاء فى الخصائص لابن جنى (٦) :

---

(١) السابق ، ص ٦٠١ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٣ .

(٣) السابق ، ص ٤٠١ . وانظر د. زيادة ، نفس الصفحة .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(٦) اقرأ خصائص ابن جنى : باب ما يرد عن العربى مخالفاً ما عليه الجمهور .

سألت أبا على رحمه الله تعالى :

أبيتُ أُسرى وتبيتى تُدَلّكِي   وجهك بالعنبر والمسك الذكى

فكان جوابه بأن : الحذف للضرورة وشاذ ولا يقاس عليه .

ولكن المهم أن نون الأفعال الخمسة حذفت بغير ناصب ولا جازم ، ونطق العربى من قديم ونظم شعره مخالفاً ما عليه الجمهور — ونجد اليوم هذه الظاهرة ذات أمر شائع فى اللهجات ، وما رآه أبو على ضرورة وشاذاً ، ولا يقاس عليه هو اليوم القاعدة المطردة فى كثير من اللهجات ومن بينها اللهجة المصرية .

ودلالة ذلك أن للظواهر اللهجية جذورها التى نبتت فى الاستعمال اللغوى منذ بعيد ، ولها أثرها فى مجالات التطور اللغوى المختلفة .

وفى الاتجاه المقابل لهذه الظاهرة ، وعلى الطرف الآخر منها نجدهم فى الاستعمال اللغوى يثبتون نون الأفعال الخمسة مع وجود الناصب . وبالبحث نجد لهذه الظاهرة أيضاً جذورها الممتدة فى الاستعمال اللغوى منذ العهد البعيد . ومنه قول الشاعر :

إذا كان أمر الناس عند عجوزهم   فلا بد أن يلقون كل يباب

وقد ذهب الزمخشرى إلى أن الرفع بعد « أن » لغة — حيث قال : وبعض العرب يرفع الفعل بعد « أن » تشبهاً بما قال :

أن تقرآن على أسماء ويحكما   منى السلام وألا تشعرا أحدا

وفى كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد : « واختلفوا فى نصب اللام ورفعها من قوله : « حتى يقول الرسول » .

فقد قرأ نافع وحده : « حتى يقول » رفعاً . وقرأ الباقون : « حتى يقول » نصباً ، وقد كان الكسائى يقرؤها دهراً رفعاً ، ثم رجع إلى النصب .. هذه رواية الفراء أخبرنا بذلك محمد بن الجهم عن الفراء عنه(١) .

---

(١) ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات تحقيق ، د. شوقى ضيف ، ص ١٨١ — ١٨٢.

وهناك قراءة : «لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة بالرفع»(١).

فالظواهر اللهجية التى نراها مطردة اليوم جذورها فى الاستعمال العربى القديم ، وإن استطاع الجهد النحوى التقليدى العظيم أن يوقف نمو مثل هذه الظواهر فى الفصحى فلذلك دلالتان :

أولاهما : أن الاستعمال اللغوى فى اللهجات الدارجة يأخذ مداه حيث لا سلطان لدارس على متكلم ..

ثانيهما : أن للهجات تأثُّرها ، وجذورها كما أن لها أثرها على العربية الفصحى .

(١) السابق .

ظواهر لغوية تتصل بالمثنى وبجمع المذكر السالم

تعميم حالات المثنى وجمع المذكر السالم وجعله بالياء في كل حالاته :

من الأمثلة على ذلك النص الآتى : جاء فى الاعتبار : « قالوا تريد ستمائة دينار ، فضرط لهم وقال : أنا سَرَجَنْدِى ديوانى كل شهر دينارين ، من أين لى ستمائة دينار »(١) . والصواب : « ديناران » ، ومثلها : « وفيه خرتقين »(٢) صوابه : « خرتقان » وظاهرة تعميم حالات المثنى هكذا ومثله جمع المذكر السالم وجعله بالياء هو ما عليه الحال فى اللهجات العامية على نحو ما فى اللهجة المصرية .

ولكن فى الاتجاه المقابل لهذا الاستعمال وعلى الطرف الآخر منه نجدهم فى الاستعمالات اللغوية لعربية العصور الوسطى يجعلون جمع المذكر السالم بالواو فى كل الحالات — فالأمور تسير كيفما اتفق . ومن الأمثلة على ذلك النص الآتى : « المظفر صاحب حماة كان منتمياً إلى الصالح نجم الدين ومهتماً بنصرته ويخطب له فى بلاده وكان الحلبيون والمجاهد صاحب حمص معاندون له ومساعدون عليه .. »(٣) ، والصواب : « كانوا .. معاندين له ومساعدين عليه » .

ويعد هذا وما هو على شاكلته أيضاً من باب الخطأ فى قواعد الفصحى والخروج عليها عن غير وعى بقواعدها ، والخارج عليها مردود بها إليها ، إن وعى فبنفسه وإلا فبالدارسين من قارئين ومحققين . وبذلك فلا يُقدَّر لمثل هذه أن تصير ظاهرة مطردة مثلما يحدث فى اللهجات الدارجة حيث يأخذ الاستعمال اللغوى مداه ، حيث لا سلطان لدارس على متكلم . ولكن هذا

---

(١) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٧٥ . وانظر المخطوطة .

(٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١٩٦ . وانظر المخطوطة .

(٣) المقريزى : السلوك ، ص ٤٣٠ — ٤٣١ .

الإتجاه المقابل الذى يشير إليه النموذج الأخير يعد من باب الخطأ فى الفصحى وإن كانت فيه إشارة إلى أثر الفرد فى التطور اللغوى — فكثيراً ما تبدأ الظواهر اللغوية بالأخطاء الفردية التى تتناقلها الجماعة وتصبح ظاهرة(١) .

واتصالا بما نحن بصدد الحديث عنه وجدناهم يثبتون نون المثنى وجمع المذكر السالم فى حالات الإضافة ومن الأمثلة على ذلك :

« ثم استقر ابن صصرى ناظر الدواوين بدمشق فانتدب النجيب كاتب بكجرى أحد مستوفين الدولة »(٢) .. والصواب : « أحد مستوفى الدولة » ، وهذا أيضاً مثل سابقه يعد من باب الخطأ فى قواعد الفصحى ، وهو أثر من آثار الأفراد واللهجات فى مجال التطور اللغوى .

واتصالا بما نحن بصدد بحثه يجد الدارس فى عربية الحروب الصليبية استعمال صيغة جمع العاقل لما لا يعقل ، وعلى الرغم من وجود هذه الظاهرة فى كل كتب التراث إلا أنها تعد أيضاً من باب الخطأ والخروج على قواعد الإعراب فى الفصحى والخارج عليها عائد بها إليها .

ومن أمثلتها ما جاء فى كتاب الاعتبار : « ستة طيور يضربون الصقور بأجنحتها ، فلولا نبادرهم كانوا خلصوا الوزة ، وقصوا أجنحة الصقور بمناقيرهم »(٣) . والصواب وفق قواعد الفصحى إذا تجاوزنا موقتاً عن بعض المخالفات ومن بينها مخالفة أسلوب الشرط لما كان ينبغى ، نقول : « ستة طيور يضربن الصقور بأجنحتهن ، فلولا نبادرهن كن خلصن الوزة وقصصن أجنحة الصقور بمناقيرهن » .

---

(١) د. عبد الرحمن أيوب : اللغة بين الفرد والمجتمع ، اقرأ الفصل الثانى ، تأثير الفرد فى اللغة ، من ص ٣٤ – ٥١ .

(٢) المقريزى : السلوك السابق .

(٣) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢١٧ .

وكذلك نجد فى حديث له عن الكلاب النص الآتى : « الكلاب نطعمهم من عيشنا »(١) ، والصواب : « نطعمها » .

واتصالا بهذه الظواهر نجد فى عربية العصور الوسطى إرجاع ضمير الجمع أو المفرد إلى الاسم المثنى . ومن أمثلة ذلك : استبدالهم جمع المذكر السالم بالمثنى ومن الأمثلة على ذلك ما جاء فى السلوك :

« وكان كتبغا وبيدار نائبا هولاكو لما بلغهما سير العساكر المصرية جمعا من تفرق من التتر فى بلاد الشام ، وسارا يريدون محاربة المسلمين »(٢) . والصواب : « يريدان » .

وجاء فى الاعتبار : « فخرج من الإفرنج فارسان سارا إلى قريب من أولئك الجند الذين يرعون خيلهم فصادفوا رجلا على الطريق يسوق بهيمته فأخذوه وبهيمته »(٣)، والصواب : « فصادفا رجلا على الطريق يسوق بهيمته فأخذاه وبهيمته » .

ومثاله أيضاً : « بالأمس حضرت القتال مع مولاى فحمل عليه فارس يطعنه فدخلت بينه وبين مولاى لأفديه بنفسى فطعنى قطع من أضلاعى ضلعين وهى ونعمتك عندى فى قمطرة »(٤) ، والصواب : « وهما » .

كما جاء : « فلا أقدر على الحركة ويبست رجلاى ودقت »(٥) ، وصوابه : « ودقتا » .

ومثله : « بحيث كادت القاهرة ومصر أن تنهب »(٦) . فإن الصواب : « أن تنهبا » .

---

(١) السابق ، ص ١٢ .

(٢) المقريزى : السلوك ، ص ٣٤٠ — ٣٤١ .

(٣) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٦٢ .

(٤) السابق ، ص ٥٤ .

(٥) السابق ، ص ١٦٦ .

(٦) المقريزى ، السلوك ، ص ٧٩٦ .

وجاء في مفرج الكروب : « فأنهى الوزير ذلك إلى السلطان فشكرهما عليه ، وأحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكروا ... »(١) ، وصحته : « فذكرا » .

من التطور الخاص بالنوع والعدد

من الأمثلة عليه النص الآتي ، وهو جزء من موقف يرويه أسامة بن منقذ عن الأمير معين الدين أنربينه وبين شيخ أنكره أصحابه فقبضوا عليه وقدموه له :

« فقلت : يا شيخ .. إيش أنت ؟ .. قال : يا مولاى أنا رجل صعلوك .. شيخ زين ، أخذ لى العسكر عنزين جئت خلفهم لعل أن يتصدقوا على بها(٢)»

ولنصرف النظر عن أثر تراكيب اللهجة العامية ، فواضح في قوله : « إيش أنت ؟ » و« شيخ زين » اختيار وحدات البناء العامى . ولننظر إلى ما في التركيب من مخالفة لما يجب أن يكون عليه نحو الفصحى ، حيث إن الصواب : « عنزين .. يتصدقوا على بهما » .

وفي نص آخر : « فأمرت اثنين من الأدلاء ركبا مهريين وسارا قدامنا إلى الحفر ، فما لبثا أن عادا والمهارى تطير بهما »(٣) . ففي التركيب الأخير استعمل الجمع بدل المثنى ، والصواب : « والمهاريان تطيران بهما » .

كما حكى أسامة عن استعداده الدائم للقتال فقال : « فوقف إلى أن اجتمع عنده جماعة من العسكر وقال : ألبسوا سلاحكم .. وقد لبس أكثر الحاضرين وأنا إلى جانبه ، ثم قال : كم أقول لكم البسوا سلاحكم ؟ .. قلت : يا مولاى لا تكون تعنيني — قال : نعم .. قلت : والله ما أقدر ألبس نحن في أول الليل وكزاغندى فيه زرديتان مطبقة إذا رأيت العدو لبسته »(٤) .. والصواب :

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .

(٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٤٤ .

(٣) السابق ، ص ١١ .

(٤) السابق ، ص ٩٩ — ١٠٠ .

« زرديتان مطبقتان » وقد فطن إلى هذا الناشر(١) . بالإضافة إلى وجود بعض الوحدات الزائدة مثل « تكون » فلو حذفت لاستقام التركيب على طريقة الفصحى « يا مولاى لا تغنى » .

وفى هذا المجال يطالع الدارس مخالفات لنحو الفصحى فيما ينبغى أن يكون عليه تمييز العدد وبنوع خاص ما نجده فى كتابات أسامة بن منقذ مما يشير إلى آثار من لهجته فى تميز العدد . حيث نجد تمييز أعداد الألف بالمفرد نحو قوله : « أربعة ألف دينار »(٢) ، وقوله : « ستة ألف دينار مصرية »(٣) ، وقوله : « أربعة ألف مجلد من الكتب الفاخرة »(٤) .

وكل هذه تعد من الأخطاء التى يفطن لها القارىء أو المحقق حيث يصوبها مما يعمل على حصر مد تلك الظواهر وإيقافه(٥) .

* * *

مخالفة نحو الفصحى فى المطابقة تأثراً بلغة أكلونى البراغيث :

يلاحظ الدارس فى تراث ذلك العصر وجود هذه الظاهرة بصورة ملفتة للنظر فى مختلف المصنفات . وقد علق مؤرخ محقق كتاب مفرج الكروب لابن واصل بقوله : « ويلاحظ أن ابن واصل كثيراً ما يلتزم مذهب (أكلونى البراغيث) فيستعمل الفعل المثنى والفعل الجمع (كذا) مع وجود الفاعل ، ولم نشأ أن نغير ما التزمه المؤلف محافظة على أسلوبه » (٦) .

ومن أمثلة ما جاء فى مفرج الكروب :

« وسار تاج الدولة نحو حلب ، وكان قد دخلاها كربوقا وبزان

---

(١) إقرأ د. فيليب حى ، الاعتبار ، ص ١٠٠ .

(٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١٤ .

(٣) السابق ، ص ١٠ .

(٤) السابق ، ص ٣٥ .

(٥) اقرأ الناشر (الصفحات السابقة) هامش ٢١ ، ص ١٠ ؛ وهامش ٤٥ ، ص ١٤ ؛ وهامش ٨ ، ص ٣٥ .

(٦) د. جمال الدين الشيال ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٦ .

فحفظاها »(١) . والصواب « دخلها كربوقا وبزان » ، ومثلها : « فلما وصلنا عسقلان سحر ، ووضعنا أثقالنا عند المصلى صبحونا الإفرنج عند مطلع الشمس »(٢) . والصواب : « صبحنا الإفرنج » .

كما جاء فى الاعتبار : « خرج من شيزر جماعة من الرجالة للقتال فاقتطعوهم الروم ، فقتلوا بعضاً وأسروا بعضاً »(٣) ، والصواب : « فاقتطعهم الروم » . وجاء فى الاعتبار أيضاً : « فلما رأونا الحرامية »(٤) والصواب : « رآنا الحرامية » .

وجاء فى السلوك : « وخربوا التتر الجوامع والمساجد والمشاهد »(٥) ، والصواب : « وخرب التتر » . وجاء فى كتاب النهج السديد : « أخذونى التتار أسيراً من بغداد لما أخذوها التتار »(٦) . والصواب : « أخذنى التتار أسيراً من بغداد لما أخذها التتار » . وهذه الظاهرة موجودة بوفرة فى كتب التراث ، وهى « مطردة فى اللهجات العربية الحديثة »(٧) لأن فى هذه الظاهرة مرضاة للعقل حيث إنها تتفق مع المنطق العقلى وإن خالفت منطق اللغة ، وقد ذكر بعضهم أن المطابقة الكاملة من خصائص لهجة طيء ، وأطلقوا على هذه الظاهرة « لغة أكلونى البراغيث »(٨) . قال سيبويه : « اعلم أن من العرب من يقول : ضربونى قومك وضرباني أخواك فشبهوا هذا بالتاء التى يظهرونها فى قالت فلانة »(٩) .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٦ .

(٢) السابق ١٥ .

(٣) السابق ص ٩٢ .

(٤) السابق ص ١٥٤ .

(٥) المقريزى : السلوك ص ٤١٠ .

(٦) ابن أبى الفضائل : كتاب النهج السديد ، ص ١٠٣ .

(٧) إقرأ : علم اللغة العربية ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٨) السابق ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٩) الكتاب ج ١ ص ٥ ، ٦١ ، ١ ، ٢٣٧ من ط بولاق .

أما فى مجال القواعد الإعرابية فقد وجدت ظواهر تمثل مخالفات متنوعة

المخالفات النحوية فى مجال الإعراب

من بينها على سبيل التمثيل :

ظاهرة الوقف على آخر الكلمات بالسكون . ظهر ذلك فى مجالات متعددة فقد سجلت كتب التاريخ أن أهل الشام تغنوا بأغان يوقف على آخر كلماتها بالسكون ، فعندما أمر العادل سنة ٦١٠ هـ بإحداث تركيب سلاسل على أفواه السكك المجاورة للجامع ومدها فى أيام الجمع لتمنع الخيل من قرب أبواب الجامع ، وذلك لما ينال الناس من المشقة من زحمة الخيل التى يركبها بعض المصلين إلى الجامع (١) .

وقد كان الغناء فى كثير من حالاته من العوامل المساعدة على المخالفات الإعرابية لنحو الفصحى — ومن أمثلة ذلك تلك الأغنية التى كان يوقف على آخر كلماتها بالسكون :

قاضى القضاة عزل نفسه لما ظهر للنـاس نحسه

وسواء علينا أوحى قالبها أو مضمونها بأنها زجل أو شعر فإن موسيقا نطقها تفرض مخالفات إعرابية أخرى حيث تتطلب اتحاد حركة السين فى (نفسه) و (نحسه) بينما حركتهما ليست واحدة . ودلالة ذلك أن الغناء من العوامل المعينة على المخالفات الإعرابية .

ومما يدخل تحت هذه الظاهرة فى اتجاهها العام — ما وجدناه فى مصنفات التراث من تسكين للمنصوب أو غيره ، ومن الأمثلة عليه :

« يقول لك أتابك : لما كانت لحم أكلها . ولما صارت عظم رماها »(٢) ، والصواب : « لما كانت لحماً .. وصارت عظما » .

ومثلها : « أخذوا أخى نجم الدين أبا عبد الله محمد(٣) » والصواب « محمداً » .

(١) أنظر ذيل الروضتين ص ٨٢ . ويلاحظ أن استعمال كلمة السكك جمع سكة بمعنى الطرق مازالت حتى اليوم مستخدمة فى عامية مصر (سكة السلامة) . (سكة الندامة) .

(٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ٢ .

(٣) السابق ص ٢٧ .

ومثلها : « دفعت الفرس إلى الغلام فعمل له شكال »(١) والصواب « شكالا » ومثلها : « عملت له تابوت »(٢) ، والصواب : « تابوتاً » . ومثلها : « لعلهم أبصروا عربان »(٣) ، والصواب : « أبصروا عربانا » . ومثلها : « رأى سنجاب »(٤)، والصواب « سنجاباً » . ومثلها : « إن الضيف فلان »(٥) ، وصوابه « فلانا » . ومثلها : « يصنع له فرو مطوى »(٦) ، وصوابه : « فرواً مطويا » .

وجاء فى مفرج الكروب : « وجعل صلاح الدين محمد أمير حاجب »(٧) وصححها المحقق ونص على أنها فى الأصل : « أمير حاجب » وأنه عاد فى تصحيحها إلى ابن الأثير(٨) ، والصواب : « أميراً حاجباً » .

ومثلها : « وسير إلى علم الدين كرجى وعز الدين درباس المهرانى (شىء) من المال ، وقال : اشتهى منكم تفتلدوا ابن أخى عن الحرب »(٩) ، والصواب : « شيئاً » .

وجاء فى السلوك : « وأحضر صندوقاً فوجد الأمير جاغان فيه اثنين وثلاثين ألف دينار ، ومائتى دينار ، وأربعة وثلاثين ديناراً عيناً وحوائص وطرز » (١٠) ، والصواب : « طرزاً » . ومثلها : « وفى أول رجب رفعت قصة بأن على اب المشهد الحسينى مسجد إلى جانبه موضع من حقوق القصر قد بيع بستة آلاف درهم حملت إلى الديوان »(١١) والصواب « مسجداً » .

---

(١) السابق ص ٢١ .

(٢) السابق ص ٢٠٦ .

(٣) السابق ص ١١ .

(٤) السابق ص ١٩٤ .

(٥) السابق ص ١٩٤ .

(٦) السابق ص ٢٠٤ .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣٤ .

(٨) الدكتور جمال الدين الشيال : هامش مفرج الكروب ج ١ ص ٣٤ .

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص٩٧ وذكر المحقق بجوارها بين قوسين (كذا) .

(١٠) المقريزى : السلوك ص ٨٤٧ .

(١١) السابق ص ٥١١ .

الظاهرة المقابلة

وعلى الجانب الآخر من هذه الظاهرة وفى الطرف المقابل لهذا الاستعمال اللغوى وجدناهم يطيلون الحركات التى يجب أن تقصر على نحو ما نجد مثلا الاستعمال الآتى فى السلوك :

من وصية الملك الظاهر لولده الملك السعيد » : « إنك صبى وهؤلاء الأمراء الأكابر يرونك بعين الصبى فمن بلغك عنه ما يشوش عليك ملكك وتحققت ذلك عنه فاضرب عنقه فى وقته ولا تعتقله ولا تستشير أحداً فى هذا »(١) ، والصواب : « ولا تستشر » .

وهناك أمثلة كثيرة لما نراه من باب الأخطاء فى القواعد النحوية مما استلفت نظر كثيرين من الدارسين فى تراث تلك الحقبة حتى من غير المتخصصين فى هذا المجال . ومن أمثلة ذلك ما جاء فى تصدير ناشر كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقى الدين أحمد بن على المقريزى فقد جاء عن المصنف المذكور : « إنه وقع فى بعض أخطاء نحوية »(٢) . وجاء أيضاً النص الآتى على لسان المحقق : « فضلا عن أن غلطاته النحوية نفسها دليل على حال اللغة فى العصر الذى عاش فيه »(٣) .

والواجب أن تدرس على كل مستويات الدرس وليس فى باب الدراسات النحوية فحسب أو ما يعد خروجاً على قواعد إعراب الفصحى ، فتلك أمور قد يدركها من له إلمام بقواعد الإعراب يصححها أو ينبه إليها .

ولكن هناك تطورات حدثت داخل الأساليب حيث تتنوع الإمكانيات التعبيرية الكامنة فى اللغة ، وحيث ينتقى منها ويتوسل بها مستخدم اللغة إيجاباً

---

(١) السابق ص ٦٤١ .

(٢) د. محمد مصطفى زيادة. فى تصدير السلوك ج ١ص(د) ، قسم ٢ .

(٣) وتلك إشارة هامة من ذلك العالم المؤرخ تشير إلى وجوب دراسة اللغة فى ذلك الزمن فلم يحدث أن اهتم أحد من اللغويين بدراسة خصائص العربية فى ذلك العصر حتى كانت محاولتى فى رسالة الدكتوراه موجودة بمكتبة دار العلوم والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة وموضوعها اللغة العربية فى عصر الحروب الصليبية كما تمثلها كتب التاريخ دراسة لغوية تاريخية .

د . محمد مصطفى زيادة ، فى تصديره السلوك ج١قسم ٢ ص (هـ) .

وسلباً وفق قدرته اللغوية فظهرت إمكانيات تعبيرية متنوعة بعضها لم يسبق إليه فالواقع متغير والمعانى متنوعة والعلاقات متجددة ، وهنا تكمن قضية المنهج التحويلى « Transformational grammer » أى النحو التحويلى(١) :

بالإضافة لتطور الصيغ والتطور الدلالى والصوتى على نحو ما رأينا فيما سبق

---

(١) أنظر شومسكى : Noam chomsky ; Aspects of The Theory of Syntax.

واقرأ . ادوارد سابير : اللغة ، الفصل الرابع والخامس والسادس

Edward Sapir : Language Iv· form in Language grammatical proeesses, 57, v. Form in Language · Grammatical Concepts. 82, VI Types of Linguistic Structure 120 ·

واقرأ : – Stylistics. G. W. Turner.

وأقرأ : النحو العربى والدرس الحديث : بحث فى المنهج د . عبده الراجحى .

وأقرأ علم اللغة بين التراث والمناهج ، د . محمود فهمي حجازى ، ص ٨٧–٨٠.

واقرأ عن البنيوية التوليدية للدكتور جابر عصفور . قراءة فى لوسيان جولدمان (الفصول) ص ٨٤ وما بعدها م ١ ع ٢ .

واقرأ نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث . د. نهاد الموسى .

والأسلوبية والأسلوب . د. عبد السلام المسدى .

الخاتمة

تجمل تلك الخاتمة الحقائق والنتائج التى توصلت إليها الدراسة ، وتقدم المقترحات والتوصيات .

استوجب العمل تخصيص باب فى الدراسات الصوتية ، وآخر للدراسات الدلالية وأفرد باب لدراسة الصيغ والقواعد ، وسبق كل هذا بباب الدراسة التمهيدية الذى عالج فصله الأول الحياة اللغوية فى العصور الوسطى وأثر ما بين طبقات المجتمعين من صلات وعلاقات فى الصراع اللغوى .

ومن أهم الحقائق فى هذا الفصل أن أكثر اللغات الإفرنجية تأثيراً وتأثراً فى هذا المعترك اللغة الفرنسية ، والإيطالية ، وذلك راجع لما للناطقين بهما من مكانة وعلاقات .. ولأسباب متعددة ذكرت فى موضعها .
أما الإنجليزية والألمانية فيأتى دورهما بعد الإيطالية والفرنسية والنرماندية .

أما عن لغات المعسكر الإسلامى فقد كان أقواها تأثيراً وتأثراً فى هذا المعترك أيضاً الفارسية والتركية ، وتأتى الكردية فى مرتبة متأخرة بعد التركية . وعن اللهجات فان أكثرها تأثيراً وتأثراً فى هذا المعترك اللهجة المصرية . وتأتى العراقية بعد الشامية بآثار ضعيفة — وأكبر الحقائق التى تمخض عنها هذا الصراع هو أن العربية خرجت منتصرة وتلك حقيقة ملموسة نعيشها . والحقيقة الثانية هى رجحان كفة اللهجة المصرية فى هذا المعترك على صورة تلفت نظر الباحثين حتى من غير المتخصصين .

أما الفصل الثانى من هذا الباب فقد علل لانتصار اللغة العربية فى هذا المعترك الكبير الذى وقفت فيه فى مجابهة تيارين قويين ، تيار لغات أعدائها وتيار لغات حماتها بالإضافة للهجات الناطقين بها ، كما علل لما حققته لهجة مصر من مظاهر النصر فى هذا المعترك اللغوى أيضاً .

أما باب الدراسات الصوتية فقد درس نشاط حركة التبادل اللغوى ، وما تبعه من تغيرات صوتية أصابت الدخيل وتتبع البحث العوامل التى أدت إلى إحداث المفارقات بين الصور الصوتية التى صارت إليها والأصل الذى أخذت عنه . وأعطى نماذج متنوعة للدراسة من المراجع العربية والإفرنجية أشار فيها إلى بعض الأصول العربية التى تاهت معالمها لولا القرائن التى تؤكد أصلها .

وعالج التغيرات الصوتية التى أصابت الدخيل من لغات المعسكر الإسلامى وتبين للبحث فى هذا الفصل أن الدخيل المعرب من لغات المعسكر الإسلامى اختلف منهجه فى التعريب كثيراً عن المنهج الذى اتبع مع المعرب من داخل المعسكر الصليبي .

فالتغيرات الصوتية فى الأولى سارت فى حدود ضيقة والمسافة بين الصورة الصوتية فى أصلها وبين الصورة التى انتهت إليها فى العربية تكاد تكون متقاربة . على العكس من الكلمات المعربة من داخل المعسكر الصليبي حيث نجد مسافة الخلف واسعة والهوة بعيدة بين الصورة الصوتية للكلمة المعربة وبين صورتها فى الأصل الذى أخذت عنه .

وأعطت الدراسة فى هذا الفصل نماذج لتغيرات صوتية تمت فى حدود القواعد والقوانين الصوتية العامة حيث استبدل صوت بصوت تجمعهما صفات صوتية عامة مثل اتحادهما فى المخرج أو فى ممر الهواء عند موضع النطق مثلا أو نحو ذلك .. كما أعطت مباحث لتغيرات صوتية تمت فى أضيق نطاق وقدمت أمثلة متنوعة لها ، وقدمت نماذج من دخيل بدأت التغيرات الصوتية به فى أضيق الحدود ثم تطورت أصواتياً ودخلت فى دائرة المفارقات البعيدة وقدمت نماذج لتغيرات صوتية تمت داخل بنية الكلمة بالتقديم أو التأخير أو القلب المكانى مع ضرب الأمثلة المختلفة المحللة تحليلا صوتياً ، ثم قدمت نماذج من دخيل تعددت صوره بتعدد تغيراته الصوتية وهى بذلك تسهم فى إثراء ظاهرة الترادف وتعلل لها . وكذلك قدمت نماذج عربت على أنها كتل

صوتية بصرف النظر عن المقاطع التى تتكون منها الكلمة أو عن عدد الكلمات التى تتكون منها الصيغة المعربة .

وجاء بعد ذلك الفصل الثانى من الباب الثانى فعالج التغيرات الصوتية التى أصابت الدخيل من لغات المعسكر الصليبى وأجرى تحليلات صوتية توصل منها إلى القوانين العامة التى انتهجتها اللغة العربية عند تعريبها الدخيل من لغات معسكر العدو وهى فى أشد فترات الصراع اللغوى الذى يوجهه الصراع الدينى والسياسى والاقتصادى والحربى ، وتتبعت دراسة هذا الفصل ظواهر صوتية بالرصد والتحليل منها :

(أ) ظاهرة أخذ الكلمة كتلة صوتية مجتمعة ثم صبها فى قالب شبيه بالصيغ العربية المستعملة مما نشأ عنه ظاهرتان لغويتان متداخلتان :

١ ــ ظاهرة الخلط بين الأعلام والصيغ الدخيلة عند التعريب .

٢ ــ ظاهرة تعدد الصور الصوتية المختلفة لتدل على شىء واحد دخيل كلمة ، كانت أو صيغة ، أو علماً .

وتبين للبحث أن ظاهرة أخذ الدخيل هنا على أنه كتلة صوتية وصبه فى قالب شبيه بالقوالب العربية قد أخذ أبعاداً مختلفة :

(أ) بعد نشطت فيه الحاسة اللغوية المتذوقة واستساغت كتلا صوتية رددتها كما هى اللهم إلا تغيرات صوتية طفيفة علل لها البحث .

(ب) وبعد لم تستسغ فيه الكتلة الصوتية فحرفت وشوهت وقربت من كتلة صوتية ألف نطقها أو مدلولها .

ودرس هذا الفصل نماذج لأمثلة متعددة لصيغ أصابتها تغيرات صوتية فى نطاق ضيق يمكن أن تعد كلماتها تجوزاً مقتبسة .

أما عن البعد الذى لم تستسغ فيه الكتلة الصوتية حيث حرفت وبوعد بينها وبين أصلها بينما قربت من كتلة صوتية مألوفة لها ، فقد اتخذ هذا البعد ثلاثة اتجاهات متشابكة :

١ — اتجاه لعب فيه الخيال اللغوى العربى الأمى دوره ويقابله على النقيض الخيال اللغوى المثقف .

٢ — اتجاه لعبت فيه تعدد لغات الإفرنج وتداخلها دوراً آخر .

٣ — اتجاه لعبت فيه الرغبة فى التميز بين المتداخل والمختلط من لغات العدو والميل إلى توضيح دلالة كل دوراً ثالثاً .

كما تتبع البحث ظاهرة تحريفية صوتية خفية حيث تنتقل فيها الكلمة الإفرنجية الخالصة فى صورة عربية خالصة وتسهم بذلك فى ظاهرة المشترك اللفظى ، فقد يستفيدون من تقارب الصورة الصوتية المعربة من صورة صوتية عربية حديثة أو قديمة ويطلقون هذا على ذاك .

ثم جاء بعد ذلك ، الباب الثالث وهو باب الدراسات الدلالية واشتمل على تمهيد وفصلين .. دارت مباحث التمهيد حول تبادل الأفكار والمعانى من العربية وإليها فى العصور الوسطى .

ودراسة تطور دلالات الدخيل فى هذا العصر حيث كانت تلك الحروب وسيلة لإثراء الفكر الغربى بالمعانى والأفكار والقيم الإسلامية — كما كانت تلك الفترة فرصة لاستفادة الفكر الفارسى والتركى من المبادىء التى يدعمها الإسلام فى ساحة اللقاء العملى حيث يحتمون كلهم تحت رايته ويستظلون بمبادئه كما كان لنشاط تعلم اللغات الأجنبية على الجانبين أثر قوى فى نقل الأفكار وإثراء المعانى .

وبحث هذا الفصل نشاط تطور الدلالة والعوامل التى أثرت فى هذا التطور ووجهته رقياً وانحطاطاً وتعميماً وتخصيصاً ..

أما الفصلان التاليان من هذا الباب فقد هدفت الدراسة منهما إلى تحقيق غايات منها : —

١ — دراسة أصل الدخيل دراسة علمية وتعريف مصدرها فى محاولة للإسهام فى سد تلك الثغرة التى أخذت على اللغويين العرب .

٢ – تتبع حركة تطور دلالة الدخيل فى ذلك العصر حيث تم اقتراض كلمات ومصطلحات وصيغ لا نظير لها .

وقد وقفت العربية موقفاً نسقت فيه بين الدخيل والأصيل فى براعة سدت معها كثيراً من احتياجاتها فى مجالات مختلفة .

وكل ما أصاب الدخيل من تغيرات فى المعانى وما نتج عنه من ظواهر لغوية متعددة فى هذا الميدان إنما كان له مبعث وينطلق نحو تحقيق هدف فى دقة محكمة ، واتضح ذلك بجلاء من دراسة مجموعات الدخيل التى أجرى عليها البحث تحليلاته فى الفصلين الثانى والثالث من هذا الباب .

فقد بحث الفصل الثانى مجموعات من دخيل لغات معسكر الفرنجة ورتب بين نماذجها ذات الاتجاهات المختلفة . وقد اشتقت منها عربية ذلك العصر صيغها وتصريفاتها المختلفة وصنعت منها مادة القوائم التى استخدمتها فى كافة استعمالاتها .

ومستعملى العربية فى ذلك العصر قد نسقوا بين الدخيل والأصيل بين ما وضع عن طريق القياس الإبداعى تنسيقاً ينبىء عن دقة حيث ميزوا بين أنواع مختلفة من الدخيل ؛ أصلها الاشتقاقى واحد وهى تعنى دلالة واحدة ولكنها اختلفت تبعاً لألسنة الناطقين بها فأعطت العربية لكل صيغة دلالة خاصة بها وسدت بذلك حاجة ونقصاً عندها .

كما تبين أن مستعملى العربية آنذاك استحدثوا فى متن اللغة الأصلى صيغاً ما وسعتهم الحيلة وأنهم لم يقتبسوا إلا ما دفعتهم الحاجة له وإن كثر الدخيل فى ألسنتهم فى ذلك العصر فذلك أمر لا مفر منه .

فلأن العربية لم تكن لديها المفردات الكافية للتعبير عن المعانى المطلوبة فى هذا الصدد استخدمت الاشتقاق، والقياس الإبداعى ، واقتبست ، وعربت... وأسفر ذلك عن نتيجة هامة وهى أن الدخيل على الرغم من تعدده فى المجال الواحد ليس بينه ترادف فى العربية وإن أشار أصله إلى غير ذلك . فالعربية فرقت بين كل واحدة وصاحبتها مهما كانت الصلة فى الأصل المأخوذ عنه .

والواقع أن عوامل الصراع وظروف الاختلاط والحركة الاجتماعية ، ومقتضيات الاستجابة لروح ذلك العصر فرضت على اللغة فى هذا المجال أخلاطاً من الدخيل وأمشاجاً أخذتها العربية عن لغات المعسكرين المتصارعين معها وعلى سبيل المثال أخذت عن لغات المعسكر الإسلامى ألقاباً متنوعة لا مفر لها منها فالمجتمع الإسلامى لم يكن يعرف الطبقات ، والألقاب فيه محددة ، ولكن فى العصر الصليبي حيث الحشود الضخمة ذات الطبقات والألقاب المتنوعة فقد انفتح الباب للدخيل ونوعت بين دلالته وطورتها فوجد: الخان ، والقان ، والخاقان ، والخاتون ، والبرلى ، والدزدار ، والشاه ، وملك شاه ، وشاهنشاه وشاهنشاه روى زمين .. وعينت الدراسة مسار الدخيل وحركته والأبعاد التى انتهى إليها مستفيدة من النصوص جهد طاقتها .

أما باب دراسة الخواص الصرفية والنحوية فقد دارت مباحثه فى فصلين عالج أولهما الدراسات الصرفية لعربية العصور الوسطى ، وعالج ثانيهما الدراسات النحوية .

وتتبع الفصل الأول أهم الظواهر الصرفية التى تمخض عنها الصراع ومنها ظاهرة إنسال الصيغ التى يتطلبها الاستعمال اللغوى واتخذ ذلك طريقين :

(أ) طريقة التحول الداخلى .

(ب) طريقة الإلصاق .

فعن طريق التحول الداخلى تحمل الصيغة فى نفسها علامة استعمالها والتعبير عن قيمتها الصرفية . أما عملية الإلصاق التى تعتمد على مجموعة من اللواحق والسوابق والدواخل تلصق بالجذر لتمنحه مزيداً من الخصوبة والقدرة فللعربية منه فى هذا العصر دور متعدد الأبعاد .

فقد جعلت بعض الدخيل يمثل مجموعات تحكم فيها شكل القالب الذى تصب فيه الصيغة الدخيلة وقد كان اختيار الصيغة من عوامل التطور الأصواتى والدلالى وكان أيضاً من عوامل الخلط وتعدد أشكال الجموع . فقد كان شكل القالب دائماً هو الذى يعطى الإيحاء بالدلالة على المفرد أو الجمع كما يوحى

بالدلالة على الجنس فى العربية وإن خالف الواقع الذى أخذ عنه — وهذا طبيعى فمن المسلم به لدى اللغويين أن المعانى الصرفية تستفاد من الهيئات أو الصيغ أو الأوزان كما تستفاد من العناصر الالتصاقية إعرابية وبنائية ومن العلاقة العدمية كذلك ، وتحديد تلك المعانى الصرفية المعتمدة على الشكل الخاص بالبنية جزء من وصف نظام أى لغة .

أما عن ظاهرة استعمال كلمات ذوات لواحق دخيلة فعلى الرغم من أن العربية لم تكن فى حاجة لتعريب اللواحق فقد وجدت فى عربية ذلك العصر لواحق متعددة الأشكال .

منها لواحق تؤدى فى العربية وظائفها فى نطاق الكلمات المعربة بها ، ومنها لواحق أصابها تطور صوتى ، ومنها لواحق أصبحت تمثل جزءاً من بنية الكلمة ، ومنها لواحق دخلت على لواحق ، ووجد من بينها ما أثر على العلامات الشكلية التى تحدد جهة الإسناد .

ولظاهرة النسب فى عربية الحروب الصليبية أهميتها حيث استعملوا ياء النسب للمبالغة والتعظيم ، وكذلك استخدموها للتصغير والتحقير ، كما جعلوا النسب فى بعض الحالات رمزاً يشيرون به إلى نوع الدلالة المتعارف عليها فيما بينهم ، كما استعملوا كافاً زائدة قبل ياء النسب فى بعض الحالات ، كما استخدموا الصيغ المنسوب إليها بلا مبرر وكأنها الصيغة الخفيفة على ألسنتهم المحببة إلى نفوسهم .

كما استعملوا ياء النسب وهاء الإضافة عند الحديث عن أيام الشهر ، واستخدموا أنواعاً من النسب على غير القياس واستخدموا بعضها استخداماً خاطئاً .

أما عن ظاهرة التأثر بموقعية بعض الدخيل ، فقد حدث فى عربية العصور الوسطى تغييرات فى بعض الرتب المحفوظة تأثراً بالمنهج الصرفى لبعض اللغات الداخلة فى الصراع .. كما تم اقتباس كلمات ذات مواقع محددة داخل التراكيب

كما أن العربية فى بعض الحالات تنازلت عن بعض خصائصها فى رتبة الإضافة عن عمد عندما كان ثمن ذلك وضوح الدلالة . كما أنها اقتبست ما لا مثيل له عندها مما كان له دوره الصرفى وأثره على مستوى التركيب والدلالة معاً . وحدث التأثير عن وعى وعن غير وعى، وتلك ثمرة طبيعية للاحتكاك وأثر من آثار الصراع حيث يتم ذلك بفعل تيارات اجتماعية مسيطرة .

كما أن عربية ذلك العصر اشتقت ونقلت من الدخيل أنواعاً مختلفة من أصول اسمية أخذتها من الدخيل وصنعت منها لنفسها قوائم بمجموعات من التصريفات المختلفة التى تستمد منها ما تحتاجه فى تراكيبها المتنوعة .

وقد كانت أشكال الصيغ التى أخذت منها الأفعال الاسمية وطبيعة الاستعمال هى التى تحدد نوع الفعل ثلاثى أو رباعى لا عدد صوامت الدخيل . فهناك أصول دخيلة صوامتها ثلاث وأفعالها فى العربية رباعية مثل (بركل) من (Park) — وأصول دخيلة صوامتها خمس وفعلها ثلاثى مثل (بطق) من « Pattakion » وهناك أفعال رباعية ودخيلها صيغتان معاً (خشدش) من « خواجاتاش » .

أما فصل الدراسات النحوية لعربية العصور الوسطى فقد اتخذت الدراسة فيه مسارات عدة :

أولها : النظم والخواص التركيبية حيث وجد فى عربية ذلك العصر ظواهر لغوية تركيبية متعددة تشير إلى نوع ما من التغيرات أو التطورات واتخذت أشكال ظواهر .

ومن هذه الظواهر حذف أداة الاستفهام — الهمزة وهل — اعتماداً على الأنماط التنغيمية والنماذج الموسيقية التى تؤدى فيها التغيرات الصوتية وظيفة نظمية ، واستطرد ذلك إلى ظاهرة تصب المسرح اللغوى حيث حتمت ذلك الدقة إزاء تناول المادة العلمية الموجودة بروح الدراسة الحديثة وقد كان من أهم العوامل التى أوجدت هذا الاتجاه فى أسلوب عربية العصور الوسطى :

— الرغبة فى الخروج على منهج الكتابة الفنية بكل ما فيها من تكلف فى الصنعة يبعدها عن أرض الواقع وقضايا العامة .

— محاولة تسجيل وقائع الحياة السريعة الخطا المتلاحقة الأحداث .

ـ الرغبة فى التفاعل مع واقع المجتمع ومشاكل الحياة والتحايل للتخلص من بطش الحاكم وشره مع محاولة إرضائه .

ونحس فى لغتهم فى معظم أحوالها على الرغم من قدم العهد عليها ، وقع حياة ونبض مجتمع ودفء واقع . . وأكثر من ذلك أننا نحس أنه واقع حياتنا نحن ولذلك معطياته .

وفى مجال النظم استعملت عربية العصور الوسطى الجمل المتراصة والمتوازية :

وقد كان أمثل منهج للدراسة تراكيب العربية آنذاك هو منهج عبد القاهر الجرجانى عالم اللغة المفتن فى العربية ونحوها ، حيث إن لشكل الجملة العام عنده من حيث الإثبات والنفى ولنوع الأفعال الداخلة فيها من حيث المضى والمضارعة تأثير قوى على بناء التراكيب كما أنه يوجب مراعاة اعتبار حال المنظوم بعضه مع بعض حيث يتنوع الترتيب وطرائقه وأنه ليس لما شأنه أن يجىء على هذا حد يحصره وقانون يحيط به .

ونتيجة لهذا المنهج خرجت الدراسة على ما هو مألوف فى عرف الدارسين حيث أعطى نماذج لأنماط متنوعة من الجمل خاصة بالبناء اللغوى لعربية الحروب الصليبية . وأعطى أنماطاً لأساليب مختلفة من النظم منها ما هو بسيط فى نظمه ، ومنها ما هو مركب ، ومنها ما هو متداخل .

وبتتبع مسار الأدوات أعطى نماذج متنوعة لاستعمالات أدوات الربط فى غير ما وضعت له .

كما تتبع مسار المخالفات الإعرابية ورصد ظواهر المخالفة فى كتب تراث ذلك العصر والتى اتخذت شكل الظواهر الآتية :

ـ ظاهرة حذف نون الأفعال الخمسة بغير ناصب ولا جازم .

ـ والظاهرة التى تقابلها على الطرف الآخر وهى ظاهرة إثبات نون الأفعال الخمسة مع وجود الناصب أو الجازم .

— وظاهرة تعميم حالات المثنى وجمع المذكر السالم وجعله بالياء فى كل حالاته .

— وظاهرة استعمال صيغة جمع العاقل لما لا يعقل .

— وظاهرة المخالفة فى المطابقة من حيث النوع والعدد ، ومن حيث تمييز العدد .

— وظاهرة المخالفة فى المطابقة تأثراً بلغة أكلونى البراغيث .

وهى فى عمومها تشير إلى حقيقتين : —

١ — الأخطاء النحوية فى مجال الإعراب يدركها من له إلمام بقواعد الفصحى وقد ينبه إليها أو يصححها وتلك ميزة ضمنت لقواعد الفصحى فى هذا المجال الاستمرار على حين أن المخالفات فى النظم داخل الأسلوب لايدركها إلا أصحاب التخصص أو ذوى الخبرة ولا يسهل تصحيحها او التنبيه عليها . وتؤتى اللغة من تلك الزاوية ويصيبها التطور وقد سجلت الدراسة فى هذا الباب عدة ظواهر تحت عناوين مختلفة منها التراكيب المتوازية والبسيطة والمركبة والمتداخلة وغير المتداخلة والممتدة ...

٢ — والحقيقة الثانية هى أن الظواهر اللهجية التى نراها اليوم مطردة هى آثار من الاستعمال العربى . وأن الاستعمال اللغوى فى اللهجات الدارجة يأخذ مداه حيث لا سلطان المدارس على متكلم ، كما أن للهجات تأثيرها على الفصحى

أما عن المقترحات والتوصيات فمن أهمها : —

— وجوب دراسة أثر الحروب الصليبية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ولغوياً وحضارياً على نحو ما صنع الغربيون حيث عكف دارسوهم على تلك الفترة وأفرغوا فيها طاقاتهم فعادت عليهم دراستها بالنفع ، على أن تتضافر جهود متنوعة فى هذا المجال .

— دراسة الحملات والهجرات وكثافتها العددية ومميزات جماعاتها الخاصة والعامة وتحركاتها واختلاطها والشخصيات العامة ، والهامة التى ظهرت فيها والآثار التى ترتبت عليها اجتماعياً ودينياً واقتصادياً وفكرياً ولغوياً وأثر كل

دور على مسرح الحياة المصرية خاصة والإسلامية عامة — حيث كانت مصر بمختلف أقاليمها ملتقى العلماء وحاضرة السياسة ومركز الفكر ومكان التأليف الذى ما زالت كثير من مصنفاته مخطوطة لم تمس .

— وجوب دراسة لغة تلك الفترة دراسة حقب بحيث يجعل للأيوبيين حقبة وللمماليك حقبة وللأتراك حقبة وللعثمانيين حقبة .. وهكذا وكتب التاريخ خير ما يمثل تلك الحقب لغوياً واجتماعياً وبخاصة ما كتبه العلماء المصريون من أمثال القلقشندى والمقريزى وغيرهما .

— وجوب الاهتمام بما سجلته بعض المصنفات وخاصة كتب التاريخ بما يمثل واقع الحياة من خلال لغتها حيث سجلت بعض الكتب صوراً للحياة الاجتماعية واللغوية تعطى أبعاد مسرح لغوى وتنقل تفاعل عصرها ودفء واقعه فى براعة وفى كل مصنف ما يميزه ففى كتب أسامة بن منقذ مميز اتها ، وفى كتب المقريزى ما يميزها ... وهكذا . فالتراث الإسلامى فى هذا المجال متعدد الاتجاهات والنزعات فتلك فترة من أخصب فترات الإنتاج العلمى حيث كان العلم ميدان جهادهم فخلفوا أعمالا تجل عن الوصف كماً وكيفاً .

— وجوب تضافر الجهود لتحقيق تراث تلك الفترة حيث الآثار الهامة الضخمة التى استفاد منها الغربيون فوائد تجل على الحصر ومن أسف أننا لم نعرفها إلا عن طريق جهودهم .

ونوصى بجمع جهود العلماء الغربيين فى هذا الصدد مع وضع بعض المحاذير عليها .. ومنها : —

— عدم الانخداع ببعض أعمالهم فكثيراً منها لا تخلو عن الهوى وكتاباتهم يشوبها التعصب المُعَتَّى فى بعض الأحيان.. فأعمالهم تمثل وجهات نظرهم ومعتقداتهم التى هى فى الواقع مجافية للحقيقة متجنية عليها بالإضافة لأن بعضهم ينحرف عن عمد ومن أسف أن كثيرين من باحثينا يرددون آراءهم بنص عباراتها أو ترجماتها الحرفية فى أكثر من مصنف محدث .

— كما نوصى بجمع جهود كاترمير اللغوية التى كتبها فى ترجمته لكتاب

السلوك بالفرنسية فهى وإن اتصلت بالتراث التاريخى إلا أنها تهتم بالدرجة الأولى بالدرس اللغوى وأؤكد على أنه على باحثى اللغة الاهتمام بها وإعطاءها حقها من العناية فهو جهد لغوى جليل .

– كما نوصى بجمع جهود بلوشيت وأعماله اللغوية وإن كانت فى صدد ترجمة للتراث التاريخى إلى الفرنسية فان هذا مما يضاعف المسئولية ويوجب العمل والبحث .

– كما نوصى كذلك بعمل دراسات جادة على جهود « Dozy » دوزى فى مصنفيه الجليلين ومحاولة نقلهما إلى العربية من الفرنسية .

فقد بذل هؤلاء العلماء وغيرهم جهوداً مشكورة فى تراثنا وهى وإن لم تكن بلساننا فهذا مما يزيد مسئوليتنا ويستوجب علينا أن نبذل الجهد .. وليس المهم أن تنقل إلى لغتنا فقط ولكن أن تقام حولها الدراسات وتقدم الأبحاث .

ونقترح إعادة طبع أعمال هولاء العلماء مثل كاترمير وبلوشيه ودوزى وغيرهم وذلك لأهمية جهودهم من ناحية ولأنها من ناحية أخرى مجهولة إلا للخاصة من الباحثين من ناحية ، ونناشد المتخصصين فى مجال اللغة بوجوب دراستها والبحث فيها .

كما نقترح عمل دراسات لغوية متعددة الاتجاهات حول المخطوطات فى التراث على غرار ما يصنع الغربيون فى هذا الصدد بتلك المجالات .

ومن أهم ما نوصى به الاهتمام بالدراسات اللغوية التاريخية على أن تتضافر من حولها جهود اللغويين والباحثين .

وسوف تدلنا هذه الدراسات على أصول كثير من اللهجات فان التعابير المصرية تبين فى جلاء من تراث ذلك العصر وعلى ذلك يمكن بالدراسة أن تتضح أبعاد كثير من لهجات ذلك العصر على مستوى أقاليم العالم العربى فى التراث .

« وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » ...

(صدق الله العظيم)

قائمة معجمية بالدخيل المستعمل فى عربية العصور الوسطى
تعكس كلمة ونوعه(١)

وبما تجدر ملاحظته أننا سنكتفى هنا بالإشارة دون تفصيلات حيث أن الدراسة والتفصيلات تكلفت بها فصول الكتاب على ما تشير إليه صفحات القائمة :

الدخيل	الدلالة	أصله	الصفحة
ابن الدكى	علم	فارسى	٩١–٩٢
		ايلدكز	٩١–٩٢
ابن الصفى	علم	Theodros Sophianos	١١٠–١١١–١١٢
أتابك	الدلالة أصابها	من أصل تركى	٢٠٣
والجمع أتابكة	تطور فى عدة		٢٠٣
والنسبة أتابكية	اتجاهات		٢٠٣
آخور–أمير آخور	المتولى أمر علف الدواب	فارسى	
سلاخورى	متطور		٣٠٧
وسلاخانة	الدلالة		
ومنها مشوار			٣٠٧
أرناط	علم	من أصل فرنسى «Arnauld»	٥٩–١٠١–١١٥
أرنول	»	» »	٥٩–١٠١–١١٥
أزبك	ومعناها نبيل	تترى	٧٤
ومنها أوزبه	متطور الدلالة بمعنى قائد الجيش	تترى	٧٤
اسفسلار	لقب للحكام وأصابه	من الفارسية	٧٣–٢٥٥
اسباسلار	تطور دلالى نحو	والتركية	٧٣–٧٤–٢٥٥
اسفهسلارى	الانحطاط		٢٥٥
اسبتاريا	فرقة فروسية	متعدد الأصل فى	١١٨–١١٩
اسبتارى	وتطورت دلالتها	لغات الفرنجة	
	فأطلقت على مكان	Hospitellers	
	سكناهم وعلى دور		
	العلاج لقيام بعض		
	نسائهم بمعالجة		
	الجرحى والمرضى		
اشكرى	علم	Theodros Lascoris	١١١
الشكرى			١١١

(١) ملاحظة : ليس استقصاء لكل ما فى الكتاب .

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
اشكرلاط	قماش	إنجليزى «Eçalate»	١٦٦
	أصاب الدلالة تطور		
أطلاب مفردها طلب	كتيبة من الجيش	كردية	١٧٧
اسطول	تطلق على السفن التى	من اليونانية	٢٧٨
تجمع على أساطيل	يسافر فيهـا القتـال	ستولوس(Stullos)	٢٧٧
	وتطورت دلالتها وهى		٢٧٨—٢٧٧
	فى كتب التاريخ تدل		
	على .فرد وعلى الجمع		٢٧٨—٢٧٧
	ومعناها السفن .		
أغلج	ومعناها الخليط غير	تركيةالأصل وفارسيه أيضاً	
أغديش	الأصيلمنالجياد		
إكديش	وغيرها وأصاب		٢٥٠—٢٤٩—٩٠
إكدش	دلالتها تطور نحو		
أكاديش	التساى .		٢٥٠—٢٤٩
اسطبل ، اصطبل	مربط الدواب	من اللاتينية Stabulum	
وجمعت على اصطبلات	(اصطبل الخيل)		
الإنبردية		أصلها «Lambardy»	٢٩٠—١٩١
الانكتار	ملك الإنجليز نسبة إلى	Alenkeltra	٢٩٠—٩٨
ألمانية		أصلها «Allemania»	١٩١
الفرنسيس	نسبة إلى فرنسا	ويقال الإفرنسيس	
	«Franca»		
أهراء		والشون (مصرية قديمة)	
الأهراء السلطانية			
ومثلها الشون			٢٢٥—٢٢٤
يقال الأهراء			٢٢٥—٢٢٤
أوتاغ	بمعنى خيمة	(تركية)	٨٥
أوطاق			
وطاق			٨٥
وطاقات			٨٥
أوشاق	اسم مماليك نسبة		٢١٥
أوشاقية	لسلطانهم		٢١٥
أورك	علم	Huge 11 Embriaco Lord of Jebail وأصله	٥٧

الدخيل	دلالته	أصله	الصفحة
أكرة	لغية فى الكرة		٢١٤
أكار	ومعناها الحراث أو الزارع	وهى أكادية (أكر) وجعلتها الآرامية (أكرا) وهى فى عربية الحروب الصليبية (أكرا)	
أى	بمعنى قمر	(تركية)	٢٥٢
بابا	البابية صبيان الطشب		١٥٨–١٥٩–١٦٠
	خاناه – لفظ متطور		١٥٨–١٥٩–١٦٠
	الدلالة متعدد		١٥٨–١٥٩–١٦٠
	الاتجاهات والأصل.		١٥٨–١٥٩–١٦٠
بادشا	ملك (متطور الدلالة)	تركى	
باز	ضرب من الصقور	فارسية	٢٨٤
بازى	يستخدم للصيد		٢٨٤
بازدار			٢٨٤
بازيار			
باركوج	علم (أمير)	تركمانى	٦٦
باشق	نسبة لبسيه		
طائر حسن الصورة			
الباشقى والباشقية	معرب اللفظ الفارسى	باشه	٢٥٢
باشورة	الحائط يحتمى خلفه	من الفرنسية Bastion	١٠٥
باشورات	الجنود	ومن الإيطالية Zovourre	١٠٦
بواشير		وجعلتها التركية	١٥٠–١٥١
		Sabbourra وطورتها	
		المصرية إلى الحائط يكتب عليه	
باله بدلالتها المعروفة	تعريب	«Ballot» من الفرنسية	١٥٣
ومثلها «بقجة»	–	من الفارسية	١٥٤
ومثلها «بلك»		وفى الفرنسية «Bocket»	
وكيس		وأصلها Caisse من	١٥٤
وكيسة		الفرنسية	١٥٤
وكيس			١٥٤
وكيسات			١٥٤

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
بارجة	متطورة الدلالة	متنوعة الأصل أصلها kark	١٤٤
وجمعت بوارج		إنجليز يةو barque فرنسية	١٤٤
وفعلها بركل و بركيل	مرتاد البحار		١٤٥
و برتكوس		(إيطالية) باركا و براكيس	١٤١
و بركوس			١٤١
و برطشا			١٤٢
و بطشه		Partcha (أسبانية)	١٤٢
و بطسه			١٤٣—١٤٤
و بطس			١٤٣—١٤٤
و بطسات			١٤٣—١٤٤
بدرهوا	علم	أصله «berdrovan»	١١٠
ابن لاون	علم	أصله Leo , Leon	١٠١—١٠٩
بدران	علم	برتراند Berterand	
باليان	علم	أصله Baldwin	١٠١—١٠٢
ابن برزان			
بلدوين			١٠١
بيمند	علم	أصله Bohemond	١٠٠
ميمند			
أبو ميمون			١٠٠
بسكند	علم	أصله Viscount	١٠٤
برجاس	طائفة من التجار	وأصلها boureoisie	١٠٣—١٠٤
برجاسي	مفردها تاجر	وهى اليوم فى لساننا	
برجاسية		برجوازية	
« برجاسى »			١٠٣—١٠٤
عرس	علم	أصلها Hurso	١٠٣
ابن اللقيق	علم	Beniductus متنوع الأصل فرنسي ولاتيني	١٠٨
برلى		(تركى)	٢٠٩
برنولو	(علم) معناه ذو الأنف الكبير		٢٠٩

الدخيل	الدلالة	أصلها	الصفحة
برنس وجمعه برانس	نوع من الملابس	لاتيني وأصله Virros	١٦٤–١٦٥
بكله وجمعها بكلات وبكل	بمعنى مشبك	من الفرنسية Boucle	١٦٥
برنس وينسب لها برنسيه	Prince	متعددة الأصل	١٩١
برواناه	لقب ومعناه فى الأصل الحاجب وتعددت دلالته وتطورت وصارت تعنى الوزير	فارسى فى الأصل	
بيبرس	معناه فهد (علم)	فارسية	٢٥٢
بكتمر	معناه حديد (علم)	فارسية	٢٥٢
بغلطاق بغلوطاق	قباء بلا أكمام متعدد الصيغ متطور الدلالة لفظ له رحلة		١٦٩
بطاقة اشتق منها بطق وجمعت بطابق بطاقات مثل تذكرة (ذات القياس الإبداعى)		من اليونانية Pattakion	
بقيار	نوع من العمامة	فارسية	١٦٩
بق	(الفم) (متطورة الدلالة والبوق متطور عنه)	من اليونانية Buccina ومن الإيطالية pucco متعددة الأصل	١٨٥ ١٨٥
بندق وبندقية والجمع بنادق	معرب فندق بالفارسى ومعناه طين مدور يرمى به وأصابها تطور دلالى يشير إلى الماضى الحضارى ويكشف عنه .		٢١١ ٢١١–٢١٢ ٢١٢

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
بلور		من اليونانية أصلها	٨٧
		Baryllos	٨٧
بلخشان		من الفارسية	
بلخش	قطع بللورية		
بشب			٨٨
بيمارستان	معروفة	من الفارسية أصلها بيمار مريض وستان — مكان	٩١
بوستان	واضحة	من الفارسية أصلها (بو) رائحة و(ستان) مكان	٩١
بطرك	متطور الدلالة	متعددة الأصل	١٦٠–١٦١
بطركية			
بطارقة			
برا	(مثل خرج برا)	من الآرامية	
تازيك	مصطلح استعمله المغول الدلالة على أهل فارس	وكان يطلق فى الأصل على العرب والمسلمين	٢١٩
	متطور الدلالة	عامة	٢١٩
بلك — بلك	علم		٥٦
باركوج — برقوق	علم	(مجاهد الدين على قيماز باركوج) تركمانى	٦٦
بيرق	(راية) متطور الدلالة		٧٠
		من التركية والفارسية Bayrak	
بوغاز	متطور الدلالة متعددها	من التركية	٧٠
بكرة جمعها بكر	آلة صغيرة لرفع الأثقال	من التركية أصلها Makara	٦٩
باغيسيانى—ناغيسيانى	(علم)	من الفارسية	٥٧
تخت	مقعد	من الفارسية	٢٤٢–٢٤٣
تخبوش	سرير من الخشب (تخت + بوش)	من الفارسية	٢٤٤–٢٤٥

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
تختروان	(تخت + روان)	فارسى	٢٤٣–٢٤٤–٢٤٥
	سرير من الخشب ولفظ		٢٤٣–٢٤٤–٢٤٥
	تخت متعدد المعانى متطورها		
تركبل	فرقة من الجيش	لفظة ذات رحلة	١٧٢–١٧٣
والجمع تركبلية			
ترك	معروفة		٢١٧–٢١٨
تركمان	»		٢١٧–٢١٨
كرد	»		٢١٧–٢١٨
كرج	»		٢١٢–٢١٣
تركش		فارسية الأصل	٢١٢–٢١٣
متركش			٢١٢–٢١٣
تركاش			٢١٢–٢١٣
والجمع تراكيش			
جنود متركشة			
تسخوق	فروة طويلة الكم	من الفارسية	١٧٠
تكفور	لفظ أرمنى معناه الملك	أرمنى الأصل	١٩٢
توران شاه	علم		
تونتاش	علم	أصله Tantayos	٥٧
جاليش	معناها الراية–متحركة		
	الدلالة متطورتها	فارسية	
جامكية	ومعناها الراتب		٢٢٠
الجمع جوامك			٢٢٠
وجامكيات			٢٢٠
الجاووش	متحرك الدلالة متطورها	لفظ تركى	
الجمع جاووشية	نحو الانخفاض		
جرخ	(القوس الرامى)	من الفارسية	
والجمع جروخ			
والنسبة جرخى			
أو جرخية			

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
الجريب	مقياس الأرض		٢٢١
والجمع أجربة			٢٢٢
وجريان			٢٢٢–٢٢١
الجشار	متعددة الدلالة	مكان رعي الماشية	٢٤٩
الجمع الجشارات	متطورها	والخيل والأبقار	
الجشاري		التي تساق مع الجيش	٢٤٩
والجمع الجشاريه			
الجتكي	متطور الدلالة		٢٢٥
والجمع الجتكيات			
جفتا	حصن يختمي وراءه الجند		١٥١–١٥٠
الجمع جفتيات			١٥١–١٥٠
وجفاتي			١٥١–١٥٠
جوبان	معناه راع	من التركية	٧٢
الجوشن	الدرع		١٧٠
وجمعه جواشن			١٧٠
ومثله الجوسن			١٧١
الجوسق	متطور الدلالة	متنوع الأصل	
وجمعها جواسق		لفظة لها رحلة	٢٤١
وكواسك		فارسي	٢٤١
وصارت كشك		وتركي	
والجمع أكشاك			٢٤١
جلاب	نوع من الشراب المثلج	أصلها من الفارسية (كل – آب).	٧٦
جلنار	زهر الرمان	أصلها (كل + نار) فارسية	
خوشاف		(خوش + آب) فارسية	
خترخان	(علم) صمصام الدولة خترخان	فارسي الأصل	٥٧
حراقة	نوع من السفن	لفظة لها رحلة	١٨٣–١٤٦
والجمع حراقات			١٨٣–١٤٧–١٤٦

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
حرمدان	حقيبة	من الفارسية	١٥٥
(حرمدان الحلاق)			
خربند	(مكار)	من الفارسية	
وخربندجي			
وخربنده			
خانقاه	متطور الدلالة	من الفارسية	
الجمع خوانق	متعددها		
الخربشة	معناه الخيمة	من الفارسية	
	متطور الدلالة		
خركاه	معناه الخيمة	من الفارسية	
والجمع خركاوات			
خان		من الفارسية	٢٠٧-٢٠٨
خانة ه	مكان		
خاتون	لقب المرأة الشريفة	من الفارسية	٢٠٧-٢٠٨
خان	مغولية	الخان الأعظم من	٢٠٧-٢٠٨
ومثلها قان		ألقاب الممالك بآسيا	
وقاغان			٢٠٧-٢٠٨
وإيلخان			٢٠٨
ومثلها كتبغا		تترية	٢٠٩
(كتلغا)			٢٠٩
وكتبغا نوين			
طرخان	لقب ملوك تركستان		
	القدماء		
خشداش	متطور الدلالة	فارسية الأصل	
		(خواجا تاش)	
خواجابزرك	وزير	فارسية	٧٤
خداوند	(سيد)	فارسية الأصل	٧٩
خوند	(سيد)	فارسية الأصل	٧٩
داما	(سيدة)	فرنسية الأصل Dame	٩٧
	(مدام)		
وجمعت دامات			٩٧

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
دست	متعددة الدلالات	فارسى	٢٤٢
والجمع دسوت	متطور المعنى		
دربند	بمعنى المضايق والطرق	فارسية	٧٥
والجمع دربندات			
دركاه	(خيمة)	فارسية	
والجمع دركادات			
دهليز	متعددة الدلالة		
والجمع دهاليز	ومتطورتها		
درياق	أنواع دواء		١٩٥
ويقال الدراق			
والجمع درياقات	(أدوية)		١٩٥
وصارت (ترياق)			١٩٥
دزدار	أى المتحفظ على القلعة		٩٣
دزدارية			٩٣
الدزدار			٩٣
صاحب الدزدارية			٩٣
الداوية		فرسان المعبد Tempelers	
		نسبة إلى محراب داود	
		Devi	
ديان	ديان اليهود	من الأسبانية Deanus	
	كبير ملتهم		١٦٠—١٦١
ديدبان	حارس	من الفارسية	٧٢
تنكرى	علم	أصله Tankred	١٠٠
رستاق		من الفارسية	٨٣—٢٤٠
رسداق			
والجمع رساتيق			٨٣—٢٤٠
الركبدارية			
سلاح الركبدارية			
الرنك	متطور الدلالة	فارسى الأصل	
جمعه رنوك			

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
سندروس	بمعنى صمغ أو معدن معين	فارسية	٧٣
سردانى	علم	نسبة Cerdagne	١١٣
شاهنشاه‌روى زمين	معناها ملك الملوك على وجه الأرض	تترية الأصل	٢٠٥
شانيه	نوع من السفن	من المصرية القديمة	٨٥
شينيه			٨٥
شينى			٨٥
والجمع شوانى			٨٥
شاكوش	بمعنى مطرقة	من التركية (جكوج)	
شرابدارية		من الفارسية	١٩٩—٣ : ٣
شرابخاناه			
الغلمان الشرابية	فرقة من الجيش	أصلها Aogulani	١٩٩—٣ : ٣
شاهين	(طيور جارحة للصيد) وقيل الشواهين الكوهية نسبة إلى كوه اى الجبل بالفارسية .	فارسية	٧٧—٢٠٦
الجمع شواهين			٧٧
شيركوه	شير (أسد) وكوه (الجبل) ، بالفارسية (أسد الجبل) .		٧٧
شحنة	(رئاسة الشرطة)		٨٣—٨٤—٢٠٦
شحنكية			
والجمع شحانى			٨٣—٨٤—٢٠٦
شحن			
ششنه	(تجربة)	من الفارسية	
عمورى	علم	وهو Amalariak	٥٩—٩٨
مرى			٥٩—٩٨
امورى			

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
الغلمان	فرقة من الجيش		١٢٥-١٢٤
وقيل الغلمان الشرابية		مأخوذة من angulani	١٢٥-١٢٤
ونسب إليها الحي			٢٠٠-١٩٩
الذي تقيم فيه فقيل			٢٠٠-١٩٩
حي الشرابيه			
طارق	اسم ترس	متعددة الأصل عن لغات	١٢٤-١٢٣
طوارق		الفرنجة وفرنسا Targe	١١٤-١٢٣
		وإيطاليا Targa	١٢٤-١٢٣
طارمة	بيت من خشب		
والجمع طارمات			
طوغان	الصقر	من الفارسية	
الطومان	فرق جيش	الأصل تترى	١٧٥
والتومان			١٧٥
الطوامين			١٧٥
التوامين			
الطغراء	متطورة الدلالة	من التركية	٨٢ - ٨١
الطغر	ومتحركتها		٢٥٤
الطزر			٢٥٤
الطغراى			٢٥٤
طمغا	ختم السلطان متطورة	تترية الأصل	٢٥٣
	الدلالة ومتحركتها		
قباء	نوع من اللباس	فارسية	١٦٨
وجمعه أقبية			١٦٨
قبق	لعبة تسمى لعبة	تركية	
	القبق		٢١٨ - ٢١٣
قراقوش	طائر أسود — متطور	من التركية	٢١٣ - ٢١٨
	الدلالة		٢٥٠
قبجاق	متطور الدلالة		
قتلغ	قائد تترى	قتلغ أي	٢١٨
خطع			٦٨
خطلبا			٦٨

الدخيل	الدلالة	الأصل	الصفحة
لت	قدوم أو فأس	فارسى	٨٢
لوالك	حذاء	من الفارسية	١٨٠ — ١٨١
لالك	لالكائى		١٧٥ — ١٧٦
فندق	فندق	من اليونانية يندخيون وفى التركية فندق وجاءت عن الإيطالية (سوق) ومقام التجار ومبيتهم	
مارشان		من الفرنسية Marechal	١٨٨
		والأصل لاتينى Mariscalous	١٨٨
مطران		من الفرنسية	١٩٢
		Metropolitain	١٩٢
مكوك ويبه	مكاييل		٢٦٣ — ٢١٤
مهتار	موظف مسئول	فارسى الأصل	
جمعه مهتارية			
مومياء		يونانية ومصرية قديمة	١٩٥
هناب	بمعنى كأس	متعدد الأصل	١٩٨ — ١٩٩
		من معسكر الفرنجة	١٩٤
		فى الفرنسية Hanap	١٩٨
		وفى الإيطالية Anappo	١٩٨
		وفى الألمانية Napf	١٩٨
مرمة	اسم السفينة	من الإيطالية Maremma	
مرقدار	من غلمان المطبخ		
والجمع مرقدارية			
مهمندار	المختص بالضيوف	فارسية	٢٥٠
نمجة	سيف قصير	فارسية	٨٨ — ٨٩
نمشه			٨٨ — ٨٩
نيمجه			٨٨ — ٨٩
نمشا			٨٨ — ٨٩
نوبة	لفظ متعدد الدلالة		
نوبتجى	متطورها		

الدخيل	الدلاله	الأصل	الصفحه
وطاق	يعني خيمة	تركية الأصل	٨٤ – ٢٣٤ – ٢٣٥
أوطاق			٨٤ – ٢٣٤ – ٢٣٥
وطاقة			٨٥ – ٢٣٤ – ٢٣٥
يرق	سلاح	تركية Yarak	
اليزك	طلائع الجيش	فارسية	٢٢٥ – ٢٢٦
اليزكية			٢٢٥ – ٢٢٦

ومما يجدر الإشارة إليه أن عربية الحروب الصليبية استعملت أشهر السنة القبطية(١) :

توت	مصرية
بابه	»
هاتور	»
كيهك	»
طوبة	»
أمشير	»
برمهات	»
برمودة	»
بشنس	»
بئونة	»
أبيب	»
مسرى	»

(١) ملاحظة هذه القائمة المعجمية ليست كل الدخيل الذي ورد بالكتاب وإنما تمثل نماذج لأهم ما جاء به .

مصادر الكتاب ومراجعه

أولاً — في اللغة العربية :

١ — إبراهيم السامرائي (الدكتور) .

— فقه اللغة المقارن : دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ .

— مباحث لغوية : مطبعة الأدب في النجف الأشرف (١٣٩١ - ١٩٧١) .

٢ — إبراهيم أنيس (الدكتور)

— الأصوات اللغوية : الطبعة الثالثة ١٩٦١ .

— اللغة بين القومية والعالمية : دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

— دلالة الألفاظ : الطبعة الثانية ١٩٦٣ .

— في اللهجات العربية : الطبعة الثانية ١٩٥٢ .

— مستقبل اللغة العربية المشتركة : معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩ .

— من أسرار اللغة : مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٨ .

٣ — إبراهيم مصطفى (الأستاذ)

— إحياء النحو : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ .

٤ — ابن أبي الفضائل

— كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد : نشر وترجمة « Blochet » باريس ١٩١١ — ١٩٢٠ .

٥ — ابن الأثير الجزري

— كتاب الوشي المرقوم : مطبعة ثمرات الفنون ١٩٢٨ .

٦ — ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي)

— الكامل في التاريخ : ١٢ جزءاً ، المطبعة الأزهرية القاهرة ١٣٠١ هـ وطبعة بيروت أخيراً .

— تاريخ الدولة الأتابكية (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ، ج ٢ من مؤلفات المؤلفين الشرقيين) .

ـ أتابكة الموصل (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المسلمين ج٢) سنة ١٨٤٤ م .

٧ ـ ابن الأكفانى (محمد ن ابراهيم بن ساعد الأنصارى السنجارى)

ـ نخب الذخائر فى أحوال الجواهر : نشره الأب انستاس مارى الكرملى القاهرة ١٩٣٩ (نشره من قبل الأب لويس شيخو فى مجلة المشرق السنة ١١) .

٨ ـ ابن العديم (عمر بن عبد العزيز بن أبى جرادة)

ـ بغية الطلب فى تاريخ حلب (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المسلمين ، ج ٣) .

ـ منتخبات من تاريخ حلب (شرحه) .

٩ ـ ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى)

ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : ١٢ جزءاً ، القاهرة ١٣٥٠ ه

١٠ ـ ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة)

ـ ذييل تاريخ دمشق (نشره أمدروز وقد قدم له بمقدمة باللغة الإنجليزية ، طبع بيروت ١٩٠٨) .

١١ ـ ابن القيسرانى (أبو الفضل محمد بن طاهر) المعروف بابن القيسرانى المتوفى سنة ٥٠٧ ه .

ـ الأنساب المتفقة : طبعة بريل « bril » ١٨٦٥ م .

١٢ ـ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : عشرة أجزاء منه ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٤٩ ، (أما الجزء الثالث عشر والجزء الرابع عشر طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢) .

١٣ – ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد)

– الرحلة (رحلة بن جبير) : الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ – ١٩٠٨ م
طبعت على النسخة المطبوعة بمطبعة بريل بلندن « Loden brill »
والطبعة الثانية طبعة ليدن ، وطبعة أخيرة فى بيروت .

١٤ ابن جنى (أبو الفتح عثمان)
– الخصائص : تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ،
(١٩٥٢ – ١٩٥٦) .

١٥ – ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)
– المقدمة : تحقيق دكتور على عبد الواحد وافى ، (٤ مجلدات) القاهرة ، طبعة ثانية ١٩٦٧ .

– العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر (طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ) .

١٦ – ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد)
– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : (٣ أجزاء) ، القاهرة ١٢٩٩ هـ
بهامشها كتاب الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية تآليف طه
شكرى زادة ، وطبعة محيى الدين عبد الحميد (٦ أجزاء) ،
القاهرة سنة ١٩٤٨ م ، و(طبع بولاق سة ١٢٧٤ هـ) مجلدان .

١٧ – ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن أيدمر)
– الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين : (مخطوطة بدار الكتب
المصرية رقم ١٥٢٢ – تاريخ) .

١٨ – ابن سناء الملك
– فصوص الفصول .

١٩ – ابن سيده (أبو الحسن على بن اسماعيل)
– المحكم فى اللغة : المطبعة الأميرية ، القاهرة .
– المخصص : (١٧ جزءاً) بولاق ، ١٣١٦ – ١٣٢١ هـ .

٢٠ ــ ابن شاكر الكتبي (محمد بن أحمد)
ــ فوات الوفيات : طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد (جزءان) ، القاهرة ١٩٥١ م .

٢١ ــ ابن شاهين (عز الدين خليل بن شاهين الظاهرى)
ــ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك : تحقيق بولس راديس باريس ، مطبعة الجمهورية ١٨٩٤ م .

٢٢ ــ ابن عربشاه (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقى الأنصارى)
ــ عجائب المقدور فى أخبار تيمور : نسخة مهداة لمكتبة جامعة القاهرة من المرحوم الدكتور محمد عسكر بك .
ــ فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٢٥

٢٣ ــ ابن شداد (القاضى بهاء الدين) (٦٣٢ هـ)
ــ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبى ، وفى ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه ، تأليف تاج الدين شاهنشاه ابن أيوب رحمه الله ، طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر ١٣١٧ هـ .

٢٤ ــ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقى المصرى)
ــ لسان العرب : (٢٠ جزءاً) ، بولاق ١٣٠٢ ــ ١٣٠٧ هـ .

٢٥ ــ ابن مماتى (الأسعد بن مليح)
ــ قوانين الدواوين : مطبعة الوطن بالقاهرة ١٢٩٩ هـ ، والطبعة التى نشرها الدكتور عزيز سوريال بمطبعة مصر بالقاهرة ١٩٤٣ م .

٢٦ ــ ابن ميسر (أبو عبد الله محمد بن على)
ــ منتخبات من أخبار مصر (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المسلمين ، ج ٣) .

٢٧ ـ ابن هشام (أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصارى)
ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب (الطبعة الأولى) ، وطبعة ثانية حققه فيها وفصله وضبط غرائبه الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (جزءان) ، القاهرة .

٢٨ ـ ابن واصل (القاضى جمال الدين محمد بن سالم) ٦٩٧ ﻫ
ـ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب : نشره الدكتور جمال الدين الشيال فى أجزاء متعددة (مطبوعات إحياء التراث ١٩٥٣ ١٩٥٧).

٢٩ ـ ابن يعيش (أبو البقا)
ـ شرح المفصل : الطبعة الأولى ، إدارة الطباعة المنيرية .

٣٠ ـ أبو حيان (أثير الدين أبو عبد الله محمد بو يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الأندلسى الغرناطى الحيانى) المتوفى سنة ٧٥٤ ﻫ
ـ البحر المحيط أو تفسير أبى حيان ، طبعة أولى ١٣٢٨ ﻫ ، وبهامشه :
(أ) النهر الماد من البحر (لأبى حيان أيضاً) .
(ب) الدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين بن محمد أحمد ابن عبد القادر ابن أحمد بن مكتوم المتوفى سنة ٧٤٩ ﻫ ، بالقاهرة (مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر) .

٣١ ـ أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل) ٧٣٢ ﻫ
ـ المختصر فى أخبار البشر (الأستانة ١٢٨٦ ﻫ) وطبعة المطبعة الحسينية فى أربعة أجزاء ، القاهرة ١٣٢٥ ﻫ .

٣٢ ـ أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى الشافعى) ٦٦٥ ﻫ
ـ كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين (جزءان) ، مطبعة وادى النيل القاهرة ١٢٨٨ ﻫ .
ـ ذيل الروضتين لعبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ، نشره السيد عزت العطار ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٤٧ م .

٣٣ ـ أسامة بن منقذ الشيزرى

ـ الاعتبار : تحقيق دكتور فيليب حتى (طبعة برنستون ، الولايات المتحدة ، سنة ١٩٣٠ م) .

ـ كتاب العصا : تحقيق حسن عباس ، تقديم دكتور هدارة ؛ الهيئة المصرية للكتاب ، سنة ١٩٧٨ .

ـ لباب الآداب : طبع بمصر ١٩٣٥ م .

ـ ديوان أسامة : مصور بدار الكتب المصرية (رقم ٦٩٣٩) .

ـ مختصر مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٣٤ ـ تاريخ) .

ـ مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٣٣٤ ـ بتاريخ) .

٤٥ ـ أحمد أحمد بدوى (الدكتور)

ـ الحياة الأدبية فى مصر والشام .

ـ الحياة الفكرية فى مصر والشام .

٣٥ ـ أحمد شلبى (الدكتور)

ـ تاريخ التربية الإسلامية : دار الكشاف بيروت ١٩٥٤ م .

٣٦ ـ أحمد مختار عمر (الدكتور)

ـ البحث اللغوى عند الهنود وأثره على اللغويين العرب : دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٢ م .

تاريخ اللغة العربية فى مصر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م) .

٣٧ ـ الأدفوى (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب)

ـ الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعالى الصعيد : القاهرة (١٣٢٢ هـ ـ ١٩١٤ م) .

وطبعة مطبوعات تراثنا ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م.

٣٨ ــ الأشمونى (على بن الحسين)

ــ شرح الأشمونى مع حاشية الصبان : المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٣٩ ــ البدراوى زهران (الدكتور)

ــ اللغة العربية فى عصر الحروب الصليبية : (رسالة دكتوراه بمكتبة دار العلوم والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة) .

ــ عبد القاهر الجرجانى لغوياً : رسالة ماجستير بمكتبة دار العلوم ، ومكتبة جامعة القاهرة .

ــ من مصنفات الثروة اللفظية (مقدمة ألفاظ الأشباه والنظائر) نشر دار المعارف .

٤٠ ــ البستانى (المعلم بطرس)

ــ محيط المحيط : « جزءان » ، بيروت (١٨٦٧ ــ ١٨٧٠) .

٤١ ــ البغدادى (عبد القادر بن عمر)

ــ خزانة الأدب ولب لباب العرب ، طبعة سنة ١٧٣٤ هـ ، وطبعة تراثنا ، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون سنة ١٩٦٧ .

٤٢ ــ البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد)

ــ كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٥٥ هـ .

٤٣ ــ الجواليقى (أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر)

ــ المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم : تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٦١ هـ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ م مركز تحقيق التراث ، دار الكتب المصرية (١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م) .

٤٤ ــ الحسن بن عبد الله

ــ آثار الأول فى ترتيب الدول ، بولاق ١٢٩٥ هـ .

٤٥ ــ الخفاجى (شهاب الدين أحمد بن محمد)

ــ شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

٤٦ — الزبيدى (السيد محمد مرتضى الحسينى)
— تاج العروس من جواهر القاموس : (عشرة أجزاء) ، القاهرة ، المطبعة الخيرية (١٣٠٦ — ١٣٠٧ هـ) .

٤٧ — الزركلى (خير الدين الزركلى)
— الأعلام : (قاموس تراجم — لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين) ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م .

٤٨ — الزمخشرى (محمود بن عمر)
المفصل فى النحو مع شرحه لابن يعيش (طبعة المطبعة الأميرية) .

٤٩ — السعيد محمد بدوى (الدكتور)
— مستويات العربية المعاصرة فى مصر : دار المعارف سنة ١٩٧٣ م .

٥٠ — السكاكى (يوسف بن أبى بكر محمد بن على)
— مفتاح العلوم للسكاكى وبهامشه : إتمام الدراية لقراء النقاية الجامع لأربعة عشر علماً للسيوطى ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ١٣٧١ هـ .

٥١ — السيد الباز العرينى (الدكتور)
— الشرق الأدنى فى العصور الوسطى (١) الأيوبيون ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت .

٥٢ — السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر)
— الإتقان فى علوم القرآن .
— الأشباه والنظائر .
— الألغاز النحوية من الأشباه والنظائر للسيوطى حققها طه عبد الرؤوف مكتبة الكليات الأزهرية .
— الاقتراح فى أصول النحو ، طبعة حيدر أباد الدكن ، ١٣١٠ هـ .
— المزهر فى علوم اللغة وفروعها ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤/١٣٢٥
— تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القاهرة ١٣٥١ هـ .
— حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : جزءان ، القاهرة ١٣٢٧هـ

— طبقات الحفاظ : تحقيق على محمد عمر ، مكتبة وهبة ، شارع الجمهورية بعابدين ، ١٩٧٣ م .

٥٣ — الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد الشيزرى الشافعى)

— نهاية الرتبة فى طلب الحسبة : نشر الدكتور السيد الباز العرينى ، القاهرة : ١٩٤٦ م .

٥٤ — الصيرفى (على بن منجب بن سلمان المعروف بابن الصيرفى) المتوفى سنة ٥٤٢ ﻫ

— قانون ديوان الرسائل : مطبعة الواعظ بمصر ، سنة ١٩٠٥ م .

٥٥ — العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى)

— شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، (٨ أجزاء) ، القاهرة ، مطبعة القدسى ، ١٣٥٠ — ١٣٥١ ﻫ .

٥٦ — العماد (الكاتب الأصبهانى — أبو عبد الله محمد بن محمد)

— خريدة القصر وجريدة العصر : القسم الأول ، شعراء مصر فى جزءين ، نشره أحمد أمين ، وشوقى ضيف ، وإحسان عباس ، القاهرة ١٩٥١ — ١٩٥٢ م .

— الفيح القسى فى الفتح القدسى : القاهرة (١٢٩١ — ١٣٢١ ﻫ) ، وطبع فى سلسلة من الشرق والغرب سنة ١٩٦٥ ، بتحقيق وشرح وتقديم محمد محمد صبح .

٥٧ — العينى (أبو محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف بن بدر الدين الحنفى)

— عقد الجمان فى تواريخ الزمان : (٢٣ جزء فى ١٩ مجلداً) ، صورة شمسية بدار الكتب عن ثلاث نسخ مخطوطة ، محفوظة بمكتبة ولى الدين أفندى باستانبول ، (فهرس دار الكتب بالقاهرة ، رقم ١٥٨٤ — تاريخ) .

٥٨ — الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

— معانى القرآن : (ثلاثة أجزاء) ، الجزء الثالث تحقيق دكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، مراجعة الأستاذ على النجدى ناصف ، سنة ١٩٧٢ ، أما الجزء الأول فهو تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م ، والجزء الثانى تحقيق محمد على النجار وحده وطبع بالدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٦٦ م .

٥٩ — الفيروزابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب)

— القاموس المحيط : (أربعة آجزاء) الطبعة الثانية ، المطبعة الحسينية المصرية ١٣٤٤ هـ .

٦٠ — القلقشندى

— صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : (١٣ جزءاً) ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٣ م .

٦١ — المبرد (محمد بن يزيد)

— الكامل فى اللغة والأدب (الطبعة الأولى) وطبعة المكتبة التجارية سنة ١٩٥١ م .

٦٢ — المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)

— السلوك لمعرفة دول الملوك : نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة ، الجزء الأول فى ٣ مجلدات ، والجزء الثانى مثله ، القاهرة ، (١٩٣٤ — ١٩٤٢ م) :

— المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار : (٤ أجزاء) ، مطبعة النيل ، وتسمى (خطط المقريزى) ، طبعة بولاق .

— اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا : نشر د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ م .

— إغاثة الأمة بكشف الغمة : نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧ م .
— نحل عبر النحل ، نشر الدكتور جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٤٦

٦٣ — النعيمى (عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف)
— الدارس فى تاريخ المدارس (الجزء الأول) : نشر جعفر الحسينى دمشق ١٩٤٨ م ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق .

٦٤ — النويرى (شهاب الدين بن أحمد)
— نهاية الأرب فى فنون الأدب ، طبعة دار الكتب المصرية .

٦٥ — باركر (أرنست) « Ernest Barker »
— الحروب الصليبية : نقله إلى العربية الدكتور السيد الباز العرينى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٧ م .

٦٦ — برجشتراسر (جوتلف) المستشرق الألمانى
— التطور النحوى للغة العربية ، مطبعة السماح ، ١٩٢٩ م .

٦٧ — بروكلمان (كارل) المستشرق
— تاريخ الأدب العربى : الأجزاء الثلاثة الأولى ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، والجزء الرابع والجزء الخامس ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، والدكتور السيد يعقوب بكر ، نشر مطبعة دار المعارف سنة ١٩٧٥ م .

٦٨ — بينز (نورمان)
— الإمبراطورية البيزنطية : الترجمة العربية للدكتور حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد ، القاهرة ١٩٥٠ م .

٦٩ — تمام حسان (الدكتور)
— اللغة العربية معناها ومبناها : مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٣ .
— اللغة بين المعيارية والوصيفية : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨ .

— اللغة فى المجتمع : ترجمة كتاب « Languge in Society »
تأليف م.م . لويس ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩ م .
— مناهج البحث فى اللغة : الأنجلو المصرية ١٩٥٥ .

٧٠ — حفنى ناصف (البك)

— الأسماء العربية لمحدثات الحضارة و المدنية : مطبعة الجامعة ١٩٥٦ .
— تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية : مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٨ .
— مميزات لغات العرب : مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٧ .

٧١ — حسن حبشى (الدكتور)

— الحروب الصليبية الأولى ، ومعها حوليات المحارب الصليبى ، « Gesta Francorum » الإيطالى مترجمة عن الفرنسية مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر ، مصر ، القاهرة ١٩٤٧ م .
— نور الدين والصليبيون : القاهرة سنة ١٩٤٨ .

٧٢ — حسن ظاظا (الدكتور)

— الساميون ولغاتهم ، تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية للعرب ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

٧٣ — حسين المجيب المصرى (الدكتور)

— صلات بين العرب والفرس والترك ، دراسة تاريخية أدبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٩ .

٧٤ — رفائيل نخلة اليسوعى (الأب)

— غرائب اللغة العربية (الطبعة الثانية الكاثوليكية) ، بيروت .

٧٥ — رمضان عبد التواب (الدكتور)

— اللغات السامية ، ترجمه عن الألمانية ، تخطيط عام للمستشرق الألمانى الكبير تيودور نولدكه ، دار النهضة العربية بالقاهرة .
— فصول فى فقه العربية ، طبعة أولى ، القاهرة ١٩٧٣ .
— لحن العامة والتطور اللغوى ، طبعة أولى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٧

٧٦ — زامباور (إدوارد فون) المستشرق الألمانى Edward von Zambour
— معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى : الترجمة العربية للدكتور زكى محمد حسن وآخرين ، (جزءان) ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ١٩٥١ — ١٩٥٢ .

٧٧ — سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)
— الكتاب خمسة أجزاء تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون الجزء الأول ، دار العلم سنة ١٩٦٦ ؛ والجزء الثانى دار الكتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨ ؛ والأجزاء الباقية الثالث والرابع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ — ١٩٧٥ .

٧٨ — شوقى ضيف (الدكتور)
— المدارس النحوية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
— كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، حققه ونشرته دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

٧٩ — عباس حسن (الأستاذ)
— النحو الوافى : « أربعة أجزاء » ، نشر دار المعارف بمصر .

٨٠ — عائشة عبد الرحمن (الدكتورة بنت الشاطىء)
— لغتنا والحياة ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

٨١ — عبد الحليم النجار (الدكتور)
— كتاب العربية ليوهان فك ، دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب ترجمه وقدم له الدكتور عبد الحليم النجار ، القاهرة ١٩٥١ .

٨٢ — عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص (الدكتور) ترجما وقدما :
— كتاب اللغة : تأليف ج. فندريس ، مطبعة لجنة البيان ، ١٩٥٠ .

٨٣ — عبده الراجحى (الدكتور)
— اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .
— فقه اللغة فى الكتب العربية ، دار النهضة ، بيروت ١٩٧٢ .

٨٤ ــ عبد الرحمن أيوب (الدكتور)
ــ أصوات اللغة : مطبعة دار التأليف ١٩٦٣ .
ــ وجداول الرموز الصوتية ، فصله من كتاب أصوات اللغة هذا .
ــ اللغة بين الفرد والمجتمع (أوتويسبرسن) ترجمه وقدم له وعلق عليه (الأنجلو المصرية ١٩٥٤) .
ــ دراسات نقدية فى النحو العربى ، ج أول (الأنجلو المصرية ١٩٥٧).
٨٥ ــ عبد السلام المسدى (الدكتور)
ــ الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسنى فى نقد الأدب ــ الدار العربية للكتاب ــ ليبيا ــ تونس .
٨٦ ــ عبد الصبور شاهين (الدكتور)
ــ التفكير الصوتى عند العرب ، عربه وحققه ، تأليف الدكتور الأب هنرى فليش ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية يونيه ١٩٦٨
ــ العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد ، عربه وحققه ، تأليف الأب هنرى فليش ، منشورات المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٦.
ــ المنهج الصوتى للبنية العربية ــ رؤية جديدة فى الصرف العربى ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٩٧٧ .
ــ القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، دار القلم ١٩٦٦ .
ــ دراسات لغوية ، القياس فى الفصحى ، الدخيل فى العامية : المطبعة العالمية بالقاهرة (١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م)
ــ فى التطور اللغوى ، المطبعة العالمية بالقاهرة (١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م)
ــ فى علم اللغة العام ، مطبعة المدنى بالعباسية (١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م)
٨٧ ــ عبد العزيز مطر (الدكتور)
ــ خصائص اللهجة الكويتية ، دراسة لغوية ميدانية ، ١٩٦٩ .
ــ لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، وزارة الثقافة ، القاهرة (١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٧ م) .
٨٧ ــ عبد الفتاح شلبى (الدكتور)
ــ فى الدراسات القرآنية واللغوية ، الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ، دار نهضة مصر ، الفجالة (طبعة ثانية ، سنة ١٩٧١ م .

٨٨ — عبد القاهر الجرجانى (الشيخ الإمام)

— أسرار البلاغة (الطبعة الرابعة ، دار المنار ، القاهرة ١٩٤٧) .

— دلائل الإعجاز ، طبعة دار المنار ، شارع الإنشا بمصر .

٨٩ — عبد اللطيف البغدادى

— كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، طبع حجر ، القاهرة .

٩٠ — عبد اللطيف حمزة (الدكتور)

— أدب الحروب الصليبية ، لجنة الجامعيين لنشر العلم ١٩٤٩ .

— الحركة الفكرية فى مصر ، لجنة الجامعيين لنشر العلم ١٩٤٧ .

— حكم قراقوش ، القاهرة ١٩٤٥ .

٩١ — عبد الله درويش (الدكتور)

— كتاب العين للخليل بن أحمد (الجزء الأول) حققه وقدم له .

٩٢ — عبد المنعم سيد عبد العال (الدكتور)

— معجم شمال المغرب ، تطوان وما حولها — القاهرة ١٩٦٨ .

٩٣ — عبد الوهاب عزام (الدكتور)

— مجالس السلطان الغورى ، صفحات من تاريخ مصر ، القاهرة ، سنة ١٩٤١ .

— مقدمة الشاهنامة لأبى القاسم الفردوسى ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٢ .

٩٤ — عثمان أمين (الدكتور)

— فى الفكر واللغة ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧ .

٩٥ — على عبد الواحد وافى (الدكتور)

— اللغة والمجتمع : نهضة مصر ، الفجالة ، ١٩٧١ .

— علم اللغة : نهضة مصر ، الفجالة (الطبعة السابعة) .

— فقه اللغة : نهضة مصر ، الفجالة (الطبعة السابعة) .

– نشأة اللغة عند الإنسان والطفل : (الطبعة الثالثة)، غريب بالفجالة ، القاهرة .

٩٦ – على مبارك (الباشا)

– الخطط التوفيقية الجديدة ، (٢٠ جزء) ، بولاق ، القاهرة ، (١٣٠٤ هـ – ١٣٠٦ هـ) .

٩٧ – عمارة اليمنى (نجم الدين أبو محمد)

– النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية (٣ أجزاء) ، نشره درنبرج شالون ، ١٨٩٧ .

٩٨ – كمال محمد بشر (الدكتور)

– دراسات فى علم اللغة : قسم أول وقسم ثان ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٩ .

– دور الكلمة فى اللغة : ترجمة كتاب « Words and their Use » تأليف ستيفن أولمان ترجمه وقدم له وعلق عليه ، دار الطباعة القومية ، الفجالة ، القاهرة (طبعة أولى) ١٩٦٢ .

– علم اللغة العام : القسم الثانى (الأصوات) ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ .

٩٩ – محمد أحمد أبو الفرج (الدكتور)

– مقدمة لدراسة فقة اللغة ، الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٩٦٦ .

١٠٠ – محمد المبارك (الأستاذ)

– فقه اللغة وخصائص العربية – دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل فى التجديد والتوليد ، دار الفكر ، بيروت ١٩٦٨ .

١٠١ – محمد الأنطاكى

– الوجيز فى فقة اللغة (الطبعة الثانية) ، دار الشرق ، بيروت .

١٠٢ ـ محمد أمين زكي
ـ خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن ، ترجمه إلى اللغة العربية محمد على عونى ، القاهرة ١٩٣٦ .

١٠٣ ـ محمد عبد الجواد
ـ شجر الدر فى تداخل الكلام بالمعانى المختلفة ، صنعة الإمام أبى الطيب عبد الواحد بن على اللغوى المتوفى سنة ٣٥١ هـ (قدمه وحققه وعلق عليه ، نشر دار المعارف بمصر) .

١٠٤ ـ محمد غنيمى هلال (الدكتور)
ـ المواقف الأدبية ، معهد الدراسات العربية العالية ، سنة ١٩٦٣ .
ـ النماذج الإنسانية فى الدراسات الأدبية المقارنة ، مهعد الدراسات العربية العالية ، سنة ١٩٦٤ .
ـ دور الأدب المقارن فى توجيه دراسات الأدب العربى المعاصر ، معهد الدراسات العربية العالية (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) .

١٠٥ ـ محمد كامل حسين
ـ فى الأدب المصرى الإسلامى (مطبعة الاعتماد) .
ـ فى أدب مصر الفاطمية ، (القاهرة ١٩٥٠) .

١٠٦ ـ محمد مبروك نافع (الأستاذ)
ـ السلاجقة ، مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة ١٩٥٢ .

١٠٧ ـ محمد مصطفى زيادة (الدكتور)
ـ المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ، سنة ١٩٤٩ .

١٠٨ ـ مكسيموس مونلوند
ـ تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق المدعوة حرب الصليب ، ترجمه إلى العربية السيد كريو مكسيموس مظلوم ، (طبع أورشليم ١٨٦٥) .

١٠٩ — محمد مندور (الدكتور)

— النقد المنهجي عند الغرب — ومنهج البحث فى الأدب واللغة مترجم من الأستاذين لانستون ومابيه ، دار نهضة مصر .

١١٠ — محمود السعران (الدكتور)

— اللغة والمجتمع — رأى ومنهج — المطبعة الأهلية بنغازى — ليبيا ، سنة ١٩٥٨ ، توزيع منشاة المعارف بالإسكندرية .

— علم اللغة مقدمة للقارىء ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

١١١ — محمود العالم المنزلى

— الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع فى الصرف والنحو والمعانى والبيان البديع .

وبهامشه كتاب حسن الصنيع فى علم المعانى والبيان والبديع لمؤلفه العلامة الفاضل الشيخ محمد البسيونى البيانى ، الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ

١١٢ — مراد كامل (الدكتور)

— دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، معهد الدراسات العربية ١٩٦٣ .

١١٣ — مرضى بن على بن مرضى الطرطوسى

— تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ، نشر أجزاء منها مع ترجمة فرنسية وتعليقات الأستاذ كلود كاهن .

١١٤ — مرمرجى الدومينيكى (الأب)

— المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية ، مطبعة الآباء الفرنسيين فى القدس ١٩٣٧ .

١١٥ — محمود فهمى حجازى (الدكتور)

علم اللغة العربية ، مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣ .

— علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، المكتبة الثقافية عدد ٢٤٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠ .

١١٦ ـــ مصطفى مندور (الدكتور)
ـــ اللغة بين العقل والمغامرة (منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٤) .
١١٧ ـــ وليم موير (السير)
ـــ تاريخ دولة المماليك فى مصر ، ترجمه إلى العربية محمود عابدين وسليم حسن ، مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٤ م .
١١٨ ـــ ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله الرومى) ٦٢٦ هـ
ـــ معجم الأدباء ، طبعة فريد رفاعى (٢٠ جزءاً) ، القاهرة ١٩٣٦ .
ـــ معجم البلدان ، ليبزج ١٨٧٠ ، وطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٢ هـ .

الدوريات

١ — مجلة الرسالة ، العدد ٤١١ (١٩ مايو سنة ١٩٤١ (ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب — بحث للأب أنستاس مارى الكرملى .
٢ — مجلة المجمع العربى بدمشق — أعداد سنة ١٩٥٠ « بحث الألفاظ السريانية فى المعاجم العربية — الأب أغناطيوس أفرام الأول .
٣ — مجلة كلية الآداب :
— المجلد الأول ، الجزء الثانى ١٩٣٣ « بحث أوزان الشعر وقوافيه فى العربية والفارسية والتركية » للدكتور عبد الوهاب عزام .
— المجلد السابع ، يوليه ١٩٤٤ « بحث آراء فى تاريخ دولة المماليك البحرية » لعلى إبراهيم حسن — وبحث مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى لإبراهيم أمين الشواربى — وبحث أداة التعريف فى اللغة العربية للدكتور فؤاد حسنين على .
— العدد الثامن : المجلد الأول سنة ١٩٤٦ — « بحث الهمزة » للدكتور فؤاد حسنين على .
— مجلد ١٠ ، الجزء الأول والثانى سنة ١٩٤٨ « بحث بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى » للدكتور أنوليتمان ، و« بحث فى قراءات القران » للدكتور عبد الحليم النجار .
— المجلد الحادى عشر ، الجزء الأول سنة ١٩٤٩ ، والجزء الثانى ، « بحث أسماء الأعلام فى اللغات السامية » للدكتور أنوليتمان ، و« بحث الدخيل فى اللغة العربية للدكتور فؤاد حسنين على .
المجلد الثالث عشر ، الجوء الأول ١٩٥١ ، والجزء الثانى ، بحث تحقيق بعض الألفاظ الهندية المعربة والدخيلة فى اللغات الأوروبية للدكتور محمد يوسف .
— المجلد الخامس عشر ، الجوء الأول سنة ١٩٥٣ ، والجزء الثانى ، « بحث فى اللهجات العربية وأصول اختلافها » للدكتور عبد الحليم النجار و« بحث التشيع فى الشعر المصرى فى عصر الأيوبيين والمماليك » للدكتور محمد كامل حسين .

— المجلد السابع عشر ، الجزء الأول سنة ١٩٥٥ ، والجزء الثانى ، « بحث دراسات لغوية » للدكتور يعقوب بكر .

— المجلد التاسع عشر ، الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥٧ ، « بحث ضمير المتكلم المرفوع » للدكتور خليل يحيى نامى .

— المجلد العشرون ، الجزء الثانى (ديسمبر ١٩٥٨) « بحث نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين بمملكة بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى» للدكتور السيد الباز العرينى ، و« بحث دراسات مقارنة فى المعجم العربى » للدكتور السيد يعقوب بكر .

— المجلد العشرون ، الجزء الأول — مايو سنة ١٩٥٨ — « بحث نقوش عربية جنوبية » للدكتور يحيى نامه .

— المجلد الحادى والعشرون ، الجزء الأول سنة ١٩٥٩ ، « من مباحث الهمزة العربية » للدكتور عبد الحليم محمد النجار ، و« بحث حرف الضاد وكثرة مخارجه فى اللغة العربية » للدكتور يحيى نامه .

— المجلد الثالث والعشرون ، الجزء الأول — مايو ١٩٦١ — « بحث دراسات مقارنة فى المعجم العربى » للسيد يعقوب بكر ، و« بحث نشأة النحو عند السريان وتاريخ نحاتهم » للدكتورة زاكية رشدى .

— المجلد الثالث والعشرون ، الجزء الثانى — ديسمبر ١٩٦١ — « بحث الإضافة فى اللغات السامية » للدكتورةزاكية محمد رشدى .

٤ — مجلة مجمع اللغة العربى الملكى ، الجزء الأول (أكتوبر سنة ١٩٣٤) ، « بحث الترادف » للأستاذ على الجارم ، و« بحث تعريب الأساليب » للشيخ عبد القادر المغربى ، و« بحث اللهجة العربية العامية » للأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ،و« بحث فى علم الاشتقاق » لعبد الله أفندى أمين

٥ — صحيفة دار العلوم ، السنة الحادية عشر ، العددان الأول والثانى ، (يوليه — أكتوبر سنة ١٩٤٤) ، « بحث نفى النفى تأكيد للنفى » للدكتور إبراهيم أنيس .

٦ — مجلة فصول : م ١ — ع ٢ يناير ١٩٨١ :
عن البنيوية التوليدية — قراءة فى لوسيان جولدمان . للدكتور جابر عصفور .

٧ — دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) نقلها إلى العربية عباس محمود ، عبد الحميد يونس ، ابراهيم زكى خورشيد وراجعها من قبل وزارة المعارف محمد أحمد جاد المولى ، راجع المجلد الثانى عشر د. محمد مهدى علام « مادة أتابك — ومادة جريب)» .

٨ — دائرة المعارف للبستانى « Encyclopedia Arab » قاموس عام لكل فن ، طبع بيروت ١٨٧٦ .

ثالثا ـ المراجع الأجنبية

(أ) الإنجليزية

« Refrences »

(1) Allen. W. S. : The linguistic study of language, coM-bridge university. Priss 1957

(2) Ameer. Alli. : Short History of the saracens (London 1900).

(3) Bloomfield : Leonard : Language (copyright 5591).

(4) Baldwin : Crusades. 1 – Philodphia 1955

(5) Carrol, John B. The study of language, Harvard uuiversity press 1959.

(6) Daniel, jones : An outline of English phonetics.

(7) Gibb. H.A R The armies of saladin. Cahiers d›histoire Egyptienne. Serie 111 Fase Fase 4–Mai 1951, pp· 304–221.

(8) Gleason. H. A. : An Introduction to Descriptive linguistics May 1966.

(9) Hjelmslev, Louis : Structural Analysis of language, Studia linguistica 1, 1948.

(10) Lane poole : History of Egypt in the middle Ages (Londod 1913).

(11) Lane peole, Stanly : Saladin and the Fall of the kingdom of jerusalem – New York 1898.

(12) Lewis (Bernard) Saladin and the Assassins (B.S.O.A.S.) (1953xv 12).

(13) Robins, R. H. : General linguistics, An Intoroductory survey, longmans, London. 1964.

(14) Shlauch, Margret : The gift of Tongues, George & Unwin. L. T. D. London 1960.

(15) Stephen Ullman : (1) Language and Style Oxford Basil blackwell 1964.

(16) Stephen Ullmann : (2) Semantics an introduction to the science ef meaning Oxford Basil Blackwell 1964.

(17) Sapir Edward : Language. An introduction to the study of speech – New York 1964.

(18) Noam Chomsky : Aspects of the theory of syntax. Second printing, December 1965.

(19) The Encyclopedia of Islam.

(ب) الفرنسية

Références

(1) Plochet : Histoire dss Sultans Mamlouks de l Egypte.

(2) Bréal, Michel : Essai de Sémantique 4éme edition, Paris 1908.

(3) Cantineau, J : Esquiss d'une phonologi de l'Arabe classique.

Bullétin de la societe linguisitque de Paris.

(4) Demombynès : Màsàlik. II L. A. Absar Fi Masàlik el Amsàr, d'Ibu Fadla Allah al Omari, Tome, 1. L Afrique, moins l'Egypte, Traduit, et annoté avec une introduction et 5cartes (Bibliotheque des geographes, arabes. T.II. geutner, Paris 1927).

(5) De Saussure, Ferdinand : COURS De linguisiique générale, quatriéme édition, payot 1949.

(6) Dozy ، (R. Q. A.) Dictionnaire des Noms des Vétements chez les Arabes. Amestrdam, Müller 1845.

(7) Dozy : (R. Q. A.) Supplément Aux Dictionnaires Arabes, Brill, 1881.

(8) Quatremère, (M.). : Histoire Des Sultans Mamlouks, De l'Egypte Ecrite En Arab par Taki, Eddin Ahmed, Makrizi Paris.

(9) Michoud : Histoire des Croisades.

(ج) مراجع فارسية وتركية

١ — برهان قاطع تأليف محمد حسين بن خلف تبريزى متخلص ببرهان :
— جلد أول — آ . ت .
— جلد دوم — ح . س .
— جلد سوم — ش . ل .
— جلد جهارم — م. ى.
— جلد نيجيم تعليقات تهران ١٣٢٢ هجرى ، شمس جانجانه بانك ، باز — كانى إيران .
٢ — فرهنك جامع « فارسى — انكليسى » تأليف سليمان حييم :
— جلد أول : ا — ر .
— جلد دوم : س — ى .
كتابخانة ومطبعة بروخيم — طهران ١٣١٤ . هجرى
٣ — القاموس الفريد فى العصر الحديد :
— معجم اللغة الفارسية ومصطلحاتها الحديثة والقديمة وقواعدها مع التشكيل والتعريب بأسلوب ابتكارى حديث ، تأليف سماحة العلامة الشيخ أحمد النجفى .
— فرهنك لغات واصطلاحات جديد وقديم وقواعد دستور زبان ، وارسى به عربى ، تهران ١٣٥٤ هجرى شمسى .
— جلد اول آ — خ .
— جلد دوم د — ظ .
٤ — المعجم فى اللغة الفارسية — نقله إلى العربية دكتور محمد موسى هنداوى الناشر مكتبة الأنجلو ، ودار مطابع الشعب .
٥ — غلالى لغات عثمانية ، جلد أول ، طبعة حجر .

مراجع لغات أخرى أفاد منها الكتاب

١ – التوطئة فى اللغة العبرية تأليف د. فؤاد حسنين على ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٤٠ م .

٢ – قواعد اللغة العبرية : الدكتور عونى عبد الرؤوف ، سنة ١٩٧١ م .

٣ – الكنز فى قواعد العبرية : محمد بدر ، المطبعة التجارية الكبرى ، بعابدين ، القاهرة . مصر .

٤ – قواعد اللغة الأردوية : تأليف محمد لقمان الصديقى ، مطبعة جامعة القاهرة ، سنة ١٩٦٣ .

٥ – المرجع فى قواعد اللغة القبطية : مطبعة جمعية مار مينا العجايبى ، بالإسكندرية ١٦٨٦ ش – ١٩٦٩ م .

٦ – قواعد اللغة المصرية فى عصرها الذهبى : الدكتور عبد المحسن بكير : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م .

٧ – مبادىء اللغة الإيطالية : طه فوزى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٠ .

فهرس المحتوى

الموضوع — الصفحة

الباب الثالث

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الباب الرابع

رقم الايداع ٨٨/٧٢٥٣

الترقيم الدولى ٩٧٧ ـ ٠٢ ـ ٢٥٥٨ ـ ٤

٢٢/٨٨/٣

طبع بمطابع دار روتابرينت